صالح الوردانى

الحق والحقيقة بين السنة والشيعة



كنوز
للنشر والتوزيع

الحق والحقيقة

بين السنة والشيعة

صالح الوردانى

الحق والحقيقة
بين السنة والشيعة

المؤلف
صالح الورداني

الإشراف العام
ياسر رمضان

الناشــــر
كنوز
للنشر والتوزيع
37 ش قصر النيل ـ القاهرة تليفون: 012 7717795
kenouz55@yahoo.com

التنفيذ الفني وتصميم الغلاف



الطبعة الأولى 2007

رقم الإيداع: 2007/17042
الترقيم الدولي: 977-5307-33-3

الحق والحقيقة

بين السنة والشيعة

صالح الورداني

كنوز
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾

صدق الله العظيم

الأنعام «١٥٢»

للعقلاء فقط والذين يتفكرون..

المحتويات

مقدمة

الإسلام فى حقيقته دين العدل والحرية والتسامح والسلام، والذين يحاولون إبراز غير هذه الصورة لا يمثلون الإسلام ولا ينطقون بلسانه..

والواجب على المسلم أن يلتزم بالعدل فى القول، والأمانة فى النقل، والإنصاف فى الرأى أمام الخصوم من المسلمين وغير المسلمين..

والصدام الواقع بين السنة والشيعة منذ قيام الثورة الإسلامية فى إيران وحتى الآن والحملات العدائية المستمرة بينهما يجب أن تتوقف وأن تضبط بخلق الإسلام..

والخلق يعنى الإلتزام بالصدق فى القول، والأمانة فى النقل، وامتلاك أدوات البحث العلمى وهضم الطرح الشيعى والسنى على السواء..

لكن الملاحظ أن القائمين على هذه الحملات التى تقودها مؤسسات وصحف ورموز قد خرجوا عن حدود هذه الخلق وبالتالى وقعوا تحت سيطرة العقل المذهبى وعقل الماضى..

وأصبح سلاح هذه الحملات الدائم هوالتحريض والسب واللعن وقدر كبير من التعصب والخصومة التى جاوزت حدود العقل والعدل والأدب..

من هنا كان اعتماد هذه الحملات على التصيد وكشف العورات وإطلاق الإتهامات وهى لغة لا تستقيم مع خلق الإسلام وأصول البحث العلمى..

وبغض النظر عن هذه الحملات فإنه من الواجب علينا التسليم بأن هناك أزمة قائمة بين السنة والشيعة بسبب الموروثات التى يتمسك بها الطرفان..

وهذه الموروثات تتمثل فى ذلك الكم الهائل من الروايات والنصوص التى تقود الى الغلو فى الصحابة عند أهل السنة، والغلو فى أهل البيت عند الشيعة..

إن مسألة السنة والشيعة لا يمكن قراءتها دون بعدها التاريخى الذى ولد لنا هذه الموروثات التى انشغل بها المسلمون اليوم وأدى انشغالهم بها الى الإبتعاد عن روح وخلق القرآن..

وأرى أنه من الواجب علىّ أن أؤكد أن هناك العديد من الجهات التى تزكى الخلاف والفرقة بين المسلمين وتدعم الحرب الدائرة بين الشيعة والسنة..

وهذه الجهات لا تنحصر فى دائرة القوى المتربصة بالإسلام والمسلمين فقط وإنما يمتد وجودها الى دائرة المسلمين أيضاً..

والأمر الملفت للنظر هو أن فقهاء ورموز السنة تركوا ساحة الدعوة خالية أمام دعاة التحريض والفرقة يشعلون نار الفتنة بين المسلمين دون تدخل حاسم منهم مما فرض علينا أن نعرض لكل صور الطعون والشبهات التى أثاروها من خلال منشوراتهم التى أغرقوا بها الأسواق والتى تدل على أن هناك جهات تدعم هذه الحالة..

ودعاة التحريض عادة يفتقدون الى الخلق الذى يوجب عليهم أن يعلموا أن ما يفعلونه وما يقومون به ليس من الواجبات الشرعية فى شىء فالدين لا يفرض على المسلم أن يتصيد عورات الآخرين ويفتش فى عقائدهم ويشغل المسلمين بها خاصة إذا كان لا يملك الوعى والإحاطة بأصول الدين وفروعه ولم يتشيع بحقيقته التى تقوم على أساس العدل والإنصاف للآخر..

وسوف يلاحظ القارىء من خلال مناقشتنا لمنشورات دعاة التحريض مدى الغفلة وقلة الوعى والخلل فى النقل التى تعكس سيطرة عقل الماضى والعصبية المذهبية على كاتبى هذه المنشورات الذين غابت عنهم حقيقة هامة وهى أن التسنن متداخل فى التشيع والتشيع متداخل فى التسنن..

إن الحقيقة التي يجب أن نقر بها هنا هي أننا كمسلمين لم نرب على قبول الآخر سواء كان مسلماً أو غير مسلم، بل تربينا على نبذه واضطهاده، وهذا هو سر أزمتنا اليوم..

والحرب القائمة هي حرب بين السنة والشيعة أي بين مذهب ومذهب لا بين التسنن والتشيع..

وهي حرب فرضها التيار السلفي الوهابي على واقع المسلمين بدافع الحفاظ على وجوده في مواجهة المد الشيعي المتنامي ولا صلة للإسلام والمسلمين بها، ذلك التيار الذي فرض نفسه وصياً على الإسلام وحتى على أهل السنة..

وهو ما سوف يتضح من خلال هذا الكتاب الذي يهدف الى وضع حد لفهم الآخر وقبوله..

ووضع حد للبحث العلمي والنقل الموضوعي وأدب الخلاف في دائرة الدين..

وإيجاد ميزان لضبط حركة التناول لقضايا الدين وحسم الخلاف بين المسلمين..

وهو محاولة لدفع المسلمين الى الإنشغال بالقضايا الكبرى والمصيرية التي تفرض نفسها على ساحتهم اليوم..

وعسى أن نكون قد وفقنا من خلال صفحات هذا الكتاب في عرض أفكار وعقائد الطرفين من خلال مصادرهما المعتمدة وإلقاء الضوء على طبيعة الخلاف بينهما راجين الله سبحانه أن يكون ذلك سبيلاً لتحقيق التعارف بين المسلمين الذي هو مقدمة ضرورية لتوحيد صفوفهم و كلمتهم..

صالح الورداني

القاهرة

في الرابع عشر من صفر عام ١٤٢٨هـ

معالـــم الأزمـــة

أزمة الخلاف وأزمة الحوار

من صورأزمـة المسلمين اليوم أن الخـلاف بينهم تجاوز الحـدود ووصل الى الحد الذى يصطدم بقواعد الإسلام و أصوله..

والسؤال هنا ما هى حدود هذا الخلاف..؟

وما هى ضوابطه..؟

إن الخـلاف الذى نتـحـدث عنه هنا هو خـلاف بين المسلمـين، وهذا يعنى أنه خـلاف فى دائرة الإسلام، وهو ما يقودنا بالتالى الى الحكم بأن هذا الخلاف لا يخرج عن حدود الفروع..

وعلى هـذا الأسـاس لا يجـوز إطـلاق أحكام التـضـليل والشـرك والزيغ وخـلافـهـا من الأحكام على المخالفين مهما كانت حدة هذا الخلاف ما دام فى دائرة الإسلام..

إلا أنه لاتزال بعض الإتجاهات المتطرفة تطلق هذه الأحكام و تقذف بها المخالفين من السنة والشيعة على السواء..

وإطلاق مثل هذه الأحكام يعنى افتقاد التسلح بالعلم والدراية..

ويعنى أيضاً افتقاد التسلح بخلق الإسلام الذى نحن فى أمس الحاجة اليه اليوم قبل حاجتنا الى الفقه..

فمن الخلق ألا نتصدى لقضية دون أن نملك أدواتها..

ومن الخلق ألا نتجاوز حدود التعامل مع المخالف و نستحله..

ومن الخلق ألا نتجاوز أدب القرآن فى الخلاف والتعامل مع الخصوم..

ومن الخلق ألا نستثمر النصوص القرآنية أوالنبوية للنيل من الخصوم والتعريض بهم بهدف نصرة مذهب أو جماعة..

إن قوله تعالى: ﴿إن الذين فرقوا دينهم و كانوا شيعاً لست منهم فى شىء﴾ «الأنعام/١٥٩»

و قوله: ﴿ولا تكونوا من المشركين، من الذين فرقوا دينهم و كانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون﴾ «الروم٣١/٣٢»

هذه النصوص تنطبق على جميع المسلمين، وليس هناك مذهب أو جماعة تملك الحصانة من الفرقة والخلاف، كما لا يجوز لهذا المذهب أو هذه الجماعة أن تستثمر مثل هذه النصوص فى مواجهة المخالفين..

والواجب علينا الالتزام بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و قولوا قولاً سديداً﴾. «الاحزاب ٧»

وقول الرسولﷺ «من صلى صلاتنا و استقبل قبلتنا و أكل ذبيحتنا فهو المسلم له ما لنا وعليه ما علينا».. (١)

وأقوال الفقهاء فى المخالفين من أهل القبلة التى تجمع على أن هؤلاء يحكم بإسلامهم حكماً يقينياً لا يزول بالشك..

قال الطحاوى : قال أصحابنا لا يخرج الرجل من الإيمان إلا جحود ما أدخله فيه، ثم ما تيقن أنه ردة حكم بها، وما يشك أنه ردة لا يحكم بها، إذ الإسلام الثابت لا يزول بالشك.. (٢)

---

(١) رواه البخارى حديث رقم (٣٩١) و رقم (٥٥٦٣)

(٢) شرح العقيدة الطحاوية..

وقال ابن تيمية : ليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ، حتى تقام عليه الحجة، وتبين له، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزول ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة.. [1]

وقال النووى : إعلم رحمك الله أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر أهل القبلة، ولا يكفر أهل الأهواء والبدع مثل الخوارج والرافضة والمعتزلة وغيرهم.. [2]

وقال صاحب البحر الرائق : والذى تحرر أنه لا يفتى بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن، إذا كان فى كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة.. [3]

وقال الغزالى : و المبادرة إلى التكفير إنما تغلب على طباع من يغلب عليه الجهل.. [4]

وقال الدكتور رؤوف شلبى :.. واعلم أنه لا تكفير فى الفروع أصلاً، لكن فى بعضها تخطئة، وفى بعضها تبديع، كالخطأ المتعلق بالإمامة وأحوال الصحابة، واعلم أن الخطأ فى أصل الإمامة، وتعيينها وشروطها، وما يتعلق بها، لا يوجب شىء منه تكفيراً، ولا يلتفت الى قوم يعظمون أمر الإمامة، و يجعلون الإيمان بالإمام مقروناً بالإيمان بالله وبرسوله، ولا الى خصومهم المكفرين لهم بمجرد مذهبهم فى الإمامة، فكل ذلك إسراف، إذ ليس فى واحد من القولين تكذيب للرسولﷺ أصلاً.. [5]

ولا أجد من خلال متابعتى لما ينشر من كتب ومقالات أحد من أهل العلم المعتد بهم تجاوز حدود الخلق والأدب والعدل والإنصاف فى مواجهة الخصوم خاصة الشيعة، إنما وجدت التجاوزات وإطلاق الأحكام وقذف النصوص عشوائياً والبعد عن الخلق والعدل والإنصاف ـ وجدت فى تلك المنشورات التى تخلو من مقومات الكتابة والتى

---

(1) مجموع الفتاوى جـ١٢/٤٦٦..

(2) شرح مسلم جـ٢/١٥١..

(3) جـ٣/٤٢٨..

(4) فيصل التفرقة بين الإسلام و الزندقة..

(5) كفوا ألسنتكم عمن قال لا إله إلا الله. منشور أزهرى..

برزت فى الساحة الإسلامية بعد الحقبة النفطية لعناصر أقل ما يقال فيها أنها دخيلة على عالم الفكر والبحث العلمى أخذت الأقلام عنوة لتكتب ما كتبت مستترة بسحب النفط..

وكان العديد من رموز الأزهر قد أبرزوا موقفهم بوضوح من الشيعة فى كتابات منشورة مثل الشيخ سليم البشرى، والشيخ شلتوت صاحب فتوى جواز التعبد بمذهب الشيعة الامامية، والشيخ الباقورى، والشيخ المدنى، والشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ الفحام، والشيخ بيصار، و الشيخ الشرباصى، والشيخ الغزالى، والشيخ كشك، والشيخ سيد سابق، وغيرهم كثير.. (١)

فإذا كان الأمر كذلك فما بال هؤلاء الذين يبرزون ما بين الحين والآخر من وراء الظهور ملقين بقنابلهم المسمومة على المسلمين ليثيروا الفتنة والبلبلة فى صفوفهم..

وبلسان من ينطقون.. ؟

إذا كانوا ينطقون بلسان أهل السنة فقد كذبوا..

وإذا كانوا ينطقون بلسانهم فقد جهلوا..

منهج القرآن

ولقد حشد القران العديد من النصوص التى توجب العدل والإنصاف والتزام الأدب والخلق القويم مع الخصوم مسلمين وغير مسلمين..

يقول سبحانه : ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ «المائدة ٨»

---

(١) انظر منشورات جماعة التقريب بين المذاهب فى القاهرة التى ضمت العديد من رجال الازهر و نشرت من كتب الشيعة تفسير مجمع البيان للطبرسى والمختصر النافع للحلى الذى قدم له الشيخ الباقورى وغيرهما. وانظر اعداد مجلة رسالة الاسلام الناطقة بلسان الجماعة..

ويقـول :﴿ولتكن منـكم أمـة يدعـون إلى الخيـر ويأمـرون بـالمعـروف وينهون عـن المنكر وأولئك هـم المفلحـون.ولا تكونوا كـالذين تفـرقـوا و اخـتلفـوا من بعـد ما جـاءهم البـينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ آل عمران/١٠٤ : ١٠٥..

ويقـول : ﴿يا أيها الـذين آمنوا كونوا قـوامين بالقسط شهداء لله و لو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين..﴾ النساء/ ١٣٥.

ويقول: ﴿و إذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى..﴾ الأنعام/ ١٥٢.

ويقول : ﴿وأمرت لأعـدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمـالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير﴾ الشورى/١٥..

ويقول : ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾.. النحل/٩٠.

ولم يحصـر القرآن دعـوته الى العدل وإنصـاف الخصم فى حدود المسلمين وحدهم إنما اتسعت هذه الدعوة لتشمل غير المسلمين من أصحاب الديانات الأخرى..

يقول سبحـانه : ﴿إن الذين آمنوا والذين هـادوا والنصـارى والصـابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

«البقرة ٦٢».

ويقـول : ﴿ليـسـوا سـواء من أهـل الكتـاب أمـة قـائمـة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون. يؤمنون بالله واليوم الآخر و يأمـرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصـالحين. وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين﴾.

«آل عمران ١١٣ : ١١٥»

ويقول: ﴿و إن من أهـل الكتاب لمن يؤمن بالله ومـا أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجـرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب﴾

«آل عمران١٩٩»

و يقول : ﴿اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم و طعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم..﴾ المائدة/٥..

و يتضح من خلال هذه النصوص أن المسلمين مأمورون بالعدل والإنصاف واحترام الآخر وعدم الانحراف عن هذه القيم الثابتة تحت دوافع العصبية القبلية أوالمذهبية..

مأمورون بتحرى الصدق فى القول والعدل فيه ولوكان ذلك على حساب الأقربين على مستوى الإنتماء العائلى أو الإنتماء المذهبى..

مأمورون بالإسراع فى الخيرات والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أجل وحدة الصف وتماسك المسلمين لا الإفساد فى الأرض وإشاعة الفتن والبغى على الآخر..

إن الذين يشيعون الأفكار المغرضة عن الآخرين من المسلمين دون وجه حق إنما يشيعون الفاحشة بين الذين آمنوا..

ومجرد الظن السيئ فى معتقدات المسلمين هو خروج عن آداب القرآن وأخلاق الرسولﷺ..

وقد أطلق القران حرية الرأى والاعتقاد بنصوص صريحة وواضحة..

يقول سبحانه : ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النارهم فيها خالدون﴾" القرة/٢١٧

ويقول : ﴿لا اكراه فى الدين﴾ البقرة/٢٥٦

ويقول : ﴿إن هو الا ذكر للعالمين﴾ الانعام ٩.

ويقول: ﴿وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل﴾ الانعام/٧.١

ويقول : ﴿وإن ما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ الرعد/٤.

ويقول : ﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾ «النحل/١٢٥»

ويقول: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ الكهف/٢٩

ويقول: ﴿فذكر إنما أنت مذكر.لست عليهم بمسيطر﴾ الغاشية/٢١ : ٢٢

ويقول: ﴿إنا أوإياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين﴾ سبا/٢٤

ويقول: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلونكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ الممتحنة/٨

ويقول:﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ يونس/٩٩

وغير ذلك كثير فى القرآن..

وأمر القرآن بالتدبروالتعقل والتفكر فى مواضع كثيرة..

قال سبحانه: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ محمد/٢٤

وقال: ﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ يونس/٢٤

وقال: ﴿ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون﴾ يونس/١٠٠

وقال: ﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ الرعد/٣

وقال: ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾ الزخرف/٣

وعندما سئلت أم المؤمنين عائشة عن خلق النبىﷺ أجابت : "كان خلقه القرآن"..[1]

لقد كان الرسولﷺ يلتزم بمنهج القرآن فى مواقفه وسلوكياته وخاصة فيما يتعلق بالخصوم والمخالفين، ويكفى الإشارة فى هذا المجال الى خلقه فى مواجهة المنافقين الذين كانوا يرتعون من حوله فى المدينة وخارجها..

هل صعد النبىﷺ المنبر فكفرهم أو لعنهم.. ؟

هل أصدر أمراً بقتلهم.. ؟

---

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد حديث رقم ٢١١، والبيهقى فى شعب الإيمان حديث رقم ١٤٢٨.

ولا ننسى الإشارة هنا الى حادثتين بارزتين فى سيرة النبىﷺ..

الحادثة الأولى قصة اليهودى الذى كان يلقى بالقاذورات على باب النبىﷺ كل يوم ثم انقطع عن ذلك.. فسأل عنه النبىﷺ فأخبروه أن المرض أقعده، فقرر زيارته والاطمئنان على صحته، فدهش اليهودى لهذا الموقف و أعلن دخوله فى الإسلام.. (١)

و الحادثة الثانية هى نيابة الإمام على عن الرسولﷺ ونومه فى فراشه ليلة الهجرة وتعريض حياته للخطر من أجل رد الأمانات الخاصة بمشركى مكة والتى كانت بحوزة الرسولﷺ.. (٢)

هذا هو خلق القرآن..

وهذا هو خلق الرسولﷺ المنضبط بالقرآن..

و هو الخلق الذى ندعو هواة الخصومة وشغل المسلمين ببعضهم الى التحلى به حتى يكونوا صورة حسنة للإسلام..

وهو الخلق الذى يجب أن يتحلى به الذين يهاجمون فكرة التقريب بين المسلمين ومحاولات تذويب الخلافات السائدة بينهم.. (٣)

العقل المذهبى

وقبل الخوض فى موضوع المذهبية وتاثيرها على العقل المسلم المعاصر يجب علينا التاكيد على حقيقة هامة وهى أن الإسلام فوق الشيعة والسنة وجميع المذاهب..

وتبنى هذه الحقيقة سوف يرسم لنا الطريق نحو رؤية موضوعية فى الخلاف السائد بين الشيعة والسنة حيث إن الرؤية المذهبية الضيقة لها دورها الفاعل فى تأجيج الخلاف وتوسيعه وإشاعة اللغة التحريضية بين الطرفين..

---

(١) انظر كتب السيرة..

(٢) المراجع السابقة..

(٣) انظر فصل أزمة النقل..

والحالة المذهبية إنما تسود الواقع السنى والواقع الشيعى وانعكست بوضوح على طرح الطرفين حتى أدت إلى خلط المفاهيم الوضعية بالمعتقدات الثابتة والأحكام الشرعية بالإجتهادات الفقهية..

ونتيجة لهذا الخلط أصبح أهل السنة يقيسون الشيعة على ضوء المفاهيم الوضعية التى خلطت بالعقائد الثابتة وأصبحت من أمهات الاعتقاد لديهم..

وأدى رفض الشيعة لهذه المفاهيم الى تسميتهم بالرافضة واعتبارهم خارجين على الإسلام ومنحرفين عقدياً فى منظور أهل السنة..

ومثال ذلك تلك الرؤية المذهبية المغالية التى يتبناها أهل السنة فى الصحابة ـ خاصة الخليفة الأول والثانى ـ والتى تحولت الى معتقد عندهم مثل النص على أن أبا بكر هو خير الناس بعد رسول الله ﷺ يليه عمر ثم عثمان ثم على وأن جميع الصحابة عدول لا يجوز الخوض فيهم وفيما جرى بينهم من صدام وخلاف..

وأن الله فى السماء وسوف يرى يوم القيامة وأنه يضحك ويغار ويهرول ويفرح وينزل ويصعد وأن نكاح المتعة حرام، والصلاة وراء كل بر وفاجر، والجهاد ماض وراء الحاكم برا كان أو فاجرا، وغير ذلك من المفاهيم المذهبية الوضعية التى حوتها كتب العقائد السنية والمرفوضة من قبل الشيعة وغيرهم.. [1]

وقد وقع فقهاء السنة فى متاهة المذهبية حين احتجوا على الشيعة بالأحاديث التى تزكى الصحابة عندهم والتى تكتظ بها كتب السنن فيما يسمى بالفضائل وفاتهم أن هذا الاحتجاج غير صحيح لكونه احتجاج يقوم على مصادر لا يعترف بها الخصم ـ كما هو حال احتجاجات ابن تيمية على ما سوف نبين ـ ولو كان يعترف بها ما كان هناك خلاف من الأصل..

والاحتجاج العلمى الصحيح إنما يقوم على أساس مصادر الخصم المعتمدة فلا يمكن مثلا أن تحتج على مسيحى بالقرآن الذى لا يعترف به وإنما الإحتجاج عليه يكون بالإنجيل الذى يؤمن به..

---

(١) انظر فصل عقائد السنة..

ومثل هذا الموقف من قبل أهل السنة تجاه الشيعة قد أسهم فى تأسيس العقل المذهبى وتوطيده ليصبح مع مرور الزمن هو الأساس فى الحكم على الشيعة وغيرهم..

وهو الأساس أيضا فى توطين الخلاف وتعميقه بين الطرفين..

وأدى رفض أهل السنة لفكرة الإمامة وخصوصية أهل البيت التى تشكل عمد المذهب الشيعى الى اعتبارهم خارجين على الإسلام منحرفين عقدياً فى منظور الشيعة..

كما أدى التركيز الدائم من قبل الشيعة على أبى بكر وعمر والطعن فيهما الى تأجيج الخلاف وتوطين العداء وزيادة التباعد عن أهل السنة..

فهناك غلو فى الحالة الولائية الصحابة عند أهل السنة..

وهناك غلو فى الحالة العدائية للصحابة عند الشيعة..

وهناك تعصب فى الجانبين..

وحل هذا الإشكال إنما يكون بتحكيم الإسلام بنصوصه الصريحة فى هذا الخلاف لا تحكيم النصوص المذهبية والمفاهيم الوضعية..

النصوص الشرعية سوف تؤدى إلى التقريب وقبول كل الطرفين للآخر..

والمفاهيم الوضعية والمذهبية سوف تؤدى الى الفرقة والتباعد..

وطالما ظل كل طرف متمسك بالعقل المذهبى فسوف يستمر الخلاف والتباعد..

وطالما ظل أهل السنة ينظرون للشيعة بمنظورهم المذهبى..

وطالما ظل الشيعة ينظرون للسنة بمنظورهم المذهبى فلن يهدأ الصراع ولن يحسم الخلاف..

ولابد للطرفين من التخلى عن عقل الماضى والعقل المذهبى حتى يمكن تحكيم النصوص الشرعية

فى الخلاف الواقع بين الطرفين..

إن لااله الا الله محمد رسول الله ﷺ التى يدين بها الشيعة والسنة هى الأصل الجامع والمظلة الشرعية التى يستظل بها جميع المسلمين..

وما دون ركن الألوهية وركن النبوة يجوز فيه الخلاف ويخضع للحوار والمناقشة..

وأمام هذه القاعدة يجب أن تتلاشى جميع المفاهيم والعقائد المذهبية والوضعية التى تحول دون تلاقى المسلمين وتوحدهم وقبول كل منهم للآخر..

وإذا كانت نصوص القرآن الصريحة تدعو الى قبول الآخر والتزام العدل والإنصاف والإحسان والرحمة معه فلا مكان لمثل هذه المفاهيم والعقائد الوضعية التى ترفض الآخر وتنابذه العداء..

وإذا كان القرآن يحض على التفكر والتدبر وحرية الرأى والاعتقاد فلا مكان لمثل هذه المفاهيم والعقائد التى تدعو إلى الانغلاق العقلى والتعصب المذهبى..

ومما سبق يتبين لنا أن الأزمة القائمة بين الشيعة والسنة هى أزمة مذهبية كحال تلك الأزمات التى كانت قائمة بين الحنابلة وخصومهم من المذاهب الأخرى..

وكحال تلك الأزمة التى كانت بين ابن حزم وخصومه..

وكحال تلك الأزمة التى كانت بين ابن تيمية وفقهاء عصره..

وكحال تلك الأزمة القائمة اليوم بين السلفيين وخصومهم فى كل مكان اليوم.. (١)

غير أن الأزمة بين السنة والشيعة لعبت فيها السياسة وهذا ما جعلها تأخذ بعداً آخر أكثر حدة وشيوعاً وهو ما يجب الإنتباه إليه..

يقول الدكتور القرضاوى : ليس المراد بالتقريب بين المذاهب أن يتنازل السنى عن سنيته ويندمج فى مذهب الشيعة، ولا أن يتنازل الشيعى عن شيعيته ويذوب فى المذهب السنى.. إنما المطلوب من الحوار والتقريب هنا تصفية الأجواء مما يكدرها من أسباب التوتر وسوء الظن وفقدان الثقة بين الفريقين..

---

(١) انظر فصل المتطرفون..

ووضع القرضاوى مبادىء عشرة للتقريب بين المذاهب الإسلامية محدداً أن الإسلام فوق المذاهب والأمة فوق الطائفة وهذه المبادىء هى :

حسن الفهم وحسن الظن والتركيز على نقاط الاتفاق والتحاور فى المختلف فيه وتجنب الاستفزاز واجتناب التكفير والبعد عن شطط الغلاة والمصارحة بالحكمة والحذر من دسائس الأعداء وضرورة التلاحم وقت الشدة.. [1]

وهذه النقاط تعد كافية لحسم الصدام السنى الشيعى وإغلاق الأبواب فى وجه دعاة الفتنة من المتطرفين شريطة الالتزام بها وهو ما لا يشهد به الواقع حيث نرى القرضاوى نفسه قد نقض دعوته وأعلن الحرب على الشيعة مشاركا التيار السلفى الوهابى الذى يقود هذه الحرب..

تاريـــخ الخــلاف

كان الخلاف ولا زال سنة ثابتة فى واقع الأديان..

يقول سبحانه: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ هود/١١٨- ١١٩

والأمر الذى يجب أن نقر ونسلم به هنا هو أن الخلاف من الممكن أن يقع بين أمه محمد ﷺ كحال بقية الأمم فكما طال الخلاف أتباع موسى «ع» وأتباع عيسى «ع» من قبل فلابد أن يطول أتباع محمد ﷺ من بعد..

وهذه هى القاعدة الأولى فى هذا الأمر..

أما القاعدة الثانية فهى أن الخلاف كان واقعاً فى عهد رسول الله ﷺ..

ومن صوره الخلاف حول المنافقين الذين كانوا يتآمرون على الدين وعلى الرسول وحاول بعض الصحابة قتلهم ومنعهم الرسول ﷺ..

---

(١) انظر مبادىء فى الحوار والتقريب بين المذاهب الاسلامية . ط القاهرة..

والخلاف الذى وقع بين بعض الصحابة والذى يظهر لنا من خلال أقوال الرسولﷺ مثل :

من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما..

لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض..

ومن خلال ما وقع بين صهيب وأبى بكربسبب أبى سفيان ووصل الخلاف الى الرسول ﷺ..

ومن خلال ما وقع بين عمر وأبى بكر ووصل الى الرسول أيضاً.. (١)

والخلاف الذى وقع بين الصحابة حول الإمام على والذى يظهر لنا من خلال أقوال الرسول ﷺ مثل:

لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق..

من آذى علياً فقد آذانى..

من سب علياً فقد سبنى.. (٢)

والقاعدة الثالثة هى أن الخلاف الذى وقع فى أمة محمد ﷺ يدور فى محورين :

الأول خلاف سياسى..

الثانى خلاف عقائدى..

ويدخل فى الأول الخلاف الذى وقع بعد وفاة رسول الله ﷺ فى سقيفة بنى ساعدة..

والخلاف الذى وقع بين عائشة وعلى..

والخلاف الذى وقع بين ابن الزبير والأمويين.. (٣)

---

(١) انظر البخارى كتاب التفسير، سورة الحجرات. وانظر مسلم باب فضل صهيب وسلمان. وانظر الروايات الخاصة بحجة الوداع فى كتب السنن..

(٢) انظر مسلم باب حب الأنصار. والترمذى كتاب المناقب. ومقدمة ابن ماجه. وخصائص الإمام على للنسائى..

(٣) انظر كتب التاريخ فترة وفاة الرسولﷺ وفترة عثمان وفترة ابن الزبير. وانظر لنا كتاب السيف والسياسة..

وجميع هذه الخلافات كانت بين الصحابة.. ويدخل فى الثانى الخلاف الذى جرى حول الإمامة وأهل البيت..

والخلاف الذى وقع بين الزهراء وأبى بكر حول ميراث الرسول ﷺ.. (١)

والذين تحالفوا مع أهل البيت ووالوهم وقالوا بإمامتهم من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين أطلق عليهم فيما بعد اسم الشيعة.. (٢)

والذين تحالفوا مع أبى بكر وعمر وعثمان ومعاوية ووالوهم وقالوا بإمامتهم من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين أطلق عليهم فيما بعد اسم أهل السنة..

ومن هنا يتبين لنا ان الخلاف بين التيارين قديم يمتد الى عصر الرسول ﷺ حيث كان قطاع من الصحابة يلتف حول على بسبب مكانته من الرسول وتزكيته الدائمة له وتركيزه على أهل البيت، ذلك القطاع الذى فهم أن هذا التركيز كان يهدف الى الحض على الارتباط بهم والولاء لهم من بعده..

وهؤلاء كانوا الأقلية..

وكان القطاع الآخر يمثل الأكثرية..

ويعود السبب فى كثرة هذا الاتجاه الى ما يلى :

- وجود المنافقين..

- وجود أعداد من الصحابة مشغولة عن رسول الله ﷺ بأمور المعيشة..

- دخول العديد من الناس فى الإسلام ودخولهم دائرة الصحابة دون معرفتهم مكانة على..

- إدخال أعداد من الناس فى دائرة الصحابة فيما بعد ممن رأوا رسول الله أو ولدوا فى حياته أو سلموا عليه وهؤلاء جميعا ليس لهم تاريخ مع الرسول ﷺ يمكنهم من معرفة مكانة على وأهل البيت مما سهل على الاتجاه المخاصم استثمارهم لصالحه..

---

(١) انظر البخارى كتاب الخمس وكتاب الفرائض. وكتب التاريخ حوادث عام ١٠هـ

(٢) انظر فصل الصحابة..

ثم دعم حكم معاوية والأمويين هذا الاتجاه والحكومات التى جاءت من بعدهم ليصبح اتجاه الأغلبية من المسلمين..

وبهذا تحول الشيعة إلى أقلية فى واقع المسلمين طوال التاريخ وحتى عصرنا الحاضر..

وقد كان هذا الخلاف بارزاً فى واقع المسلمين فى عصر الصحابة والتابعين لوجود الصحابة الذين كانوا يدعمون اتجاه الشيعة..

إلا إنه بعد مقتل الإمام على ثم الحسن والحسين ومذبحة كربلاء اتجه الشيعة بسبب إرهاب الحكومات الى الخفاء حتى أتيحت لهم الفرصة للبروز مرة أخرى فى فترة سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية على يد الإمام جعفر الصادق وهومن أئمة السلف والإمام السادس عند الشيعة الذى تتلمذ على يديه العديد من الفقهاء البارزين فى محيط السنة وأخذعنه العديد من المسلمين الكثير من الروايات.. (١)

ثم إن الدولة العباسية سارت على نفس نهج الأمويين فى البطش بالشيعة ومحاصرة ائمتهم والتعتيم على دعوتهم..

وفى عصر الخليفة المأمون أتيحت الفرصة للشيعة ليبرزوا مرة أخرى حين قام المأمون بتعيين الإمام الرضا وهومن أئمة السلف أيضاً والإمام الثامن عند الشيعة الإمامية ولياً للعهد وبدأ يصرح بأفكار الشيعة.. (٢)

---

(١) انظر تاريخ الصادق ت (١٤٨هـ) فى كتب التراجم. وانظر الإمام جعفر الصادق لأبى زهرة وعبد الحليم الجندى ط القاهرة. وقد روى له أصحاب السنن مثل الترمذى والنسائى ومالك ومسلم وغيرهم. أما البخارى فشكك فيه. وسار على نهجه ابن تيمية فى منهاج السنة. وابن كثير لم يشر إليه فى تاريخه سوى بسطر واحد فى حوادث عام ١٤٨هـ. وهذا الذى نذكره هو لتبيين مدى سيطرة العقل المذهبى والتعصب على القدامى، وقد ورث المعاصرون هذا العقل فأصبحوا لا يعرفون السلف إلا من خلال ابن تيمية وتلاميذه..

(٢) انظر كتب التاريخ فترة عصر المأمون والرضا توفى فى حياته عام ٢٠٢هـ. وانظر الطبرى ج٥/حوادث عام ٢٠٢هـ. وكان المأمون قد وجه ضربة قاضية للحنابلة فى بغداد وقبض على ابن حنبل وحبسه. وعد بعض المؤرخين المأمون شيعيا لمناداته بزواج المتعة ودعمه للرضا وعده آخرون من المعتزلة لكونه أحيا الاتجاه العقلى وفتح الأبواب للتلاقى الفكرى بين المسلمين وغيرهم..

وظهـرت العـديد مـن الحكومـات السـنية المتطرفـة فـى العـصـر العـبـاسـى بعـد المـأمـون كحكومـة المتوكل الذى أمـر بهدم قبـر الحسين ومـعـاقبـة زواره من الشيـعـة عـام ٢٤٦هـ وحكومة القادر من بعده.. (١)

كذلك أدى استعانة خلفاء بنى العباس الضعاف بالفرس لتوطيد دعائم حكمهم أن سيطر آل بويه على الحكم لتظهر الدولة البويهية فى بغداد والدولة الطاهرية فى بلاد فارس ثم الدولة الحمدانية العربية فى حلب وماحولها وغيرها من الدول الشيعية.. (٢)

وكان بروز الدولة الفاطمية التى سيطرت على مصر والشام قد استفز الدولة العباسية ودفع بها الى إصدار منشور وقع عليه العديد من الفقهاء يشكك فى نسبة الفاطميين الى الرسول ﷺ وينسبهم الى اليهود.. (٣)

---

(١) عد الحنابلة المتوكل نصيراً للسنة ودعو له على المنابر وتغاضوا عن جرائمه ومنكراته وقد قتل على يد ولده المنتصر عام ٢٤٧هـ، أما القادر العباسى فقد كان متعصبا لأهل السنة قال السيوطى عنه: صنف كتاباً فى الأصول ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب مذهب أهل الحديث وإكفار المعتزلة والقائلين بخلق القرآن وكان كتابه يقرأ كل جمعة فى حلقة أصحاب الحديث ويحضره الناس ت عام ٤٢٢هـ. انظر تاريخ الخلفاء. وقد كثرت فى تلك الفترات الصدامات بين السنة والشيعة والتى كانت تسفر عن العديد من الخسائر فى الأرواح والممتلكات. انظر حوادث عام ٣٦هـ وعام ٣٩٨هـ التى وقعت فى عصر القادر وعام ٤٤٣هـ وعام ٤٤٤هـ فى كتب التاريخ..

(٢) قامت الدولة الطاهرية فى خرسان من عام ٢٠٥هـ الى عام ٢٥٩هـ. وقامت الدولة البويهية فى الفترة ما بين عام ٣٢ ـ ٤٤٧هـ وعاصرت الدولة الفاطمية إلا انها اصطدمت بها، و قامت الدولة الحمدانية على يد سيف الدولة الذى كان شيعياً إمامياً وفشل المتنبى فى استقطابه لصالح الإسماعيلية ودخل سيف الدولة فى صدام مع الروم الصليبيين وحقق الكثير من الإنتصارات عليهم انظر حوادث عام ٣٣٦هـ و ٣٤٢هـ و ٣٥١هـ فى كتب التاريخ. وانظر يتيمة الدهر للثعالبى التى يمدح فيها سيف الدولة. وتأمل الموقف السلبى المتخاذل لدولة الخلافة فى بغداد، ودولة الأخشيد فى مصر منه والذى أدى الى إلحاق الهزيمة به على يد البيزنطيين عام ٣٥١ه ووفاته عام ٣٥٦هـ. وكان سقوط الدولة الحمدانية عام ٣٩٢هـ انظر كتب التاريخ..

(٣) انظر بدائع الزهور والنجوم الزاهرة فترة العصر الفاطمى. وانظر خطط المقريزى ج٢/٢١ فصل ذكر ما قيل فى نسب الفاطميين بناة القاهرة وقد تعمد المؤرخون تشويه الفاطميين، انظر لنا الشيعة فى مصر..

وظهور هذه الدول قد فجر الخلافات السنية الشيعية من جديد وظهر بها على السطح بعد أن كانت مختفية..

والدول والحكومات تحكمها المصالح والسياسة ولذلك فإن الدول الشيعية لم تتبنَّ الفكرة الوحدوية وإنما تبنت الأفكار المذهبية الشيعية ودعمتها مما أدى إلى أن تتبنى الدول السنية نفس النهج وبذلك تفجر الصراع المذهبى فى واقع المسلمين ذلك الصراع الذى امتدت آثاره الى عصرنا الحاضر..

من هنا يمكن القول: إن السياسة لعبت دوراً كبيراً فى تزكية الخلاف بين المسلمين عامة، وبين السنة والشيعة خاصة..

ولاشك أن التشيع أخذ دفعة قويه من الكوفة التى استوطنها الإمام على وأصحابه بعد تركه المدينة كما أخذ التسنن دفعة قوية من الشام التى استوطنها العديد من الصحابة والتابعين من أنصار معاوية ثم أخذ دفعة أكبر من العباسيين بعد ذلك..

وبرزت العديد من المواقف الفقهية والعقدية من قبل فقهاء الشام تجاه فقهاء ورواة الكوفة امتدت آثارها الى حركة تدوين الأحاديث بحيث نجد أن معظم الأحاديث التى تدعم الإمام على وأهل البيت تاتى عن طريق رواة كوفيين والأحاديث التى ضده وضد أهل البيت تاتى أغلبها من رواة شاميين..

ونتج عن هذا اختلاف الفقه الكوفى عن الفقه الشامى وكذلك العديد من الرؤى والمعتقدات بسبب تعصب كل فريق لرواياته..

ثم أدى بروز الدولة الأيوبية التى قامت على أنقاض الدولة الفاطمية الى إشعال الفتنة بين السنة والشيعة الذين حاولوا إغتيال صلاح الدين الذى فرض المذهب الشافعى وعقيدة الأشعرى على مصروالشام وتمكنوا من إغتيال غيره من الحكام.. (١)

---

(١) انظر المراجع السابقة وكتب التاريخ الأخرى فترة صلاح الدين وحوادث عام ٥٦٧هـ. وكان المنادى ينادى فى شوارع القاهرة من اعتقد غير عقيدة الأشعرى وتمذهب بغير مذهب الشافعى حل دمه، والذين كانوا يقومون بعمليات الإغتيال هم من فرقة النزارية الإسماعيلية ومركزهم قلعة ألموت بإيران، وهى الفرقة التى أطلق عليها بعض المؤرخين اسم الحشاشين وهو اسم يقصد منه التشويه كما هو ظاهر. وقد تمكنت هذه الفرقة من اغتيال الوزير السلجوقى الفقيه نظام الملك..

وبرزت من بعدها الدولة العثمانية السنية وبرزت فى مواجهتها الدولة الصفوية الشيعية التى حولت إيران من السنة الى الشيعة لتشتعل الحرب المذهبية من جديد بين الاتجاهين.. [1]

وفى فترة الاستعمار الأوربى لبلاد المسلمين برزت العديد من المؤسسات والتيارات المدعومة منه التى عملت على إشعال الفتنة المذهبية بين السنة والشيعة..

ومع ظهور الحركة الوهابية الحنبلية فى جزيرة العرب تم إحياء النزعة المذهبية العدائية للشيعة بقوة تلك النزعة التى امتدت آثارها الى التيارات والمؤسسات التى خرجت من تحت عباءتها ولا تزال آثارها ممتدة حتى اليوم..

وقد برز الدور السلفى الوهابى بقوة فى مواجهة الشيعة بعد قيام الثورة الإسلامية فى إيران وانتعاش المذهب الشيعى فى العالم الإسلامى، ثم برز مرة أخرى بعد غزو العراق وسقوط نظام صدام، وبرز بعد ذلك أيضا بعد انتصارات حزب الله فى جنوب لبنان، مما يؤكد أن هذا التيار هو الذى يجسم لنا المشكلة القائمة بين الشيعة والسنة..

المذهب الإخبارى

برزت طبقة الفقهاء فى الوسط الشيعى بعد غيبة الإمام المهدى واستمرت تلعب دورها متبنية فكرة الاجتهاد على أساس النص والعقل حتى برزت فى مواجهتها الحركة الإخبارية التى تبنت رفض الاجتهاد وتحجيم دورالعقل والفقهاء..

واعتبر الإخباريون أن الفقهاء غير أكفاء للقيام بمهمة النيابة عن الإمام الغائب ودعوا الى إلغاء دور المجتهد واعتبار الاجتهاد بدعة يجب التخلى عنها واللجوء الى النصوص

---

(١) قامت الدولة الصفوية فى عام ٩٠٥ هـ وسقطت فى عام ١١٤٩م.انظر الحروب الصفوية العثمانية فى كتب التاريخ التى رصدت تلك الفترة من عام ١٥٠٠م الى عام ١٥٩٧م. والشاه اسماعيل الصفوى كان سنياً صوفياً ثم تشيع وتعصب للشيعة حتى استخدم الحديد والنار من اجل القضاء على الوجود السنى فى ايران مما دفع بالسلطان سليم العثمانى الى تصفية الوجود الشيعى فى بلاده فطارد الشيعة وقتل منهم أربعين الفا..

الواردة عن أهل البيت مباشرة وإحلال النقل مكان العقل.. والفقهاء فى منظور هذا المذهب هم مجرد نقلة لتراث أهل البيت يفسحون الطريق بهذا النقل أمام العامة ليقلدوا أئمة أهل البيت مباشرة..

إلا إن الاتجاه الإجتهادى الأصولى تصدى بقوة لهذا المذهب وعمل على استئصاله من بين الشيعة وصدرت فتاوى بتكفيرهم وطوردوا وحوصروا فى كل مكان..

وكان السبب المباشر فى ظهور هذا المذهب يكمن فى عملية الجمع لروايات أهل البيت التى بدا بها أبو جعفر الكلينى صاحب كتاب «الكافى» المتوفى عام٣٢٩ هـ فى بغداد الذى كان يرى حرمة الاجتهاد ووجوب التمسك بروايات العترة..

وتبعه على هذا المذهب الشيخ القمى صاحب كتاب «من لا يحضره الفقيه» المتوفى بالرى عام ٣٨١هـ..

ثم برز من بعدهما الفقيه الأسترابادى المتوفى فى مكة عام ١٠٣٦هـ الذى نادى بحصر مصادر التشريع فى دائرة الكتاب والسنة المروية عن أهل البيت وعدم تجاوزهما..

وشن الأسترابادى حرباً شعواء على الاتجاه الأصولى السائد معتبراً أن المجتهد إن أخطأ كذب على الله، وإن أصاب لم يؤجر، والقضاء والإفتاء لا يجوز إلا بقطع وبيقين وطالما افتقد القطع واليقين وجب التوقف..

وأصدر كتابه الشهير «الفوائد المدنية للرد على الأصولية»..

ومنذ ذلك الحين حدث الإنقسام فى الصف الشيعى الى إخبارى وأصولى وإن كان الاتجاه الأصولى هو الغالب والإخبارى يمثل الأقلية..

وقد انتشر المذهب الاخبارى فى إيران والعراق على يد الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائى فى الفترة التى واكبت سقوط الدولة الصفوية..

ومنذ ذلك الحين أيضا صدرت العديد من الردود على مذهب الإخباريين منها :

مؤلفات العلامة باقر بهبهانى الذى قاد حملة المواجهة لهذا المذهب فى بداياته وتمكن من الحد من انتشاره..

وكتاب «مبهمات الشريعة الغراء» للشيخ جعفر كاشف الغطاء..

وكتاب «الحق المبين فى تصويب المجتهدين وتخطئة الإخباريين» له أيضاً..

ويرى الأصوليون أن مصادر التشريع أربعة هى : الكتاب والسنة والإجماع والعقل..

وأن الحديث ينقسم الى صحيح وحسن وموثق وضعيف..

بينما يرى الإخباريون أن مصادر التشريع هى الكتاب والسنة فقط كما ذكرنا، وأن الحديث ينقسم الى قسمين : صحيح وضعيف لاغير..

والصحيح هو ما ثبت عن المعصوم، أى الإمام بطريق التواتر أو الآحاد..

وتبنى المذهب الإخبارى العزلة عن السياسة والحكام وعد كل نشاط يمارسه الفقهاء فى الأمور الدنيوية يعد مفسداً للعقيدة الاسلامية..

وتشكل بقايا هذا المذهب فى الوسط الشيعى المعاصر عورة كبيرة ونقطة ضعف خطيرة استثمرت ولا زالت تستثمر من قبل خصوم الشيعة..

وتتجسم لنا خطورة هذا المذهب فى تبنيه العشوائى لروايت أهل البيت والتى قادته إلى تبنى العديد من المعتقدات الباطلة حول القرآن والأئمة..

منها الروايات الصحيحة فى منظورهم والتى تشير الى تحريف القرآن، كما تبنوا روايات أخرى تعطى لأئمة اهل البيت صفات ومعجزات وأحوال خاصة تخرجهم من دائرة البشر الى دوائر أخرى شائكة..

وصور الغلو التى تبناها الإخباريون ووجهت بقوة من قبل فقاء الشيعة الذين أصدروا العديد من المؤلفات المحاربة للغلو والرافضة لكل صوره واشكاله، وسوف نذكر نماذج من هذه المؤلفات فى ملاحق الكتاب..

يقول الشهيد مطهرى : قبل أربعة قرون ظهرت بيننا نحن الإمامية فرقة باسم الفرقة الإخبارية، وقد سيطرت على أفكار الناس ما يقارب القرنين أو الثلاثة قرون، ولم تترك عملاً شنيعاً إلا وارتكبته من إشعال حرب وقتل وأمثالهما، هذا هو التيار الإخبارى

وتعصبه الأحمق اللامحدود الذى جعل أصحابه يعتبرون الصحيح والضعيف من الأحاديث على حد سواء، إنه تيار فكرى خطر فى دنيا الإسلام وتمخض عن جمود فكرى لازلنا نعانى من تبعاته إذ سرت عدواه الى أوساطنا..[١]

وفرقة الإخباريين فى وسط الشيعة تتشابه الى حد كبير فى مواقفها ورؤيتها مع الحنابلة والظاهريةعند أهل السنة ثم الفرق السلفية الوهابية المعاصرة..

وتعد الكتب الإخبارية هى المصادر الأساسية التى يعتمد عليها الذين يقودون الحرب على الشيعة اليوم..

وعلى رأسها كتاب «الأنوار النعمانية» للجزائرى..

وكتاب «الخطاب فى تحريف كتاب رب الأرباب» للنورى..

وتفسير القمى وتفسير فرات وكتاب سليم بن قيس وبصائرالدرجات وغيرها..

وفيما يتعلق بكتاب فصل الخطاب فقد أحدث ضجة كبيرة فى الوسط الشيعى حين ظهوره وهوجم بشدة من قبل الفقهاء وصدرت العديد من الفتاوى التى تذم الكتاب وصاحبه وتحذر منه..

وقد هاجم الشيخ البلاغى الكتاب ونقد أسانيده فى مقدمة تفسيره للقرآن المسمى «آلاء الرحمن» مما لا يتسع المجال لذكره هنا..

وقال الخمينى :" إنه لو كان الأمر كما توهم صاحب كتاب فصل الخطاب الذى كان ما كتبه لا يفيد علما ولا عملا. انما هو إيراد روايات ضعاف أعرض عنها الأصحاب وتنزه عنها أولوا الألباب..[٢]

ويقول الشيخ المحقق معرفت فى كتابه «صيانة القرآن من التحريف»: هب أرباب الأقلام يسارعون فى الرد عليه ونقض كتابه بأقسى كلمات وأعنف تعابير لاذعة. لم يدعوا لبث آرائه ونشر عقائده مجالاً ولا قيد شعره..

---

(١) انظر الإجتهاد فى الإسلام..

(٢) انظر أنوار الهداية..

إلا إن ما يجب ذكره هنا هو أن النورى لم يذكر فى كتابه الروايات الشيعية التى تتعلق بتحرف القرآن فقط بل ذكر أيضا الروايات السنية، والذين اعتمدوا على هذا المصدر للنيل من الشيعة أغفلوا هذه الحقيقة التى إن دلت على شىء فإنما تدل على انعدام خلق التناول وسيطرة العقل المذهبى..

وقد شذ الإخباريون بكثير من الأمور عن جمهور الشيعة - تماما كما شذ الحنابلة وغيرهم عن جمهور السنة - مثل قولهم بصحة أحاديث الكتب الأربعة الأساسية عند الشيعة وهى : كتاب الكافى للكلينى وكتاب من لا يحضره الفقيه للقمى وكتاب الاستبصار وكتاب التهذيب وكلاهما للطوسى..

وعلى ضوء هذه الحقيقة عندما يأتى واحد فينقل عن القمى أو صاحب الأنوارأو النورى أو غيرهم كلاما يؤكد فيه أن هذا هو معتقد الشيعة وان تفسير القمى هو عمدة التفاسير فهو بين أمرين :

الأول : أنه مغرض لكونه لا يلجأ الى المصادر الصحيحة والمعتمدة عند الخصم..

الثانى : أنه جاهل بأصول النقل والاستدلال..

وهناك العديد من المصادر السنية التى تشبه مصادر الإخباريين استغلها الشيعة فى هجومهم على السنة من باب الهجوم خير وسيلة للدفاع..

وعلى رأس هذه المصادر كتاب الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى الذى جمع فيه عشرات الروايات التى تشير الى تحريف القرآن فى مصادر السنة..

وكتاب المصاحف لأبى داود السجستانى الذى عرض فيه العديد من المصاحف التى كانت متداولة بين الصحابة والمختلفة فى نصوصها وسورها..

هذا بالإضافة الى كتب السنن والتاريخ التى تحوى كماً كبيراً من الإسرائيليات والخرافات.. (١)

---

(١) انظر فصل أزمة النقل..

وأدب التناول وأمانة النقل تقتضى تجاوز الكتب التى لا تمثل مصادر تعكس المعتقد الأساس على مستوى الطرفين والاعتماد على المصادر الموثوقة..

وحنابلة العصر من السلفيين الوهابيين المتسلحين بعقل الماضى لا يعرفون شيئاً عن هذا الأدب وهذه الأمانة ـ كما سوف نبين ـ لكونهم لا يملكون الأدوات العلمية والعقول النابهة الذكية وكل ما يملكونه هو قدر كبير من التعصب والغلو والحقد على مخالفيهم من السنة والشيعة على السواء، وهم ليسو أكثر من قاذفين بالطوب على خصومهم، وليس لهم من سبيل لدعم أفكارهم المتخلفة ودعوتهم الزائفة سوى التلبيس على المسلمين والتعتيم على الحقائق، ونشر الشائعات، والتربص بالخصوم، والتصيد لهم وتتبع عوراتهم والتستر على حسناتهم، مما ينافى خلق القرآن ومبادىء الإسلام..

■ ■ ■

1

ابن تيمية

وقفات ومراجعات..

الحق والحقيقة
بين السنة
والشيعة

لعبت أفكار ابن تيمية دوراً بارزاً فى تأصيل التطرف والتعصب فى واقع المسلمين خاصة فى مواجهة الشيعة والصوفية والخصوم بصورة عامة..

وقراءة سريعة لسيرة ابن تيمية ومواقفه من الآخر بصفة عامة يكشف لنا أن الرجل

كان يمثل حالة خاصة تعكس طبيعته وميوله وظروف واقعه مما يجعل من الصعوبة بمكان نقل أفكاره ومواقفه واستثمارها لمواجهة الخصوم المعاصرين.. [١]

وعليه فإن أفكاره لا تمثل أهل السنة تمثيلا دقيقا خاصة أنه لم يكن يمثل وزناً فقهياً فى عصره بل أخذ هذا الوزن وتم تضخيمه على يد الحركة الوهابية التى لا تمثل هى الأخرى أهل السنة تمثيلاً دقيقاً حيث أضفى عليه لقب شيخ الإسلام ليصبح مرجعاً للتيارات الإسلامية المعاصرة وينال من الشهرة والشيوع ما لم ينله فقيه آخر فى تاريخ الإسلام..

من هنا فقد ركزنا فى هذا الباب على مجموع أفكار ابن تيمية وفتاواه الخاصة بالشيعة والتى استند عليها حنابلة العصر فى نبذ الشيعة ومعاداتها..

وأول ما يستوقفنا من كلام ابن تيمية مقولته : أن تبيين السنة وفضائل الصحابة وتقديمهم الصديق والفاروق من أعظم أمور الدين عند ظهور بدع الرافضة ونحوهم..[٢]

---

(١) انظر تفاصيل صدامات ابت تيمية مع فقهاء عصره فى الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ج١/١٤٤ لابن حجر العسقلانى..

(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٢٠/باب صحة مذهب أهل المدينة..

وهذه المقولة لابن تيمية هى الشعار الذى رفعه الخصوم فى مواجهة الشيعة اليوم وهى واحدة من العوامل التى تدعم العقل المذهبى إذ تدعو الى تأصيل رؤية السنة فى الصحابة واستخدامها كسلاح فى مواجهة الآخر الذى لا يقر هذه الرؤية..

من هنا شكل تراث ابن تيمية مصدراً خصباً لجأ إليه حنابلة العصر وتحصنوا به فى مواجهة الشيعة وأخذوا أقواله باعتبارها من المسلمات..

وفى دائرة هذا الفصل سوف نعرض للعديد من النصوص التى أطلقها ابن تيمية فى وجه الشيعة مع مناقشتها..

يقول ابن تيمية : الأمصار الكبرى التى سكنها أصحاب رسول الله ﷺ وخرج منها العلم والإيمان خمسة : الحرمان والعراقان والشام، منها خرج القرآن والحديث والفقه والعبادات وما يتبع ذلك من أمور الإسلام، وخرج من هذه الأمصار بدع أصولية غير المدينة النبوية : فالكوفة خرج منها التشيع والإرجاء، وانتشر بعد ذلك في غيرها..

والبصرة خرج منها القدر والإعتزال والنسك الفاسد، وانتشر بعد ذلك فى غيرها..

والشام كان بها النصب والقدر..

وأما التجهم فإنما ظهر من ناحية خراسان وهو من شر البدع..

وكان ظهور البدع بحسب البعد عن الدار النبوية، فلما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان ظهرت بدعة الحرورية ﴿الخوارج﴾، وتقدم بعقوبتها الشيعة من الأصناف الثلاثة الغالية: حيث حرقهم على بالنار، والمفضلة حيث تقدم بجلدهم ثمانين، والسبأية حيث توعدهم وطلب أن يعاقب ابن سبأ بالقتل أو بغيره فهرب منه..(١)

ومن خلال هذا الكلام نخرج بما يلى :

أن ابن تيمية أقر بخروج العلم والإيمان من الكوفة وهى قد خرج منها التشيع، وهذا يعنى أن الشيعة فى محيط العلم والإيمان فليسواهم إذن طائفة شاذة أومبتدعة حسبما يشيع حنابلة العصر..

---

(١) المرجع السابق..

ويعنى أيضاً أن التشيع لم يخرج من ابن سبأ..

وإن كان قد وقع فى تناقض بعد إقراره بخروج العلم والإيمان من هذه الأمصار، وخروج البدع (الأصولية) منها أيضا عدا المدينة حسبما ذكر هو، فهو قد وقع فى حيرة بين الدور الذى لعبته الكوفة فى محيط العلم والإيمان وبروز التشيع فى ساحتها وانتشاره فى خارجها..

والتشيع لأهل البيت يعد فى منظوره من البدع الأصولية، إلا أن التجهم - أى تيار جهم بن صفوان - هو من شر البدع فى منظوره أيضاً، ولا يبدو من خلال كلامه هل التجهم شر من التشيع أم أنه يشترك معه فى مرتبة واحدة، هذا ما سوف نعرفه من خلال استعراض أقوال ابن تيمية الأخرى..

والطريف هنا أنه أقر بخروج النصب - أى النواصب الذين يناصبون أهل البيت العداء - من الشام..

ومادام النصب قد برز فى الشام فقد برز الولاء فى الكوفة..

أما لماذا برز النصب فى الشام، وبرز الولاء فى الكوفة فهذه قضية أخرى لم يفصلها لنا ابن تيمية..؟

وبروز النصب فى الشام أسبابه معروفة..

أما بروز الولاء فى الكوفة فيعود الى استقرار الإمام علىٌ فيها..

ثم ذكر ابن تيمية أن ظهور البدع بحسب البعد عن الدار النبوية وأن الفرقة حدثت بعد مقتل عثمان وظهور الحرورية والشيعة بأصنافهم الثلاثة الغالية : أصحاب دعوة الألوهية والمفضلة والسبأية..

وابن تيمية هنا قد خلط بتعمد بين الذين يفضلون علياً على الخلفاء الثلاثة، وأصحاب دعوى الألوهية والسبأية بزعمه..

وهذا الخلط الهدف منه التمويه على حقيقة التشيع الذى يقوم على الولاء لأهل البيت وتفضيلهم على جميع الصحابة..

والقول بالأفضلية يعد من البدع الأصولية عند الحنابلة القدامى، وعند ابن تيمية الحنبلى، وحنابلة العصر أيضاً..

وهذا الموقف الحنبلى إنما يقوم على أساس الروايات التى تبنوها وصححوها فى حق الخلفاء والصحابة، تلك الروايات التى لم تصح عند الطرف الآخر وهم الشيعة الذين اعتبروها من صنع السياسة، ومادامت المسألة تتعلق بروايات وبرجال فهى بعيدة عن أصول الدين وثوابته..

إلا أن الحنابلة ضخموا الروايات وأقوال الرجال وبنوا عليها قواعد ومفاهيم اعتبروها هى الدين، واعتبروا الخارج عليها ضالاً مبتدعا..

وكلام ابن تيمية لا يخرج عن هذا الإطار، إطار الروايات والرجال، فمن ثم هو لا يلزم الخصم بشىء..

ويقول عن الورع : ويقع الخطأ فى الورع فلا يرون الورع إلا فى ترك الحرام لا فى آداء الواجب، وهذا الورع قد يوقع صاحبه فى البدع الكبار، فإن ورع الخوارج والروافض والمعتزلة ونحوهم من هذا الجنس، تورعوا عن الظلم وعن ما اعتقدوه ظلماً من مخالطة الظلمة فى زعمهم، حتى تركوا الواجبات الكبار من الجمعة والجماعة والحج والجهاد ونصيحة المسلمين والرحمة لهم، وأهل هذا الورع مما أنكر عليهم الأئمة كالأئمة الأربعة وصار حالهم يذكر فى اعتقاد أهل السنة والجماعة.. (١)

ومثل هذا الكلام يشكل إدانة لأهل السنة وعقائدهم، فقد اعتبر ابن تيمية أن من البدع الكبار التورع عن الظلم وعدم مخالطة الحكام وعدم الصلاة والحج والجهاد معهم، وكأنه بهذا يؤكد أن حكام عصره كانوا على درجة من العدل والتقوى بحيث لا يجوز لأحد مخالفتهم..

واعتبر هؤلاء المخالفين من الشيعة والمعتزلة والخوارج وغيرهم ممن أنكر عليهم الفقهاء من السنة وضربوهم كمثل للزيغ والضلال فى كتب العقائد..

---

(١) المرجع السابق..

وأهل السنة يعتبرون طاعة الحكام والصلاة والحج والجهاد من ورائهم وإن كانوا ظلمة أو فجارا من العقائد.. [1]

ومما يذكر هنا أن هناك العديد من الفرق الحنبلية الوهابية المعاصرة تمردت على هذا المعتقد وباتت تشكل خطراً على أهل السنة على ما سوف نبين لاحقاً..

ويقول : وأهل البدع فى غير الحنبلية أكثر منهم فى الحنبلية بوجوه كثيرة لأن نصوص أحمد فى تفاسير السنة ونفى البدع أكثر من غيره بكثير..

وفى الحنبلية أيضاً مبتدعة وإن كانت البدع فى غيرهم أكثر، وبدعتهم غالباً فى زيادة الإثبات فى حق الله، وفى زيادة الإنكار على مخالفهم بالتكفير وغيره..

وأما بدعة غيرهم فقد تكون أشد من بدعة مبتدعهم فى زيادة الإثبات والإنكار، وقد تكون فى النفى وهوالأغلب كالجهمية والقدرية والمرجئة والرافضة، وأما زيادة الإنكار من غيرهم على المخالف من تكفير وتفسيق فكثير..

والقسم الثالث من البدع : الخلو من السنة نفياً وإثباتاً، وترك الأمر بها والنهى عن مخالفتها، وهو كثير فى المتفقهة والمتصوفة..[2]

وكلام ابن تيمية هذا فيه محاسن وهى نقده للحنابلة واعترافه أن فيهم مبتدعة، وأن بدعتهم تتركز فى الغلو فى مسألة الروايات التى تتعلق بصفات الله تعالى والتى تعصبوا لها وكفروا المنكرين لها..

الا أن ابن تيمية اعتبر أن النفاة لهذه الروايات مبتدعة أيضاً ومنهم الرافضة، ونفى أحاديث الصفات تعد حسنة لا سيئة إذ الهدف منه نفى التشبيه والتجسيم والاعتماد على القرآن فقط فى إثبات صفات الله تعالى وهو ما تقول به الشيعة والمعتزلة وكذلك الجهمية كما ذكر..

---

(١) انظر فصل عقائد السنة..

(٢) مجموع الفتاوى ج٢/ ١٤١

لكن الحنابلة القدامى وابن تيمية لم يعجبهم هذا الموقف الذى رفضه حنابلة العصر أيضا..

وتبنى النفى لم يقتصر على الشيعة والمعتزلة والقدرية والمرجئة وحدهم إنما شمل بعض مذاهب أهل السنة وهؤلاء هم الذين قصدهم ابن تيمية بالقسم الثالث من البدع..

ويقول عن المنافقين: وقد اختلف العلماء فى قبول توبتهم فى الظاهر لكون ذلك لا يعلم إذ هم دائما يظهرون الإسلام، وهؤلاء يكثرون فى المتفلسفة من المنجمين ونحوهم، ثم فى الأطباء، ثم فى الكُتاب أقل من ذلك، ويوجدون فى المتصوفة والمتفقهة، وفى المقاتلة والأمراء، وفى العامة أيضاً، ولكن يوجدون كثيراً فى نحل أهل البدع لاسيما الرافضة ففيهم من الزنادقة والمنافقين ما ليس فى أحد من اهل النحل، ولهذا كانت الخرمية والباطنية والقرامطة والإسماعيلية والنصيرية ونحوهم من المنافقين الزنادقة ؛ منتسبة الى الرافضة.. (١)

ويظهر من هذا الكلام ان ابن تيمية لم يعف أحداً من تهمة النفاق التى أطلقها على جميع شرائح المجتمع المعاصر له ثم ألصقها من بعد فى الرافضة التى ألصق بها الزنادقة والخرمية والباطنية والقرامطة والإسماعيلية والنصيرية من باب التشويه والتعتيم..

وهذا الخلط المتعمد من قبل ابن تيمية بين الشيعة - والتى يطلق عليها عادة الرافضة - وغيرهم تبناه من بعده حنابلة العصر الذين أخذوا يخلطون بين الشيعة الإمامية والباطنية والقرامطة وغيرهم..

وهو ما يعكس عدم الأمانة العلمية والعدل فى القول عند ابن تيمية وحنابلة العصر..

ولم تكن يوما تلك الفرق التى أشار إليها ابن تيمية ذات توجه واحد وكتلة واحدة إلا أن هواه قد قاده نكاية فى الشيعة الى إلصاق هذه الفرق بها..

---

(١) مجموع الفتاوى ج٢/١٨٦

وأقل مطلع على كتب الفرق والتاريخ يتبين له بوضوح أن الشيعة شيء وهذه الفرق شيء آخر..

وقد قدم ابن تيمية لنا الدليل على أن الرافضة غير هؤلاء بقوله عن الفاطميين فى مصر: فإن القاهرة بقى ولاة أمورها نحو مائتى سنة على غير شريعة الإسلام، وكانوا يظهرون أنهم رافضة وهم فى الباطن إسماعيلية ونصيرية وقرامطة باطنية..

والذين يوجدون فى بلاد الإسلام من الإسماعيلية النصيرية والدروز وأمثالهم من أتباعهم، وهم الذين أعانوا التتر على قتال المسلمين، وكان وزير هولاكو النصيرى الطوسى من أئمتهم، وهؤلاء أعظم الناس عداوة للمسلمين وملوكهم، ثم الرافضة بعدهم، فالرافضة يوالون من حارب أهل السنة والجماعة، ويوالون التتار، ويوالون النصارى فقد كان بالساحل بين الرافضة والإفرنج مهادنة..

وخير من كان فيهم الرافضة - أى فى مصر - والرافضة شر الطوائف المنتسبين الى أهل القبلة.. (1)

ولسنا هنا فى مجال الدفاع عن حكومة الفاطميين فى مصر فقد كفانا الدفاع عنهم العديد من المؤرخين والرحالة والكتاب المعاصرين.. (2)

إلا أن ما يعنينا هنا هو قول ابن تيمية : كانوا يظهرون أنهم رافضة وهم فى الباطن إسماعيلية ونصيرية وقرامطة باطنية، فهذا الكلام يعنى أن الرافضة غير هذه الفرق..

هذه واحدة..

أما الثانية فهى تخبط ابن تيمية الذى اعتدنا عليه، فالفاطميون كانوا إسماعيلية لا إمامية ويعرف هذا القاصى والدانى، فما الضرورة الى القول أنهم فى الباطن إسماعيلية..

---

(1) المرجع السابق ج٢٨/٤٣٥

(2) انظر خطط المقريزى وسفر نامه لناصر خسرو ومؤلفات الدكتور عبد المنعم الماجد. وانظر لنا الشيعة فى مصر..

وكيف له أن يخلط بين الإسماعيلية والنصيرية والقرامطة فى إطار واحد ؟

ثم يعدد ابن تيمية الذين يوجدون فى بلاد الإسلام من الإسماعيلية والنصيرية والدروز ليؤكد لنا من جديد أن هذه الفرق كيانات مستقلة لا يجمعها إطار واحد..

ويكيل لهم تهم التآمر على الإسلام والمسلمين وملوك المسلمين ذاكراً أن الطوسى من أئمتهم بينما هو من الشيعة الإمامية وإن صح كلامه فلا يجوز له أن يتهم الشيعة الإمامية بالتعاون مع التتار وإنما يتهم هذه الفرق.. (١)

وكيف يكون الطوسى من أئمة هذه الفرق الثلاث المختلفة فى وقت واحد.. ؟

ثم قال: وهؤلاء أعظم الناس عداوة للمسلمين وملوكهم ثم الرافضة بعدهم..

والحمد لله أنه وضع الرافضة فى المرتبة الرابعة وربطه عداوة هؤلاء بالمسلمين والحكام لا بالإسلام..

وهو بهذا يؤكد من جديد أن الرافضة غير هؤلاء فهم خير من كان فيهم كما قال، وإن كان قد عاد ليناقض نفسه بقوله : والرافضة شر الطوائف..

وسئل ابن تيمية : عمن يزعمون أنهم يؤمنون بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويعتقدون أن الإمام الحق بعد رسول الله ﷺ هو علىُ بن أبى طالب، وأن رسول الله نص على إمامته، وأن الصحابة ظلموه ومنعوه حقه، وانهم كفروا بذلك، فهل يجب قتالهم، ويكفرون بهذا الإعتقاد أم لا.. ؟

فأجاب : أجمع علماء المسلمين على أن كل طائفة ممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة فانه يجب قتالها حتى يكون الدين كله لله.. (٢)

ونحن لن نناقش هنا فكرة الإجماع التى يتشدق بها ابن تيمية على الدوام ففيها كلام كثير.

---

(١) انظر فصل شبهات تاريخية..

(٢) مجموع الفتاوى ج ٢٨/٤٦٨

والخلاف فيها أكثر، إلا أن ما يعنينا هنا هو غلو ابن تيمية حيث اعتبر الصحابة من شرائع الإسلام المتواترة إن لم يكن يقصد ذلك فما صلة الجواب بالسؤال.. ؟

والسائل يقر بأن الذين يُستفسر عنهم يقرون بأصول الدين وهم داخل حظيرة الإسلام، فقط ما يختلفون فيه هو قضية الإمامة التى ربطوها بالإمام على بنص الرسول ﷺ ونصوص أخرى، وتبنى الإمامة لعلى يقتضى رفض إمامة الآخرين من الصحابة والحكام الذين جعلهم أهل السنة أئمة وهذا هو معتقد الشيعة الإمامية..

وهؤلاء الصحابة فى منظور الشيعة خالفوا النصوص التى جاءت على لسان الرسول ﷺ فى حق على وأهل البيت..

أما قضية التكفير فهى من القضايا الدخيلة على الشيعة كما هى من القضايا الدخيلة على السنة، وهى قضية فى دائرة الطرفين من صنع المذاهب والسياسة..

والتكفير عموماً مرفوض سواء جاء من السنة أم من الشيعة..

أما إدخال ابن تيمية لهذا المعتقد الشيعى فى الإمامة ضمن القضايا المخالفة لشرائع الإسلام المتواترة فهذا هو الغلو الذى يقود الى التكفير والإستحلال وهو ما قد حدث على يد ابن تيمية حين حرض حكام المماليك على غزو جبل كسروان وإبادة سكانه من الشيعة وبارك هذه الجريمة النكراء كما بارك حكام المماليك المجرمين..[(١)]

وهو الغلو الذى قاد حنابلة العصر الى استباحة دماء الشيعة وأموالهم اليوم..

إن الصحابة لم يكونوا يوما ركناً من أركان الدين ولم يقل بذلك أحد، وأن محاولة نقدهم وإلقاء الضوء عما جرى من حوادث على أيديهم، واتخاذ الموقف الشرعى تجاههم، أمر لا يمس الدين بشىء، وأن الذين ضخموا الصحابة وقدسوهم عتموا على المندسين وسطهم الغير مستحقين لرتبة الصحبة..

---

(١) انظر رسالة ابن تيمية للملك الناصر بعد وقعة كسروان بسبب ما سمى بفتوح الجبل فى مجموع الفتاوى ج٢٨/٣٩٨

وقد لعبت الروايات دوراً كبيراً فى هذا التضخيم تلك الروايات التى قدسها الحنابلة خاصة وتبناها أهل السنة..

ومن حق الإتجاهات الأخرى - ومنها الشيعة - أن يكون لها رأى فى هذه الروايات تقبلها أو ترفضها فليست هى نصوص قرآنية إنما هى مجرد روايات تخضع لقواعد هى من صنع فقهاء أهل السنة..

ويقدم ابن تيمية للسائل مبررات الحكم بكفر هؤلاء الذين يعتقدون فى إمامة أهل البيت قائلاً :

وأما ما ذكر المستفتى انهم يؤمنون بكل ما جاء به محمدﷺ فهذا عين الكذب، بل كفروا بما جاء به بما لا يحصيه الا الله : فتارة يكذبون بالنصوص الثابته عنه، وتارة يكذبون بمعانى التنزيل..

وابن تيمية لم يقدم لنا من خلال هذا الكلام مبررات التكفير بل قدم مبررات واهية لا تدل على علم، فكيف له أن يدعى انهم كفروا بما جاء به الرسولﷺ بما لا يحصيه الا الله ثم هو لم يقدم لنا سوى مبررين واهيين.. ؟

الأول : أنهم يكذبون بالنصوص الثابتة عنه وهذا تضليل من قبل ابن تيميه إذ أن هذه النصوص المنسوبه للرسول هى ثابته عنده لا عند الخصم..

والثانى : أنهم يكذبون بمعانى التنزيل..

ولست أدرى ماذا يقصد ابن تيمية بمعانى التنزيل.. ؟

هل هى معانى نزلت من السماء. أم هى من صنع الروايات والرجال.. ؟

وإذا رفضها الخصم هل يعنى هذا رفضه لآيات التنزيل.. ؟

ويواصل ابن تيميه مزاعمه قائلاً : ومنهم من يرى أن فرج النبىﷺ الذى جامع به عائشة وحفصة لابد أن تمسه النار ليطهر بذلك من وطىء الكوافر على زعمهم لأن وطىء الكوافر حرام عندهم..

ومع هذا يردون أحاديث رسول الله ﷺ الثابتة المتواترة عنه عند أهل الحديث مثل أحاديث البخارى ومسلم..

وهذا الزعم من قبل ابن تيمية يكشف لنا ابتعاده عن جادة الحق والصواب بنقله هذا الكلام الفارغ العجيب الذى لم يشر الى مصدره كعادته فى إطلاق القول بلا دليل وهذا من فرط عصبيته التى ألجمت عقله..

والحمد لله أنه قال منهم من يرى وهذا يعنى نسبة هذا القول لبعضهم وليس كلهم..

أما رد الأحاديث الثابتة المتواترة فهذا يعود بنا الى ما ذكرنا من اختلال أدوات، ابن تيمية فهو يحتج على الخصم بمصادره التى يعتقد بثبوتها وتواترها عن الرسول ﷺ مثل البخارى ومسلم وهو لا يجوز له ان يحتج على الخصم إلا بما يعتقد..

ومثل هذا المنهج فى الاستدلال ورثة حنابلة العصر عن ابن تيمية فانبروا يحتجون على الشيعة بما روى فى البخارى ومسلم من روايات تتعلق بالصحابة وغيرهم، وقد غفلوا أن الشيعة لهم موقف من هذه الروايات وعندهم رواياتهم التى لا يعترف بها الطرف السنى، وكذلك لهم قواعدهم الخاصة المتعلقة بالأحاديث والمخالفة لقواعد الحديث عند أهل السنة..

ويواصل ابن تيمية تقديم مبرراته للمسائل التى جوز بها تكفير الشيعة وقتالهم وقتلهم قائلاً : وقد ذكر أهل العلم أن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ، فإنه أظهر الإسلام وأبطن اليهودية وطلب أن يفسد الإسلام كما فعل بولص النصرانى الذى كان يهودياً فى إفساد دين النصارى، وأيضاً فغالب أئمتهم زنادقة، إنما يظهرون الرفض لأنه طريق الى هدم الإسلام..

ومرة أخرى يعود ابن تيمية للكلام عن ابن سبأ وكأنه من المسلمات على الرغم من كون فكرة السبأية هذه لم ترد إلا فى كتب الفرق والطبرى الذى نقلتها عنه بعض المصادر التاريخيه وليس جميعها وأساس رواية ابن سبأ هو سيف بن عمر المتهم بالوضع والكذب فى المصادر الرجالية عند أهل السنة..

فأين هم اهل العلم الذين قصدهم ابن تيمية ولماذا لم يذكرهم.. ؟

هل هم من علماء الرجال أم الفقه أم من المؤرخين أم من الحنابلة.. ؟

ثم إن ابن تيمية يتهم الأمة كلها بالغفلة حتى تفتح الباب لأمثال ابن سبأ ليفسد أمر الدين وهى تتفرج عليه..

ولماذا ربط ابن سبأ بعلى بن ابى طالب وحده ثم بشيعته من دون بقية الصحابة الذين يفضلونهم على على.. ؟

لماذا لم يتجه نحو معاوية الذى ملك النفوذ والسلطان الذى يمكن من خلاله أن يسهل مهمته فى إفساد الدين..؟

وهل كان الطريق ممهد الى هذا الحد أمام ابن سبأ ليفسد فى الدين وينشر أفكاره ويستقطب الأتباع ويؤسس توجه ومعتقد يظل باقياً طوال هذه القرون يمثله أكثر من ثلثى مسلمى العالم فى عصرنا الحاضر..؟

ثم ماذا فعل بولص بالنصارى.. ؟

وماذا فعل ابن سبأ بالمسلمين.. ؟

بولص وضع الأنجيل الذى اعتبره النصارى كتاب الله المقدس..

أما ابن سبأ فدعا - حسب زعمهم _ الى على بن ابى طالب وإمامته فهو ثالث الأصناف التى أشار إليها ابن تيمية بقوله السابق : الشيعة من الأصناف الثلاث الغالية : حيث حرقهم بالنار، والمفضلة حيث تقدم بجلدهم ثمانين، والسبأية حيث توعدهم وطلب ان يعاقب ابن سبأ بالقتل أو بغيره فهرب منه..

ومن الواضح من هذا الكلام أن ابن سبأ هو فى المرتبة الثالثة من أصناف الشيعة عند ابن تيمية، فهو ليس من الصنف الأول الذى قال بألوهية على..

وليس من الصنف الثانى الذى قال بأفضليته علىُ الخلفاء..

فهو من الصنف الثالث إذن الذى قال بإمامته أو على الأقل قال فيه ما لايستوجب إحراقه بالنار..

ويدل على هذا ارتباك ابن تيمية فى عقوبته ذلك الإرتباك الذى يظهره قوله : وطلب أن يعاقب ابن سبأ بالقتل أو بغيره، فلو كان يستحق القتل لما قال هذا الكلام..

ومما ينسب لابن سبأ - المزعوم - قوله بالرجعه التى تعد من معتقدات الشيعة الامامية..

وهذه قضية لا تمس أصول الدين فى شىء..[1]

كذلك ينسبون إليه ابتداع فكرة البداء وإلصاقها بالتشيع كذلك فكرة الوصية.. [2]

وجملة فإن التشيع من اختراع هذه الشخصية المزعومة..

والتشيع لأهل البيت ليس ديناً اخترعه ابن سبأ المزعوم وإنما هو اتجاه إسلامى برز فى حياة النبىﷺ وباركه كما أشرنا..

وبرز فى واقع الصحابه من بعده، وكان له أنصاره من الصحابه والتابعين وتابعى التابعين وهذا ما تؤكده الأدلة والشواهد التاريخيه التى حاول ابن تيمية وأمثاله طمسها والتعتيم عليها، كما حاولت القوى الحاكمة ضربه واستمرت فى ضربه والتنكيل بالمتشيعين حتى عصرنا الحاضر وهو ما سوف نلقى الضوء عليه فى الفصول القادمة..

إلا أن حنابلة العصر لا يفهمون إلا ما فهمه ابن تيمية ولا ينطقون إلا ما نطق به..

وهذا الاتجاه المتشيع لأهل البيت يعتمد على الكتاب والسنة ولكن ليس على طريقة أهل السنة التى يحاول ابن تيمية أن يصورها على أنها هى الإسلام وأن مخالفتها تعنى مخالفة الإسلام..

وابن تيمية فى النهاية ليس إلا مجرد ناطق بلسان مذهبه وليس هو الناطق الوحيد بلسان أهل السنة فهو يعبر عن مذهبه لا عن مذاهب الآخرين..

إلا أن حنابلة العصر ضللوا المسلمين وحاولوا ابراز ابن تيمية كشيخ للإسلام وهذه أكذوبه من أكاذيبهم التى لا يقوم عليها دليل، وكذلك ألصقوا صفة شيخ الإسلام بمحمد

---

(١) انظر فصل عقائد الشيعة وشبهات عقدية وسوف يأتى الحديث عن ابن سبأ..

(٢) انظر الفصول السابقة..

بن عبد الوهاب من بعده وذلك من بدعهم وما أكثرها، وما كان ابن تيمية أو ابن عبدالوهاب له قيمة أو مكانة فذة أو متميزة بين فقهاء عصره وتاريخهما يشهد بذلك..[1]

والظاهر أن خصوم الشيعة لم يجدوا وسيلة لضرب التشيع سوى إلصاقه بهذا اليهودى المزعوم..

وإذا كان التاريخ يشهد أن هناك شيعة لأبى بكر وعمر وعثمان فلماذا لم يتجه نحوهم ابن سبأ لضرب الإسلام وهم أهل الإسلام وأركانه فى نظر أهل السنة.. ؟

ولماذا اتجه نحو على وشيعته وهم الأضعف والأقل شأنا فى نظرهم وقد وضعوه فى المرتبة الرابعة بعد أبى بكر وعمر وعثمان حسب معتقد أهل السنة ؟

لعله يقال أنهم كانوا أقوياء بدرجة لا يفكر فيها ابن سبأ وأمثاله من الاقتراب منهم..

وإذا صح هذا الكلام فلماذا كان يلجأ عمر لعلىٌ كلما واجهته معضلة..؟

ولماذا التصق بكعب الأحبار..؟

ولماذا برز فى وسطهم وهب بن منبه وأمثاله من اليهود..

ولماذا لم يقال فى كعب الأحبار ووهب مثل ما قيل فى ابن سبأ ؟

ولماذا لم يذكر شىء عن حمران اليهودى مولى عثمان..؟

ثم يقول ابن تيمية : وهؤلاء الرافضة إنما كفروا عثمان وعلياً وأتباع عثمان وعلى فقط، دون من قعد عن القتال أو مات قبل ذلك، والرافضة كفرت أبا بكر وعمر وعثمان وعامة

المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه وكفروا جماهير أمه محمدﷺ من المتقدمين والمتأخرين..

---

(1) انظر الدرر الكامنة وسيرة محمد عبد الوهاب فى منشورات الوهابيين. وانظر لنا ابن باز فقيه آل سعود..

وهنا يقدم لنا ابن تيمية دليلاً جديداً على أن الرافضة فرقة أخرى بعيدة عن الشيعة والتشيع، إذ كيف لها أن تكفر علياً وتحسب على الشيعة الذين نهضوا لنصرة على وموالاته.. ؟

وهذا ما يكشف لنا تخبط ابن تيمية وعدم دقته فى تحديد خصومه وما يؤكد ذلك هو أنه عاد وقال ان الرافضة كفرت أبا بكر وعمر وعثمان دون على، وكأنه تدارك خطئه السابق.. وقد جاء فى طبقات الحنابلة ترجمة مسدد بن مسرهد عن ابن حنبل قوله فى الرافضة :

وأما الرافضة فقد أجمع ن أدركنا من أهل العلم أنهم قالوا : إن على بن أبى طالب أفضل من أبى بكر وإن إسلام على أقدم من إسلام أبى بكر، فمن زعم أن على بن أبى طالب أفضل من أبى بكر فقد رد الكتاب والسنة لقول الله عز وجل ﴿محمد رسول الله والذين معه﴾ وقال النبى : لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولا نبى بعدى، فمن زعم أن إسلام على أقدم من إسلام أبى بكر فقد كذب..

وهذا تعريف آخر للرافضة على لسان إمام ابن تيمية ينفى ذلك التصور الذى يحاول ابرازه عنهم لا يصدمهم بأصول الإسلام..

إلا أن الوهابيين الذين جمعوا هذا الشتات من أقوال وفتاوى ابن تيمية ـ والتى لم يكن يهتم بها أحد ـ فى تلك المجلدات السبع والثلاثين التى طبعت على نفقة (خادم الحرمين) ووزعت مجاناً ـ هؤلاء لم يلحظوا ذلك الكم من المتناقضات بين هذه الأقوال والفتاوى والتى سوف نلقى الضوء على بعضها فى السطور القادمة..

أما ما يتعلق بعثمان فقد كفرته عائشة وغيرها من الصحابة وكان ذلك هو الدافع الذى أدى لقتله وليس كما أشيع من أن سبب الثورة على عثمان كان مظالم الولاة وفسادهم، وهذا السبب لوصح لكان أجدر بكبار الصحابة المعاصرين له أن يقيلوه لا أن يترك حتى يقتل.. [1]

---

(١) انظر البداية والنهاية ج٧. والطبرى والكامل وغيره. وكانت عائشة تقول اقتلوا نعثلا فقد كفر. وقد سمى عثمان بحراق المصاحف. انظر النهاية لابن الأثير والفتوح لابن الأعثم..

روى ابن الأثير أنه كتب جمع من أهل المدينة من الصحابة وغيرهم الى من فى الآفاق منهم إن أردتم الجهاد فهلموا إليه فإن دين محمدﷺ قد أفسده خليفتكم فأقيموه، وأن طلحة كان من زعماء الثورة والمحرضين على عثمان، وأن عثمان بقى ثلاثة أيام لا يدفن بعد اعتراض جنازته ومنع الصلاة عليه.. (١)

اما قول ابن تيمية أن الرافضة - إذا كان المقصود بهم الشيعة - كفروا عامة المهاجرين والأنصار والتابعين وجماهير الأمة فهذا غير مقبول..

ولا يعقل أن هناك اتجاه من الإتجاهات الإسلامية التى برزت على ساحة المسلمين لا يستند الى أحد من الصحابة والتابعين..

وكل اتجاه من هذه الاتجاهات له أطروحته ورموزه الفقهية ومعتمدة على الكتاب فى المقام الأول والروايات إن وجدت فى المقام الثانى، وليس الكتاب أو الروايات هى حكر على اتجاه بعينه، كما لا يجوز لأى اتجاه أن يدعى احتكار مصادر الاعتقاد والتشريع لنفسه..

والشيعة كمعتقد واتجاه كان منهم صحابة وتابعين وفقهاء فكيف يمكن أن يطلقوا فكرة التكفير بهذه الصورة التى ترتد عليهم وهم يعيشون فى وسط المسلمين..

ويستمر ابن تيمية فى ادعاءاته فيقول : وقد أشبهوا اليهود فى أمور كثيرة، ولا سيما السامرة من اليهود فإنهم أشبه بهم من سائر الأصناف : يشبهونهم فى دعوى الإمامة فى شخص أو بطن بعينه، والتكذيب لكل من جاء بحق غيره يدعونه، وفى اتباع الأهواء وتحريف الكلم عن مواضعه، وتأخير الفطر، وصلاة المغرب، وغير ذلك، وتحريم ذبائح غيرهم..

ويشبهون النصارى فى الغلو فى البشر والعبادات المبتدعه، وفى الشرك وغير ذلك..(٢)

---

(١) ج٦/٣١ باب ذكر مقتل عثمان..

(٢) مجموع الفتاوى ج٢٨/٤٦٨

ولقد كشف لنا ابن تيمية من خلال هذا الكلام أن العصبية قد أعمته عن الحقائق الساطعة فى الدين، فهو يلقى بالكلام عشوائياً وكأن المستمعين له بلا عقول..

وابن تيمية قد فتن بنفسه كما ذكر ابن حجر فى الدرر : واقتضى له ذلك العجب بنفسه حتى زهى على أبناء جنسه واستشعر أنه مجتهدا فصار يرد على صغير العلماء وكبيرهم قديمهم وحديثهم حتى انتهى الى عمر فخطأه فى شىء فبلغ الشيخ ابراهيم فأنكر عليه فذهب واعتذر واستغفر..

وفكرة الإمامة إنما ارتبطت بجميع الأديان وهى أشبه بالسنة الثابتة فى حركة الأديان وليست هى مرتبطة باليهودية أو هى من ابتداع السامرة كما يدعى..

وكأن ابن تيمية لا يقرأ القرآن الذى يؤكد فكرة الإمامة فى إبراهيم وذريته..

قال سبحانه : ﴿إنى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين﴾ البقرة/١٢٤

وقال فى بنى إسرائيل : ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ الانبياء/٧٣

ويقول : ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم..﴾ الإسراء/٧١..

وما دام ابن تيمية قد فتح باب المشابهة باليهود فإننا نقول إن أخطر قضية تشابه مع اليهود هى إتخاذ الأحبار والرهبان أربابا من دون الله وهو ما وقع فيه هو وأمثاله من اتخاذهم الروايات والرجال أساساً للاعتقاد والتشريع دون كتاب الله، حيث جعل الله الامامة وسيلة حماية الدين وحفظة فمن ثم قد جعلها فى ذرية الانبياء، بينما أهل السنة قد جعلوا الإمامة فى الحكام واعتبروا طاعتهم واجبة والجهاد ماض ورائهم والحج والصلاة ولو كانوا فسقة فجاراً..

وهذا المعتقد إنما وقع فيه أهل السنة بسبب الروايات التى نسبوها للرسولﷺ المتعلقة بالحكام..

وبسبب فكرة الإجماع التى جعلوها أحد مصادر التشريع والاعتقاد..

وفيما يتعلق بقوله أن الرافضة يكذبون بالحق الذى يخالف ما هم عليه ويتبعون الهوى ويحرفون الكلم عن مواضعه..

فإذا كان ابن تيمية يعتبر أن رفض نهج أهل السنة ورواياتهم وتفسيراتهم لنصوص القرآن وتبنى روايات وتفسيرات مخالفة يعد تكذيباً للحق واتباع للهوى وتحريف للكلم عن مواضعة ومشابهة لليهود، فهو الأحق بالمشابهة معهم إذ قام بتكذيب مخالفيه من فقهاء عصره واتبع هواه وحرف الكلم عن مواضعه مما دفع بهؤلاء الفقهاء الى محاكمته وإلزامة بالحق إلا أنه راوغهم وعاد الى ضلالاته فكان أن قبض عليه وحبس ومات فى الحبس كما هو معروف.. (١)

أما قوله إنهم يأخرون الفطر وصلاة المغرب ويحرمون ذبائح غيرهم..

فهذا من تيه ابن تيمية وزيغه عن الصواب وتربصه بخصومه وتصيده لمخالفاتهم دون وعى، فهذه أمور تتعلق بالفقه وهى أمور واقعة بين مذاهب أهل السنة..

وما يعيب الشيعة كونهم يؤخرون المغرب ووقت الإفطار على أساس أن وقت المغرب هو وقت دخول الليل وذهاب الحمرة المشرقية وانقطاع خيوط النهار..

وعلى أساس قوله تعالى : ﴿ثم أتموا الصيام الى الليل﴾ البقرة/١٨٧

وقضية الذبائح وتحريمها تعد حجة على ابن تيمية واتباعه من الوهابيين وحنابلة العصر اذ هم الذين يحرمون ذبائح المسلمين وبعضهم حرم الخل والصابون وغيره.. (٢)

ولحنابلة العصر فتوى معروفة فى تحريم ذبائح الشيعة وعدم جواز مناكحتهم باعتبارهم من المشركين..(٣)

---

(١) انظر الدرروانظر كتب التاريخ احداث عام ٧٢٦هـ عام وفاة ابن تيمية..

(٢) ويحرمون أيضاً الصور والتصوير ودخول المجلات المصورة البيوت والدخول على المرضى بالزهوروكذلك الذبائح التى تباع فى الاسواق إلا إذا كان البائع من أهل التوحيد أى ليس من الشيعة او الصوفية. انظر فتاوى اللجنة الدائمة ومجموع فتاوى ابن باز..

(٣) انظر فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء رقم ١٦٥٣

ويواصل ابن تيمية ادعاءاته بقوله : ويشبهون النصارى فى الغلو فى البشر والعبادات المبتدعه وفى الشرك وغير ذلك..

والمقصود بالغلو فى البشر هو القول بتميز أهل البيت وعصمتهم وطهارتهم وتقديمهم على الصحابة..

والشيعة لا تقول بهذه المقالة إلا على أساس النصوص القرآنية والنبوية الواردة فيهم، فهل اتباع النصوص يعد غلواً فى نظر ابن تيمية..؟ [1]

وهل القول بعدالة جميع الصحابة حابلهم ونابلهم متقدمهم ومتأخرهم عالمهم وجاهلهم مؤمنهم ومنافقهم وعدم توجيه النقد لأى منهم والسكوت عما شجر بينهم وإضفاء القداسة على جميعهم لا يعد غلواً ؟

ولست أدرى ماذا يقصد ابن تيمية بالعبادات المبتدعه، هل هى مسألة تأخير الفطور ووقت المغرب، أم القول بوجوب الخمس فى الأموال أم كثرة النوافل، وهذه وغيرها مسائل فقهية كان من الواجب على ابن تيمية ألا يذكرها لأن باب الخلاف فيها مشروع وكيف له أن يبدع الآخرين فى العبادات وهو يقر ببدعة عمر بن الخطاب الذى جمع الناس على صلاة التراويح وقد كانت تصلى فرادى فى عهد رسول الله ﷺ والخليفة الأول..

أما الشرك الذى يقصده ابن تيمية هنا هو زيارة القبور والتوسل بالرسول وبأهل البيت، وهذه قضية خلافية لا يقول بها سوى ابن تيمية وبعض الحنابلة السابقين وقد كانت واحدة من القضايا التى ثار عليه بسببها فقهاء عصره..[2]

وقد تبنى هذه القضية حنابلة العصر من الوهابيين رافعين لواء التوحيد فى مواجهة المشركين من المسلمين سنة وشيعة..

---

(١) انظر فصل أهل البيت..

(٢) انظر الدرر. وانظر شبهات عقدية..

يقول ابن تيمية : وهم يوالون اليهود والنصارى والمشركين على المسلمين، وهم لا يرون جهاد الكفار مع أئمة المسلمين ولا الصلاة خلفهم ولا طاعتهم فى طاعة الله ولا تنفيذ شيء من أحكامهم لاعتقادهم أن ذلك لا يسوغ إلا خلف إمام معصوم، ويرون أن المعصوم قد دخل فى السرداب منذ أكثر من أربعمائة وأربعين سنة وهو الى الآن لم يخرج..[1]

وفيما يتعلق بمسألة موالاة الشيعة لليهود والنصارى والمشركين على المسلمين فسوف نفند هذه الدعوى لاحقا..[2]

أما رفض الجهاد مع أئمة المسلمين فى منظور ابن تيمية أوالصلاة خلفهم والإلتزام بطاعتهم فهذه دعوى تكشف لنا عمالة ابن تيمية للحكام وموالاته لهم بحيث اعتبرهم أئمة، وهو معذور فى هذا فهذه هى عقيدة أهل السنة من الحنابلة وغيرهم..

إلا أن الغريب فى الأمر هو اعتبار ابن تيمية أن عدم الالتزام بهذا المعتقد من قبل الشيعة يعد نقيصة ومبرر للطعن فيهم..

وعقيدة الإمامة التى يتبناها الشيعة تفرض عليهم عدم موالاة الحكام والاعتراف بشرعيتهم، ويبنى على هذا الموقف عدم الجهاد من وراءهم باعتبار أن حروبهم غير مشروعة فما بنى على باطل هو باطل..

ونحن لا نريد الخوض هنا فى مشروعية الأنظمة الحاكمة التى قامت فى واقع المسلمين من بعد وفاة الرسولﷺ حتى يومنا هذا فالعديد من هذه الأنظمة تعد غير مشروعية ومختلف فى أمرها عند أهل السنة..

حتى حكام المماليك الذين عاصرهم ابن تيمية وأثنى عليهم ومجدهم اصطدم بهم سلطان العلماء العز بن عبد السلام وشكك فى مشروعيتهم فى بداية حكمهم من قبل ابن تيمية..

---

(١) مجموع الفتاوى ج٢٨/٤٦٨ وما بعدها..

(٢) انظر فصل شبهات تاريخية..

والشيعة يعتبرون أن الجهاد المشروع هو جهاد رسول الله ﷺ والأئمة من بعده بداية من الامام على لم يشاركوا فى أى من الغزوات، بل أن الإمام على قاتل أهل القبلة من المسلمين وعلى رأسهم عائشة وطلحة والزبير..

والاسلام فى الأصل لا يقر الغزو والهجوم على غير المسلمين وسنة الغزو هذه من بدع الحكام الذين اعتبرهم ابن تيمية وغيره من فقهاء أهل السنة أئمة وأوجب على المسلمين طاعتهم والجهاد من ورائهم..

وفى منظور الشيعة أن الرسول ﷺ والإمام المعصوم من بعده هو صاحب الحق الشرعى فى إعلان الجهاد وذلك لضمان مشروعية هذا الجهاد والإمام المعصوم الثانى عشر الذى يتهكم عليه ابن تيمية هو الإمام المهدى المنتظر وتؤمن الشيعة بوجوده واختفاءه فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى..

إلا أن حنابلة العصر يتهمون الشيعة فى منشوراتهم بالخيانة لعدم مشاركتهم فى القتال مع الحكام الذى يعدونه جهاد فى سبيل الله، أو عدم القيام بأى دور جهادى ضد أعداء الإسلام وهو كلام فيه تضليل، وقد أشرنا الى دور أبى فراس الحمدانى - الشيعى - فى مواجهة الروم الصليبيين، لكن الأمر الذى يجب توضيحه هنا هو أن أهل السنة والحكام لم يعطوا الفرصة للشيعة أو لغيرهم للمشاركة فى الحياة العامة أو حتى الظهور على ساحة الواقع، فكيف يمكن لهم المشاركة فى الأنشطة العسكرية.. ؟

والمفروض فى مثل هذه الحالة أن يقوم حكام وفقهاء أهل السنة بعمل مصالحة وطنية مع الأطراف الأخرى وفى مقدمتها الشيعة أولاً قبل المطالبة بمشاركتهم فى حروب الحكام..

ثم يقول ابن تيمية : وهم مع هذا يعطلون المساجد التى أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فلا يقيمون فيها جمعة ولا جماعة، ويبنون على القبور المكذوبه وغير المكذوبة

مساجد يتخذونها مشاهد، ويرون أن حج هذه المشاهد المكذوبه وغير المكذوبة من أعظم العبادات حتى أن من مشائخهم من يفضلها على حج البيت الذى أمر الله به ورسوله..[1]

وهذا الكلام يدل على جهل ابن تيمية بوضع الشيعة وعقائدهم إذ أن الجمعة لا تقام فى عصر الغيبة عندهم لافتقاد الأمن والإمام..

وكيف يمكن للشيعة أن يقيموا الجمع والجماعات فى ظل هذا الإرهاب الذى كان يحيط بهم من كل مكان..

ورغم ذلك فقد تقام بعض الجمع والجماعات إذا توفرت شروطها وهو ما يقوم به الشيعة اليوم فى ايران وباكستان ولبنان والعراق وسوريا والهند وبلاد الخليج وغيرها..

والشيعة على العموم يجيزون الجمع بين الصلوات بلا سبب فكأنهم يصلون ثلاث فروض..

ومثل هذا الأمر إنما له مبرراته الشرعية وهو لا يخرج عن كونه من الأمور الفقهية المتداولة بين المذاهب إلا أن ابن تيمية لا يعترف بهذا و يتكلم وكأنه قيم على هذا الدين..

أما مسألة القبور المكذوبه فهى الأماكن التى يدعى ابن تيمية عدم وجود أحد فيها وقوله ليس حجه على أحد، لكن محاربته لمسألة الزيارة وشد الرحال والتى حورب بسببها جعلته يدعى أن زيارة هذه القبور مقدم على الحج وهو ما لم تقل به الشيعة..[2]

وأبواب الحج فى كتب الفقه الشيعية لا تشير الى شىء من هذا الادعاء، نعم توجد بعض الروايات المتناثرة فى كتب الشيعة تشير الى هذا الأمر - يجب على الشيعة نبذها - لكن مشاركتهم المسلمين فريضة الحج ينفى هذا التصور..

وقد اختتم ابن تيمية جوابه للسائل بقوله : ومن اعتقد من المنتسبين الى العلم أن قتال هؤلاء - الرافضة - بمنزلة قتال البغاه الخارجين على الإمام بتأويل سائغ كقتال امير

---

(١) مجموع الفتاويج٧/١١٩

(٢) انظر فصل شبهات عقدية..

المؤمنين لأهل الجمل وصفين فهو غالط جاهل بحقيقة شريعة الإسلام وتخصيصه هؤلاء الخارجين عنها..

أما قتل الواحد المقدور عليه من الخوارج كالحرورية والرافضة ونحوهم فهذا فيه قولان للفقهاء هما روايتان عن أحمد، والصحيح أنه يجوز قتل الواحد منهم كالداعية الى مذهبه ونحو ذلك مما فيه فساد، وأما تكفيرهم وتخليدهم فى النار ففيه أيضاً للعلماء قولان مشهوران وهما روايتان عن أحمد..[1]

وابن تيمية لم يعجبه كلام أهل العلم بعدم قتال أمثال الشيعة واعتبر هؤلاء منتسبين الى العلم وهو بهذا يشكك فى علمهم واعتبرهم من الجهال المغالطين وذلك لكونهم اعتبروا الشيعة مجرد بغاه وهم لم ينصفوهم أيضاً..

وهذا التهجم على العلماء هو من سنن ابن تيمية الثابته التى تعكس شخصيته العدوانية تلك الشخصية التى ورثها حنابلة العصر وأعلنوا بها الحرب على الشيعة والسنة على السواء..

وابن تيمية لا يعترف بأحد من أهل العلم إلا بابن حنبل، واعتماداً على قولان منسوبان إليه أفتى بقتل الواحد من الرافضة..

ولم يكتف ابن تيمية بتتبع الرافضة فى الدنيا بل تتبعهم فى الآخرة أيضاً فحكم بكفرهم وتخليدهم فى النار على أساس قولان لأحمد بن حنبل أيضاً..

ثم يقول ابن تيمية : ولهذا تجد المعتزله والرافضة وغيرهم من أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم وما تأولوه من اللغة، ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث الرسول ﷺ والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، ولا يعتمدون على السنة ولا على إجماع السلف وآثارهم، وإنما يعتمدون على العقل واللغة، وتجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثور والحديث وآثار السلف، وانما يعتمدون على كتب الأدب وعلم الكلام التى

---

(١) مجموع الفتاوى ج٢٨/٤٦٨

وضعتها رؤوسهم، وهذه هى طريقة الملاحدة أيضاً، إنما يأخذون ما فى كتب الفلسفة وكتب الأدب واللغة، وأما كتب القرآن والحديث فلا يلتفتون اليها..[1]

وكلام ابن تيمية هذا يضعه بين أمرين :

الأول : عدم العلم بأطروحات هذه الاتجاهات التى تعتمد على الكتاب والسنة..

الثانى : أنه مدعى ويريد تضليل المسلمين عنها..

ويعد كتاب (منهاج السنة) الذى كتبه ابن تيمية ليرد به على كتاب (منهاج الكرامة فى معرفة الامامة) للعلامة الحلى المعاصر له فى مقدمه المصادر التى يعتمد عليها حنابلة العصر فى الهجوم على الشيعة..

وكتاب منهاج السنة أو رد ابن تيمية هذا يفتقد الى الأمانة العلمية والعدل فى القول فهو رد من جانب واحد اعتمده حنابلة العصر إعتماد الكتاب المقدس دون أن يكلفوا أنفسهم مهمة البحث عن الأصل المردود عليه فهو لا يعنيهم فى شىء ما دام الخصم هم الشيعة المستباحون..

ومن الجانب العلمى فقد شكل كتاب منهاج السنة نقطة ضعف لابن تيمية أضرت بطرح أهل السنة مما دفع بحنابلة العصر الى الإسراع فى تحقيقه وتقويته من أجل الحفاظ على صورة إمامهم..

وقد قام أحد حنابلة العصر فى أواخر السبعينيات بالسطو على كتاب (المنتقى) للذهبى الذى لخص فيه كتاب ﴿منهاج السنة﴾ واقتبس منه منشوراً أسماه : مطارق النور تبدد أوهام الشيعة..

وكتب على غلافه : المناقشة بين ابن تيمية وابن المطهر، وهى مناقشة مزعومة لكونها حوار من طرف واحد وهو طرف ابن تيمية فى مواجهة طرف غائب وهو ابن المطهر الذى لم يلق ابن تيمية ولم يناقشه..

---

(١) المرجع السابق ج٧/١١٩.

يقول ابن تيمية فى مقدمة المنهاج : أحضر إلىّ طائفة من أهل السنة والجماعة كتاباً صنفه بعض شيوخ الرافضة فى عصرنا منفقاً لهذه البضاعة يدعو به الى مذهب الرافضة الإمامية من أمكنه دعوته من ولاة الأمور وغيرهم من أهل الجاهلية.. والقوم ـ الرافضة – من أضل الناس فى المنقول والمعقول فى المذاهب والتقرير..

وهذا المصنف سمى كتابه (منهاج الكرامة فى معرفة الإمامة) وهو خليق بأن يسمى منهاج الندامة، كما من ادعى الطهارة وهو من الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم من أهل الجبت والطاغوت والنفاق، كما وصفه بالنجاسه والتكدير أولى من وصفه بالتطهير..[1]

وقد أكد ابن تيمية فى هذا الكتاب على أن الرافضة هم أكذب من كل طائفة باتفاق أهل المعرفة بأحوال الرجال حسب تعبيرة..

وقد قمنا برد وتفنيد المنشور المسمى مطارق النور فى كتاب لنا صدر بعنوان : (المناظرات بين فقهاء السنة وفقهاء الشيعة) منذ سنوات..

والذى قام بإعداد هذا المنشور قد أساء الى ابن تيمية وأهل السنة قبل أن يسىء الى الشيعة، فهو قد بتر العديد من النصوص من كلا الطرفين : ابن المطهر وابن تيمية، وقام بتحريف الكلم عن مواضعه وغير ذلك مما بيناه..[2]

وعودة الى ابن تيمية لنرى من خلال هذه المقدمة الخاصة بمنهاج السنة جوانب من خلقه وأدبه الذى أورثه حنابلة العصر فهو قد جعل من نفسه قاضياً وجلاداً فى مواجهة خصم غائب وأساء

الأدب فى التعامل معه مما أفقده العدل والموضوعية ويكفى لكشف موقف ابن تيمية وتعصبه الأعمى وتسرعه فى إصدار الأحكام أن نورد كلام ابن حجر العسقلانى حول ابن المطهر..

---

(١) مقدمة منهاج السنة..

(٢) انظر المناظرات ط القاهرة وبيروت..

قال : له كتاب فى الإمامة رد عليه ابن تيمية، إلا أنه تحامل فى مواضع عديدة ورد أحاديث موجودة..[١]

وقال : طالعت رد ابن تيمية على الحلى فوجدته كثير التحامل فى رد الأحاديث التى يوردها ابن المطهر الحلى ورد فى رده كثيراً من الأحاديث الجياد..[٢]

وابن حجر هو شارح البخارى وصاحب الكتب والشروحات الكبيرة فى مجال الحديث والفقه وعلم الرجال، وابن تيمية لا يوزن أمامه بشىء، وقد كفانا مؤونه الرد على منهاج السنة الذى لازال حنابله العصر يعتمدونه وينقلون منه بلا حساب..

وحنابلة العصر قد قاموا بالسطو على العديد من كتب التراث السنى تحت دعوى تنقيحها أو بمعنى أدق تزييفها وذلك بحذف النصوص الواردة فيها التى من الممكن أن تخدم خصومهم خاصة الشيعة..

وأول كتاب تم السطو عليه هو كتاب : «فتح البارى» شرح البخارى لابن حجر العسقلانى وقد سطا عليه ابن باز بمساعدة محب الدين الخطيب..[٣]

وقول ابن تيمية أن الرافضة هم أكذب من كل طائفة باتفاق أهل العلم والمعرفة بأحوال الرجال كذبه فيه أهل العلم بأحوال الرجال من أهل السنة الذين عدلوا العديد من رجال الشيعة ولم يجرحوهم ونقلوا عنهم عشرات الروايات فى كتب الاحاديث مثل البخارى ومسلم وهو ما سوف يأتى بيانه، وهذا اذا سلمنا أن المقصود بالرافضة الذين واجههم ابن تيمية هم الشيعة الامامية..[٤]

والسؤال هنا هل كان ابن تيمية غافلاً الى هذا الحد.. ؟

---

(١) لسان الميزانج٦/٣١٩

(٢) الدرر ج٢/٢٧

(٣) انظر فتح البارى طبع المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة وهى ملك لمحب الدين الخطيب. وانظر لنا فقهاء النفط. والعقيدة الطحاوية تنقيح ابن باز ونهج البلاغة تحقيق عبد السلام هارون الذى حذف منه نصوصا كاملة تتعلق بالصحابة..

(٤) انظر فصل السنة وملاحق الكتاب..

أم هو مجرد مدعى بلا علم.. ؟

ومن صور تخبط ابن تيمية قوله :.. عندهم من استحل الفقاع فهو عندهم كافر، ومن مسح على الخفين فهو عندهم كافر، ومن حرم المتعة فهو عندهم كافر، ومن أحب أبا بكر وعمر أو عثمان أو ترضى عنهم أو عن جماهير الصحابه فهو عندهم كافر، ومن لم يؤمن بمنتظرهم فهو عندهم كافر وهو شىء لا حقيقة له، ولم يكن فى الوجود قط..

وعندهم : من قال أن الله يرى فى الآخرة فهو كافر، ومن قال أن الله تكلم بالقرآن حقيقة فهو كافر، ومن قال أن الله فوق السموات فهو كافر، ومن آمن بالقضاء والقدر وقال أن الله يهدى من يشاء ويضل من يشاء، وأن الله يقلب قلوب عباده، وأن الله خالق كل شىء، فهو عندهم كافر، وعندهم أن من آمن بحقيقة أسماء الله وصفاته التى أخبر بها فى كتابه وعلى لسان رسوله فهو عندهم كافر، هذا هو المذهب الذى نقلته لنا أئمتهم وكثير من فساد التتر هو لمخالطة هؤلاء لهم..[1]

وما ذكره ابن تيمية من شبهات إنما يدور فى محيط الفقه والاعتقاد وهو نماذج سائده لصور الخلاف بين أهل السنة والفرق والاتجاهات الأخرى، لكنه صورها بصورة غير صحيحة بهدف التعتيم على الخصم كما هو شأنه دائماً مع خصومه..

إلا أن لنا وقفة عند قوله وعندهم أن من آمن بحقيقة أسماء الله وصفاته التى أخبر بها فى كتابه وعلى لسان رسوله فهوكافروهذا قول فيه تضليل إذ ربط بين صفات الله الواردة فى القران

وصفاته الواردة فى الروايات والفرق بينهما كبير والتناقض أكبر..

والشيعة ومعها المعتزلة والخلف من أهل السنة لا يسلمون بهذه الروايات ومن سلم بها منهم قام بتأويلهاعلى وجه المجاز الذى رفضه ابن تيمية..

والفقاع هو شراب مسكر كان من الواجب على ابن تيمية أن يفصله لنا ويبين لنا أدلة

---

(١) مجموع الفتاويج ٢٩٨/٢٨. واعتراف ابن تيمية بمخالطة الشيعة للتتر يؤكد دخولهم الاسلام على ايديهم كما سوف نبين..

الرافضة فيه، هل يدخل فى باب المحرمات أم لا ؟ فإذا كان حراماً فالمستحل للحرام هو كافر بالإجماع إلا أن الظاهر أن ابن تيمية لا يعد هذا النوع من الشراب خمراً أو على فرض التسليم بهذا فهذه مسألة خلافيه تقع فيها جميع المذاهب..

أما المسح على الخفين فهو باطل عند الشيعة ولا أساس له إذ المسح يكون على الكعبين كما فى آية الوضوء..

وكذلك المتعة هى جائزة عندهم ولهم أدلتهم التى تجيزها بل هى جائزة عند أهل السنة أيضاً والخلاف فيها واسع بين الفقهاء..[1]

ولا يوجد بين مصادر الشيعة الإمامية ما يشير الى تكفير القائلين بالمسح على الخفين وتحريم المتعه فهذه مسائل فقهية لا يجوز أن يبنى عليها حكم بالتكفير بحال..

وكان من الواجب على ابن تيمية أن يفصل هذه المسائل ويقدم لنا ما يشير الى التكفير فى هذه المسائل من مصادر الشيعة..

كذلك لا يوجد ما يدعم قول ابن تيمية فيما يتعلق بتكفير محبى الخلفاء والصحابة والمنكرين للمهدى وغيبته..

نعم أن للشيعة موقف معاد للخلفاء الثلاثة والصحابة الذين خاصموا أهل البيت وعادوهم..

ونعم أن هناك بعض المتطرفين من الفقهاء والكتاب الشيعة تبنوا مواقف تكفيرية تجاه هذا القطاع من الصحابة إلا أن هذا الموقف لا يخرج عن كونه رد فعل لحالة الاضطهاد والبطش

والتنكيل التى لاحقت الشيعة طوال التاريخ، وهو لا يعبر بحال عن التشيع الحق وعن اهل البيت.. [2]

---

(١) انظر لنا زواج المتعة حلال فى الكتاب والسنة..

(٢) مثل الدعاء على صنمى قريش والجبت والطاغوت ويقصد بهما أبوبكر وعمر..

تماماً مثلما لا يعبر التطرف والإرهاب والتكفير الذى يرفع لواءه اليوم حنابله العصر بفرقهم المختلفة، عن الإسلام وأهل السنة..

وهذا ما تقود إليه الموضوعية العلمية والعدل فى القول..

ومسألة الرؤية وخلق القرآن والفوقيه وخلق أفعال العباد ونسبه مشيئة الضلال والهداية الى الله تعالى والإيمان بالروايات المتعلقة بصفات الله واعتبارها كالإيمان بنصوص القرآن المتعلقة بصفاته سبحانه، وغير هذه المسائل التى يعتقدها أهل السنة والتى ذكرها ابن تيمية لا تمثل حجة على المخالفين لهم، والذين خالفوا فى هذه المسائل ليسوا الشيعة وحدهم وإنما قطاعات أخرى من أهل السنة خاصة من الخلف فضلاً عن المعتزلة والجهمية وغيرهم..

والعجيب أن الحنابلة من أهل السنة الذين ينطق بلسانهم ابن تيمية هم الذين رفعوا لواء التكفير فى وجه المخالفين لهم من المذاهب السنية الأخرى والشيعة والمعتزلة..

والقول بكفر القائلين بخلق القرآن قاله ابن حنبل، كما قال بكفر تارك الصلاة..

وكفر الحنابلة الرافضين لرواياتهم التى تتعلق بالصفات لكونها تقود الى التجسيم والتشبيه.. (١)

وكفر المتأخرين منهم القائلين بجواز التوسل بالنبىﷺ وأهل البيت..

وسار ابن تيمية ومن تبعه على هذا الخط الذى فرخ لنا الوهابية وحنابلة العصر..

ونظراً لكون الشيعة - كما هو حال المعتزله - تتبنى العدل كأصل فهى ترفض فكرة نسبة الظلم الى الله الناتجه من القول بخلق أفعال العباد التى جعلت أهل السنة يقولون ان الله سبحانه من الممكن أن يدخل المطيع النار ويدخل العاصى الجنة فهو يفعل ما يشاء، والشيعة ربطت المشيئة بالعدل الإلهى، والمشيئة فى الإضلال تعود الى العبد لا الى الرب سبحانه..

---

(١) انظر دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزى الذى يرد فيه على المجسمة من الحنابلة..

أما القول بأنهم يقولون بتكفير القائل بأن الله خالق كل شيء فهذه من أعاجيب ابن تيمية..

ويقول ابن تيمية : والرافضة تنتحل إتباع أهل البيت وتزعم أن فيهم المعصوم الذى لا يخفى عليه شىء من العلم ولا يخطىء، لا عمداً ولا سهواً ولا رشداً، واتباع القرآن واجب على الأمة، بل هو أصل الأيمان وهدى الله الذى بعث به رسولهﷺ، وكذلك أهل رسول الله تجب محبتهم وموالاتهم ورعاية حقهم، وهذان الثقلان اللذان وصى بهما رسول اللهﷺ وذكر حديث مسلم عن زيد بن ارقم..

ثم قال وقد روى عن النبىﷺ من وجوه حسان أنه قال عن أهل بيته : والذى نفسى بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم من أجلى، وقد أمرنا الله بالصلاة على آل محمد وطهرهم من الصدقة التى هى أوساخ الناس، وجعل لهم حقاً ف الفىء والخمس..

وقالﷺ فيما ثبت فى الصحيح : إن الله اصطفى بنى إسماعيل، واصطفى كنانه من بنى إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانه، واصطفى بنى هاشم من قريش، واصطفانى من بنى هاشم، فأنا خيركم نفساً وخيركم نسباً..

وقد تنازع العلماء من أصحاب احمد وغيرهم فى إجماع الخلفاء وإجماع العترة، هل هو حجة يجب اتباعها.. ؟

والصحيح أن كلاهما حجة، فإن النبىﷺ قال : عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى.. وهذا حديث صحيح الإسناد..

وقالﷺ : إنى تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتى وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض. رواه الترمذى وحسنه وفيه نظر..

وكذلك إجماع أهل المدينة النبوية فى زمن الخلفاء الراشدين هو بهذه المنزله..(١)

وهذا الكلام يشكل دعماً كبيراً للشيعة والمعتقد الشيعى الذى يقوم على أساس الكتاب والعترة فهما الثقلان اللذان تجب محبتهم وموالاتهم ورعاية حقوقهم تماماً كما ذكر..

---

(١) مجموع الفتاوى ج٢٨/٤٩١- ٤٩٢

والشيعة تقول أن هذين الثقلين هما اللذان أوصى بهما الرسولﷺ أمته قبل رحيله كما ذكر..

والشيعة تقول بوجوب الصلاة على آل محمد وأنهم مطهرون من الصدقة والرجس بكافة صورة وأشكاله وليس من الصدقة وحدها كما ذكر..

والشيعة تقول أن لأهل البيت حقاً في الخمس والفيء وهو حكم شرعي قائم ومتواجد ويطبق حتى اليوم..

والشيعة يعتقدون بأن أهل البيت هم صفوة الأمة من بعد الرسول لأنهم نبتهﷺ..

والحمد لله أن ابن تيمية اعترف أن اجماع العترة حجة يجب اتباعها..

والسؤال هنا أين إجماع العترة وأين فقههم في تراث أهل السنة..؟

وأين ابن تيمية من هذا الإجماع وهذا الفقه.. ؟

ونحن نتوجه بالشكر لابن تيمية على سرده لهذه النصوص النبوية التي يعترف بها الشيعة وتمثل حجة لهم على أهل السنة..

وقضية علم المعصوم وعصمته التي شكك فيها ابن تيمية في بداية الكلام سوف نتناولها فيما بعد..

والأهم من كلام ابن تيمية السابق الذي هو في صالح الشيعة هو كلامه الاتي :

يقول: **والخطأ المغفور في الاجتهاد هو في نوعي المسائل الخبرية والعلمية كمن اعتقد ثبوت شيء لدلالة آية أو حديث، وكان لذلك ما يعارضه ويبين المراد ولم يعرفه مثل :**

من اعتقد أن الذبيح إسحاق لحديث اعتقد ثبوته..

او اعتقد أن الله لا يرى كما نقل عن بعض التابعين أن الله لا يرى..

أو اعتقد أن علياً أفضل الصحابة لاعتقاده صحة حديث الطير..[1]

أو اعتقد أن بعض الكلمات أو الآيات أنها ليست من القرآن لأن ذلك لم يثبت عنده بالنقل الثابت..

وكما أنكر طائفة من السلف والخلف أن الله يريد المعاصى..[2]

ومثل هذا الكلام يعكس لنا شخصية أخرى لابن تيمية غير تلك الشخصية التى تتضح من الكلام السابق..

ويعد هذا من الأمور المحيره بشان شخصيته، تلك الشخصية التى تجمع المتناقضين..

وهذا الكلام الأخير إنما يناقض كل ما سبق ذكره من كلامة..

وهو كلام يتلائم مع روح الإسلام والعدل فى القول الذى يفرضه هذا الدين..

وجملة هذا هو كلام أهل العلم فيما يتعلق بالقضايا الخلافية ما دامت فى محيط الدين الواحد..

وابن تيمية قد التمس العذر لمخالفيه واعتبرهم من المجتهدين فى أدق القضايا التى تفرقت الأمة بسببها..

واعتبر ذلك من الخطأ المغفور..

من اعتقد بأن الذبيح هو إسحاق كما تعتقد اليهود..

ومن اعتقد أن الله لا يرى كما تعتقد الشيعة..

ومن اعتقد أن علياً أفضل الصحابة كما تعتقد الشيعة أيضاً..

وحتى من اعتقد أن بعض الكلمات أو الآيات ليست من القرآن..

---

(١) نص حديث الطير هو : أن الرسولﷺ أهدى إليه طائر مشوى فدعا الله أن يأتى أحب خلق الله ليأكل معه فجاء على وأكل معه، رواه الترمذى فى المناقب..

(٢) مجموع الفتاوى ج٢/٩٦.

إن مثل هذا الكلام إنما يقلب المائدة على رؤوس حنابلة العصر من دعاة الفرقة والتخلف، ويوقف تلك الحملات الرجعية التى توجه نحو الشيعة وتتهمهم بتحريف القرآن وتكفير الصحابه وسبهم..

وقد أكد ابن تيمية فى نهاية كلامه أن طائفة من السلف والخلف كانوا لا يرون أن الله يريد المعاصى، أى لا يرون نسبة الظلم الى الله وخلق أفعال العباد ويرون ربط المشيئة الإلهية بالعدل الالهى..

وذلك كما تقول الشيعة..

وهذا ما يؤكد لنا حالة التداخل بين السنة والشيعة فى كثير من القضايا :

فى محيط الفقة..

وفى محيط الاعتقاد..

وفى محيط الرواية..

وهو ما سوف يتضح من خلال الفصول القادمة..

وخيرما نختم به هذا الباب فتوى لابن تيمية تقول بجواز الصلاة على الإمام علىّ والاعتراف بآية الكساء التى نزلت فى الخمسة ﴿الرسول وعلى وفاطمة والحسن والحسين﴾ وهم أهل البيت بتعريف الرسولﷺ وهو ما تقول به الشيعة.. (١)

والخلاصة أن على الذين يتسلحون بأفكار ابن تيمية فى مواجهة الشيعة أن يعيدوا قراءة أفكار الرجل قراءة واعية متجردة فمن الواضح أنه اصطدم بفرق وجماعات لا صلة لها بالشيعة ولا وجود لها فى عالمنا..

■ ■ ■

(١) لفتاوى الكبرى ج١/فتوى رقم ٥. وقال ابن تيمية والى هذا ذهب أحمد وأكثر أصحابه وهو الصحيح على مذهب الشافعى وفيه رواية عن مالك..


2
المتطرفون
عورة الإسلام
الحق والحقيقة
بين السنة
والشيعة

مع ظهور المد النفطى فى فترة السبعينيات اندفع التيار الوهابى الحنبلى الى خارج حدود جزيرة العرب بعد أن كان محاصراً فيها، اندفع الى مصر خاصة بعد أن كانت الأبواب مغلقة فى وجهه طوال عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، ومن مصر انطلق نحو بقاع العالم العربى والاسلامى..

إلا أنه اندفع على هيئة فرق وجماعات متناحرة كان قد خلفها وراءه فى الساحة المصرية..

وقد شكل هذا التيار الذى تلحف بالسلف وارتدى ردائهم أزمة كبيرة للإسلام والمسلمين على مستوى الداخل والخارج أسهمت فى تشوية الإسلام وتخلف الحركة الاسلامية..

وهذا التيار هو الذى يقود حملة المواجهة ضد الشيعة اليوم أما بقية شرائح ومذاهب أهل السنة فتتبنى موقفا نظريا معاديا من الشيعة لم يخرج الى الدائرة العملية..

وليس مجالنا هنا الخوض فى جذور هذه الأزمة أو المؤامرة التى سقط ضحيتها الاسلام والمسلمون..[1]

إلا أن الأزمة تكمن فى ارتداد هذا التيار على بعضه بحيث أصبح يشكل عبئا كبيراً على أهل السنة بمؤسساتهم ورموزهم..

---

(١) انظر لنا الخطر الوهابى..

وعبئا على الإسلام والمسلمين..

وعبئا على الحكومات..

وعبئا على الحركة الاسلامية..

يقول الدكتور طه العلوانى : بدأنا نرى شباباً ينتسبون الى السلفية، وآخرين ينتسبون الى أهل الحديث، وفريقاً ينتسبون الى المذهبية، وآخرين يدعون اللامذهبية، وبين هؤلاء وأولئك تتبادل الاتهامات المختلفة من التكفير والتفسيق والنسبة الى البدعة والانحراف والعمالة والتجسس ونحو ذلك..(١)

وقال المالكى : لقد ابتلينا بجماعات تخصصت فى توزيع الكفر والشرك وإصدار الأحكام بألقاب وأوصاف لا يصح ولا يليق أن تطلق على مسلم يشهد الشهادتين، كقول:

بعضهم فيمن يختلف فى الرأى والمذهب معه : مخرف.. دجال.. مشعوذ.. مبتدع.. وفى النهاية مشرك وكافر..

ولقد سمعنا كثيرا من السفهاء الذين ينسبون أنفسهم الى العقيدة يكيلون مثل هذه الالفاظ جزافاً ويزيد بعض جهلتهم بقوله : داعيه الشرك والضلال فى هذا الزمان ومجدد ملة عمرو بن لحى المدعو فلان..(٢)

وقال ابن باز : قد شاع فى هذا العصر أن كثيرا من المنتسبين الى العلم والدعوة الى الخير يقعون فى أعراض كثيرا من إخوانهم الدعاة المشهورين ويتكلمون فى أعراض طلبة العلم والدعاة والمحاضرين..(٣)

والمتابع لفتاوى وبيانات رموز الوهابية المعاصرين يكتشف مدى الأزمة التى يعيشها التيار السلفى الوهابى، هذه الفتاوى والبيانات التى تظهر الخلافات والشقاقات

---

(١) ادب الاختلاف فى الإسلام..

(٢) التحذير من المجازفة بالتكفير..

(٣) مجموع فتاوى ابن باز ج٣١١/٧

والتناحرات وتضليل البعض للآخر السائدة بين حنابلة العصر.. وقد عجزت رموزهم عن حسم هذه الخلافات والحد من الشقاق والتناحر وإيجاد الحلول الشافية والحاسمة مما أوقع الشباب المسلم فى حيرة وهو ما يبدو بوضوح من خلال تساؤلات هؤلاء الشباب التى يوجهونها لهذه الرموز..

ومن هذه التساؤلات :

سؤال يقول : فى هذا الزمان عديد من الجماعات والتفريعات وكل منها يدعى الإنضواء تحت الفرقة الناجيه ولا ندرى أيهم على حق فنتبعه ونرجو من سيادتكم أن تدلو على افضل هذه الجماعات وأخيرها فنتبع الحق فيها مع إبراز الأدلة.. ؟

وكان الجواب هو : كل من هذه الجماعات تدخل فى الفرقة الناجية إلا من أتى منهم بمكفر يخرج عن أصل الإيمان، لكنهم تتفاوت درجاتهم قوة وضعفاً بقدر إصابتهم للحق وعملهم به وخطئهم فى فهم الأدلة والعمل، فأهداهم أسعدهم بالدليل فهماً وعملاً، فاعرف وجهات نظرهم

وكن من أتبعهم للحق وألزمهم له، ولا تبخس الآخرين إخوتهم فى الإسلام فترد عليهم ما أصابوا فيه من الحق، بل اتبع الحق حيثما كان ولو ظهر على لسان من يخالفك فى بعض المسائل، فالحق رائد المؤمنين، وقوة الدليل من الكتاب والسنة هى الفيصل بين الحق والباطل..[1]

وهذا الكلام العائم يمثل دعوة صريحة للسائل كى يجتهد وينقب بين الجماعات المتناحرة وأطروحاتها المتناقضة..

والسؤال هنا : هل يملك السائل أدوات البحث والتنقيب حتى يتمكن من الوصول الى الحق. وكيف يحدد الكفر المخرج من الإيمان..؟

لقد كان من الواجب على المسئول أن يحدد له هذه الأدوات بداية لكنه أراد أن يضفى المشروعية على هذه الجماعات التى تدور فى محيط تياره الوهابى وتتمسك بنهج سلفه

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة رقم ٧١٢٢

فقال : كل من هذه الجماعات تدخل فى الفرقة الناجية.. إلا أن مثل هذه الفتاوى هى التى تزيد من حالة التعدد فى دائرة هذا التيار وتسهم فى تصدعه، إذ تفتح الباب أمام هؤلاء الشباب ليخوضوا فى الكتاب والسنة دون امتلاك الأدوات مما يؤدى فى النهاية الى تعدد الاتجاهات وتوالد الجماعات..

لكن مطالبة السائل بعدم بخس الآخرين إخوتهم فى الإسلام واتباع الحق حيثما كان ولو كان عند المخالفين طالما هناك دليل قوى هو دعوة للإلتزام بخلق الإسلام فى مواجة الآخر، لكن كان من الواجب على المسئول أن يبين هل يقصد بهذا الكلام المخالفين لهم من أهل السنة فقط أم المخالفين لهم من الشيعة وغيرهم.. ؟

وسؤال آخر يقول : إن كثيرا من الجماعات التى تدعوا الى الإسلام كل منهم يقول : أنا على نهج السلف ومعى الكتاب والسنة ؟

وكان الجواب : الواجب على المسلم أن يلتزم الحق الذى يدل عليه الكتاب والسنة وأن يوالى على ذلك ويعادى على ذلك وكل حزب أو مذهب يخالف الحق يجب البراءه منه وعدم الموافقة عليه..(١)

وهذا الجواب هو امتداد للجواب السابق الذى يفتح الباب أمام شبابهم للخوض فى الدين والاجتهاد فى تضليل الآخر وتبديعه وتكفيره..

وفى جواب آخر : الواجب على المسلم أن يتبع ما جاء فى كتاب الله تعالى وسنة رسولهﷺ قولاً وعملاً واعتقاداً..(٢)

وفى فتوى أخرى قالوا : أقرب الجماعات الإسلامية الى الحق وأحرصها على تطبيقه أهل السنة وهم أهل الحديث وجماعة أنصار السنة ثم الإخوان المسلمين..(٣)

وهذا الجواب هو أكثر تحديداً من سابقة إذ حدد أهل الحديث وهم أهل الروايات من الحنابلة ثم جماعة أنصار السنة وهى جماعة وهابية الاتجاه نشأت فى مصر عام ١٩٢٦م..

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز ج٥/١٥٧

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة رقم ١٦١

(٣) المرجع السابق رقم ٦٢٥.

أما ربط الإخوان بهذين الاتجاهين فهو الجديد على الرغم من أن الإخوان جماعة مزندقة ومكفرة من قبل الجماعات الوهابية..

وما يجب ذكره هنا هو أن حصرالفرقة الناجية فى أهل الحديث أمر محل خلاف عند أهل السنة الذين يفسرون الفرقة الناجية من النار بالسواد الأعظم تارة وبأهل السنة والجماعة تارة أخرى..

ثم إن أهل الحديث القدماء والمعاصرون فرق وجماعات بداية من فرقة البخارى الى فرقة الالبانى والوادعى والفرق المخاصمة لهما..

وحول بعض الفرق الوهابية التى خاصمت الحكام ونابذتهم العداء قال ابن باز : ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة وذكر ذلك على المنابر لأن ذلك يفضى الى الفوضى وعدم السمع والطاعة فى المعروف، ويفضى الى الخوض الذى يضر ولا ينفع، وقد قتل جم غفير من الصحابة وغيرهم بأسباب الانكار العلنى وذكر العيوب علناً حتى أبغض الناس ولى أمرهم وقتلوه.. [1]

وكان من الواجب على ابن باز أن يبين لنا من هم هؤلاء الصحابة الذين انكروا على الولاة..؟

ومن هم هؤلاء الولاة..؟

وما هى العيوب التى أنكروها عليهم..؟

وإذا كان منهج السلف عدم التشهير بالحكام وذكرعيوبهم فما هو موقف السلف من هؤلاء الصحابة..؟

وقال ابن باز ناصحاً : نصيحة إخوانى من العلماء والدعاة بأن يكون نقدهم لإخوانهم فيما يصدر من مقالات أو ندوات أو محاضرات أن يكون نقداً بناءاً بعيداً عن التجريح وتسمية الأشخاص لأن هذا قد يسبب شحناء وعداوة بين الجميع..[2]

---

(١) حقوق الراعى والرعية..

(٢) مجموع فتاوى ومقالات ابن بازج/٧ ٢١٥

وقال حول تجريح السلفيين بعضهم لبعض وتنفير الناس عنهم والتحذير منهم : هذا عمل محرم، فاذا كان لا يجوز لإنسان أن يغتاب أخاه المؤمن وأن يكن عالماً، فكيف يسوغ له أن يغتاب إخوانه العلماء من المؤمنين..[1]

وقال : الذى أوصى به إخوانى من أهل الدعوة والعلم الى الله عز وجل هو تحرى الإسلوب الحسن والرفق فى الدعوة وفى مسائل الخلاف عند المناظرة والمذاكرة فى ذلك، وأن لا تحمله الغيرة والحده على أن يقول ما لا ينبغى أن يقول مما يسبب الفرقة والاختلاف والتباغض والتباعد.. [2]

والجدير بالذكر هنا أن هناك فرق وهابية متمردة برزت مؤخراً، تمردت على فقهاء الوهابية وحتى على فقهاء السلف والبخارى ومسلم وأخذت ترد العديد من أقوالهم ورواياتهم.. هذا بالإضافة الى الفرق المسلحة التى برزت فى دولة الوهابيين وأوقعت التيار الوهابى فى أزمة كبيرة مع الحكم هناك..

والواضح أن فتاوى وبيانات فقهاء الوهابية لم تفلح فى رأب الصدع والحد من التناحر وظاهرة التكفير التى انتشرت بين حنابلة العصر من تلاميذ الوهابية حتى برزت لهم أيضا الفرق المسلحة..

ومثال آخر يصور تلك الأزمة التى يعيشها حنابلة العصر يتمثل فى واحد من نبت المدرسة الوهابية فى دولة الوهابيين شكل إزعاجاً كبيراً لحنابلة العصر ونشر الفتنه بين صفوفهم وأطلق لسانه فى جميع رموزهم واعتبرهم خارجين على نهج السلف وحكم عليهم بالمروق والزندقه والتبديع تلك الأحكام التى يطلقونها عادة على خصومهم خاصة الشيعة..

وهذا النبت هو ربيع المدخلى مدرس علم الحديث بالجامعة الإسلامية فى المدينة سابقا والذى كون له فرقة سلفية أطلق عليها خصومه من الحنابلة الوهابيين اسم «الخلوف» أو «المداخله»..

---

(١) المرجع السابق..

(٢) المرجع السابق ج٥/١٥٥:١٥٦

وقد احتكر المدخلى السلفيه والتوحيد فى محيط فرقته وهو شخصية إنفعالية مغرورة سريعة الغضب كنموذج ابن تيمية أنزل لعناته على الجميع من حنابلة العصر مما دفع بهم الى التضرع الى الله بأن يكف شره وشر فرقته عنهم..

وفى مفهوم المدخلى أن الاباضية والزيدية أفضل من كثير من أتباع المذاهب الأربعة الذين اعتبرهم من المبتدعة..

وأعلن المدخلى الحرب على سيد قطب والإخوان والفرق الأخرى واتهمهم بتشويه المنهج السلفى ووصفهم بأوصاف مكفرة..

وقد دفع هذا الأمر بأحد الحنابلة المعاصرين الى اصدار كتاب فيه وتوجيه نداءاً تحذيرياً للأمة من هذا الإتجاه التكفيرى الجديد متهماً المدخلى بسوء الفهم وعدم الاتزان وأنه هو وطائفته من الفتن العظيمة فى هذا الزمان..[1]

وسوء الفهم وعدم الاتزان من السمات البارزة لحنابلة العصر.. وهذا كله لم يدفعهم الى المراجعة بل زادهم تعصباً لما هم عليه وتمسكاً بعقل الماضى..

وكان من الأولى أن يدفعهم واقعهم المتناحر المتباغض الى التماس العذر للآخر من الشيعة وغيرهم أو على الأقل تطبيق ما ينادون به من خلق ورفق وتوحد وأدب على خصومهم من الشيعة الذين يتحركون فى مساحة الدفاع لا الهجوم على حنابلة العصر وتكفيرهم واتهامهم بتحريف القرآن كما يتهمون الشيعة ويكفرونهم ويكفرون غيرهم أيضاً من أتباع أهل السنة..

وسئل أحد فقهاء الوهابية : ماذا تقول فى أولئك الذين لا يعترفون لأى سبب من الأسباب بالعلماء المعاصرين من أمثال ابن عثيمين وابن جبرين، البعض يقول أنهم من الوهابيين وأنهم طائفة جديدة بدل عن الدين الأسلامى العام الذى اتبعه غالبية العلماء من السابق.. ؟

---

(١) انظر كتاب أنصر أخاك ظالما أو مظلوماً. ط القاهرة..

وكان الجواب هو : على المسلم أن يقبل تعاليم الأسلام ويعمل بها ويكون دليله من الكتاب والسنة، وأن يعرض أقوال الناس على الأدلة الشرعية ويأخذ منها ما وافق الدليل.. (١)

وهذا السؤال يخص بعض الاتجاهات الاسلامية من أهل السنة مثل أهل المذاهب وغيرهم الذين لا يعترفون بالوهابية ويناصبونها العداء، فالوهابية جاءت وبالاً على أهل السنة وحتى على مذهب ابن حنبل الذى يدعون اتباعه..

هذا هو حال الذين يسمون أنفسهم أهل التوحيد ويرفعون راية العداء والمواجهة مع الشيعة اليوم، وهم يعترفون أنهم حنابلة يسيرون على نهج الحنابلة القدامى..

إلا أن ما يجب الإشارة إليه هنا هو أن الذين سلكوا هذا النهج عبر التاريخ كانوا من السوقة وضعاف العقول وذلك لكون النهج الحنبلى لا يهتم بالعقل بل يجرمه ويغالى فى الروايات وأقوال الرجال مما يغلق الباب فى وجه العقل تماماً..

من هنا فقد رصد لنا التاريخ العديد من الفتن التى أحدثها الحنابلة فى بغداد وغيرها والتى كان يتزعمها السوقة والدهماء من الحنابلة الذين كانوا يعتدون على النساء فى الطرقات ويهاجمون الأسواق ويعتدون على فقهاء المذاهب الأخرى ويحرقون بيوت الشيعة..(٢)

وهذا الإعتراف من قبل حنابلة العصر كونهم يسيرون على النهج الحنبلى يعنى أنهم يمثلون شريحة من شرائح أهل السنة ومن ثم لا يجوز لهم التحدث بلسانهم..

وليس من بين مذاهب أهل السنة من حمل لواء التكفير فى مواجهة الخصوم من الشيعة والاتجاهات الأخرى سوى الحنابلة الذين كانوا من أقل المذاهب السنية شأناً ولم يكن لهم وزن فى دائرة المسلمين إلا على يد المتوكل العباسى وابن سعود فى جزيرة العرب ولولا النفط ما قامت لهم قائمة..

ولقد فتح فقهاء الوهابية الباب على مصارعة للأحداث ليخوضوا فى الكتاب والسنة مما أدى الى إثارة الفتن والبلبلة فى واقع المسلمين وأدى الى نشوء التطرف والأرهاب

---

(١) الموسوعة فتوى رقم ٣.١٢٢

(٢) انظر فتن الحنابلة فى الكامل فى التاريخ لابن الاثير وغيره. وانظر ملاحق الكتاب..

على المستوى الفكرى والحركى ثم انقلب السحر على الساحر حين انقلبت جماعات الأحداث من حنابلة العصر على الوهابيين ودولتهم ومؤسساتهم فى كل مكان..

والعجيب أن كتب السنن تزدحم بعشرات النصوص الواردة على لسان الرسولﷺ والتى تتنبأ بخروج جماعات من السفهاء والأحداث يقولون بقول خير البرية ويمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية تحقرون صلاتكم خلف صلاتهم سيماهم التحليق إذا وجدتموهم فاقتلوهم فإن فى قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة..[1]

وقد حدد الفقهاء أن المقصود بهذه النبوءه فرقة الخوارج التى قاتلها الإمام على بن أبى طالب إلا أنها استمرت باقية فى واقع المسلمين حتى اليوم..

وطبق ابن تيمية هذه الروايات على الشيعة باعتبارهم مارقين عن الدين بزعمه.[2]

وطبقها فقهاء الوهابية على الجماعات الخارجة عن طاعة ولى الأمر فى دولة الوهابيين وغيرها وهى جماعات وهابية حنبلية..

والسؤال هنا هو : لماذا حصر فقهاء الوهابية الخوارج فى حدود الجماعات الضالة من بينهم الخارجة على حكوماتهم ؟

ولماذا لا يشمل مفهوم الخوارج حنابلة العصر من أولئك الأحداث السفهاء الذين يخوضون فى الدين ويكفرون المسلمين.. ؟

وهو سؤال لا يحتاج إلى جواب فالإجابة معروفة..

والطريف أن أحد رموز الوهابية المعاصرة سئل : هل عموم الشيعة الموجودين فى هذا الزمان انقرضوا إلا طائفة الرافضة، وإذا لم يبق إلا هؤلاء الرافضة فكيف يعاملهم الرجل الذى لا يعلم منهجهم الخاص بالصحابه، هل يعاملهم كالمنافقين ؟

فأجاب ما يلى : الشيعة كل من يزعم أنه يتشيع لآل البيت أى لقرابة النبىﷺ وهم طوائف وفرق كثيرة، وقد ذكر المتكلمون على فرق هذه الأمة أنهم يزيدون على عشرين

---

(١) انظر مسلم كتاب الزكاة وكتب السنن الأخرى..

(٢) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج٢٨/٤٦٨ وما بعدها..

فرقة، وهذا يعنى أننا لا يمكن أن نحكم على جميعهم بحكم واحد، بل لابد أن تنظر ماذا يفعلون. وماذا يعتقدون فى النبىﷺ وماذا يعتقدون فى الصحابة ؟

فمثلاً إذا قالوا : نحن نعتقد أن على بن ابى طالب إله ورب، كما يذكر عن عبد الله بن سبأ الذى قابل علياً بالمواجهة الصريحة فقال : أنت الله فأمر على بالأخاديد فخدت ثم أحرقهم بها، أحرقهم بالنار لشناعة قولهم والعياذ بالله..

كذلك أيضا من قال : أن الصحابة ارتدوا بعد النبىﷺ إلا نفراً قليلاً من آل البيت فهم كفار أيضاً لأن هذا يؤدى الى القدح فى الشريعة الاسلامية وألا نثق فيما نقل إلينا منها لا القرآن ولا ما ينسب للرسول منها، وإذا كان هذا يتضمن القدح فى الشريعة ونسفها فهو كافر بالله تعالى وكفر بشريعته..

ومن قال : أن علياً ولى وأنه أفضل من محمدﷺ فهو كافراً أيضاً لأن المسلمين أجمعوا على أن محمداً أفضل البشر، والمهم أن ننظر الى عقيدة هذا الرافضى أو الشيعى، إذا أفضت الى الكفر حكمنا بكفره، وإذا كانت لا تصل الى الكفر بل هى بدعه تجعله فاسقاً لا كافراً حكمنا بما تقتضيه بدعته..(١)

ويبدو من هذا الجواب مدى سيطرة عقل الماضى على رموز الوهابية الذين يرعون حنابلة العصر..

فهو ينفى بداية أن يكون هناك شيعة لأهل البيت ويعتبر ذلك من المزاعم، ثم يزعم هو أن الشيعة طوائف وفرق كثيرة اعتماداً على ما ذكرته كتب الفرق، وهى كتب سنية كتبت بأقلام خصوم الشيعة ومجدت أهل السنة وعمدت الى تشويه الفرق والاتجاهات الأخرى..(٢)

---

(١) فتاوى العلماء حول الدعوة والجماعات الإسلامية ص ٧٧..

(٢) انظر الملل والنحل للشهرستانى. والفرق بين الفرق للبغدادى. وسف نلقى الضوء على هذا الأمر فيما سيأتى..

وهذه الفرق المزعومة قد انقرضت جميعها ولم يبق فى المواجهة اليوم سوى الشيعة الامامية.. [1] إلا أن صاحبنا هذا لا يعيش فى هذا العصر إلا بجسده فقط حيث يقول : وهذا يعنى أننا لا يمكن أن نحكم على جميعهم بحكم واحد فمثلا اذا قالوا : نحن نعتقد ان على بن ابى طالب إله ورب كما يذكر عن عبد الله بن سبأ..

وان الصحابة ارتدوا بعد النبىﷺ الا نفراً قليلاً من آل البيت وأن علياً ولى الله وأنه أفضل من محمدﷺ..

ومثل هذا الكلام انما يدل على جهل صاحبه وتعصبه الذى أعماه عن بلوغ الحق والانصاف والعدل فى القول تجاه خصومه فهو يتحدث بلغة القيمومة والاستعلاء وامتلاك الحق تلك اللغة الموروثه عن الحنابلة القدامى..

ولا يوجد من بين الشيعة اليوم من يقول بتأليه علىّ فرض صحة نسبه هذه الفكرة لهم فى الماضى الا أن حنابلة العصر تلقفوا فكرة السبأية واعتبروها من المسلمات لكونها تضرب خصومهم الشيعة وذلك سيرا على نهج إمامهم ابن تيمية..[2]

أما ما يتعلق بالصحابة وارتدادهم من بعد النبىﷺ فالإرتداد المقصود هنا ليس الإرتداد عن الدين وإنما الإرتداد عن وصية الرسولﷺ لأهل البيت والخروج عن الخط الذى رسمه للأمة من بعده..

والشيعة يعتقدون أن أهل البيت هم المقياس من بعد النبىﷺ فمن سار على هديهم ووالاهم من الصحابة فهو على خير وهدى ومن ناصبهم العداء فهو على شر وضلاله ولا احترام له ولا تقدير عندهم..

من هنا فإن الشيعة يحترمون ويقدرون العديد من الصحابة الذين وقفوا مع على بن ابى طالب وقاتلوا معه فى الجمل وصفين والنهروان والعديد منهم كان ممن شهد بدراً..[3]

---

(١) هناك فرقة الإسماعيلية والعلوية إلا أنهما لا صلة لهما بالمواجهة القائمة..
(٢) انظر فصل أزمة النقل..
(٣) انظر فصل الصحابة..

ولا أظن أن هذا المفتى الوهابى يدرك هذه الحقائق فقد حال عقل الماضى والعصبية بينه وبين إدراكها.. وهو فى الوقت الذى يدعى فيه أن الشيعة نبذت الصحابة واكتفت بأهل البيت هو يدعو الى موالاة معاوية والخلفاء وجميع الصحابة الذى باركوا نهجهم وساروا فى ركابهم ولم يوالوا أهل البيت..

وبدا وكأنه يتحدث بلغة الحاكم المستبد الذى لا يريد معارضة ويريد للأمة جميعها أن تلغى عقولها وتسير على نهج واحد هو النهج الذى رسمه لها..

أما قوله أن الشيعة تفضل علياً على الرسولﷺ فهو عين الجهل، فالشيعة يعتقدون ويوالون أهل البيت او يتشيعون لهم كما أشار هو الى ذلك، وأهل البيت هم أهل بيت النبى وبدون النبى لن يكون هناك بيت ولن تكون له قيمة شرعية أو معنوية، فعلىّ إذن إنما يستمد قيمته من محمدﷺ فكيف يمكن أن يعلو فوقه.. ؟

أما أن علياً ولى الله فهذا حق له منحته إياه النصوص وهو حق الولاية وهى مرتبة شرعية نالها هو وأهل البيت لا تصطدم بجوهر الدين فى شىء، أما عند حنابلة العصر الذين يحاربون أولياء الله أحياءً وأمواتاً فهى مسألة جوهرية ولا يعنينا موقفهم فى شىء فكل ما يعنينا هو النص على ما سوف نبين..

والحكم بالكفر ليس من صلاحية أحد، فالأديان _ وخاصة الإسلام _ لا تمنح أحد سلطة التكفير، إلا أن حنابلة العصر الذين يدعون تمثيل الدين ادعوا امتلاك هذه السلطة وأخذوا يوزعون أحكام التكفير ذات اليمين وذات اليسار حتى نالت المخالفين لهم فى دائرة أهل السنة..

وهذا الحنبلى الغافل الذى يدعى أن الشيعة طوائف وفرق كثيره حسبما زعمت كتب الفرق تغافل عن فرق الوهابية المتناحرة التى شاعت فى أرجاء الارض وفى دولة الوهابيين التى يستظل بظلها وأصبحت تكفر وتضلل بعضها بعضا وهى أكثر من أن تحصى.. [1]

---

(١) انظر لنا فرق أهل السنة..

وكانت هيئة كبار العلماء الوهابيين قد أصدرت بياناً حول ظاهرة التكفير التى ضاقوا بها وما نتج عنها من إراقة الدماء وإتلاف الأموال ونشر الارهاب وذلك فى مؤتمرهم الذى عقدوه بالطائف لبحث ما يجرى فى بلاد المسلمين وغيرها من التكفير والتفجير..

وصدرت العديد من الكتابات التى تحاول تطويق هذه الظاهرة التى برزت ببركة أفكارهم ورواياتهم مثل :

التحذير من فتنة الغلو فى التكفير..

التبصير بقواعد التكفير..

الأسئلة الشامية فى مسائل الإيمان والتكفير..

وهناك أيضا الأسئلة النجدية واليمنية والقطرية..

وحددوا من خلال هذه الكتب أن التكفير حق الله ورسوله فقط..

وفى مواجهة الفرق الجهادية التى أزعجت أولياء أمور حنابلة العصر أصدروا كتاباً عنوانه: «إعلام سفهاء الأحلام بأن مقارعة الحكام ليست سبيل الرجوع الى الإسلام»..

ومما يؤكد لنا حالة الفرقة والشتات والتناحر التى يعيشها حنابلة العصر الرسالة التى بعث بها ابن فوزان الى المدخلى ضد أحد رموزهم المتمردة وهو الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ـ وهو مصرى مقيم فى دول الخليج منذ فترة السبعينيات ـ والذى أظهر مؤخراً ردة عن بعض الأفكار السلفية ودافع عن الإخوان وجماعة التبليغ..

قال ابن فوزان: فى الآونة الأخيرة ظهرت جماعات تنتمى إلى الدعوة وتنضوى تحت قيادات خاصة بها كل جماعة تضع لنفسها منهجاً خاصاً بها مما نتج عنه تفرق واختلاف وصراع بين تلك الجماعات مما يأباه الدين وينهى عنه الكتاب والسنة ولما أنكر عليهم العلماء هذا السلوك الغريب المريب إنبرى بعض الأخوة يدافع عنهم ويبرر فعلهم..

ومن هؤلاء المدافعين الشيخ الفاضل عبد الرحمن عبد الخالق من خلال رسائله المطبوعة وأشرطته المسموعة على الرغم من مناصحته عن هذا الفعل من قبل إخوانه

وزاد على ذلك الطعن فى العلماء الذين لا يوافقون على صنيعه ووصفهم بما لا يليق بهم ولم يسلم من ذلك حتى بعض مشايخه الذين درسوه..

وقد نشر هذه الرسالة المدخلى فى كتاب له منشور يرد فيه على عبد الرحمن عبد الخالق تحت عنوان : جماعة واحدة لا جماعات، وصراط واحد لا عشرات..

والطريف أن المدخلى هذا كتب رسالة صغيرة يذم فيها التعصب محذراً من عواقبه مشيراً الى مفاسده فهل يناقض نفسه، أم أصبح من المرنين العقلانيين.. ؟

إلا أن المتأمل فيما كتب يجده يقصد خصومه من الفرق الأخرى الذين يتعصبون لعقائدهم ومذاهبهم المخالفة له خاصة أولئك الذين يرفعون شعارات إسلامية لكنها خالية من العقيدة الإسلامية الصحيحة فى منظوره..

وعلى رأس هؤلاء الذين تولوا الروافض وانسجموا معهم وهونوا من رفضهم ولم ينكروا عليهم كفرياتهم وزندقتهم ودعوا الى التلاحم معهم تحت شعار التقريب..

كذلك الذين تولوا الصوفية بمختلف طرقها حسب تعبيرة المتطرف..

و لكون هؤلاء يعيشون بعقل الماضى و يواجهون الشيعة بهذا العقل، فهم لا يدرون شيئاً مما يجرى ويدور من حولهم، فهذه الحوادث و المتغيرات و التطور العلمى جعل من العالم المعاصر مرآة تعكس أفكار الشعوب ومعتقداتها، ولم تعد هناك قدرة على إخفاء شىء من الأفكار والمعتقدات و حجبه عن الآخر ين..

إلا أن حنابلة العصر من البدو والأعراب وذيولهم المنتشرون فى كل مكان لا يدركون ذلك بسبب غيبوية الماضى التى يعيشونها والعدوانية التى تسيطر على نفوسهم، فانطلقوا ينسبون الخرافات للشيعة و يتصيدون الأقوال والروايات التى تكتظ بها كتب الشيعة دون علم ولا تمحيص أن ما يحتويه التراث الشيعى فيه الغث والسمين وليس كله محل قبول عندهم، فحال التراث الشيعى كحال أى تراث آخر يحوى الأحاديث الضعيفة والموضوعة، كما يحوى أقوال الرجال التى تعبر فى حقيقتها عن الرجال لا عن الدين..

والتراث السنى يعيش نفس الحالة بل ان حالته أسوأ بكثير مما فتح الباب أمام الشيعة من باب الدفاع وصد الهجمات الحنبلية البدوية الى الخوض فى التراث السنى وكشف عوراته..[1]

ولقد اجتهد حنابلة العصر فى ضرب الشيعة فاستعانوا بروايات ضعيفة مثل تلك الرواية التى نسبها الرواة للإمام على والتى تقول على لسان النبىﷺ: يا على يكون فى آخر الزمان قوم لهم نبز يعرفون به يقال لهم الرافضة، فإن أدركتهم فاقتلهم قتلهم الله تعالى فإنهم مشركون..[2]

وقد أتى بهذه الرواية أحد حنابلة اليمن فى كتابه: (توضيح النبأ عن مؤسس الشيعة عبد الله بن سبأ)، تحت عنوان: ذم الرافضة..

هذا فى الوقت الذى يضعفون الأحاديث الواردة فى حق أهل البيت مثل حديث:

انا مدينة العلم وعلى بابها..

وحديث الطائر المشوى..

وحديث السفينة..

وغيرها من الأحاديث التى سيأتى بيانها..

إلا أنه قد فات هذا الحنبلى أن استدلاله بهذه الرواية الضعيفة فى مواجهة الشيعة يأتى بنتيجة فى غير صالح مذهبه ومعتقده، فمن المعروف أن الإمام على لم يقاتل بعد الرسولﷺ سوى عائشة وطلحة والزبير ومعاوية وغيرهم من الصحابة، فدل هذا على أن الرافضة المشركون هم هؤلاء وليس الشيعة..

وهو قد حسم لنا الأمر بهذه الرواية التى استشهد بها إذ قدم لنا تعريفاً محدداً للرافضة وهم الذين حاربوا علياً وخاصموه..

---

(١) صدرت العديد من الكتابات التى تهاجم عقائد أهل السنة معتمدة على مصادرهم من طبع القاهرة وبيروت وطهران..

(٢) رواه ابن ابى عاصم..

ومن المضحكات أن هذا الحنبلى كتب فصلاً تحت عنوان: قبح لفظ التشيع..

واستدل على ذلك بنصوص القرآن التى ورد فيها لفظ : شيعة، مؤكدا أن هذه النصوص جاءت كلها بالذم، عدا قوله تعالى:

﴿وإن من شيعته لإبراهيم﴾ الصافات ـ ٨٣

وقال: ويحتمل فى قوله تعالى ـ أى ذم لفظ التشيع ـ ﴿فاستغاثه الذى من شيعته﴾ *«القصص ـ ١٥»*

وقد غاب عن هذا الغافل الذى يتلاعب بنصوص القران أن لفظ التشيع يشمله هو أيضا، فكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة.

وهذا الحنبلى هو من المتشيعين لفرقة هادى بن مقبل الوادعى اليمنى المعروف بغلوه فى الروايات وتكفيره المخالفين..

وعلى ضوء هذا الإستدلال الغبى يمكن ذم لفظ التسنن أيضاً وبنصوص القرآن والسنة.. والغريب أن هذا الحنبلى لجأ الى مصدر لا يعتد به فى هذا المجال وهو كتاب: العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسى، واقتبس منه حكاية تقول: كان معنا فى سفينة شيخ شرس الأخلاق طويل الإطراق، وكان إذا ذكر له الشيعة غضب وأريد وجهه وزوى من حاجبيه.. ولما سئل: ما الذى تكره من الشيعة؟

قال: ما أكره منهم إلا هذه الشين فى أول اسمهم، فإنى لم أجدها قط إلا فى كل شر وشؤم وشيطان وشغب وشقاء وشنار وشرار وشين وشوك وشكوى وشهوة وشتم وشح..

قال الراوى وهو الجاحظ: فما ثبت لشيعى بعدها قائمة..[1]

ولو حدث أن أحدا من الشيعة استدل برواية من هذا الكتاب أو من كتاب الأغانى للأصفهانى أو الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى لهاجوا عليه وماجوا..

---

(١) ج٢/١٥.

ثم قال: وذم الرافضة متواتر بين المسلمين متكاثر فى كتبهم، مدون فى سجلاتهم حتى عند الجن..

قال ابن الأعرابى فى معجمه برقم (٤٢٧): تزوج رجل من الجن إلينا، فقلنا أى شىء من الطعام تشتهون..؟

فقال: الأرز، فأتيناهم بالأرز، فجعلت أرى اللقم ترتفع ولا أرى أحداً..

قلت: فيكم هذه الأهواء التى فينا..؟

قال: (أى الجنى): نعم..

قلت: الرافضة..؟

قال: شر قوم..

وتأمل تعليق هذا الحنبلى على هذه الرواية الخرافية حيث قال:

سنده هذا حسن ـ أى سند الرواية ـ من أجل الدقيقى ـ الراوى ـ فهو صدوق، وهو متابع عند النجاد فى (أماليه) كما فى (آكام المرجان فى أحكام الجان) فالأثر صحيح والحمد لله..

حقا من ضاع عقله أفتضح أمره..

قال الرسولﷺ: ثلاث من أصل الإيمان : الكف عمن قال لا إله إلا الله، لا تكفره بذنب، و لا تخرجه من الإسلام بعمل..[١]

و قال: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.. [٢]

و قال: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر.. [٣]

و قال : كل المسلم على المسلم حرام دمه و ماله وعرضه..[٤]

---

(١) رواه ابو داود فى كتاب الجهاد..

(٢) رواه البخارى ومسلم وكتب السنن..

(٣) المراجع السابقة..

(٤) المراجع السابقة..

وإتماما للفائدة نقدم بعض الأمثلة لمواقف حنابلة العصر من المخالفين لهم من أهل السنة:

المثال الأول: ذلك الموقف المتطرف المتجاوز حدود الأدب الذى يتخذونه من المدرسة الكوثرية التى أرسى دعائمها الباحث المحقق محمد زاهر الكوثرى الحنفى المذهب و التى تصدت لابن تيمية وتلاميذه وابن عبد الوهاب وأتباعه ولا تزال الحرب بينهما مستمرة حتى اليوم..

وفى رسالة من كبير الوهابيين الى أحد تلاميذه الذين تصدوا لأحد تلاميذ الكوثرى قال : سلام الله عليكم و رحمة الله و بركاته، أما بعد فقد اطلعت على الرسالة التى كتبتم بعنوان ﴿براءة أهل السنة من الوقيعة فى علماء الأمة﴾ و فضحتم فيها المجرم الآثم محمد زاهد الكوثرى بنقل ما كتبه من السب والشتم و القذف لأهل العلم والإيمان واستطالته فى أعراضهم وانتقاده لكتبهم الى آخر ما فاه به ذلك الأفاك الأثيم، عليه من الله ما يستحق كما أوضحتم أثابكم الله..[1]

وإذا كانت هذه هى لغة الامام فكيف من الممكن أن تكون لغة الأتباع..؟

والمثال الثانى يتجلى فى ذلك الموقف الذى اتخذوه من الشيخ محمد الغزالى - رحمه الله - وطرحه الذى انتقد فيه العديد من الروايات والموروثات المتخلفة التى نسبت الى الإسلام زوراً وبهتاناً - ذلك الموقف الذى تجاوز حدود الخلق و الأدب و دفع بهم الى شن حرب ضروس على الشيخ و هم الذين لا يوزنون أمامه بشىء و قد كان يطلق عليهم اسم الفقهاء الصغار..

قال أحدهم مهاجماً الشيخ : ومن السخرية بأحكام الشرع ما ذكره محمد الغزالى ضمن سخرياته وهزلياته الكثيرة حيث قال: إن أهل الحديث يجعلون دية المرأة على

---

١) انظر السيف الصقيل للكوثرى فى الرد على ابن زفيل وهو ابن القيم الجوزية تلميذ ابن تيمية طبع القاهرة. والكوثرى ولد عام(١٢٩٦هـ-١٨٧٧م) ولا تعرف سنة وفاته. وصاحب هذه الرسالة هو ابن بازوأهل العلم والإيمان يقصد بهم هنا ابن تيمية ومن سار على نهجه. انظر الرسالة المذكورة وسوف تجد فيها الكثير من صنوف السب والشتم..

النصف من دية الرجل، و هذه سوءة فكرية وخلقية رفضها الفقهاء المحققون..[١]

والمثال الثالث فى الرد على من انكر الأسماء والصفات بزعمهم وهم بعض فرق أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية. وهم فى الحقيقة لم ينكروا الأسماء والصفات بل أن السلفيين الوهابيين هم الذين خالفوهم سيراً مع نهج ابن تيمية وادعوا عليهم الإنكار كما جاء فى أحد منشوراتهم المجانية..[٢]

وتعد مسالة تضخيم الأسماء والصفات وإلصاقها بالتوحيد صورة من صور التطرف العقدى السائدة فى الوسط السلفى الوهابى وبدعة من بدعهم التى خالفتهم فيها الفرق الأخرى من أهل السنة..

وعن المقرين بأصول الإيمان إجمالاً المخالفين لفهم أهل السنة فى أصول كلية من أصول الاعتقاد عندهم كالأسماء والصفات والقدر والوعد والوعيد والصحابة مثل المعتزلة والخوارج والقدرية والصوفية وغيرهم قال أحدهم :

والصحيح فى هذا النوع من الخلاف أن اقوال هؤلاء البدعية أقوال كفرية، أما الروافض فما فى كتبهم كالكافى وغير كفر بلا نزاع، ولكن كثيرا منهم جل عوامهم لا يعرفون شيئاً عنها ولا عن غيرها وإنما هم مقلدون لأئمتهم فى الضلال ولا يثبت أن الحجة قامت على أعيانهم فى سب ابى بكر وعمر مثلاً.. [٣]

وكلام هذا الحنبلى قد تجاوز به حدود معتقد أهل السنة الذى لا يكفر أمثال هؤلاء المخالفون لهم فى الفهم كما يخالف كلام شيخه ابن تيمية الذى يعذر المخالف مادام يستند على دليل..

---

(١) انظر السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث أما هذا الهجوم فقد جاء فى منشور حنبلى بعنوان الاستهزاء بالدين واهله، وتأمل لغة هذا المتطرف التى لا تدل على أدب أو عقل رغم أن كلام الغزالى يوافق الفقهاء والمحققين من أهل السنة والظاهر أن هؤلاء أيضاً غير معتد بهم عند حنابلة العصر..

(٢) انظرعقيدة التوحيد لابن فوزان. وهى وقف لله تعالى..

(٣) انظر فقه الخلاف بين المسلمين ط القاهرة وكيف له ان يسمى هذا الاسم وهو يكفر المسلمين..

- وهو يؤكد لنا أن هؤلاء الحنابلة الذين ابتلى بهم الإسلام والمسلمين اليوم ليسوا إلا فرقة من الأغبياء المحرضين وعورة لهذا الدين..

وهذا هو حالهم

فرق متناحرة..

جماعات مكفرة..

عقول متخلفة..

وهم بهذا الحال يناوشون الشيعة ويقذفونها بالطوب بينما بيوتهم من زجاج..

■ ■ ■

3

أزمة النقل

قذائف الحنابلة

الحق والحقيقة
بين السنة
والشيعة

أصبح التراث الاسلامى مشاعاً لحنابلة العصر يغترفون منه بلا حساب أو ضوابط او خلق..

ويبدو أن هناك العديد من الجهات على مستوى الداخل والخارج تستفيد من هذا الوضع وتدعم هذه الهجمة الغوغائية على هذا التراث والتى كان من نتيجتها شيوع فكر التكفير والإرهاب فى واقع المسلمين..

لقد جسم لنا حنابلة العصر أزمة النقل من خلال ما ينقلونه من كتب التراث والكتب المعاصرة ويقذفون به الشيعة، تلك الأزمة التى سوف تظهر بوضوح من خلال استعراضنا للمنشورات التى يصدرونها ما بين الحين والآخر والتى يتحدثون فيها عن الشيعة بلغة استعلائية وكلما وضعوا أيديهم على عورة من عوراتهم إذدادوا فرحاً وابتهاجاً بما حصلوا عليه من الثواب هديه مباشرة من رب الأرباب..

وغفل هؤلاء أن لكل مذهب عورات، وان عوراتهم أشد وأنكى..

وكان من نتيجة تتبعهم لعورات الشيعة أن تتبع الشيعة عوراتهم وكشفوا أوجه الخلل فى عقائدهم وتصوراتهم..

ومثلما أصدروا كتباً تهاجم الشيعة، أصدر الشيعة كتباً تهاجم السنة، وهكذا أشعل هؤلاء الحنابلة نار الفتنه بين المسلمين، إلا أن ما يجب الإشارة إليه هنا هو أن كتابات الحنابلة المعاصرين تتميز بالسطحية والخلل فى النقل وتصدر عن أقلام متهورة مندفعه فاقدة لأدوات البحث العلمى..

هذا فى حين أن كتابات الشيعة تتميز بالموضوعية والدقة وتدل على الوعى والإلمام بالأطروحة السنية..[١]

والطريف ان هذه الكتابات الشيعية قد أسهمت فى دفع الكثير من الشباب نحو الشيعة وتحولهم عن مذهب أهل السنة..

ونتج عن هذا الوضع أن ظهرت العديد من الكتابات التى تحكى سيرة المتحولين من السنة الى الشيعة..[٢]

أما مايتعلق بأزمة النقل فقد نقل الدكتور البوطى عن الخمينى قوله: إن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب و لا نبى مرسل.. و قد ورد عنهم : أن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب و لا نبى مرسل، و مثل هذه المنزلة موجودة لفاطمة الزهراء..[٣]

و نقل أحدهم: أفرطت الشيعة فى تعظيم على بن أبى طالب و بقية أئمتهم الاثنى عشر وادعوا أن لهم من المنزلة ما لا يبلغه ملك مقرب ولا نبى مرسل، و ادعوا فيهم كذلك علم الغيب، والتلقى عن الله عز وجل مباشرة..[٤]

و نقل آخر: إن من أساسيات العقيدة الشيعية أنه لا يصل الى المكانة الروحية للأئمة لا ملك مقرب و لا نبى مرسل..[٥]

---

(١) من هذه الكتابات كتب الباحث مرتضى العسكرى مثل معالم المدرستين أى مدرسة الخلافة _ السنة- ومدرسة الإمامة- الشيعة. ومائة وخمسون صحابى مختلق. والقران فى روايات المدرستين. وعبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، وأحاديث أم المؤمنين عائشة وغيرها. انظر لنا دفاع عن الرسولﷺ ضد الفهاء والمحدثين وأهل السنة شعب الله المختار ومدافع الفقهاء..

(٢) نشرت مؤخرا العديد من هذه الكتابات منها : كتابات التيجانى التونسى التى هاجمها حنابلة العصر، وكتاب وركبت السفينة لمروان خليفات الاردنى، وكتاب لقد شيعنى الحسين لإدريس الحسينى المغربى وغيرها..

(٣) انظر السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامى ط دمشق..

(٤) منهج التلقى و الاستدلال بين أهل السنة و المبتدعة. سلسلة كتب المنتدى..

(٥) مبادئ عقدية بين السنة و الشيعة. و سوف نعرض لفكرة الإمامة عند الشيعة و رؤيتهم فى أئمة أهل البيت وما ينسب إليهم من الغلو فيهم..

و هذه النقول الثلاثة لنص واحد يبدو فيها الخلاف من ناقل لآخر، وهذا الأمر إن دل على شيء فإنما يدل أن احتمال التحريف فى النقل وارد وهو ما تشهد به النقول الثلاثة..

النقل الأول نسب الكلام الى الخمينى مباشرة ة ولم يشر الى المترجم واحتمال وقوع خطأ فى الترجمة..

والنقل الثانى نسب الكلام الى الشيعة وزاد عليه نسبة علم الغيب الى أئمة أهل البيت وتلقيهم عن الله مباشرة..

والنقل الثالث جعل هذا الكلام من أساسيات العقيدة الشيعية..

وما يجب ذكره هنا هو أن أحد الأساتذة المتخصصين فى اللغة الفارسية قد استوقفته الترجمات العشوائية لكتب الشيعة الصادرة باللغة الفارسية، ورد ترجمة كتاب الحكومة الإسلامية ونشر مقالاً أثبت فيه وقوع العديد من الأخطاء فى ترجمة هذا الكتاب بالذات قد أدت الى الانحراف بمقاصد كلام الخمينى..[1]

إلا ان مايجب قوله فى هذا المجال أن على الشيعة إعادة قراءة حركة أئمة أهل البيت وتاريخهم ودراسة شخصياتهم بمعزل عن الروايات التى تضعهم فى حالة خاصة وتضفى عليهم قداسة زائدة تتصادم مع قداسة الرسل والأنبياء وتنسب إليهم العديد من الخرافات..

وعلى الحنابلة أيضاً أن يكفوا عن تصيد أقوال ونصوص فقهاء الشيعة فأقوالهم ونصوصهم ليس بالضرورة أن تعبرعن حقيقة أهل البيت كما أن أقوال ونصوص المذاهب

---

(1) برزت حركة الترجمة لكتب الخمينى مع قيام الثورة الإسلامية فى إيران وظهور المد الشيعى على الساحة العالمية فى مقابل المد السنى الذى كان قد برز على الساحة الأفغانية، ومع قيام الحرب العراقية الإيرانية قويت حركة الترجمة و برزت العديد من الكتابات التى تطعن فى عقائد الشيعة. والذى تصدى للترجمة الخاطئةلكتاب الحكومة الإسلامية هوالدكتور الدسوقى شتا _ رحمه الله – وهو من الاساتذة المتخصصين فى اللغةوالادب الفارسى و نشر مقاله فى مجلة الكتاب التى تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب..

الأخرى مثل الأحناف أوالمالكية أوالشافعية أوالظاهرية أو الأشاعرة وغيرهم ليس بالضرورة أنها تعبر عن أهل السنة، وهم - أى الحنابلة - لا يعتدون بهذه المذاهب ويناصبونها العداء..

و يعد كتاب (الملل والنحل) للشهرستانى فى مقدمة المصادر التى يعتمد عليها خصوم الشيعة، فقد نقل عنه الكثير من الأفكار والمعتقدات المنسوبة إليها، كذلك العديد من الفرق مثل الكيسانية والسبئية والخطابية والباقرية والإسماعيلية و يبدو أن هناك شبه إجماع بين كتاب الفرق على نسبة أفكار ومعتقدات وفرق معينة للشيعة، فمن ثم نجد دائماً تشابهاً بين أطروحات كتب الفرق تجاه الشيعة وبدا وكأنها تنقل من بعضها..

وقد نقل الشهرستانى عن الكيسانية قولهم بفكرة الغيبة والرجعة بالإضافة الى بعض الأفكار الوثنية، وهى فرقة تنسب الى محمد بن الحنفية وإمامهم أبو هاشم ولده..

كذلك ذكر فرقة أبو سفيان الأموى المقتول فى الكوفة، وفرقة أبو سمعان التميمى الذى روج لفكرة قداسة الإمام وأن فيه جزء من الألوهية وأن وكيله فى منزله النبى..

وذكر أبو منصور العجلى المقتول عام ١٢١ هـ وكان من أتباع الإمام الباقر وهو الإمام الخامس عند الشيعة الإمامية _ الذى أعلن نفسه إماماً بعد وفاة الباقر وادعى أن النبوة لا تنقطع وأن علياً كان نبياً وكذلك الحسن والحسين وعلى بن الحسين ومحمد بن على الباقر الى أن تصل السلسلة إليه..

وذكر الشهرستانى أيضاً شخصية عبد الله بن معاوية الذى نسب إليه قوله : من عرف الإمام فليصنع ما يشاء، و قوله بتناسخ الأرواح وأن روح الله تناسخت فى آدم وانتقلت الى الأنبياء ثم الى الأئمة ثم انتقلت إليه..

وشخصية أبوالخطاب الأسدى الذى قتل عام ١٣٨ هـ و كان من المتلقين عن الإمام جعفر الصادق ثم ادعى النبوة و نسب الى الصادق علم الغيب، و قد تبرأ منه الصادق ولعنه..

والملفت أن كتب الفرق لم تقدم لنا الوثائق المعتمدة التى تؤكد نسبة هذه المقالات الى أصحابها، كما لا توجد بين أيدينا المصادر التى تؤكد وجود هذه الفرق والشخصيات والمقالات، فقط المصدر الوحيد لهذا كله هو كتب الفرق التى تتحدث عن الآخر بلغة أحادية لا تتسم بالعدل والإنصاف..

وتطلق كتب الفرق على الشيعة اسم الروافض، و هى تسمية غير مرتبطة باتجاه محدد وتطلق بصورة عشوائية..

وقد ذكر البغدادى فى كتابه (الفرق بين الفرق)

أن فرق الروافض تصل الى العشرين فرقة :

الزيدية ثلاث فرق..

والكيسانية فرقتان..

والإمامية خمس عشر فرقة..

وحدد البغدادى الإمامية فيما يلى : الكاملية و المحمدية و الباقرية و الناووسية والشميطية والعمارية والإسماعيلية والمباركية والموسوية والقطعية والاثنى عشرية والهشامية والوزارية واليونسية والشيطانية..

و نسب الى الإمامية المقالات التالية : تكفير الصحابة، إمامة على بن أبى طالب، تفضيل النار على الأرض، والقول بأن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين هو المهدى المنتظر، والقول بإمامة محمد الباقر بن على بن الحسين، كذلك القول بإمامة موسى بن جعفر وأنه المهدى، و القول بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، والقول بإمامة على بن موسى الرضا..

و نسب للهشامية قولها بالتجسيم والتشبيه، كذلك اليونسية..

أما الشيطانية، نسبة الى شيطان الطاق، فنسب إليهم ما نسب الى اليونسية..

و يبدو لنا مدى التخبط الذى وقع فيه البغدادى و هو يتحدث عن الإمامية ـ التى هى موضوع هذا الكتاب ـ حيث لم يثبت مصادر كلامه وبدا وكأنه قد كتب ما كتب على أساس السماع لا على أساس البحث والتوثيق..

و من جانب آخر نسب الى الإمامية القول بتكفير الصحابة وإمامة على بن أبى طالب الأمر الذى سوف نلقى الضوء عليه فيما سيأتى..

إلا أن الأمر الغريب هو القول بتفضيل النار على الأرض، و هو كلام لم يقل به أحد من المسلمين، فضلاً عن كونه كلام مرسل بلا سند..

كذلك القول بأن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين هو المهدى، كلام لا أساس له، إذ معتقد الشيعة الإمامية أن المهدى هو محمد بن الحسن العسكرى على ما سوف نبين..

و القول بإمامة الباقر و موسى بن جعفر و الرضا أمر متفق عليه بين الإمامية، أما القول بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر فقالت به الإسماعيلية التى لم تعترف بإمامة موسى بن جعفر واعترفت بشقيقه إسماعيل..

و يبدو التخبط بوضوح فى كلام البغدادى حين ذكر أن الإمامية خمس عشر فرقة من بينها الاثنى عشرية التى هى فى الأصل الإمامية التى تعتقد فى اثنى عشر إماماً من بعد الرسولﷺ من بينهم الإمام الباقر الذى نسب إليه الباقرية والإمام موسى الكاظم ـ الامم السابع- الذى نسب إليه الموسوية ولم يقل أحد من الشيعة بأنه المهدى المنتظر..

إن الخلل الواضح فى كتب الفرق يكمن فى ذلك الخلط بين الشيعة والفرق الأخرى، وبين أئمة الشيعة وغيرهم من الاتباع والمنشقين عليهم، ذلك الخلط الذى لا يمكن أن يكون غير متعمد..

و أمانة النقل من هذه الكتب تقتضى التمييز والتبين، إلا أن النقلة تحت ضغط العصبية والخصومة أغفلوا هذه الحقيقة..

ويبدو ان الكتابات الحنبلية المعاصرة الموجهه ضد الشيعة تدور فى عدة محاور هى :

- عبد الله بن سبأ..
- الشبهات العقدية..
- الروايات الشيعية..
- المتحولون..

أولاً: عبد الله بن سبأ .

إن القول الفصل فى أمر ابن سبأ ليس هو ما يتعلق بشخصة وكونه حقيقة أو خيال، فهذه قضية لا تعنينا أما ما يعنينا فهو ما نسب إليه من قول يتركز فيما يلى :

- القول بألوهية الامام على..
- القول بالوصية..
- القول بالرجعة..
- القول بإمامة على..

وفى منشور تحت عنوان : «الرواة الذين تأثروا بابن سبأ»..

جاء فيه ما يلى : وأهم البدع التى نادى بها ابن سبأ، القول بالوصية، وهو أول من قال بوصية رسول الله ﷺ لعلى، وأنه خليفته على أمته من بعده بالنص، وأول من أظهر البراءة من أعداء على بزعمه، وكاشف مخالفيه، وحكم بكفرهم، وأول من قال بألوهية على وربوبيته، وكان أول من ادعى النبوة من فرق الشيعة الغلاة، وكان أول من أحدث القول برجعة على الى الدنيا بعد موته ورجعة رسول الله ﷺ، وأول من ادعى أن علياً هو دابة الأرض، وأنه هو الذى خلق الخلق وبسط الرزق.. أ هـ..

وهذا الكلام المنسوب لابن سبأ هو مختلف عليه فى كتب الفرق والتواريخ، فالبعض ينسب بعض هذه المقالات له، والبعض ينسب القول بالألوهية لآخرين، والبعض ينسب إليه القول بإمامة على والرجعة... إلخ.

إلا أن الساعين لإثبات وجود شخصية ابن سبأ يتصورون أن هذه النتيجة هى مربط الفرس ولب القضية ومعول هدم التشيع، وبالتالى هم يعمون أبصارهم ويصمون آذانهم ويغلقون قلوبهم فى مواجهة ذلك الكم الهائل من النصوص القرآنية والنبوية التى يستند عليها الشيعة فى دعم عقائدهم وتصوراتهم والتى سوف نلقى الضوء على بعضها فيما سيأتى..

ومثل هذه النصوص التى يستند عليها الشيعة كافية لضرب ودحض هذه التصورات والأفكار البالية التى يلصقونها بهم عن طريق ابن سبأ، مثل القول بألوهية الامام على وأنه دابة الأرض وخالق الخلق وباسط الرزق..

نعم إن الشيعة تقول بالوصية والغيبة والرجعة والإمامة، لكن احداً من هؤلاء الحنابلة لم يكلف نفسه البحث : هل تقول الشيعة بألوهية الإمام على.. ؟

وإذا كانت هناك العديد من النصوص التى تشير الى الإمامة والوصية والرجعة فهل هذه النصوص من صنع ابن سبأ ؟

وهل المتمسك بها والمائل نحوها يعد من اتباعه ؟

وفى منشور : فكر الخوارج والشيعة فى ميزان أهل السنة والجماعة..

جاء ما يلى : إن التشيع لآل البيت وحبهم أمر طبيعى، وهو حب لا يفرق بين الآل ولا يغلو فيهم، ولا ينتقص أحداً من الصحابة، كما تفعل الفرق المنتسبه للتشيع، وقد نما الحب وزاد للآل بعدما جرى عليهم من المحن والالام، بدءاً من مقتل على ثم الحسين.. الخ، هذه الأحداث فجرت عواطف المسلمين، فدخل الحاقدون من هذا الباب، وذلك أن آراء ابن سبأ لم تجد الجو الملائم لتنمو وتنتشر إلا بعد تلك الاحداث.. لكن التشيع بمعنى عقيدة النص على على، والرجعة، والبداء، والغيبة، وعصمة الائمة... الخ فلا شك أنها عقائد ما أنزل الله بها من سلطان، ودخيله على المسلمين _ ترجع أصولها لعناصر مختلفة _ ذلك أنه قد ركب مطية التشيع كل من أرد الكيد للإسلام وأهله، وكل من احتال

ليعيش فى ظل عقيدته السابقة باسم الإسلام، من يهودى ونصرانى، ومجوسى وغيرهم، فدخل فى التشيع كثير من العقائد الفاسدة.. أ هـ..

وأمام هذا الكلام المبعثر نقول : الحمد لله أن صاحبه سمى كتابه فكر الخوارج والشيعة فى ميزان أهل السنة ولم يقل فى ميزان الإسلام وإلا زاد الطين بله، وإن كان المعتقد عند أمثال هؤلاء أن أهل السنة هم الإسلام، والإسلام هو أهل السنة..

وإذا كان هذا الحب لأهل البيت أمر طبيعى فلماذا نما عند طائفة من طوائف الأمة وزاد بعد المحن والآلام وتفجرت به عواطف المسلمين حسب تعبيره.. ؟

ولماذا لم يتجه هذا الحب والتعاطف نحو عمر وعثمان وقد قتلا كما قتل على والحسين.. ؟

وإذا كان قتلهم بغير حق فلماذا تعاطف معهم ووالاهم وأحبهم هذا القطاع من المسلمين.. ؟

ولماذا بقيت سيرتهم وشخصياتهم حيه وباقية فى نفوس المسلمين حتى اليوم..؟

وهل يمكن تصور أن اليهود والنصارى والمجوس هم الذين يقفون وراء هذا الحب والولاء والتعاطف لأهل البيت.. ؟

وهل موالاة أهل البيت وحبهم يضر الإسلام ويكيد له.. ؟

إن هذا يعنى أن النصوص الخاصة بأهل البيت التى جاءت فى القرآن وازدحمت بها كتب أهل السنة هى من صنع أعداء الاسلام..

إذن لماذا احتفظ أهل السنة بهذا الكم من النصوص المنسوبة للرسولﷺ المتعلقة بعلى وفاطمة والحسن والحسين.. ؟

وإذا ما جاء مسلم وانحاز لأهل البيت وكفر بخصومهم وقتلتهم هل يعد من السائرين على نهج ابن سبأ وأعداء الاسلام ؟

ثم إن الكاتب لم يجيبنا على سؤال هام وهو : إذا كان أهل البيت مثل الصحابة، بل أن الصحابة هم أعلى منهم فى مفهوم أهل السنة فلماذا جرى لهم ما جرى.. ؟

الا يدل ذلك على أن لهم قيمة ومكانة خاصة ودور خاص فى واقع الاسلام والمسلمين..

وإذا كان التشيع بزعم الكاتب قد دخل فيه كثير من العقائد الفاسدة، فما الذى يمنع أن التسنن قد دخلت فيه مثل هذه العقائد..؟

هل لكون التسنن عاش فى كنف الحكومات وتحت حمايتهم.. ؟

وجاء فى منشور : (جذور الشيعة وجيش المهدى)..

: بدأت الشيعة بأفراد يرون علياً أولى بالخلافة من عثمان، وأنه أحق الناس بالخلافة من بعده، وربما كانوا يطمعون فى خلافة على للنبىﷺ إلا أن مكانة الشيخين وحكمتهما فى إدارة شئون الدين والدنيا أخرست صوت هؤلاء، وبالتالى لم يجرؤ أحد فى هذه الآونه أن يفضل علياً على أبى بكر وعمر، ولم يكن ابن سبأ ليقدر وحده على إشعال الفتنة وتحريك جيوشها إلا إذا وضع لهم هدفاً دينياً يسعون لتنفيذه، فكان أن غالى فى شأن النبىﷺ حين نادى بالرجعة، ثم جعل علياً وصياً على الدين، كما كان يؤمن اليهود فى وصاية يوشع بن نون بعد وفاة موسى (ع)، وقد تنبه على الى خطورة ابن السوداء وأراد قتله، ويشهد على ذلك علماء الشيعة أنفسهم..

ثم استعرض الكاتب العديد من الروايات المتناثرة فى بعض مصادر الشيعة بعضها منسوب الى الامام جعفر الصادق والتى تؤكد وجود ابن سبأ وأنه ادعى الربوبية فى أمير المؤمنين على بن ابى طالب وأن الإمام على أحرقه بالنار، وأن الامام الصادق قال : إن قوماً يقولون فينا ما لا نقوله فى أنفسنا، نبرأ الى الله منهم..

ونقل عن كتاب ﴿تنقيح المقال فى علم الرجال﴾ قول الماقانى عن ابن سبأ : غالٍ ملعون..

ونقل ايضا عن كتاب (فرق الشيعة) للنوبختى..

وعن كتاب (الأنوار النعمانية) للجزائرى وغيرهم..

وقد بدأ الكاتب كلامه محدداً تاريخ بروز الشيعة فى عهد عثمان ببضعة أفراد، وغفل أن هناك العديد من الاقوال حول نشأة الشيعة وبروزهم غير هذا القول تكتظ بها مصادر أهل السنة..[1]

وبدا من خلال كلامه أن ما يقوله هو الثابت الذى لم يخالف فيه أحد..

وهذه اللغة تعلمها حنابلة العصر من إمامهم ابن تيمية الذى يطلق العبارات فى وجه الخصم موحياً للسامع أنها من المسلمات..

ثم اردف قائلاً : وربما كانوا يطمعون فى خلافه على للنبىﷺ.. ولست أدرى ما هو ميزان (ربما) هذه فى وسط كلام يتعلق بالحكم على الآخر بفساد معتقده واعوجاج سبيله.. ؟

هل يمكن أن يبنى عليها حكم.. ؟

ثم من هؤلاء الذين أخرستهم حكمه الشيخين.. ؟

هل هم من الصحابة أم من التابعين.. ؟

وهل حقا أنه لم ترتفع أية أصوات معارضة لسياسة الشيخين.. ؟

وماهو الموقف إذن من أولئك الصحابة الذين وقفوا الى جوار على وناصروه واستمروا الى جواره حتى قتل بعضهم فى صفين وعلى رأسهم عمار بن ياسر الذى تنبأ له الرسولﷺ بقتله على يد الفئة الباغية كما جاء فى كتب السنن..؟

ثم ما هذا الرجل الخارق للعادة الذى يحملونه وحدة مسؤولية إشعال هذه الفتن فى كل مكان ؟

---

(١) انظر فصل تسمية السنة وتسمية الشيعة..

ومن هم اتباعه، هل هم من التابعين، أم جميعهم من اليهود والنصارى والمجوس الذين أظهروا الإسلام..؟

إلا أن ما يعنينا هنا هو أن ما نقله هذا الحنبلى من كلام حول ابن سبأ من مصادر الشيعة إنما يؤكد أن الإمام على والإمام الصادق وفقهاء الشيعة رفضوا مقالة ابن سبأ وتبرأوا منه، ماهى المشكلة إذن ؟

ولماذا الإصرار على ربط الشيعة بأبن سبأ.. ؟

إن تلك الروايات والأقوال المتعلقة بابن سبأ فى مصادر الشيعة إنما تشكل دعماً لهم..

وحنابلة العصر يحاولون من خلال الإستشهاد بهذه الروايات والأقوال إثبات حقيقة ابن سبأ غير أنهم فى محاولاتهم هذه قد خدموا الشيعة واثبتوا أن مصادرهم تتبرأ منه ومن مقالته..

وقد استدل هذا الحنبلى بقول أحد العائدين الى رياض السنة المطهرة من الشيعة بزعمه، فقد سأل هذا المتحول المزعوم أحد فقهاء الشيعة عن ابن سبأ فأجاب : ان ابن سبأ خرافة وضعها الأمويون والعباسيون حقداً على آل البيت الاطهار، فينبغى للعاقل أن لا يشغل نفسه بهذه الشخصية..[1]

ثم اكتشف السائل أن لهذا الفقيه كتاب يقول فيه : أما عبد الله بن سبأ الذى يلصقونه بالشيعة، أو يلصقون الشيعة به، فهذه كتب الشيعة بأجمعها تعلن بلعنة والبراءة منه..[2]

وقال السائل : ولا شك ان هذا تصريح بوجود هذه الشخصية..

والسؤال هنا ماهو الهدف من سرد هذا الكلام..؟

هل هو إثبات حقيقة ابن سبأ من خلال مصادر الشيعة، أم اثبات تناقض هذا الفقيه الشيعى من خلال سرد هذه الحكاية.. ؟

(١) هو الشيخ كاشف الغطاء صاحب كتاب اصل الشيعة واصولها..

(٢) هو كتاب اصل الشيعة واصولها..

وعلى كل حال هذا السرد يدعم موقف الشيعة الرافض لابن سبأ ومقالته..

وما هو الفرق بين القول أن ابن سبأ خرافه، والقول أنه حقيقة مع لعنه والتبرؤ منه..؟

إن النتيجة هى واحدة..

وكتاب فرق الشيعة للنوبختى مثله مثل كتب الفرق الأخرى إلا أنه يمتاز عليها بقدر من الموضوعية إذ عرض لفرقه التى ينتمى الى مذهبها ولم يعتم عليها كما هو حال كتب الفرق التى كتبت بأقلام أهل السنة وعتمت على الفرق السنية..

والسؤال هنا : هل صدر من الجانب السنى مثلاً كتاباً يحمل عنوان : فرق السنة..؟

وقد نقل هذا الحنبلى عن النوبختى قوله عن السبئية :

السبئية قالوا بإمامه على، وأنها فرض من الله، وهم أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان ممن أظهر الطعن على أبى بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم، وقال إن علياً أمره بذلك..

وهذا الكلام يدل على موضوعية النوبختى والتزامه العدل فى القول إذ حكى هذه الحكاية عن ابن سبأ على الرغم من كونها تصطدم بمعتقده..

والطريف أن هذا الحنبلى قد نقل مقوله أخرى للنوبختى تنقض هذا الكلام السابق الذى نقله عنه وتؤكد براءة الشيعة من تهمه السبأية..

يقول النوبختى : إن الشائع عندنا أن عبد الله بن سبأ شخصية وهمية لا حقيقة لها، اخترعها أهل السنة من أجل الطعن بالشيعة ومعتقداتهم فنسبوا إليه تأسيس التشيع ليصدوا الناس عنهم، وعن مذهب أهل البيت..

وهكذا قدم لنا هذا الناقل الدليل على فقده القدره على التمييز والنقل الصحيح..

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو : لماذا لم تطرح فكرة ابن سبأ فى دائرة البحث العلمى حسب قواعد علم الرواية والدراية ما دامت هى بهذه الأهمية والخطورة.. ؟

والجواب إن أحداً لم يهتم بذلك من القدامى والمحدثين فقط كان اهتمامهم هو بعث هذه الفكرة المهلهلة وقذفها فى وجه الشيعة..

وليس معنى أنها رويت فى جميع مصادر الفكر وبعض كتب التاريخ وتبناها الفقهاء من خصوم الشيعة أنها صحيحة وثابته..

وليس معنى أنها رويت فى بعض مصادر الشيعة أنها ثابته وصحيحة عندهم، وكيف لمذهب أن يتبنى ما يدين معتقده.. ؟

والقاعدة التى يقوم عليها فقه الحديث عند الاتجاه الأصولى الغالب عند الشيعة تقوم على أساس عدم الاعتراف بأى رواية والجزم بصحتها فكل الروايات عندهم تخضع للقران والعقل حسب النص الوارد عن الامام الصادق وإن كان هناك تسيب من قبل البعض فى تطبيق هذه القاعدة..

أما أهل السنة فقد اهتموا بالروايات الواردة فى كتب السنن والمنسوبه للرسولﷺ، اهتموا بها من جانب السند فقط وأهملوا المتن وفى الوقت نفسه أهملوا الرواية التاريخية ولم يدققوا فى أمرها، وأدى هذا الأمر الى كثرة الخرافات فى كتب السنن..[1]

من هنا ازدحمت كتب الفرق والتاريخ والسير بالعديد من الروايات الموجهه ضد الآخر خاصة الشيعة وازدحمت أيضا بالعديد من الروايات التى أسهمت ولا زالت تسهم فى تشويه صورة الاسلام..[2]

وفكرة ابن سبأ إنما نبعت من كتب الفرق والتاريخ ولم تنبع من كتب الحديث عند أهل السنة..

---

(١) هذه الخرافات التى فى دائرة الأحاديث النبوية هى احاديث صحيحة فى منظور الفقهاء. وسوف نضرب امثلة لها فى الفصول القادمة .انظر لنا دفاع عن الرسول..

(٢) انظر الروايات المتعلقة بالغزوات التى اطلق عليها اسم الفتوحات بكتب التاريخ كمثال. وانظر لنا دماء واغلال..

واذا كان هذا هو حالها فلماذا تم التركيز عليها بهذه الصورة.. ؟

والجواب يتركز فى أمرين :

السياسة..

المذاهب..

وفى منشور : «توضيح النبأ عن مؤسس الشيعة عبد الله بن سبأ» أجهد الكاتب نفسه لإثبات وجود ابن سبأ من خلال مصادر السنة ومصادر الشيعة مؤكدا أن ابن سبأ هو مؤسس الشيعة حتى لجأ الى كتب المستشرقين..

وكما ذكرنا أن محاولة إثبات وجود شخص ابن سبأ لا تعنينا، لكن ما يعنينا هو ما نسب إليه من أقوال ومعتقدات..

وصاحب الكتاب المذكور قدم لنا خدمة كبيرة باعترافه أن حكاية ابن سبأ أثر من طريق سيف بن عمر المتهم بالوضع والكذب..

ونقل قول ابن حجر عنه : ضعيف الحديث عهدة فى التاريخ..

ثم علق على كلام ابن حجر قائلاً : والصحيح أنه متروك، ولكن قد اشتهرت ـ أى روايته عن ابن سبأ ـ اشتهاراً زائداً مستفيضاً، وكما ترى أعتمدها كثير من المؤرخين فى تواريخهم..

فهل شهرتها واستفاضتها وقبول المؤرخين لها تغنى عن النظرفى رجالها.. ؟

ويواصل قائلاً : قد ذهب جماعة من أئمة الأصول والحديث الى أن الحديث إذا قبله أهل العلم فإنه يعمل به ولو كان فى سنده ضعف..

ونقل عن ابن حجر فى النكت ج١/٤٩٤ ـ ٤٩٥. حول حديث يقول : لا وصية لوارث : لا يثبته أهل العلم بالحديث ولكن العامة تلقته بالقبول وعملوا به حتى جعلوه ناسخاً لآية الوصية للوارث، فإن لم تثبت هذه القصة التى نقلها سيف بن عمر وشهرت من طريقه، فقد تقدمت لك عدة آثار بأسانيد مسلسلة بالثقات الأثبات تثبت وجود عبد الله بن سبأ

اليهودى وطائفة السبئية المارقة، فخبث عبد الله بن سبأ وأتباعه المتقدمين والمتأخرين بين ويثبته الواقع الذى تعايشه بعض المناطق الاسلامية الآن، فإيران أكبر مثال يشهد بوجود السبئية وشيخنا الوادعى يقول : بأن الخمينى من أتباع عبد الله بن سبأ اليهودى.. أ هـ..

ويؤكد لنا هذا الحنبلى من خلال كلامه أن شخصية ابن سبأ مشكوك فيها عندهم، وانه لا سبيل لإثبات وجودها إلا عن طريق الأسانيد المسلسلة بالثقات بالإضافة الى مصادر الشيعة التى اعترفت بوجود هذه الشخصية..

وهو يقصد بالأسانيد سلسلة الرجال المعتمدين فى عالم الرواية عندهم، وقد سرد العديد من الأسانيد البعيدة عن سيف بن عمر والتى صححها فقهاء الرجال عند السنة، كما سرد بعض الأسانيد التى ضعفوها وتوقف أمام أحدها وقال متفاخراً :

وقد بينت ضعف هذا الأثر، إشارة الى ضعف آثار أخرى تركتها لضعفها عندى، وذلك حتى يعلم أهل الأهواء أن أهل السنة لا ينصرون أنفسهم بالأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة بل يقولون بالثابت بالأسانيد الصحيحة ويعتقدونه، فلذلك كانوا هم أهل الحق، بخلاف أهل الاهواء والبدع فيذكرون ما وافق أهواءهم حتى وإن كان ذلك النص فى غاية الضعف..

وقد نسى هذا الحنبلى أنه قد استشهد من قبل بحديث ضعيف كان سلاحا ضده، بالاضافة الى استشهاده ببعض القصص والحكايات المختلقة ومنها قصة الجنى..[1]

وهو بهذا يستحق أن يحشر فى زمرة أهل الأهواء والبدع وقد منح نفسه تأشيرة الدخول الى عالمهم..

وقدم لنا البرهان القاطع على أن مذاهبهم ومعتقداتهم إنما تقوم على الرجال لا على النصوص، بحيث أن المقولة إذا اشتهرت بين رجالهم وتلقوها بالقبول ورددوها فإن هذا

---

(١) انظر الفصل السابق..

يعنى وجوب العمل بها ولو كانت مخالفة للقرآن، كما أشار فى الرواية المزعومة لا وصية لوارث التى جعلها رجالهم ناسخة لآية الوصية فى القرآن..

أما الشيعة ـ وإن كانت حكاية ابن سبأ قد وردت فى مصادرهم ـ فهم لا يعتقدون بصحة جميع الروايات عندهم، ويعتقدون بوجوب إخضاع الرواية للقرآن والعقل، فالعقل هو أحد مصادر التشريع عندهم، وليس هو منبوذ ومجرم كما هو الحال عند أهل السنة..

ثم إن جميع المصادر الشيعية التى ذكرت ابن سبأ لم تقر مقالته بألوهية على ودعوى النبوة ونقصان القرآن، أما القضايا الأخرى التى نسبوها لابن سبأ مثل الغيبة والرجعة والأمامة وتفضيل الإمام على على الصحابة فهى معتقدات شيعية الأصل ولها أدلتها وأسانيدها عندهم، وقد ألصقها خصوم الشيعة به مع المقالات الأخرى حتى يسهل ضرب هذه القضايا..

إلا أن الحقيقة الواقعة هى أن الشيعة استمروا عبر القرون الطويلة يعتقدون بإمامه أهل البيت والرجعة والغيبة، وهذا ما أثار صاحبنا الحنبلى ودفعه الى الهجوم على ما أسماه بعض المناطق الاسلامية التى تعتنق التشيع وعلى رأسها إيران التى اعتبرها أكبر مثال على وجود السبئية فى هذا العصر، وقد أكد هذا الكلام بمقولة شيخه الوادعى الهالك بأن الخمينى من اتباع عبد الله بن سبأ اليهودى..[١]

ويعد قول الشيخ عند هذا الحنبلى وحنابلة العصر هو القول الفصل كما هو حال أقوال ابن تيمية، وهكذا يقدم لنا حنابلة العصر الدليل وراء الدليل على عبادتهم للرجال وعيشهم بعقل الماضى..

---

(١) انظر الإلحاد الخمينى فى ارض الحرمين وقد كتب هذا الكتاب وغيره فى حادثة الاعتداء على الحجاج الإيرانيين فى موسم الحج عام ١٩٨٧م..

ثم يواصل كلامه عن ابن سبأ بقوله :

إن هذا اليهودى المتزعم النصح لأهل البيت والمحبة لهم مع عمله جاهداً على فرقة المسلمين وشق عصاهم ما اكتفى بهذا، بل عمل جاهداً على نشر عقائدة التى استمدها من اليهودية وغيرها، وأراد من خلالها إحلال الفتنه المستمرة بين المسلمين دينياً وسياسياً، فقام بنشر عقائده وإظهارها والمجاهرة بها، (وتطايرت دعاوى هذا الرجل ومبتدعاته فى كل جانب ورن صداها فى أركان المملكة الاسلامية رنيناً مزعجاً)..

وهذا الكلام يؤكد ما أشرنا إليه سابقاً من أن القوم ينظرون لابن سبأ على أنه شخصية (سوبر مان) فقد تطايرت دعوته هنا وهناك ورن صداها فى كل مكان ببساطه ودون معوقات..

وهم بهذا التصوير يتهمون الأمة بالغفلة والتقاعس عن دفع بدع ابن سبأ عن الدين..

إلا أن هذا التصور يشير الى حقيقة هامة وهى أن الأمة قد استقبلت مفهوم الإمامة والولاء لأهل البيت بالترحاب والقبول وهذا هو التفسير الوحيد لهذا الانتشار والشيوع..

ولو كانت فكرة الإمامة وحب أهل البيت فكرة مستهجنة وليست لها جذور ضاربة فى عمق هذا الدين ما كسبت هذا التعاطف وما استمرت باقية ومتأصلة فى وجدان المسلمين حتى اليوم..

لكن حنابلة العصر يعتبرون هذا الحب والولاء صورة من صور الغلو الذى اخترعه ابن سبأ..

والسبب فى ذلك يعود الى أن هذا الحب والولاء ينعكس بالسلب على الرجال الذين يقوم عليهم مذهبهم ومعتقداتهم وعلى رأس هؤلاء الرجال الصحابة..

من هنا نسبوا لابن سبأ والشيعة القول بسب الصحابة ولعنهم وتكفيرهم والأمر فى حقيقته لا يخرج عن كونه موقف من الذين خاصموا أهل البيت وناصبوهم العداء سواء كانوا من الصحابة أو من التابعين أو من غيرهم ذلك الموقف الذى تطور فيما بعد عند

الشيعة نتيجة الضغوط والإرهاب وصور البطش والتنكيل ليتحول الى تلك الصورة العدائية الشديدة لبعض الصحابة وبعض التابعين والحكام الذين تحالف معهم فقهاء أهل السنة وقاموا بتحريضهم على الشيعة وغيرهم من الخصوم..

من هنا فإن المسئولية فيما يتعلق بموقف الشيعة من الصحابة تقع على أهل السنة الذين تحالفوا مع الحكام ضدهم وحال تعصبهم دون قبول الشيعة والآخر عموماً..

وقول الحنبلى أن ابن سبأ عمل جاهداً على فرقة المسلمين وشق عصاهم فيه غفلة شديدة، إذ أن الفرقة سنة ثابته فى جميع الأمم والأديان، وقد وقع فيها المسلمون كما وقع فيها غيرهم من الأمم السابقة وتحميل ابن سبأ مسئولية فرقة المسلمين هو تصور نابع من تلك النظرة المبالغ فيها له..

وهل يستطيع هذا الحنبلى أن يجيبنا لماذا تفرق أهل السنة وابن سبأ بعيد عنهم.. ؟

ولماذا تفرق حنابلة العصر - وهو يمثل فرقة من فرقهم - الى فرق متناحرة تكفر بعضها بعضاً وتلعن بعضها بعضاً، وتسب بعضها بعضاً وهم أهل الحق بزعمه.. ؟

وما بين القوسين هو كلام منقول من كتاب للقصيمى الهالك تدرع به صاحبنا فزاد الطين بله..[1]

ولقد فات هؤلاء الحنابلة أن تمكن حالة الحب والولاء لأهل البيت فى نفوس المسلمين سوف ينتج بالطبع حالة من العداء والمخاصمة والتنقيص من قدر اعدائهم حتى ولو كانوا من المنتسبين للصحابة، وهذا هو ما لم يحتمله الحنابلة وأهل السنة جميعاً من شيعة أهل البيت على مر الزمان..

من هنا برزت هذه الحرب بين السنة والشيعة التى دارت فى محيط الرجال ولم تدر فى محيط النصوص، ولعبت فيها السياسة دوراً بارزاً أدى الى تفريق المسلمين وزرع العداوة والبغضاء بينهم..

---

(١) هو كتاب الصراع بين الإسلام والوثنية..

إن حنابلة العصر يحاولون تلقين المسلمين أن فكرة أهل البيت ومحبتهم والولاء لهم هى من صنع ابن سبأ، وقد وقعوا فى حيرة أمام ذلك الكم الهائل من النصوص النبوية الصحيحة التى تكتظ بها كتبهم ـ وهى ليست من اختراع ابن سبأ طبعاً ـ والتى تتعلق بأهل البيت ولم يجد فقهائهم سبيلا لمواجهتها سوى العمل على تضعيف بعضها أما ما سلموا بصحته فقد قاموا بتأويله ليخدم مذهبهم ومعتقدهم، ثم إنهم سعوا لفرض هذا التأويل على الأمة..

والشيعة لا تقبل هذا التأويل كما لم تقبله اتجاهات أخرى مثل المعتزلة وعناصر من أهل السنة، لم يقبلوا التنقيص من قدر أهل البيت والغلو فى الصحابة..

والأزمة تكمن فى أن الحنابلة القدامى والمعاصرين اعتبروا تأويلاتهم ورواياتهم التى غالوا فيها ديناً واعتبروا المخالفين لهم من الشيعة وغيرهم من المبتدعه والزنادقة والسبأية وغير ذلك من المسميات التى ابتدعوها لضرب خصومهم وتشويههم..

ثانيا: الشبهات العقدية

ولنبدأ بمنشور لأحد الحنابلة المعاصرين تحت عنوان : بشرى للشيعة..

وعلى غلاف هذا المنشور وضع آية من القرآن تقول : ﴿ويل لكل أفاك أثيم. يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم﴾ *«الجاثية:٧ـ٨»*

ووضع هذه الآية على غلاف المنشور يعنى حسم الأمر بداية وخروج الكاتب عن حدود الأدب والموضوعية والتجرد وحسن الخلق وغير ذلك من الأمور التى لا يعرفها حنابلة العصر ولا يتقيدون بها فى مواجهة خصومهم خاصة الشيعة المستحلون فى منظورهم..

ومن العجيب أن أحدهم أصدر منشورا مؤخراً تحت عنوان : فن الحوار، أصوله وآدابه حدد فيه صفات المحاور وذكر منها : حسن الخلق والرحمة بالخصم والصدق والرجوع الى النص والتجرد فى الحوار..

ويبدو ان الكاتب قد ضاق بحال حنابلة العصر فأصدر كتابه هذا ينصحهم فيه بالعودة الى الصراط المستقيم.[1]

ويظهر لنا أن صاحب بشرى للشيعة يتكلم بلغة الواثق المحيط بالأمر المالك لأدواته وهى لغة الحنابلة على الدوام..

يقول فى افتتاحيته تحت عنوان : رسالة الى أعمى :

أيها المبصر الأعمى تدبر ما سأقوله فى هذا الكتاب، وتحقق منه بنفسك، من كتب مذهبك.. إنها فرصة ثمينة فلا تفوتها على نفسك، واقرأ هذا الكتاب عله ينير بصيرتك فتعود تبصر..

ونحن سوف نأخذ بنصيحة هذا الحنبلى ونتدبر ما يقول لنتحقق إن كان ما يقوله حقاً أم كذباً وضلالاً..

يحدد هذا المدعى فى مقدمة منشوره أنه كتبه دفاعا عن دين الله، وعن رسول الله، وعن آل بيته، وعن الصحابة، بعد أن رأى تجرأ أحفاد أبى لؤلؤة المجوسى وأبناء ابن سبأ على اتهام الصحابة بأبشع التهم وأخذت أصواتهم تعلوا بذلك وتتعق بعد أن ضربت الذلة عليهم أراهم الآن يجهرون بمعتقداتهم الكفرية والشركية، وليس ذلك فحسب بل ويجرون خلفهم قطيع من الانعام على هيئة بشر ممن قال الله فيهم : ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾ «الأعراف/١٧٩»

وإنى أعلم بأن هؤلاء المغيبين عن الإدراك والذين يسيرون بغير وعى خلف علمائهم ﴿الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾ البقرة/١٦

فهؤلاء العوام هم من أعنيهم بكتابتى لهذا الكتاب وآمل أن يصحوا ويعوا وينظروا الى أين تجرهم خطاهم، إلى رحمة من الله ورضوان ؟

---

(١) هذا المنشور هو من اصدار نفس الدار التى اصدرت منشور بشرى للشيعة..

أم لغضب الله وسخطه ؟

ونكتفى بهذا القدر من القذائف التى أطلقها هذا الحنبلى دون وعى، وأقل ما تدل عليه وترشد عنه هو جهله وتعصبه وغروره..

ومثل هذا الكلام الانفعالى إنما يدل على حسرة وألم وغل كامن فى نفسه تجاه الشيعة الأمر الذى يستوجب عليه سرعة اللجوء الى طبيب نفسى قبل أن ينفجر من الغيظ..

والمتأمل فى هذا الكلام يجد ببساطة جواباً سريعاً على السؤال الذى تحير أمامه البعض وهو : ما هو الدافع العقدى الذى يدفع بأولئك الشباب السنى الى القيام بهذه العمليات الانتحارية ضد المدنيين الشيعة فى العراق وغيرها..؟

وماهى دوافع جماعة جند الصحابة التى تغير على مساجد الشيعة فى باكستان فتحرقها وتفجرها بمن فيها من المصلين..؟

ان لغة هذا الحنبلى المتطرف يسرت لنا الإجابة على هذا السؤال..

وهو قد وضع نفسه فى موضع حامى الحمى الذى يزود عن هذا الدين، ويدافع عن الرسول ﷺ وأهل البيت والصحابة، فى حين أن كتابه هذا لم ينل رضا أئمته من رموز الوهابية، فهو لم يكتب أحد من كبراءهم له مقدمة أو تقريظ كحال الكتب الأخرى الموجهه نحو الشيعة..

ولست أدرى ما السبب فى ذلك.. ؟

هل هو عدم الرضا عن هذا الكتاب.. ؟

أم أن كاتبه من كبراء الحنابلة فليس هو بحاجة الى مباركة أحد منهم.. ؟

وكان الأجدر به أن يكتب لنا ولو بصورة موجزة جانب من سيرته ومكانته العلمية وميزانه عند قومه..

إلا أن هذه الاقلام على ما تبين لى أكثرها وهمية ومستعاره من بلاد شتى، وليس هذا يعنينا فى شيء..

وقال بعد أن دعا الله سبحانه أن لا يجرى قلمه بغير الحق : فقد اتخذ الشيعة الاثنى عشريه - كما يحبون أن يسموا أنفسهم - هؤلاء الأئمة ستاراً، وأخذوا يروجون ويفترون ويكذبون باسم هؤلاء الأئمة، فادعوا عصمتهم، وراحوا يشركونهم فى أسماء الله وفى صفاته، فصاروا هم الرازقين، وهم المانعين، وهم الضارين، وهم النافعين، وهم الذين يتوكل عليهم المتوكلون حتى لم يبق لله شيء يختص به عن خلقه..

ثم ذكر بعض فضائل أئمة أهل البيت عند أهل السنة وهو يريد بهذا أن يثبت مكانتهم وأنهم رووا عن الصحابة والتابعين فمن ثم ليس هناك ما يميزهم عن غيرهم، وما يقوله الشيعة عنهم هو كذب وافتراء، وما ينسبونه إليهم زور وبهتان..

وقد أكد لنا بكلامه هذا أن الله سبحانه أجرى قلمه بالباطل والجهل فهو قد تصيد بعض المعلومات الضئيلة عن أئمة أهل البيت فى حدود صفحتين من كتاب (آل الرسول وأوليائه) مع اختصار لما فيه وهذا يضعه بين أمرين :

الأول : جهله بالمصادر التى تؤرخ لحياة وسيرة أئمة اهل البيت وهى كثيرة وبعضها من تدوين رموز حنبلية مثل (سير أعلام النبلاء) للذهبى و(البداية والنهاية) لابن كثير..

الثانى : قلة أمانته وكسله وتربصه بالشيعة الذى أعماه عن الوصول الى أمهات المصادر..

وكلا الأمرين يقودان الى أزمة النقل التى تؤكد لنا أن حنابلة العصر هم مجرد مرددين لأقوال وكتابات الغير دون تعقل أو تدبر ويظهر هذا بوضوح من خلال جهلهم بمصادر الشيعة أو حتى مصادرهم وعدم اطلاعهم عليها والذى سوف نبينه فيما بعد..[1]

---

(١) انظر فصل أهل البيت..

وتحت عنوان أفكار ومعتقدات الشيعة وضع قوله تعالى :

﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ يوسف/١٠٦..

وتحدث عن البداء ناسباً الى الشيعة اتهام الله تعالى بالقصور والنقص تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً..

وقضية البداء سوف يتم تناولها وتحديد موقف الشيعة منها فيما بعد..

ثم تحدث بعد ذلك عن أركان الإسلام عند الشيعة على أساس رواية تقول : عن أبى جعفر «عليه السلام» قال : بنى الإسلام على خمس : على الصلاة والزكاه والصوم والحج والولاية..

ولم يناد بشىء كما نودى بالولاية..

وقد أوردها بنصها وفيها جملة عليه السلام..

وقال مجتهداً : فقد بنى إسلامهم على باطل، لأنه لم يكن لذكر «شهادة ان لا اله الا الله محمد رسول الله» مكان فيها، إلا إذا كانوا يشكون فى صحتها أصلاً..

ومثل هذا الكلام إنما يكشف لنا مدى غفلة هذا الكاتب وجمود عقله..

إذ أن الحديث ينص فى مصادر السنة على ما يلى : بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا اله إلا الله محمد رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاه وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلاً..

والحديث كما هو واضح من خلال مصادر السنة والشيعة يبدأ بقوله : بنى الاسلام، أى أن هذه الأمور بمثابة أعمدة يعلوها الاسلام وما معنى الاسلام سوى الشهادتين..

ولماذا لا نتوقع أن الرواة حذفوا الولاية من الرواية ووضعوا مكانها الشهادتين..

وهل الاسلام لا يحوى إلا هذه الأمور التعبدية الأربعة..؟

وتبنى مثل هذه الرواية بمثل هذا المفهوم القاصر يعنى تبنى الجانب التعبدى دون جانب التشريع والمعاملات..

وما قيمة الأديان دون تشريع ومعاملات.. ؟

وكأن قول الرسولﷺ : من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فله ما لنا وعليه ما علينا، لا يصح لكونه لم يذكر الشهادتين، ومثل هذا الفهم هو فهم قاصر للنصوص التى هى موجهة فى الأصل للمسلمين الموحدين..

اما مسألة الولاية عند الشيعة فهى جزء هام من الاعتقاد الذى يقوم على الولاء والبراء..

الولاء لأهل البيت الذين هم واجهة الاسلام والناطقين بلسانه من بعد الرسولﷺ..

والبراء من أعدائهم الذين هم أعداء الاسلام..

وحنابلة العصر يؤمنون بالتولى والتبرى ولكن فى محيط مذهبهم وعقائدهم..

الولاء عندهم لأئمتهم ولفرقتهم..

والبراء من خصومهم من المذاهب والفرق الأخرى..[1]

وهل موالاة أهل البيت وأتباعهم تعد نقيصه وضلالة..؟

أم أن اتباع الحكام الذين جعلهم أهل السنة أئمة هو الهداية والاستقامة..؟

أم اتباع وموالاة الرجال من الفقهاء والرواة والمحدثين الذين أسسوا نهج اهل السنة هى الولاية الحقة.. ؟

وهل الإسلام حكراً على أهل السنة.. ؟

أما نسبة الألوهية وعلم الغيب لأئمة أهل البيت من قبل الشيعة فهو أمر أشارت إليه بعض الروايات التى يرفضها الإتجاه الأصولى ويتبناها الإتجاه الاخبارى الذى وفر لحنابلة العصر المادة الخصبة للهجوم على الشيعة والتشكيك فى معتقداتهم..

---

(١) انظر الولاء والبراء لعبد الرحمن عبد الخالق..

وقضية العصمة التى أمسك بها هذا الحنبلى وتصور أنه قد وجه للشيعة الضربة القاضية، هى قضية مسلم بها عندهم بها ولا ينكروها على ما سوف نبين..

إلا أن هذا وأمثالة لا تصل عقولهم الجامدة الى فهم مثل هذه القضايا التى تحتاج الى أصحاب العقول الراشدة والقلوب الواعية الذين يضعون أهل البيت فى موضعهم الشرعى الصحيح..

وتحتاج أيضا الى قدر من التقوى وصفاء النفس والعلو الروحانى وهو ما يفتقده بالطبع حنابلة العصر الذين لا يقدسون أحداً ولا يعترفون بقيمة أحد غير رجالهم وأئمتهم من الحشوية..

وتحت عنوان (الشيعة وفرقها) وضع قوله تعالى :

﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء﴾ الأنعام/١٥٩

ثم تحدث عن كذب الشيعة الذى يبين مدى ابتعادهم عن طريق الحق واتباعهم الهوى الذى يكب الناس فى جهنم على وجوههم حسب تعبيره..

يقول ومن هذه الأكاذيب ادعاؤهم النص فى توليه علىُ من قبل الرسولﷺ..

والنص على الحسن من قبل على، والنص على الحسين من قبل الحسن..

وهكذا الى المعصوم المعتصم فى السرداب..

ثم تساءل : كيف ينص الرسول على إمامه على ويبايع الناس أبا بكر ثم عمر ثم عثمان.. ؟

ثم كيف ينص على على الحسن وبعضهم يتبعه، وبعضهم يذهب الى محمد بن الحنفية..؟

وقضية الوصية من قبل الرسولﷺ للإمام على هى من المسلمات عند الشيعة، والتسليم بها يعنى التسليم بالوصية لبقية ائمة أهل البيت وهى قضية لها ما يؤكدها من النصوص القرانية والنبوية فى مصادر السنة والشيعة..

غير ان هذا الحنبلى وأمثاله لا يعتدون بالنصوص التى لا تخدم مذهبهم ومعتقداتهم وإن سلموا بها يقومون بتأويلها بما يخدم توجهاتهم فى الوقت الذى لا يعترفون فيه بتأويلات وطرق واستدلالات الآخرين..

وكأن النص حكراً عليهم وتأويلاتهم مدعومة من السماء، بينما هى فى الحقيقة مدعومة من الرجال..

وسوف يجد القارىء فى الفصول القادمة من الكتاب تفصيل هذه الشبهات التى أثارها ويثيرها غيره من حنابلة العصر، فمن الملاحظ أن قذائف الحنابلة الموجهه للشيعة جميعها متشابهة ومكرره ومنقولة من بعضها..[1]

فكل المنشورات الحنبلية التى أغرقوا بها الأسواق بأقل الاثمان تركز على قضايا واحدة على رأسها قضية ابن سبأ والقول بألوهية أئمة أهل البيت ونسبه علم الغيب إليهم، والقول بالغيبة والعصمة والرجعة والبداء وسب الصحابة والقول بتحريف القرآن ونكاح المتعة بالإضافة الى ما تحويه من صور السب واللعن لرموز الشيعة..

والكتابة فى حقيقتها إنما تعبر عن موقف ورؤية تعكس شخصية كاتبها، أما النقل فلا يدل على موقف ولا يشير الى رؤية، وبالتالى فهو لا يدل على وجود شخصية للكاتب..

وهذا هو حال حنابلة العصر مجرد إمعات يسيرون حسبما يوجهوا من سادتهم وكبراءهم يتكلمون بلسانهم وينقلون كتاباتهم ويحشون جيوبهم من أموالهم..

من هنا فقد سقطوا فى متاهة النقل فضعف برهانهم وسقطت حجتهم حيث أن الكاتب يمكنه البرهنة بقوة على ما يتبنى من رؤية ومواقف، أما الناقل فهو مستقبل ومسلم بما ينقل خاصة إذا كان من الحنابلة الذين يعطلون العقل ويجرمون أصحابه، وحينما يحاول الحنابلة اللجوء الى الاستنتاج العقلى فإن محاولاتهم تكون ساذجة ومضحكة..

---

(١) انظر فصل شبهات عقدية..

ويتجلى لنا المثال على ذلك في تلك التساؤلات التى أثارها هذا الحنبلى ومنها :

أما آن لك أيها الشيعى أن تفيق من نومك وتصحوا.. ؟

أما تزال ترى أنك على حق وهدى..؟

ألم تشعر بأن كل ما تفعله يتصادم مع ما جاء به كتاب الله.. ؟

كيف ينص الرسولﷺ على إمامه على ويبايع الناس أبا بكر ثم عمر ثم عثمان..؟

كيف ينص عليٌ على الحسن وبعضهم يتبعه وبعضهم يذهب الى ابن الحنفية..؟

ومثل هذه التساؤلات إنما تؤكد أن هذه الحنبلى وأمثاله ممن يكذبون الكذبة ثم يصدقونها، فأهل السنة وهؤلاء قد صدقوا أنفسهم أنهم الأوصياء على هذا الدين وجماعة الحق الناطقة بلسانه والفرقة الناجية من النار، والجميع سواهم نائم غافل على باطل وضلال وكل ما يفعلونه إنما يتصادم مع كتاب الله وسنة رسولهﷺ..

ونسوا أن شيوعهم وانتشارهم وكثرتهم إنما بفضل الحكام الذين تبنوهم ودعموهم طوال التاريخ ونكلوا وبطشوا بالإتجاهات الأخرى وأفسحوا لهم الطريق بلا منافس، ومع مرور الزمن وشعورهم الدائم بالأمن والإستقرار واختفاء المذاهب والإتجاهات الأخرى ظنوا أنهم هم الدين، والدين هم..

وانطبق عليهم قوله تعالى : ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾.. البقرة/١٧.

ثم إن هذا الحنبلى قد حكم على الشيعة بالشرك على أساس ما نسب اليهم من القول بتأليه أئمة أهل البيت وجعلهم أنداداً لله سبحانه..

فهو قد كذب هذه الكذبة على الشيعة وصدقها واستحضر العديد من النصوص القرانية الخاصة بالشرك والمشركين وقذفهم بها..

منها قوله تعالى : ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ يوسف/١٠٦.

وقوله : ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنه ومأواه النار﴾ المائدة/٧٢

وقوله : ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ الزمر/٣..

وغيرها من النصوص..

ومسألة التلاعب بنصوص القران مسألة قديمه استخدمها أهل السنة والحنابلة خاصة في مواجهة خصومهم، غير أن الحنابلة أوغلوا في استخدام الرواية أكثر من القرآن..

واستخدام مثل هذه النصوص في مواجهة الشيعة دليل جهل لا دليل علم، وهو نابع من ذلك التصور الذي تشبع به حنابلة العصر عن الشرك والذي ورثوه عن الوهابية وأدى بهم الى الحكم بالشرك على جميع المسلمين المخالفين لهم..

وكيف له أن يقول أن كل ما يفعله الشيعة يتصادم مع كتاب الله.. ؟

وهل ما يفعله أهل السنة لا يتصادم مع كتاب الله..؟

وهل كتاب الله ونصوصه وتفسيراتها حكرا على حنابلة العصر..؟

ويأتي تساؤله : كيف ينص الرسولﷺ على إمامه علي ويبايع الناس أبا بكر ثم عمر ثم عثمان..؟

وكيف ينص علي على الحسن وبعضهم يتبعه وبعضهم اتبع ابن الحنفية.. ؟

تأتي لتؤكد لنا أن مجال الاستدلال العقلي ليس هومجال أولئك الحنابلة الجهلاء المعادين للعقل..

وهل مبايعة الناس للخلفاء الثلاثة دليل على عدم وجود النص.. ؟

ومنذ متى كانت مواقف الناس حكما على النصوص.. ؟

وهل حقاً أن الناس بايعوا الخلفاء الثلاثة..؟

ومن يقصد الناس، هل هم الصحابة ؟

واذا كان بعض الناس - حسب تصوره - قد انشقوا على الحسن واتجهوا نحو ابن الحنفية فهل يقدح هذا فى إمامته.. ؟

ومحاولة الاستدلال بهذه الصورة قد أوقعت هذا الحنبلى بين أمرين يدلان على جهله وتناقضه :

الأول : اتخاذ حكم الأغلبية من الناس مقياساً فى الوقت الذى يرفض فيه حنابلة العصر الديمقراطية ويعتبرونها ليست من الاسلام..[1]

الثانى : استدلاله بروايات تاريخية ليست محل تسليم الخصم، وفى مقدمتها الروايات التى تتعلق بإضفاء المشروعية على الخلفاء الثلاثة وحكوماتهم، والروايات التى تتعلق بحركة الإمام الحسن وابن الحنفية..

وهى الروايات التى يتسلح بها أهل السنة فى مواجهة الشيعة..

وحول تفرق الشيعة قال : وهكذا تفرق وانشقاق وتشتت من أول إمام نص عليه والناس يتناثرون كل يتبع هواه ويختار إمامه ويدعى النص عليه حتى بلغ عدد فرق الشيعة الذين يدعون اتباع أهل البيت ما يتجاوز التسعين فرقة أو يزيدون، فمن تلك الفرق من بقى الى اليوم، ومنها ما اندثر وطوته صفحات التاريخ، وسنذكر بعض تلك الفرق ولمحة بسيطة عنها، لتعلم هل الشيعة فرقوا دينهم وكانوا شيعاً أم لا..؟

ثم ذكر الكيسانية والغالية والروانديه والبطحية والجاروديه والسبابية والاسماعيلية والزيديه والسبئية والمفضلية والسريغية والبزيعيه والكامليه والمغيريه والجناحية والبيانية والمنصورية والغمامية والامامية والتفويضيه والخطابية والمعمرية والغرابية والذبابية والذمية والنصيرية والاسحاقية والعلبانية والرازمية والمقنعية والحسنية والنفسيه والحكمية والسالمية والشيطانية والزرارية والبدائية والمفوضه واليونسية والباقرية والحاضرية والناووسية والعمارية والمباركية والباطنية والقرامطة والشميطية والميمونية

---

(١) انظر حقيقة الديمقراطية وأنها ليست من الإسلام. ط القاهرة..

والخلفية والبرقعية والجنابية والسبعية والمهدوية والأفطحية والقطعية والممطورية والموسوية والرجعية والاسحاقية والأحمدية والاثنى عشرية والجعفرية..

ثم قال : ولكن مع مرور الوقت صارت الإمامية والجعفرية والاثنى عشرية تعنى بعضها بعضا، فانصهرت تلك الفرق وصارت كتله واحدة لتشابه أفكارها ومعتقداتها حتى صرت تقول الامامية وتعنى بها الجعفرية أو الاثنى عشرية وقد صارت كذلك..

وقرر أن الاثنى عشرية ﴿الامامية والجعفرية﴾ افترقت الى فرق أخرى هى : الأصولية والإخبارية والشيخية والكشفية والركنية والقزلباشية والقرنية والكوهرية والنورخشية والبابية والبهائية وختم هذا السرد بقوله : وبعد هذا كله أراد الشيعة أن يلصقوا تهمة التفرق لأهل السنة، لأنهم اتبعوا مذهب مالك والشافعى واحمد بن حنبل وأبى حنيفه وتركوا مذهب أهل البيت..

ومن خلال هذا الكلام نخرج بما يلى :

ان هذا الحنبلى قد وقع فى الخلط الذى يقع فيه عادة حنابلة العصر الذين ينقلون من كتب خصوم الشيعة بغير حساب، فخلط بين الفرق وبعضها وبين الشيعة وفرق أخرى لا صلة لهم بها، فهو لم يتبين ولم يفصل لكونه ينقل عن خصوم الشيعة من أئمته الحنابلة بثقة فلا حاجة له الى ذكر مصدر واحد من كتب الفرق المعتمدة عندهم، وإنما ذكر مصدر واحد لأحد حنابلة العصر يعتمد عليه دائما المحاربين فى شن هجماتهم على الشيعة..(١)

وقد استثنى من هذه الفرق المذكورة ستة اقتبسها من كتاب منهاج السنة النبوية..

إلا أن مجموع الفرق التى ذكرها ونسبها للشيعة هى أقل من التسعين بكثير وكان من المفروض من باب الصدق فى القول ما دام قد ذكر هذا العدد الكبير من الفرق الذى تجاوز الستين أن يتم الأمر بذكر التسعين أو اكثر كما ذكر..

---

(١) هو كتاب أصول مذهب الشيعة..

ثم أنه لم يحدد الفرق الباقية من هذا العدد حتى تتحدد دائرة المواجهة، فهو قد خلط بين المندثرة والباقية ان كان منها باقية..

والحمد لله أنه أكد فى نهاية الكلام أن الاثنى عشرية والإمامية والجعفرية فرقة واحدة ليس لتشابه أفكارها ومعتقداتها كما ذكر وإنما لكونها فى الأصل واحد وهى المعبرة عن التشيع الذى ألصق به حنابلة العصر شتى ألوان الفرق والغلو..

وإذا كان الأمر كذلك فما قيمة ذكر ذلك العدد الكبير من الفرق.. ؟

والجواب بالطبع هو التمويه والتعتيم الناتج من الخلط المتعمد بين الشيعة وغيرها من الفرق..

ومن باب سوء القصد والخلط قال عن الامامية : وهم يقولون : إن الإمام على كان شريكاً للنبىﷺ فى نبوته ورسالته، وهى فرقة يقال أنها من الشيعة السبئية كما يقول ذلك صاحب مختصر التحفة الاثنى عشرية وهى فرقة كبيرة وطائفة كثيرة، وقد انقسمت الى تسع وثلاثين فرقة..

وهكذا يؤكد لنا هذا الحنبلى أنه إمعة ينقل بلا وعى ودون برهان، وهو فى الحقيقة ليس بحاجة الى الوعى لأنه يعيش بعقل الماضى وليس بحاجة الى برهان لكونه ينقل من مصادر ثابته على معاداة عدوه..

ومن الطريف أنه نقل عن صاحبه قوله : يقال أنها من الشيعة السبئية، وهو بهذا يؤكد لنا أيضاً أن عقائدهم ومواقفهم تقوم على القيل والقال، ثم أين هى التسع والثلاثين فرقة التى انشقت عن الإمامية، ولماذا لم يذكرها لنا..؟

والجواب معروف وهو أنه ينقل لا يبحث..

وكيف يبحث وهو لا يملك أدوات البحث.. ؟

وقوله هى فرقة كبيرة وطائفة كثيرة يحسب عليه لا له، إذ هذا يعنى أن الإمامية هى الإتجاه الغالب الذى يمثل أكثرية الشيعة وهو ما يقود الى وجوب التركيز عليها ونسيان

تلك الفرق الصغيرة التى يلصقونها بالشيعة الإمامية على الدوام بينما هى أصبحت فى ذمة التاريخ، وإن كانت لها آثار باقية فهى آثار لا تذكر ولا شأن للإمامية بها..

وبالطبع وبالطبع فان الإدعاء بأن الإمامية تقول بشراكة على للنبى فى نبوته ورسالته هو من الأكاذيب التى يروجها هذا الحنبلى وأمثاله دون برهان ساطع ودليل قاطع سوى القيل والقال، وبعض الروايات التى يتصيدونها من كتب الخصوم..

ومن مظاهر الجهل وسوء النقل قوله بافتراق الشيعة الاثنى عشرية الى اثنى عشر فرقة، تلك الفرق التى لا وجود لها إلا فى خياله..

والأصولية التى عدها من فرق الشيعة ليست سوى الاتجاه الغالب فى وسط الشيعة الذى يقول بالاجتهاد وهو اتجاه المراجع والحوزات وجميع بقاع الشيعة فى ايران وباكستان والهند ولبنان والعراق والجزيرة العربية ودول الخليج وغيرها..

وقد أكد لنا ما ذكرناه بقوله عن الاتجاه الأصولى : وهم القائلون بالاجتهاد، وبأن أدلة الأحكام هى الكتاب والسنة والاجماع ودليل العقل، ولا يحكمون بصحة كل ما فى الكتب الاربعة : الكافى، التهذيب، الاستبصار، من لا يحضره الفقيه..

وهكذا شهد شاهد من أهلها..

وشهادته نقضت دعواه، إذ أثبتت لنا بما نقله أن الأصولية ليست فرقة وإنما هى اتجاه شرعى سليم يلتزم بالكتاب والسنة والعقل ولا يقول بصحة الروايات الموجودة فى المصادر الرئيسية عند الشيعة التى يستغلها حنابلة العصر على الدوام..

وهذا برهان ساطع ودليل قاطع على كونه يكذب ويضلل..

وهو اعتراف صريح من حنابلة العصر بوجود كتاب وسنة وعقل لدى الشيعة..

واعترف أيضاً بأن كل ما يروى فى مصادر الشيعة ليس محل تسليم وبهذا تبطل حججهم فى دحض عقائد الشيعة وإلصاق الأباطيل بهم واستغلال رواياتهم..

والسؤال هنا: ما دامت الأصولية الشيعية تعتمد الكتاب والسنة والعقل ولا تسلم بكل ما يروى فى مصادرها، فلماذا تغافل حنابلة العصرعنها وركزوا جهودهم فى فرق الغلاه وألصقوها بها.. ؟

ويقدم لنا هذا الحنبلى دليل آخر على تخبطه عندما قال عن الفرقة الثانية من فرق الاثنى عشرية وهى الإخبارية : وهم يمنعون الاجتهاد، ويعملون بأخبارهم، ويرون أن ما فى كتب الأخبار الأربعة عند الشيعة كلها صحيحة قطعية الصدورعن الأئمة، ويقتصرون على الكتاب والخبر..

والإخبارية تعد صورة طبق الاصل من اتجاه الحنابلة السلفيين الذين يعيشون بعقل الماضى ويتعبدون بالروايات..

والفارق الوحيد بين الاتجاهين هو أن الحنابلة السلفيين يتلقون الروايات من مصادر شتى، بينما الإخباريين يتلقون الروايات من مصدر واحد ينحصر فى أهل البيت..

وقد نتج عن هذا الفارق كفر الحنابلة السلفيين بفكرة الإمامة والولاية التى تعد من أصول الدين عند الشيعة بمختلف توجهاتهم، وتعد بدعه وضلاله عند الحنابلة..

ومحاولة ذم الاتجاه الإخبارى من قبل حنابلة العصر يعد ذماً لأنفسهم لكونهم يسيروا فى نفس الاتجاه..

وعلى العموم لا يمثل الاتجاه الاخبارى سوى أقلية منتشرة فى الكويت والأحساء وإيران كما يمثل حنابلة العصر أقلية فى دائرة أهل السنة فى كل مكان..

أما الشيخية فهم امتداد للإخبارية كذلك الكشفية والركنية والكوهرية..

والفرق الأخرى التى ذكرها هذا الحنبلى ليست أكثر من تقسيمات جغرافية لمراكز بعض الاتجاهات التى برزت فى مواطن التشيع وهى لا تدل بحال على ما يهدف اليه من أن الشيعة فرقوا دينهم..

وحالها كحال العديد من الفرق السنية والحنبلية المتناحرة المكفرة لبعضها من جهاد وسلفيين وهابيين وتكفير وأنصار سنة وأهل الحديث وغيرهم ممن ليس محل رضا

وقبول الاتجاهات السنية الكبرى من مالكيه وأحناف وشافعية تلك الاتجاهات التى لا تعادى الصوفية - وهى من شرائح اهل السنة- كما تعاديها هذه الفرق الصغيرة..

إلا أن الغريب هو إلصاق البهائية بالشيعة، وهو ما لم يقل به أحد من خصوم الشيعة، إذ أن البهائية لا صلة لها بالسنة أو الشيعة وعقائدها تشهد بذلك..

حتى أن المصدر الذى نقل منه كلامه عن البهائية هو مصدر خاص بهذه الفرقة وهو كتاب البهائية نقد وتحليل لإحسان إلهى ظهير، وقد نقل منه لكون ظهير الهالك من قادة الهجوم على الشيعة فكل ما يكتبه هو بمنزلة الصحيح حتى ولو كان بعيدا عن الشيعة..

ومايجب التأكيد عليه هنا هو أن البهائية مجرمة عند السنة والشيعة وهى من الاتجاهات المحظورة فى ايران..

يقول مؤكداً جهله : إن تفرق الشيعة الذى ذكرناه آنفا إنما هو فى أصول الدين، فمن قائل بربوبية الأئمة، ومن قائل أن الإمامة لفلان دون فلان، فهم تفرقوا فى أصول الدين، أما أهل السنة وأهل المذاهب الأربعة إنما هم متفقون فى أصول الدين وفى فروعه، إلا فى بعض المسائل التى كانت تحتاج الى اجتهاد لتبيينها، فاجتهد هؤلاء الأئمة الأربعة وغيرهم، فمن أصاب منهم فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد، فهم متفقون بأن الله واحد لا شريك له، وأن محمدا رسول الله وخاتم الانبياء وأن الخليفه بعد رسول الله هو أبو بكر وكان الأولى بها ومن ثم عمر ومن ثم عثمان ومن ثم على، ويحبون الصحابة ويترضون عنهم ويحبون أهل بيت رسول الله..

وإذا كان لا يعد المذاهب الأربعة فرقاً، فلماذا عد الأصولية والشيخية من فرق الشيعة وهى توازى هذه المذاهب من حيث تناول الدين ؟

أليست الأصولية والشيخية متفقة فى أصول الدين وفروعه مع هذه المذاهب.. ؟

وهل المذاهب الأربعة مجرد مذاهب فقهية أم لها توجهات عقائدية مختلفة.. ؟

وإذا كانت الإمامية لا تقر بتلك البدعة الرباعية الخاصة بالخلفاء التى ابتدعها الحنابلة القدامى وتلقاها أهل السنة بالقبول، ولا تقبل الصحابة جملة بل تصنفهم، فهل بهذه تكون قد نقضت أصول الاسلام ؟

ومن صور التضليل التى قام بها هذا الحنبلى حصره الكلام فى حدود المذاهب الأربعة والفقهاء متناسيا تلك الفرق والمذاهب التى برزت فى وسط أهل السنة على مستوى الماضى والحاضر..

ومن هذه المذاهب والفرق القديمة مذهب الليث والظاهرية والأوزاعية والأشاعرة والماتريديه والمرجئه والجبرية والمجسمة والحشوية..

وعلى مستوى الحاضر فان فرقهم لا تحصى وهى ظاهرة على الملأ..

ويعود السبب فى كون صاحبنا يعتم على فرقه كونه أحد أتباع هذه الفرق التى تشكل حرجاً لأهل السنة اليوم..

وخاض هذا الحنبلى بعد ذلك فى بعض الرواه من الشيعة وعرض لبعض الروايات والأقوال التى تزكيهم وكذلك الروايات والأقوال التى تجرحهم وتطعن فيهم..

وهو يريد بهذا الإستدلال على فساد مرويات وكتب الشيعة يقول فى هذا الشأن : فإن إبطالنا لصدق رواة الشيعة وإظهار تضارب أحوالهم يخبر بفساد حال الرواة، وفساد حال الرواة يخبر بفساد المرويات، وفساد المرويات يخبر بفساد كل الكتب التى قامت عليها، وفساد كل الكتب يخبر بالحق وهو بأن المذهب كله كرواته..

والرواة الذين ضرب بهم المثل وهم ثلاثة اتخذهم دليلا على فساد مرويات وكتب الشيعة..

وهذا الكلام لا ميزان له وهو يدل على جهل صاحبه إذ أن من الممكن ان ينطبق عليه مثل هذا الكلام..

والرواة والمرويات عند السنة مليئة بالثغرات وكثيرة العورات، بل إن ضوابط الرواية عند السنة تفوح منها رائحة السياسة، وهى فى مجملها تعتمد أولا وأخيرا على أقوال الرجال بينما الرواية والرواة عند الاتجاه الأصولى من الشيعة تخضع لضوابط أشد خاصة ما ينسب منها لأهل البيت..

وقد تمادى هذا الحنبلى فى جهله وقدم لنا الأدلة القاطعة على غباءه بنقله مقتطفات من أقوال المرجع الراحل الخوئى هى تمثل ضربات موجعة له وتدحض ما قال..

ينقل عن الخوئى قوله : فالاجماع الكاشف عن قول المعصوم - الإمام - نادر الوجود، وأما غير الكاشف عن قوله فهو لا يكون حجه لأنه غير خارج عن حدود الظن..

وقوله : فأصحاب الأئمة وإن بذلوا غاية جهدهم واهتمامهم فى أمر الحديث وحفظه من الضياع، إلا أنهم عاشوا فى طور التقية ولم يتمكنوا من نشر الأحاديث علناً، فكيف بلغت هذه الأحاديث حد التواتر أو قريباً منه..؟

وقوله : فالواصل الى المحمديين الثلاثة الكلينى _ ابن بابويه _ الطوسى انما وصل إليهم عن طريق الآحاد..

فطرق الصدق الى أرباب الكتب مجهولة عندنا ولا ندرى أيا منها كان صحيحا وأيا منها غير صحيح ومع ذلك كيف يمكن دعوى العلم بصدور جميع الروايات عن المعصومين..

وليت شعرى إذا كان مثل الشيخ المفيد والشيخ الطوسى مع قرب عصرهما وسعة إطلاعهما لم يحصل لهما القطع بصدور جميع هذه الروايات عن المعصومين فمن أين حصل القطع لجماعة المتأخرين عنهما زماناً ورتبه.. أ.هـ

وهذا الكلام المنقول بغير ترتيب من مقدمة كتاب معجم رجال الحديث، نقله هذا الحنبلى عن طريق مصدر آخر من مصادر الخصوم التى تنقل من كتب الشيعة، كما نقل أقواله فى الرواة الثلاثة السابقين نقلاً عن كتاب بين الشيعة وأهل السنة لاحسان إلهى ظهير.. ومع ذلك يضع فى الهامش المصادر الرئيسية التى نقل منها ظهير وكأنه هو الناقل منها..

ومن الطريف أنه لم يحذف حرف(ع) من وسط الكلام وهو اختصار كلمة (عليهم السلام) التى تكتب دائما عند ذكر أئمة أهل البيت، ولعله لو تنبه لها لحذفها، لكنه ينقل بلا وعى..

والمتأمل فى كلام الخوئى يجد أنه يرى صعوبة التصديق والتأكيد على أى رواية منسوبة لأئمة أهل البيت الاثنى عشر، وأن هذه الروايات تدور فى محيط الظن لا فى محيط اليقين..

ويؤكد الخوئى من جانب آخر أن أصحاب الأئمة - ومنهم الذين ضرب بهم هذا الحنبلى المثل -بذلوا غاية جهدهم واهتمامهم فى أمر الحديث وحفظه إلا أن الإرهاب الذى أحاط بشيعة أهل البيت دفع بهم نحو التقية التى حالت دون نشر هذه الأحاديث بين المسلمين، مما حال بينها وبين الوصول الى درجة التواتر وحتى القرب منها..

من هنا فإن الخوئى يرفض القطع بصحة الروايات المنسوبة للمعصومين، وأن القطع بصحة صدورها عنهم كان صعباً بالنسبة للقريبين من عصر المعصومين، فمن ثم هو أصعب لجماعة المتأخرين..

وهذا الكلام فى صالح الشيعة الذين ينظرون الى الرواية نظرة مرنة متعقله تقود الى إخضاعها للبحث على ضوء القرآن والعقل والمصدر المعصوم الوحيد عندهم هو القرآن..

أما الحنابلة القدامى وحنابلة العصر فقد غالوا فى الروايات وجعلوها أساس الإعتقاد، وغلوهم هذا هو الذى قادهم الى تصيد روايات الشيعة ومحاولة ضربهم بها ظناً منهم أن هذه الروايات تحمل نفس القيمة التى عندهم..

وتحت عنوان : «التقيه باب الشر الذى لا يغلق» وضع هذا النص القرآنى :

﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ «آل عمران/١٦٧».

ثم طرح السؤال التالى: لماذا يدعون أتباعهم الى كتمان الدين الذى أمر الله بنشره والدعوة إليه، بل هم يحثونهم على كتمانه ويحذرونهم من إذاعته ؟

هل حتى لا يعرف الناس أنهم شيعة لأهل البيت فيحاربونهم ؟

ولكن الحق ما كان كتمانهم هذا إلا لستر عوراتهم وفضائح مذهبهم التى حينما ظهرت أظهرت حقدهم الدفين على الإسلام والعرب..

ومثل هذا الكلام الفارغ يدل على أن هذا الحنبلى لا يعيش فى هذا العصر فضلا عن كونه فى غفلة شديدة، فالشيعة اليوم فى حالة بروز وقوة لم تتحقق فى التاريخ من قبل فما هى حاجتهم للتقيه وقد أصبحت لهم دولة تبشر بالتشيع وتدعو له فى كل مكان..؟

بل أن الحنابلة وفرقهم هم أضعف منهم، بعد أن جاءت ثورة الإتصالات لتفتح الأبواب على مصارعها أمام شتى الأفكار والتيارات والمذاهب وتبطل دعوى التقية..[1]

والعجيب أن الذين يمارسون التقية اليوم هم فرق الحنابلة والوهابيين من جهاد وتكفير وخلافه..

وهل يجرؤ حنابلة العصر على إبرازخرافاتهم وأكاذيبهم التى تكتظ بها كتبهم وعقائدهم العدوانية والمكفرة أمام الناس..

وإن كان القصد من التقية كما يدعون هو إخفاء فكرة ألوهية الأئمة فهذا ما لا تقول به الأصولية الإمامية التى تمثل أكثرية الشيعة اليوم كما نقل ذلك الحنبلى صورتهم الحقيقة التى تقوم على الكتاب والسنة والاجماع والعقل والاجتهاد وعدم التسليم بصحة جميع الأحاديث المنسوبة الى أهل البيت فى كتبهم..

واذا كانت التقية تعنى إخفاء تكفير الصحابة ولعنهم وسبهم فيمكن لأى باحث بسهولة فى كتب الروايات وكتب الإخباريين أن يلتقط العديد من النصوص التى تتعلق بالتكفير والسب واللعن وهى كتب متوفرة بالأسواق..

والسؤال هنا أية عورات وفضائح يسترها الشيعة عن طريق التقية ؟

هل هى تلك الروايات التى تكتظ بها كتبهم والتى لا يسلمون بصحتها على العموم ؟

وكيف لهؤلاء الحنابلة أن يفقهوا مضمون هذه الروايات إن ثبت صحتها عند الشيعة وهم قوم بلا عقول وبلا أدوات..؟

---

(١) سوف يأتى الحديث عن التقية فى فصل شبهات عقدية..

وهل القول بالإمامة والعصمة والغيبة وجواز نكاح المتعة يعد فضيحة فى نظر هذا الحنبلى ؟

واذا كان كذلك فلماذا يظهرونه ويقولون به ؟

واذا كانت التقية الهدف منها إخفاء الحقد على الاسلام والعرب كما ذكر فما قوله فى الشيعة العرب فى العراق ولبنان والأحساء وغيرها من دول العرب ؟

هل يحقدون على الإسلام والعرب وهم عرب ؟

ثم ما صلة هذا المغيب بالعرب والعروبة وهو وفرقه من خصوم القومية العربية ؟

إن الواقع يشهد أن حنابلة العصر بفرقهم المختلفة قد نشروا الإرهاب فى كل مكان وأسهموا فى تشويه صورة الإسلام ونكبوا المسلمين..

ومن أقوى الشواهد على ذلك افغانستان وما جرى فيها بداية من فرق المجاهدين ونهاية بطالبان..[1]

وما يجرى على ساحة العالم اليوم تحت مسمى الجهاد..

ومن الذى جر دول العالم اليوم الى التضيق على الإسلام والمسلمين وفتح الأبواب لطعن وتشويه هذا الدين هل هم الشيعة أصحاب التقية ؟

ويكفى فى مسألة التقية أن نرجع الى كلام هذا التائه فى بداية كتابه والذى يناقض نفسه فيه بقوله عن الدافع الذى دفعه للكتابة فى أمر الشيعة وهو : تجرأ أحفاد أبى لؤلؤة المجوسى وأبناء ابن سبأ على إتهام الصحابة بأبشع التهم، وأخذت أصواتهم تعلوا بذلك وتنعق.. أراهم الآن يجهرون بمعتقداتهم الكفرية والشركية..

وفى هذا كفاية لإثبات تيه صاحبنا وتخبطه إذ قرر فى البداية خروج الشيعة عن التقية، ثم عاد فى آخر الكتاب يؤكد إلتزامهم بها..

(١) انظر لنا كتاب أزمة الحركة الإسلامية المعاصرة : من الحنابلة الى طالبان..

إن ألاعيب حنابلة العصر باتت مكشوفة، وسيوفهم علاها الصدأ، وألسنتهم أصابها الشلل بعد أن انقشعت عنهم سحب النفط التى كانت تسترهم..

وأصبحت دعوى اتهام الشيعة بتحريف القرآن وإباحة الزنا وخيانة الإسلام والمسلمين من الدعاوى الواهية التى أكل عليها الدهر وشرب، والتى لم تعد تقنع أحداً فى هذا الزمان الذى عراهم وكشف فضائحهم وعوراتهم..

وفى منشور فكر الخوارج والشيعة فى ميزان أهل السنة والجماعة الذى أشرنا إليه من قبل ألقى الكاتب بالشبهات التقليدية المكررة فى كتب حنابلة العصر..

هذه الشبهات التى يمكن تركيزها فيما يلى :

١ ـ الدور اليهودى..

٢ ـ التكفير..

٣ ـ العصمة والامامة..

٤ ـ التوحيد..

٥ ـ القرآن..

٦ ـ الصحابة..

٧ ـ التقية..

٨ ـ الغيبة..

٩ ـ الرجعة..

١٠ ـ البداء..

١١ ـ التتار والصليبيين..

وفيما يتعلق بالدور اليهودى المزعوم فى نشأة التشيع ومعتقدات الشيعة قال صاحبنا : إن فرقة الشيعة الرافضة كفكر وعقيدة لم تولد فجأة، بل أنها أخذت طوراً زمنياً، ومرت بمراحل، ولكن طلائع العقيدة الشيعية الرافضية وأصل أصولها ظهرت على يد السبئية باعتراف كتب الشيعة التى قالت بأن ابن سبأ أول من شهد بالقول بفرض إمامه على،

وأن علياً وصى النبىﷺ وهذه عقيدة النص على على بالإمامة، وهى أساس التشيع الرافضى..

ولنا عدة ملاحظات على هذا الكلام المستهلك على مستوى الماضى والحاضر..

الملاحظة الأولى : حول مراحل تطور الشيعة : حسب قوله:" إن التشيع لم يولد فجأة، وأخذ أطواراً ومراحل، إلا إنه لم يبين لنا هذه الأطوار والمراحل..

وإذا كانت طلائع العقيدة الشيعية ظهرت مع ابن سبأ كما زعم فما هى التطورات والمراحل التى مرت بها بعد ابن سبأ ؟

وإذا كان ابن سبأ كما يزعمون أول من أظهر الطعن فى الخلفاء الثلاثة، وقال بالرجعة، وقال بتخصيص أهل البيت بعلوم سرية خاصة، فهل توقف المعتقد الشيعى عند هذا الحد. أم تطور فيما بعد وتبنى معتقدات أخرى..؟

وما هى هذه المعتقدات..؟

وما هى الجهة التى ابتدعتها ؟

إن ربط هذه المعتقدات بابن سبإ يوجب علينا رفض فكرة التطور والمرحلية التى ذكرها هذا الحنبلى، فالشيعة التزموا بمعتقد الوصية والإمامة والرجعة والغيبة والعصمة طوال التاريخ وحتى اليوم ولم يتنازلوا عن هذه المعتقدات، وهذا يعنى ثبات المعتقد لا تطوره..

أما مسألة نسبة هذه المعتقدات لابن سبأ فهذه مسألة أخرى أشرنا إليها فيما سبق، وسوف نشير إليها لاحقاً، وذلك لكوننا نتعثر فى ابن سبأ هذا كلما جاء ذكر الشيعة والتشيع..

الملاحظة الثانية : حول اعتراف كتب الشيعة بأن ابن سبأ هو مصدر التشيع كما زعم..

وهذا الكلام فيه كذب وجهل فى النقل..

وسوف نثبت هذا بعرض بعض النصوص الشيعية التى أشار إليها من مصدر ناقل لهذه النصوص ومستشهد بها فى ضرب الشيعة وهو منشور: جذور الشيعة وجيش المهدى..

نقل عن النوبختى فى كتاب فرق الشيعة قوله :

السبئية قالوا بإمامة على، وأنها فرض من الله، وهم أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان ممن أظهر الطعن على أبى بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم..

ونقل عن جماعة من أهل العلم ان عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم، ووالى علياً، وكان يقول وهو على يهوديته فى يوشع بن نون بعد موسى بهذه المقالة، فقال فى إسلامة فى على بمثل ذلك، وهو أول من أشهر القول بفرض إمامة على وأظهر البراءة من اعدائه.. فمن هنا قال من خالف الشيعة : إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية..

ونقل هاتين الروايتين حنبلى آخر فى منشور توضيح النبأ..

ونخرج من هاتين الروايتين بما يلى :

أولاً : ان كتاب فرق الشيعة ليس مصدراً على قدر من الأهمية بحيث تبنى عليه هذه الرؤية، وهو يشبه الملل والنحل ومقالات الاسلاميين وسائر كتب الفرق عند أهل السنة..

ثانياً : ان الروايات لا يجوز أن يبنى عليها اعتقاد خاصة إذا لم تكن محل تسليم الخصم وقد أشرنا سابقا الى منظور الشيعة فى الروايات عامة وكونهم لا يجزمون بصحة روايات الكتب الأربعة فكيف الحال بالروايات التأريخية..

ثالثاً : ان مثل هذه الروايات لا تؤكد أن ابن سبأ هو صاحب فكرة الإمامة وإنما تشير الى قوله بها..

رابعاً : لو كان ابن سبأ هو صاحب فكرة الإمامة والرجعة والوصية وغيرذلك مما نسب اليه ما كان هناك مبرر لذكره فى مصادر الشيعة..

وذكره بهذه الصورة فى مصادرهم يعنى أمرين :

الأول : انه قد دس عليهم..

الثانى : ان الشيعة غفلوا عن مقالته..

والأول هو الأرجح فالدس أمر واقع على مستوى الشيعة والسنة..

خامساً : ان ابن سبأ ذُكر فى المصادر الحديثية عند الشيعة بالذم واللعن وقد أورد هذه الروايات حنابلة العصر فى كتبهم..

وذُكر فى مصادر الفرق عندهم كصاحب مقالة..

ولعنه على لسان أئمة أهل البيت يعنى عدم الاعتراف به ورفض مقالته التى تنسب الألوهية للإمام على..

والسؤال الذى يفرض نفسه هنا هو : إذا كان ابن سبأ قد ادعى ألوهية الإمام على، فكيف له أن يتنازل عن دعواه ويدعو الى إمامته، والإمامة أدنى من الألوهية ؟

وهل يعقل أن ينسب الألوهية الى على ثم يعود فينسب له الإمامة ؟

سادساً : أن روايات الشيعة وكذلك الروايات الواردة فى حق أهل البيت عند السنة تشير الى مكانة خاصة وقيمة عاليه لهم، وقد بنت عليها الشيعة رؤيتها فى الإمامة والعصمة وهذه الروايات تشير الى أن التشيع كان مواكباً لحركة الرسولﷺ

وإذا كان فقهاء أهل السنة لا يعترفون بهذه القيمة والمكانة التى تضع الشيعة فيها أهل البيت ويشككون فى هذه الروايات فليس من حقهم رفض الشيعة والإنكار عليها..

والشيعة تؤمن أن الرسولﷺ هو من وضع بذرة التشيع وهذا وحده كفيل بنسف فكرة ابن سبأ من الأساس..

وما دام الشيعة يلعنون ابن سبأ فى مصادرهم لقوله بألوهية الإمام على فمعنى ذلك أنهم يرفضون فكرة ألوهية الأئمة، وهذا يقود الى نفى فكرة تأثير ابن سبأ فى المعتقد الشيعى..

الملاحظة الثالثة : انه ذكر كتب الشيعة التى قالت بأن ابن سبأ أول من شهد بالقول بفرض إمامة على بينما المصادر الشيعية والتى نقل النصوص عنها شركائه من حنابلة العصر تقول فى الرواية الاولى :

السبئية قالوا بإمامة على..

وتقول فى الرواية الثانية :

وهو أول من شهر القول بفرض إمامة على..

فى الأولى نسب القول الى جماعة..

وفى الثانية نسب إليه الإشهار، بينما صاحبنا نسب إليه الإشهاد..

فتأمل الفارق هذا يقول : ابن سبأ أول من شهد بالقول..

والرواية تقول : أول من شهر القول..

واختلاف النصين صورة من صور التدليس وتدل على الجهل فى النقل..

وهل الإشهاد هو الإشهار ؟

إلا أن الأشهار أو الإشهاد يقودان إلى نتيجة واحدة وهى أن الأمر المقصود كان قائماً وموجوداً قبل ابن سبأ الذى قام بإشهاره وإذاعته بين الناس..

وقوله كتب الشيعة التى قالت.. فيه تضليل إذ أن المصادر التى قالت هى كتب الفرق وحدها، وكتب الفرق لا تعد من المصادر..

الملاحظة الرابعة : على فرض التسليم بصحة الروايتين وان ابن سبأ وراء فكرة الإمامة والوصية ما هو الضرر على الدين من وراء تبنى فكرة الإمامة والوصية ؟

إن الشيعة يعتقدون بأن أهل البيت هم الجهة المعصومة التى أوكل لها الرسولﷺ حفظ الدين وتبيينه وتبليغه من بعده، وهذا الاعتقاد ينبنى عليه أن الرسول قد قام بتوجيه من السماء بإعدادهم وتجهيزهم لهذا الدور، وذلك كله لكون النبى هو خاتم

الأنبياء ولا نبى بعده مما يوجب وجود جهة أمينه موثوق بها تتلقاها الأمة بالقبول ولا تختلف عليها من بعده، والأمانة والثقة والقبول يستوجب أن تكون هذه الجهة بها من الصفات والمميزات ما يجعل المسلمين يسلمون بها ويطيعونها، ومن هنا جاءت العصمة التى ميزت أهل البيت عن سواهم من الناس لكنها لا تميزهم عن الرسول ولا تساويهم به..

ومن الممكن للباحث المتجرد والمتلقى العاقل أن يدرك ذلك بسهولة إذا ما ألقى نظرة على الجهة الأخرى التى تصدت لقيادة الأمة بعد وفاة الرسول والتحدث باسم الدين، والتى فرخت فى النهاية اتجاه أهل السنة..

وعلى ضوء ما سبق فإن تبنى فكرة أمامة أهل البيت والقول بالوصية والعصمة الهدف منه حماية الدين والحفاظ عليه من العابثين والمزورين المنافقين الذين اندسوا وسط المسلمين..

وقد حذرت نصوص القرآن والسنة من المنافقين الذين كبتهم النبى وحاصرهم فى حياته، والذين لابد لهم وأن يبرزوا بقوة بعد وفاته ويتجهون نحو تحريف هذا الدين سيرا مع حركة الأديان الثابته وسنة الله مع رسالاته..

وهذا ما فهمته الشيعة، ولم تفهمه السنة بسبب تضخيمها للرجال وغلوها فيهم بحيث يقوم اعتقادهم ومذهبهم على رواياتهم وأقوالهم..

وإذا كان هذا هو الهدف من الإمامة والوصية والعصمة عند الشيعة فهذا يضعنا بين أمرين :

الأول : ان الصاق هذه الأمور بابن سبأ يعنى صلاحه وغيرته على الدين..

الثانى : ان تبنى لعن ابن سبأ ورفضه من قبل السنة والشيعة يعنى عدم صلته بهذه الأمور ويستوجب التوقف معه فى دعوى الألوهية فقط..

والمسألة باختصار أن الشيعة تعتقد بأن هناك جهة معصومة متمثله فى أئمة أهل البيت يجب تلقى الدين منها بعد رحيل الرسول ﷺ

وأهل السنة ينفون وجود هذه الجهة..

والسؤال هو : أيهما الأولى بالاتباع..؟

والإجابة يمكن أن يلمسها القارىء من خلال هذا الكتاب..

ومما سبق ذكره حول هذه الملاحظة يتبين لنا أن الضرر المتوقع من تبنى فكرة الإمامة والوصية هو على أهل السنة كمذهب ومعتقد لا على الدين..

وهذا هو جوهر الصدام القائم بين السنة والشيعة وسببه المباشر عبر التاريخ، والذى كان فيه أهل السنة هم الأقوى والمنتصر دائما، والشيعة هم الأضعف المنكرون، وهو ما دفع بهم نحو التقيه للحفاظ على أنفسهم..

السبب أن أهل السنة يخشون من الشيعة على معتقداتهم مما يدفع بنا إلى القول: "إن صدام السنة بالشيعة يعود إلى دوافع مذهبية، ومما يؤجج هذا الصراع هو بقاء الشيعة وتزايدهم رغم الضربات والمؤامرات وصور البطش والتنكيل التى لاحقتهم طوال التاريخ"..

فلو كان معتقد التشيع بهذه الصورة الواهية الدخيلة على الإسلام والتى يحاول التأكيد عليها وتثبيتها أهل السنة، ما قدر له أن يبقى فى مواجهتهم حتى اليوم، وهم المتحصنون بالحكام، بينما الشيعة لا حول لهم ولا قوة..

وسر قوة الشيعة تكمن فى ولائهم وارتباطهم بأهل البيت ولو كان ارتباطهم بجهة أخرى لكانوا الآن فى ذمة التاريخ كما هو حال المعتزله والجهمية والكرامية وغيرهم..

وكما هو حال الأشاعرة والماتريدية من أهل السنة..

قال الحنبلى : كما أن ابن سبأ قال بتخصيص على وأهل البيت بعلوم سرية خاصة، وهذه المسألة أصبحت من أصول الاعتقاد عند الشيعة، وقد ثبت فى البخارى ما يدل على أن هذه العقيدة ظهرت فى وقت مبكر، وأن عليا سئل عنها، وقيل له : هل عندكم شىء مما ليس فى القرآن، أو مما ليس عند الناس ؟

فنفى ذلك نفياً قطعياً..

وهذا الكلام يحوى العديد من السقطات..

الأولى : قوله:" إن تخصيص الإمام على وأهل البيت بعلوم سرية خاصة من أصول الاعتقاد فيه غلو وخلل، فليس هناك ما يسمى بالعلوم السرية عند الشيعة، وإنما هناك علم الكتاب الذى ورثه أهل البيت عن النبى

خاصة دون غيرهم، وهو العلم الذى تفرعت منه جميع العلوم الإسلامية التى بين أيدى المسلمين..

فليس هو سر من الأسرار كما زعم، وإنما فرع من معتقد وليس أصلا، وناتج من نتائج الإمامة التى هى أصل يشكل الفارق الجوهرى بين الشيعة والسنة..

الثانية : قوله وقد ثبت فى البخارى ما يدل على أن هذه العقيدة ظهرت فى وقت مبكر ينقض فكرة السبئية وما نسب الى ابن سبأ، إذ يقرر أن فكرة العلم الخاص لأهل البيت ظهرت قبل ابن سبأ، وهذا يفتح الباب بالقول: إن الأفكار الأخرى التى نسبت إليه مثل الوصية والرجعة ظهرت فى وقت مبكر أيضاً..

الثالثة : ان رواية البخارى التى ذكرها ليست بهذا النص وسوف نعرض لرواية البخارى وغيره لنرى أن العصبية والحقد والتريص الذى تملك من نفوس حنابلة العصر تجاه الشيعة أفقدهم صوابهم وأعمى بصيرتهم..

روى البخارى عن أبى جحيفة، قلت لعلى : هل عندكم كتاب ؟

قال : لا إلا كتاب الله، أو فهم أعطيته رجل مسلم، وما فى هذه الصحيفة..

قال : وما فى هذه الصحيفة ؟

قال : العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر..[1]

---

(١) كتاب العلم باب رقم ٤. حديث رقم ١١١ . وانظر باب فضائل المدينة..

وفى رواية مسلم : ما خصنا رسول الله بشىء لم يعم به الناس، إلا ما فى قراب سيفى هذا، وأخرج صحيفة مكتوبة فيها : لعن الله من ذبح لغير الله..

وفى رواية أخرى له : فإذا فيها _ أى الصحيفة _ المدينة حرم..[1]

ومن الواضح أن الفرق كبير بين نص الرواية وما نسبه هذا الحنبلى للبخارى، فإن الإمام على لم ينف نفياً قاطعاً كما قال هذا المحرف للكلم عن مواضعه..

وقد حدد الإمام على من خلال إجابته: أن لديه صحيفة خصه بها الرسول، وأن هذه الصحيفة بها علم أشار الى بعضه..

وقد ذكرت روايات أخرى أجزاء متفرقة مما فى هذه الصحيفة ولسنا هنا فى مجال نقد منهج الرواية عند البخارى وأهل السنة ذلك المنهج الذى عتم على العديد من الحقائق التى تتعلق بأهل البيت وغيرهم..

إلا إن ما يعنينا هو أن القوم اعترفوا بأن عليا اختصه النبى بصحيفة غير كتاب الله، وهذا كاف وحده للإشارة الى أن علياً ورث علماً خاصاً عن الرسول ﷺ

وأن نفى ذلك نفياً قاطعاً هو كذب وتضليل..

وهنا سؤال يفرض نفسه وهو : لماذا اختص علياً بهذه الصحيفة ؟

وهل اختص أحد من الصحابة بصحيفة مثل صحيفته..

ولماذا لم يختص أبو بكر وعمر وهما مقدمان على على فى نظر أهل السنة بشىء من العلم ؟

والغريب أن هذا الحنبلى قد أردف قائلا ما يثبت به جهله وتناقضه بقوله : هذه هى أهم الأصول التى تدين بها الشيعة الرافضة وقد وجدت أثر مقتل عثمان وفى عهد على ولم تأخذ مكانها فى نفوس فرقة معينة معروفة، بل ان السبئية ما كادت تطل برأسها

---

(١) كتاب الأضاحى حديث رقم ١٩٧٨..

حتى حاربها على، ولكن ما تلا ذلك من أحداث هيأ جواً صالحاً لظهور هذه العقائد وتمثلها فى جماعة كمعركة صفين وحادثة التحكيم التى اعقبتها، ومقتل على، ومقتل الحسن..

فقوله: هذه هى أهم الأصول التى تدين بها الشيعة الرافضة اقتبسه بالكامل من مصدر حنبلى آخر من المصادر التى يعتمدون عليها فى حربهم وهو كتاب أصول الشيعة الإمامية الإثنى عشرية كما أشار فى الهامش، وهذه إشارة الى عجزه حتى عن القدرة على صياغة الجمل والتعبيرات بنفسه مما يضطره الى استعارة التعبيرات من الغير، وجميع هذه الأمور ليست أصول بل هى فروع من أصل الإمامة..

أما قوله : وقد وجدت أثر مقتل عثمان وفى عهد على ولم تأخذ مكانها فى نفوس فرقة معينة معروفة، فيدل على أن هذه الأصول التى تدين بها الشيعة كانت موجودة فى تلك الفترة قبل ظهور ابن سبأ، وما يؤكد هذا قوله التالى : بل إن السبئية ما كادت تطل برأسها حتى حاربها على، وهذا يشير الى أن السبئية لم تكن قد أطلت برأسها بعد..

وقوله : ولكن ما تلا ذلك من أحداث هيأ جواً صالحاً لظهور هذه العقائد وتمثلها فى جماعة..

وكلامه هذا يشير الى أن تلك الحوادث كانت بمثابة عوامل مساعدة ومهيأة، وهذا يعنى أن ابن سبأ ليس هو المسئول وحده عن ظهور هذه العقائد وإنما تلك الأحداث أيضا..

وهذه الأحداث المسئول عنها هو معاوية..

ونأتى بعد ذلك الى قضية التكفير، فقد نسب حنابلة العصر الى الشيعة تكفير الصحابة وأهل البيت والخلفاء وحكوماتهم والأمصار الإسلامية وأئمة المسلمين وعلمائهم..

وقد اعتمد هؤلاء فى دعواهم هذه على موقف فقهاء الشيعة من المخالفين المنكرين لقضية الإمامة باعتبارها من أصول الدين عندهم، بالإضافة الى بعض الروايات التى سوف نشير إليها فيما بعد..

ومسألة تكفير المناقض للأصول وقع فيها أهل السنة أيضاً خاصة حنابلة العصر بفرقهم المختلفة..

وكان من الأولى لهم ألا يثيروا هذه المسألة لوقوعهم فيها بناءاً على أسس واهية نقضها فقهاء أهل السنة القدماء والمعاصرون الذين يقفون فى مواجهتهم اليوم..

وكذلك المسألة بالنسبة للشيعة ليست محل ثبوت وإجماع وهى موضع مد وجزر ورفض وتأييد كحال مذهب أهل السنة الذى يرفض فكرة التكفير بينما أيدها ودعمها فقهاء الحنابلة وغيرهم بداية من ابن حنبل الذى كفر القائلين بخلق القرآن والتاركين للصلاة ثم الحنابلة الذين كفروا نفاة الصفات ونهاية بابن تيمية وابن عبد الوهاب وأتباعهم الذين كفروا المتوسلين بالأموات واعتبروهم من المشركين..

إلا إن الغريب فى الأمر هو دفاع أهل السنة وحنابلة العصر خاصة عن حكام المسلمين الذين ارتكبوا من الجرائم والمنكرات وكان منهم ملاحدة وفجار أراقوا الدماء وانتهكوا الحرمات، ويكفى لمراجعة تاريخ هؤلاء الحكام قراءة تاريخ الخلفاء للسيوطى وكتب التاريخ الأخرى..

وأهل السنة والحنابلة خاصة لا يتصورون أن أحدا من الصحابة أو التابعين أو تابعى التابعين من الممكن أن يدخل فى دائرة الكفر أو الفسق، وذلك يعود لنظرتهم المغالية فى الرجال، ولتبنيهم روايات تضفى القداسة عليهم..

وهذه الرؤية للرجال والروايات لا تلتزم بها الشيعة، فمن ثم هم يتبنون رؤية مغايرة للصحابة وسلف أهل السنة، ومن هو مقدس عند السنة ليس بالضرورة أن يكون مقدسا عند الشيعة أو حتى عند غيرهم من الاتجاهات المخالفة لأهل السنة مثل المعتزلة والمتكلمة وأهل الرأى..

وعلى كل حال فإن فكرة التكفير هى فكرة مرفوضة سواء جاءت من جهة الشيعة أو من جهة السنة..

أما ما يتعلق بالقرآن والتقية والغيبة والرجعة والبداء والتتار والصليبيين والصحابة فهو ما سوف نعرضه بالتفصيل فى الفصول القادمة..

وقد طرق الكاتب قضية التوحيد عند الشيعة ونسب إليهم الشرك وأن الإمام عندهم يحرم ما يشاء ويحل ما يشاء وبيده الكون وحوادثه، كما نسب إليهم الغلو والتجسيم وتفضيل الأئمة على الأنبياء والرسل وغير ذلك..

وتحت عنوان : نصوص التوحيد جعلوها فى ولاية الأئمة قال فى تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ «الزمر ٦٥»

جاء فى الكافى ـ اصح الكتب عندهم فى الرواية ـ وفى تفسير القمى ـ عمده تفاسيرهم ـ وفى غيرها من المصادر المعتمدة تفسيرها بما يلى : يعنى إن أشركت فى الولاية غيره..

وفى لفظ آخر : لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية على من بعدك ليحبطن عملك..

ومع هذا الكلام لنا عدة وقفات :

أولا : ان كتاب الكافى ليس أصح المصادر عند الشيعة، فلا يوجد عندهم كتاب يسمى صحيح كما هو الحال عند أهل السنة..

من هنا فإن قوله أصح كتاب عندهم فى الرواية ـ هو كقوله فى تفسير القمى ـ عمدة تفاسيرهم ـ وكقوله ـ مصادرهم المعتمدة وكل هذا كلام يدل على جهله بمصادر الشيعة وطرق الرواية عندهم..

وكيف يعرف مصادر الشيعة وطرق الرواية عندهم وهو مجرد ناقل عن ناقل..؟

ثانياً : ان الاعتماد على رواية فى مصدر من مصادر الشيعة لا يعنى شيئا، وذلك لكون الرواية لا تمثل حكما عندهم إذا ما صادمت القرآن والعقل..

ثالثاً : ان أعتماد هذا الحنبلى على هذه المصادر وحدها يعد من التصيد إذ كان من المفروض عليه من باب التزام قواعد البحث العلمى أن يجوب كل كتب التفسير الشيعية ليرى هل هناك إجماع لديها على هذا التفسير..

إلا إن هذا ليس من منهج الحنابلة، فبدون التصيد وانتهاك الخصم والتدليس وتحريف الكلم والتحصن بالقيل والقال لا يمكن لهم النيل من خصومهم..

رابعاً : ما هو القول لو أننا أنكرنا هذه الرواية وتبرأنا منها وحكمنا بأنها موضوعة..

من هنا فنحن نستعيد نفس الكلام الذى نقله من كتاب أصول الشيعة الإمامية وختم به هذا الموضوع وهو : فهذه الزمرة التى وضعت هذه الروايات كان جل همها وغاية قصدها البحث عن سند..

ولكن ليس لدعواهم فى الإمامة كما قال، فأدلة الإمامة كثيرة ومتعددة فى القرآن، والموضوع محل البحث هو الولاية لا الإمامة..

خامساً : ان قضية الوضع فى الرواية وقع فيها الشيعة والسنة على السواء والفارق فى هذا الأمر هو أن الوضع عند السنة قد طال مصادرهم الصحيحة، بينما الشيعة لا توجد لديهم مصادر صحيحة ولا يسلمون بما حوى تراثهم من روايات..

سادساً : هل لا تحوى كتب التفسير السنية خرافات وأكاذيب ؟

إن أمانة النقل تقتضى من الباحث أن يلجأ الى القول المعتمد لدى الخصم والذى يتفق مع أصول وقواعد مذهبه..

وتبيانا لهذا الأمر سوف نلجأ الى مصادر أخرى من كتب التفسير الشيعية غير القمى والبرهان والصافى لنرى هل هناك إجماع على هذه الرواية وهذا التفسير المتعلق بآية سورة الزمر لدى الشيعة..؟

قال الطبرسى بعد أن قام بشرح الآيات السابقة لها : ثم أعلم سبحانه أنه المعبود لا معبود سواه، بقوله " قل " يا محمد لهؤلاء الكفار " أفغير الله تأمرونى أن أعبد " أى

تأمروننى أن أعبد غير الله " أيها الجاهلون " فيما تأمروننى به، إذ تأمرون بعبادة من لا يسمع ولا يبصر، ولا ينفع، ولا يضر، ثم قال لنبيه :ولقد أوحى إليك " يا محمد " وإلى الذين من قبلك " من الأنبياء والرسل " لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين " .

قال ابن عباس : هذا أدب من الله تعالى لنبيه وتهديد لغيره، لأن الله قد عصمه من الشرك ومداهنة الكفار، وليس فى هذا ما يدل على صحة القول بالإحباط على ما يذهب إليه أهل الوعيد، لأن المعنى فيه : أن من أشرك فى عبادة الله غيره من الأصنام وغيرها، وقعت عبادته على وجه لا يستحق عليها الثواب به، ولذلك وصفها بأنها محبطة، إذ لو كانت العبادة خالصة لوجه الله تعالى لاستحق عليها الثواب، ثم أمر سبحانه بالتوحيد فقال : " بل الله فاعبد " أى وجه عبادتك إليه تعالى وحده دون الأصنام وكن من الشاكرين، الذين يشكرون الله على نعمه، ويختصون العبادة له..

وقال الطوسى : وقوله : " قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون " أمر للنبى أن يقول لهؤلاء الكفار تأمرونى أيها الكفار أن أعبد الأصنام من دون الله أيها الجاهلون بالله وآياته..؟

والعامل فى قوله : " أفغير " على أحد وجهين :

أحدهما : أن يكون " تأمرونى " اعتراضا، فيكون التقدير : أفغير الله أعبد أيها الجاهلون فيما تأمرونى..

الثانى : أن لا يكون اعتراضا ويكون تقديره : " أتأمرونى أعبد غير الله أيها الجاهلون فيما تأمرونى به..

ثم قال لبنيه : ولقد أوحى إليك " يا محمد " وإلى الذين من قبلك " من الأنبياء والرسل " لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين " لثواب الله..

وقال قوم : فيه تقديم وتأخير وتقديره : ولقد أوحى إليك لئن أشركت ليحبطن عملك، وإلى الذين من قبلك مثل ذلك..

وقال آخرون : هذا مما اجتزىء بأحد الخبرين عن الآخر، كما يقول القائل : لقد قيل لزيد وعمرو ليذهبن، ومعناه لقد قيل لزيد : ليذهبن وعمرو ليذهبن، فاستغنى بقوله وعمروعن أن يقال ليذهبن بما صار لزيد..

وليس فى ذلك ما يدل على صحة الإحباط على ما يقوله أصحاب الوعيد، لأن المعنى فى ذلك لئن أشركت بعبادة غيره من الأصنام لوقعت عبادتك على وجه لا يستحق عليها ثواب، ولو كانت العبادة خالصة لوجهه لاستحق عليها ثواب، فلذلك وصفها بأنها محبطة، وبين ذلك بقوله " بل الله فاعبد " أى وجه عبادتك إليه تعالى وحده دون الأصنام ودون كل وثن " تكن من الشاكرين " الذين يشكرون الله على نعمه ويختصون العبادة له..[1]

وقد اعترض صاحبنا على أن الولاية هى أصل قبول الأعمال عند الشيعة، وهذا الاعتراض ناتج من جهله بفكرة الولاية لأهل البيت حيث أنهم هم واجهة الدين والناطق الشرعى باسمه بعد الرسول فمن لا يعرفهم ولا يواليهم فمن أين يتلقى الدين ؟

وعلى أى أساس سوف يبنى عمله حتى يحظى بالقبول عند الله تعالى ؟

وهذا هو المقصود بأن الولاية أساس قبول العمل..

ونظرا لكون أهل السنة لا يعتقدون بولاية أهل البيت وإمامتهم فمن ثم هم يستهجنون هذا التصور ويرفضونه..

إلا أن السؤال الذى يفرض نفسه هنا هو : ما هو البديل الذى يطرحه أهل السنة لفكرة الولاية والإمامة ؟

أو السؤال بصيغة أخرى : ماهو مفهوم الولاية عند أهل السنة..؟

ومن يوالون بدلا من أهل البيت..؟

والجواب على هذا السؤال سوف يجده القارىء بين ثنايا عقائد أهل السنة التى نعرضها ضمن فصول هذا الكتاب..

---

(1) مجمع البيان فى تفسير القران ج٨/٤٥٧ ط القاهرة نشر جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية وقدم له عدد من رموز الأزهر..

وأراد هذا الحنبلى أن يضرب فكرة الولاية والروايات المتعلقة بها والتى أورد بعضها منكراً لها، وذلك باستحضاره رواية من تفسير فرات تقول على لسان الإمام على : سمعت رسول الله يقول لما نزلت :﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ﴾ «الشورى ٢٣».

قال جبريل : يا محمد إن لكل دين أصلاً ودعامة، وفرعاً وبنياناً، وأن أصل الدين ودعامته قول : لا إله إلا الله، وأن فرعه وبنيانه محبتكم أهل البيت وموالاتكم فيما وافق الحق ودعا إليه..

ونقل معلقا : فهذا النص يخالف ما تذهب إليه أخبارهم، حين يجعل أصل الدين شهادة التوحيد، لا الولاية، ويعد محبة أهل البيت هى الفرع وهى مشروطة بمن وافق الحق منهم ودعا إليه..

وهذا الغافل يناقض نفسه ويؤكد معتقد الشيعة والذى يقوم على الشهادتين أولا وأن ما دون ذلك هو فروع من هذا الأصل، وذلك من خلال هذه الرواية التى نقلها، والتى هى فى الحقيقة تفسر الروايات الأخرى التى ذكرت إحداها سابقا ونصها :

بنى الإسلام على خمس وفيها الولاية وليس فيها الشهادتين..

وليس هو مخالف لتلك الروايات كما ذكر هذا المدعى..

ومن الأدلة على جهل هؤلاء وسفاهتهم أنهم ينقلون من شرح عقائد الصدوق للمفيد، وعقائد الإمامية للمظفر، والاعتقادات للصدوق، وغيرها من كتب العقائد عند الشيعة التى تنص على أن أصول الدين عند الشيعة هى خمسة :

التوحيد..

النبوة..

الإمامة..

العدل..

المعاد ويعنى الإيمان بالغيب وما يشمله من بعث وحساب وجنه ونار وملائكة..

فهل يمكن القول: ان هذه الحقيقة غابت عن هؤلاء..؟

أم هو التعصب والغلو الذى دفع بهم الى اعتبار كل ما تستهجنه عقولهم من مقالات الشيعة هى أصول ؟

وهذه الرواية التى استشهد بها هذا الحنبلى إنما تؤكد حقيقة الولاية لأهل البيت التى أنكرها فيما سبق وإن كان قد تمسك بالشروط الوارد فيها وهو الموافقة للحق والدعوة له..

والسؤال هنا : ما هو هذا الحق ؟

والجواب تنص عليه الرواية وهو : التوحيد، الحب، الولاية..

وهذا يعنى أن هذا الحق يدور فى محيط حب وولاية أهل البيت فمن وافقه كان على هدى وصراط مستقيم..

ومن خالفه كان على ضلالة وصراط معوج..

أما قوله : لا يقبل الدعاء إلا بأسماء الأئمة ونقله رواية تقول : من دعا الله بنا أفلح، ومن دعا بغيرنا هلك واستهلك، فهذه قضية تتعلق بالتوسل الذى يقر به جمهور أهل السنة ويرفضه الوهابيون وحنابلة العصر..

وهى قضية استهلكت فى بحوث كثيرة منشورة صدرت من قبل الشيعة وأهل السنة..

أما ما نقله من أن الشيعة تقول: ان الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله فالروايات التى تقول بذلك هى للوضع أقرب منها الى الصحة، ويكفى لدحضها رؤية الملايين من شيعة العالم يحجون الى بيت الله الحرام كل عام كما ذكرنا من قبل..

وما ذكره بأن الدنيا والآخرة كلها للإمام يتصرف بها كيف يشاء وإسناد الحوادث الكونية الى الأئمة وأنهم يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شىء، فهذه وغيرها من صور الغلو والخرافات السائدة فى التراث الشيعى التى أصدر العديد من

فقهاء الشيعة الكثير من الكتابات النقدية لها على مستوى الماضى والحاضركما أصدر العديد من فقهاء السنة الكثير من الكتابات النقدية للخرافات وصور الغلو السائدة فى التراث السنى..

ومثال على هذا كتاب الموضوعات فى الروايات والأخبار لهاشم معروف الحسنى من الشيعة. وكتابات الشيخ محمد الغزالى وغيره من أهل السنة..

وقد دعم قولنا هذا الناقل بلا وعى حين أورد رواية المجلسى فى بحار الأنوار التى تقول عن على بن أبى طالب : إياكم والغلو فينا، قولوا :" إنا عبيد مربوبون"..

ونقل رواية أخرى من البداية والنهاية لابن كثير تقول على لسانه أيضا : اللهم إنى برىء من الغلاة كبراءة عيسى ابن مريم من النصارى، اللهم اخذلهم أبدا ولا تنصر منهم أحدا..

وهنا يطرح علينا سؤالا طرح سابقا : لماذا نسب الغلو الى الإمام على وأهل البيت، ولم ينسب الى أبى بكر وعمر..؟

والعجيب أن هذا التائه قد نسب الى الشيعة قولهم بالتجسيم والتعطيل فيما يتعلق بصفات الله تعالى معتمدا على بعض الأقوال المنسوبة لهشام بن الحكم والمنقوله من كتب السنة، فى حين ينقل روايات عن أهل البيت تتبرأ من مقالات التجسيم ومن هشام بن الحكم والقول بالتعطيل..

فأى عقل يحمله هؤلاء ؟

إنه عقل الماضى الزائغ عن الواقع..

وينقل كلام الإمام على : كمال الإخلاص نفى الصفات عنه..

وينقل كلام ابن تيميه عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب وأئمة أهل البيت إثبات الصفات لله وأن النقل بذلك ثابت ومستفيض فى كتب أهل العلم كما ذكر فى منهاج السنة..

والثابت تاريخيا أيضا أن الذين اتهموا بالتجسيم هم الحنابلة وهم الذين فجروا مسألة خلق القرآن وضخموها وكفروا القائلين بها..[1]

ومسألة خلق القرآن ورؤية الله تعالى يوم القيامة التى أثارها الكاتب من المسائل الخلافية بين أهل السنة والاتجاهات الإسلامية الأخرى وليس بينهم وبين الشيعة وحدهم..

وكل ما فعله هذا الناقل هو عرض أقوال أهل السنة فى هاتين المسألتين وهذا ليس بجديد..

وكأنه بهذا يريد التأكيد على أن مخالفة أهل السنة تعنى مخالفة الإسلام..

وفى منشور جذور الشيعة وجيش المهديالذى يحمل رقم اثنين من سلسلة تسمى الظاهر والباطن قال صاحبه فى المقدمة : إن دور اليهود لم يتوقف عند تغيير مسار المسيحية، بل استمر وبقوة وضراوة بعد أن زلزلت عقيدة التوحيد الجزيرة العربية، ودكت حصونهم فى المدينة المنورة، فراحوا يزرعون الفتنه ويمهدون لأفكار الشيعة أن تترعرع تحت سمعهم وبتدبيرهم حتى قلبوا لهم جميع أركان الإسلام ودعائمة القوية، فراحوا يعتقدون تحريف القرآن بيد الصحابة، وأن جمهور الصحابة قد ارتدوا بعد وفاة النبى، وأنهم يرفعون الأئمة أوصياء الدين فوق مستوى البشر، ونعرض أيضا عقيدتهم عن المهدى المنتظر وما أفعاله وإلام يدعوه، وسيجد القارئ قدراً كبيراً من مفاجآت جيش المهدى التى لا تخطر على باال ملايين من أهل السنة، ثم نقدم عقيدة غلاة الباطنية من الإسماعيلية والفاطميين والدروز، وعلى القارىء أن يحدد فى ختام قراءته لهذا الكتاب ما إذا كان أتباع هذه الفرق مازالوا مسلمين أم أنهم مرقوا منه، وأصبحوا من غير أهله..

وقال فى موضع آخر حول الباب الخاص بعقيدة الإمامية الإثنى عشرية : ولتعذرنا أيها القارىء الكريم لما سنسببه لك من دهشة مصحوبة بالأسى أثناء اطلاعك على

---

(١) انظر دفع شبهة التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزى..

المعلومات الواردة فى هذا الباب، ونحن على يقين أن قراءة هذا الباب بتدبير وتأمل سيمنحان المسلم من أهل السنة حصانة ضد هجمات الشيعة الطائشة، وعليه أن يصبر على ما يقرأه من جرأة الشيعة وهدمهم كل قواعد الإسلام، وأسسه المتينه، وسيتأكد بنفسه أن دعواهم بنطق الشهادات الثلاثة المعدلة للشهادتين، بعد إضافة " وأشهد أن عليا ولى الله " إنما هى أقوالهم بألسنتهم وما تخفى صدورهم من كراهية الإسلام أمر وأدهى..

وبداية لنا كلمة حول هذا المنشور أو هذه السلسلة التى يظهر مما تحتويه أنها لا صلة لها بباطن وظاهر هذا الدين، فكاتبها كشأن كل حنابلة العصر لا يملك الأدوات التى تعينه على الخوض فى مثل هذه القضية التى تحتاج الى أصحاب العقول لا النقله بلا وعى..

من هنا فقد برز هذا المنشور سطحيا يفتقر الى العمق وهذا ما دفع بكاتبه الى التحصن بمجلة التوحيد الوهابية..

وتحصن بعد ذلك بالأزهر الذى منحه الموافقة على منشوره، الا أن الموافقة كما أعلنها هى خاصة بكتاب عنوانه : تسرب الفكر الباطنى الى الشرائع السماوية، ولم يبين لنا هل هذا هو الكتاب الذى بين أيدينا أم هو كتاب آخر احتال به على الأزهر..

وعلى كل حال فهو يظهر لنا فرحة بدعم الحنابلة له وموافقة الأزهر الذى يعادونه ويحاربونه، وهذا بالطبع لا يضفى الشرعية على طرحه..

واذا كان الأزهر غير معترف به من قبل حنابلة العصر، فلماذا لجأ اليه هذا الحنبلى ليستمد منه المشروعية.. ؟

والباب المشار إليه هو الباب السابع من كتابه من صفحة ٢١١ حتى صفحة ٥٠٣ هو الباب الخاص بالشيعة الإمامية الإثنى عشرية أما بقية أبواب الكتاب فلا صلة لها بهم، والباب الثامن

الذى يليه كان تحت عنوان : عقائد غلاة الباطنية، وقد ركز فيه على الإسماعيلية والدروز والنصيرية ولم يشر فيه الى الشيعة الإمامية بشيء..

وهذه الكلمات التى ذكرناها من مقدمة كتابه إنما تدل على سذاجته وسطحيته واضطرابه، فهو لا يفقه حركة التاريخ، ولا يعلم شيئا عن تاريخ الأديان، وهو يصور اليهود وكأنهم قوة خارقة دبرت لقلب أركان الإسلام ودعائمة القوية بقيادة ابن سبأ بالطبع، وكيف لهم أن يقلبوا أركان الإسلام ودعائمه وهى قوية كما ذكر وهم قد دكت حصونهم وكسرت شوكتهم ؟

وإذا كان اليهود قد نجحوا فى هذا فمن الذى ساعدهم وتعاون معهم من المسلمين فى تلك الفترة.. ؟

وهو تساؤل طرحناه سابقا ونعيده الآن لنكشف غفلة هذا الحنبلى وأشياعه الذين يطعنون أمه المسلمين، إذ كيف تتاح الفرصة للتدبير لقلب أركان الإسلام ودعائمة القوية لأعداء الإسلام بينما الأمة تقف موقف المتفرج..؟

إنهم بهذا يتهمون الأمة بالخيانة لهذا الدين..

ثم هل الاعتقاد بعدالة جميع الصحابة يعد من أركان الدين ودعائمة.. ؟

والاعتقاد بالمهدى وغيبته يهدم هذه الأركان والدعائم.. ؟

ومن الغباء الظاهر فى مثل هذه المنشورات أن أصحابها يرهبون القارىء ويخوفونه من الشيعة بدعوى سعيهم لهدم قواعد الإسلام، بينما هذه الدعوى غير مسلم بها، إذ إن قواعد الإسلام عند الشيعة هى قواعد الإسلام عند السنة، والحقيقة التى يعمل حنابلة العصر على إخفائها وتضليل المسلمين عنها هى أن الشيعة بأطروحتهم المرتبطة بأهل البيت يشكلون خطراً على قواعد أهل السنة لا قواعد الإسلام، وبروز المد الشيعى بقوة سيكون على حساب هذه القواعد التى وضعها أهل السنة حيث ينبه المسلمين الى أوجه النقص والخلل بها..

وهذا يفسر لنا تلك الهجمة الطائشة من حنابلة العصر المدافعين عن هذه القواعد على الشيعة منذ قيام الثورة الإسلامية فى إيران عام ٧٩ وحتى غزو العراق وسطوع نجم الشيعة بقوة..

وسوف يتأكد القارىء من خلال عرض قواعد أهل السنة وعقائدهم وقواعد الشيعة وعقائدهم أن دعواهم بالحفاظ على قواعد الإسلام دعوى كاذبة..؟

أما ما يتعلق بالشهادات الثلاثة التى ذكرها فلا وجود إلا لشهادتين أما الشهادة بالولاية لعلى فتقال فى الآذان فقط وبعد الشهادتين، وهى تعد بدعة فى نظر فقهاء الشيعة لا ينص عليها أصل الآذان..

والآذان إنما هو إعلام بدخول الوقت لا أكثر وتصح الصلاة بدونه..

وهل الشهادة لعلى بالولاية تناقض التوحيد.. ؟

وقد كرر هذا الكاتب فى منشوره القضايا المعتادة التى يطرقها على الدوام حنابلة العصر فى منشوراتهم مستهدفين منها تحريض المسلمين على الشيعة وتشويه صورتهم، مثل قضية القرآن والموقف من الصحابة والغيبة وغيرها من القضايا التى أشرنا إليها سابقا والتى سوف تأتى تفصيلاتها فيما بعد..

ومن غروره تصوره أنه يقدم للمسلمين مفاجأة تصيبهم بالدهشة والأسى، وهو لا يعلم أن ما نقله فى كتابه إنما هو يردد منذ قرون طويلة، وهو لم يؤد الى تحصين أهل السنة وحجب تأثيرات التشيع، بل دفع بالكثير من العقول المفكرة وأصحاب الرأى الى التحول نحو الشيعة..

ومن التناقضات التى وقع فيها هذا الناقل أنه أورد بعض الروايات عن جعفر الصادق والتى تقول : إنا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا، ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس..

والرواية الأخرى التى تقول : لقد أمسينا وما أحد أعدى لنا ممن ينتحل مودتنا..

ومثل هذه الروايات إنما هى فى صالح الشيعة وتدعم فكرتهم فى الروايات المنسوبة الى أئمة أهل البيت..

وكيف لهذا الناقل بلا وعى أن ينقل مثل هذه الروايات التى تضرب دعواه وما ينسبه إلى الشيعة من أباطيل عن طريق رواياتهم التى كشف الإمام الصادق أن فيها كذب، فمن ثم لا يجوز الاحتجاج بها عليهم إلا إذا سلموا بصحتها.. ؟

وقد أورد نص عن ابن عساكر يقول : ان المهدى لما ادعى أنه من من ولد محمد بن إسماعيل قبل الأغبياء منه ذلك، مع علم أصحاب الأنساب بأن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق مات ولم يعقب..

وقال معقبا على هذه الرواية : وهذا الدليل يوضح براءة آل البيت الأطهار من انتساب القرامطة والفاطميين إليهم..

والحمد لله أنه ذكر أهل البيت الأطهار على الرغم من كونه لم يبين لنا لماذا هم أطهار.. ؟

لأن الشيعة فقط هم الذين ينسبون الطهر لأهل البيت..

والحمد لله أيضا أنه ذكر القرامطة والفاطميين فقط ولم يذكر الشيعة الإمامية التى تحدث عنها فى باب مستقل بعيدا عن الإسماعيلية والقرامطة والدروز والنصيرية وغيرهم..

والحمد لله ثالثا أنه قال فى ملخص الباب الثامن : لم تتوقف الباطنية عند حد التشيع لآل البيت كما ذهبت الشيعة الإمامية الإثنا عشرية بل غالت وفاقتها فى الغلو حتى جاوزت المدى..

وأن الغلو فى الأئمة قد بلغ مداه حين عبد الفاطميون والدروز الحاكم بأمر الله، وعبد العلويون على بن أبى طالب..

وهذا الكلام يعنى براءة الشيعة الإمامية من الباطنية والغلو فى أئمة أهل البيت، وأن علاقة الشيعة الإمامية بأهل البيت هى علاقة تشيع وولاء وإمامة باعتبار أنهم المصدر الشرعى الوحيد لتلقى الدين..

- إذهبوا فأنتم الرافضة..

وهو منشور وارد اليمن كما هو حال منشور توضيح النبأ دعمه صاحبه بخمس قذائف صغيرة هى بمثابة مقدمات للقذيفة الكبرى تحتوى إحداها على ما يلى :

قد أطلعنى الأخ.... على ما كتبه فى الناحية العقائدية التى تدار عليها معرفة الحق فى الرد على الروافض المبتدعة والمتآمرة على الإسلام والمسلمين قديما وحديثا وهم أحقر وأصغر من أن يرد عليهم لأنهم لا علم عندهم عقلا ولا نقلا..

وقد تركزت هذه المقدمات كما ركز المنشور على صد الهجمة الرافضية الغريبة على تربة اليمن وتاريخها الناصع حسب تعبيرأحدهم : ومما يؤسف له فى الآونة الأخيرة ظهور من تنكر لمذهب الزيدية فى اليمن وأخذ يجر الناس إلى مذهب الرافضة الذى تبرأ علماء الزيدية منه..

وهذا يشير الى نهضة شيعية فى اليمن أزعجت حنابلة العصر ودفعت بهم الى هذه الثورة..

وأكد هذا الحنبلى اليمنى من خلال منشوره على عصمة الكتاب والسنة..

وجميع المسلمين يسلمون بعصمة الكتاب لكنهم لا يسلمون بعصمة السنة ولو سلموا بها لساووها بالكتاب وهذا عين الضلال..

وأكد أيضا على عقيدة أهل الإسلام فى الصحابة والقرابة ويقصد بأهل الإسلام أهل السنة بالطبع، وقد كان من الأولى أن يقول عقيدة أهل السنة فى الصحابة وأهل البيت، إلا أن القوم اعتادوا على التضليل والتطرف وكأنه بهذا يريد إيصال القارىء الى نتيجة مفادها أن الذين يقولون بغير قول أهل السنة فى الصحابة وأهل البيت هم خارج دائرة الإسلام..

ثم حدد الكتاب والسنة كأساس وميزان لمن يريد الخوض فى شأن الصحابة وغفل أن هذا الميزان يملكه الشيعة أيضا ويبنون على أساسه موقفهم من الصحابة..

وتعمد هذا الحنبلى الخلط - شأنه شأن بقية الحنابلة - بين الشيعة الإمامية والفرق الأخرى وذلك من خلال قوله الشيعة يلتقون فى خندق واحد وتحت لافتة واحدة ودعوى واحدة مع القرامطة والمكارمة والباطنيين والنصيريين والدروز والفاطميين والإسماعيليين..

فهو قد خلط بين فرق الماضى والحاضر..

ومن علامات جهله قوله : يكفينا كتاب الله من أخطر ما نتج عن المخطط الشيعى الرافضى..

ونشوء هذه الفكرة فى واقع المسلمين يعود سببها الى الخرافات والأكاذيب المنسوبة للرسولﷺ التى تم حشو كتب السنن بها..

وسيرا مع النهج الوهابى الذى يجرم إحياء المناسبات ويعدها من البدع، عد الإحتفال بعيد الغدير وذكرى عاشوراء من البدع والضلالات التى لا أصل لها فى الدين..

وبرهن على قوله بروايات البخارى ومسلم والنسائى هذه الروايات التى لا وزن لها عند الشيعة..

لكن الغريب أنه قال: الى الذين يسبون معاوية أو غيره نوجه هذا السؤال : أليس معاوية على الأقل من المسلمين وهل يوجد فى الأرض أحد من المسلمين ينفى الإسلام عن معاوية.. ؟

فهو قد افترض سؤالاً وأجاب عليه..

ونحن نقول له ولأمثاله من المغفلين نعم هناك من المسلمين من لا يعتقد أن معاوية لم يدخل الإسلام لا هو ولا أبوه ولا أمه..

وهذا الكلام يعنى أنه يوجد فى الأرض من ينفى إسلام معاوية وهم الشيعة..

وقال إن الشيعة لم يهتموا بعلوم الحديث ولا يلقون أى بال لعلم الجرح والتعديل وغاب عنه أن أقرانة ينقلون من كتب الرجال الشيعية وهذا يعنى وجود علم الرجال عند الشيعة..

وتعجب من الحملات التى تشن على البخارى ومسلم وكتب السنن الأربع مع أنه لا يوجد فيها حديث واحد فيه انتقاص أو جرح لأحد من أهل البيت واحتج بأن الشيعة يستدلون بهذه المصادر فى مدح أهل البيت..

والشيعة يستدلون بروايات البخارى ومسلم وكتب السنن الأخرى للاحتجاج بها على أهل السنة لكونهم يعترفون بصحتها ويدينون بها فهم يستدلون عليهم بما يعتقدون وهذا يعد أقوى صور الاستدلال..

ولا يعنى هذا بحال أن الشيعة تعتقد فى صحة البخارى وغيره من مصادرأهل السنة أو أن هذا الاستدلال يعد صورة من صور التناقض كما يدعون..

أما قوله: إن روايات البخارى ومسلم وكتب السنن لا تنتقص أو تجرح أحداً من أهل البيت فهو جهل وتعصب ولو كان الأمر كذلك فلماذا شكك البخارى فى جعفر الصادق..؟

ولماذا جعلوا الحكام أئمة بدلاً من أئمة أهل البيت..؟

ولماذا برز اتجاه التشيع الموالى لأهل البيت وخاصم أهل السنة..؟

ولماذا حورب أهل البيت وشيعتهم وقتلوا من قبل الحكام..؟

ومن الطريف فى هذا الكتاب أن صاحبه حدد أن الشيعة محرومون فى الدنيا والآخرة ونقل قول ابن حنبل : ما علمنا أن رافضيا ختم الله له بخير..

وهذه الرواية التى أطلقها إطلاق المسلمات تؤكد ما ذكرناه سابقا من أن القوم يكذبون الكذبة ويصدقونها..

وفى منشور صغير بعنوان مبادىء عقدية بين الشيعة والسنة صدر منذ أكثر من خمسة عشر عاما تحدث الكاتب فى نبذة تاريخيه عن جذور المذهب الشيعى بقوله : وقد

بدأت دعوى أحقية على بن أبى طالب بالخلافة دون أبى بكر وعمر وعثمان فى أول الأمر كدعوة سياسية، وذلك لبث الفتنة فى صفوف المسلمين، ولكنها ما لبثت أن تحولت الى دعوة دينية انشقت عن التعاليم الإسلامية، هذه التعاليم التى ما يزال جمهور علماء المسلمين يتعهدونها بالرعاية والحماية..

وقد خطط لهذا الانشقاق بعض ذوى المصالح بتدبير خبيث ذهب ضحيته الكثير من المسلمين خاصة العامة كما ذهب ضحيته بعض العلماء الذين لم يتمكنوا من تحرير أنفسهم وعقولهم مما نشأوا عليه من تحيزات خطيرة فنشأ بذلك مذهب سمى المذهب الشيعى، تشيعا لعلى بن أبى طالب وبعض من آله، وهم ينقسمون الى فرق متعدده، منهم الزيدية وهم أقل ابتعادا عن جمهور علماء المسلمين، ثم الإسماعيلية والنصيرية العلوية والدروز وهؤلاء قد وصلوا درجة من الغلو حتى جعلوا عليا إلها وخالقا ثم الإمامية والجعفرية الإثنى عشرية..

وهذا الكلام قاله هذا الناقل بعد الإشارة الى ابن سبأ بالطبع وتتبعه يكشف لنا العديد من العورات فيه..

فقوله : إن دعوى الإمامة أو أحقية الإمام على حسب تعبيره بدأت كدعوة سياسية يحوى العديد من المغالطات، فإن هذه الدعوة قد برزت فى دائرة الدين وفى مواجهة الخلفاء الثلاثة الذين تعد خلافتهم فى دائرة الدين وهى خلافة راشدة مقدسة فى منظور أهل السنة، فكيف لخلافة تحظى بهذا القدر من الشرعية تتصدى لمواجهتها دعوة سياسية.. ؟

ثم ان القول بأحقية إمامة على متحصن بالعديد من النصوص الشرعية التى هى أكثر بكثير من تلك الروايات التى حاول من خلالها أهل السنة أن يضفوا القداسة على الخلفاء الثلاثة..

وكيف لهذه الدعوة السياسية أن تبرز فى عهد عثمان ولم تبرز فى عهد أبى بكر وعمر ؟

وهل كان وصول عثمان الى الحكم فجأة، أم بترتيب ومقدمات بدأت من أبى بكر الى عمر..؟

إن العقل يقول: انه ما دامت هذه الدعوة قد ارتبطت بالإمام على فكان يجب أن تواكب مسيرته بداية من رحيل النبىﷺ..

إلا إن القوم بالطبع يردون على هذا التصور بأن الإمام على كان على إتفاق ووئام مع الخليفة الأول والثان، ومثل هذا الوئام والإتفاق لا يدل على أن الإمام على لم يكن له موقف من الخليفتين فهو قد تعايش مع الواقع كما يتعايش أى معارض مع واقع يرفضه.. وكيف لدعوة سياسية أن تتحول إلى دعوة دينية، وكيف حدث هذا التحول، وما هى عوامله وأدواته..؟

وهل حقا هذه الدعوة انشقت على التعاليم الإسلامية أم انشقت عن الخط السائد الذى تفرخ منه أهل السنة فيما بعد.. ؟

ولقد أجابنا هذا الناقل المتخبط عن السؤال الأخير بقوله : هذه التعاليم التى ما يزال جمهور علماء المسلمين يتعهدونها بالرعاية والحماية..

والجمهور هنا هم جمهور أهل السنة قطعاً..

وقد كذب بقوله : خطط لهذا الانشقاق بعض ذوى المصالح، فإن أصحاب المصالح انحازوا إلى الخط السائد لا إلى خط أهل البيت، وكيف لأصحاب المصالح أن يخططوا لتوجه لا يخدم مصالحهم ولن تكون له السيادة والانتشار والتمكن فى واقع المسلمين..؟

وهل الذى ينحاز الى صف على ويقف ضد معاوية يخدم أصحاب المصالح..؟

مع الإشارة الى أن القوم خطأوا معاوية واعتبروه اجتهد فأخطأ فهل خطأ معاوية لا يدخله فى دائرة أصحاب المصالح.. ؟

وهل صواب على لا يدخله فى دائرة الحق.. ؟

والذين انحازوا الى الحسين ضد يزيد بن معاوية هل كانوا من أصحاب المصالح..؟ مع الإشارة الى أن العديد من فقهاء السنة لعنوا يزيد لقتله الحسين وبعضهم كفره فهل كان يزيد يمثل الحق أم ذوى المصالح.. ؟

ثم أعطانا هذا الناقل بعض الدلائل الأخرى التى تشير الى تناقضه وارتباكه فى اختيار المعانى والتعابير التى تخدم وجهته وذلك باعترافه أن هناك بعض العلماء ذهبوا ضحية التشيع وانحازوا له، وهذا يدل على أن التشيع لم يستقطب العامة فقط بل استقطب العلماء أيضا..

وقوله :" وبعض من آله "يقصد به انحياز الشيعة الى على وفاطمة والحسن والحسين باعتبارهم أهل البيت فى مفهومهم دون مفهوم أهل السنة الواسع الذى يشمل نساء النبى آل جعفر وآل عقيل وآل العباس..

إلا إن هذا التقسيم الذى ذكره ليس فى صالحه وإنما هو فى صالح الشيعة الإمامية الذين استثناهم من القول بتأليه على..

والغريب أنه ذكر الإمامية والجعفرية الإثنا عشرية، فكيف فصل بين الإثنين وهم وحدة واحدة ؟

ولا جواب على ذلك سوى التخبط، خاصة أنه حدد فى كتيبه أنه سوف يتناول الخلافات الأساسية بين جمهور علماء المسلمين وعلماء الجعفرية فقط..

وكما هو حال جميع هذه المنشورات المعادية للشيعة تطرق الناقل لمسألة القرآن والإمامة والعصمة والصحابة والتقيه ونكاح المتعة وغيرها من المسائل التى يتداولها حنابلة العصر..

وقام أحدهم بإخراج منشور بعنوان : السياط اللاذعات فى كشف كذب وتدليس المراجعات..

والمراجعات كتاب يحوى مجموع الرسائل المتبادلة بين السيد عبد الحسين شرف الدين من فقهاء الشيعة من لبنان المتوفى عام ١٩٥٧ م وشيخ الأزهر سليم البشرى المتوفى عام ١٩١٦م، وقد أعلن حنابلة العصر غضبتهم على هذا الكتاب الذى يركز على فكرة الإمامة من خلال مصادر أهل السنة، وما حواه من نصوص قرآنية ونبوية وحجج منطقية انزعجوا بسببها فكان أن أطلق هذا الحنبلى قذيفته هذه على الكتاب وصاحبه..

وبداية سوف نتجنب ما حواه هذا المنشور من سباب وشتائم لا تدل على خلق بل تدل على تهور وعدوانية وحقد لا يتصف أهل العلم بشىء منه..

وفى الفصل الأول من هذا المنشور وتحت عنوان : حقيقة كتاب المراجعات قدم مجموعة من البراهين التى يبرهن بها على أن كتاب المراجعات موضوع ومكذوب على شيخ الأزهر تبين أنها منقولة بالكامل من كتاب آخر منشور مع اختلاف يسير فى بعض الجمل والكلمات وهو كتاب مسألة التقريب بين السنة والشيعة..

وهى قد تكررت فى كل ما كتب ضد كتاب المراجعات من قبل حنابلة العصر وفى مقدمتها كتاب : البينات فى الرد على أباطيل المراجعات..

وعلى رأس هذه الشبهات التى أثاروها :

١ - ان الكتاب جاء من جهة السيد عبد الحسين شرف الدين وحده..

٢ - ان الكتاب لم ينشر إلا بعد عشرين عاما من وفاة البشرى..

- ان أسلوب الرسائل التى حواها الكتاب واحد ..

- أن نصوص الكتاب تحمل فى طياتها أمارات الوضع والكذب..

وهناك العديد من الردود التى صدرت من جهة الشيعة فى مواجهة شتى الشبهات التى يثيرها خصومهم على مستوى الماضى والحاضر، وفيما يتعلق بالمراجعات فهناك العديد من الردود على الشبهات التى أثارها حنابلة العصر من حوله وعلى رأسها كتاب تشييد المراجعات للميلانى..

وقد أشار كاتب المراجعات فى مقدمة كتابه الى قصته وكيف دون هذه الرسائل ولماذا تأخر صدورها.. ؟

كما تحدث عن رحلته الى مصر ودراسته فى الأزهر وتتلمذه على يد الشيخ البشرى..

ويقول فى كتاب آخر : كتاب المراجعات، أو المناظرات الأزهرية والمباحثات المصرية " مجلد واحد، يثبت رأى الإمامية فى الإمامة والخلافة بعد رسول الله ﷺ ألفناه فى مصر، إذ أتيناها سنة ١٣٢٩ هـ فجمعنا الحظ السعيد بإمامها الوحيد الشيخ " سليم البشرى المالكى "شيخ الجامع الأزهر فى ذلك العهد ـ حضرت درسه وأخذت عنه علماً جماً وكنت أختلف الى منزله أخلو به فى البحث عما لايسعنا البحث عنه إلا فى الخلوات وكان جل بحثنا هذا فى الإمامة التى ما سل سيف فى الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل عليها، وقد فرضنا على أنفسنا أن نمعن النظر فى البحث عن أدلتها متجردين من كل عاطفة سوى انتجاع الحقيقة والوصول إليها من طريقها المجمع على صحته..

وعلى هذا جرت مناظراتها ومراجعاتها، وكانت خطية تبادلنا بها المراسلة إبراماً ونقضاً..

وكنت أردت يومئذ طبع تلك المراجعات، وهى ١١٢ مراجعة لكن الأقدار الغالبة أرجأت ذلك، فلما نكبنا فى حوادث سنة١٣٣٨ هـ انتهت مع سائر مؤلفاتى يوم صبح نهباً فى دورنا..

وما أن فرج الله عنا بفضله وكرمه حتى استأنفت مضامينها بجميع مباحثاتها التى دارت بيننا، فإذا هى بحذافيرها مدونه بين دفتى الكتاب مع زيادات لا تخل بما كان بيننا من المحاكمات..

وأشار أيضاً فى كتابه : النص والإجتهاد عن نصوص المراجعات بقوله : تبادلنا ذلك مع شيخنا شيخ الإسلام ومربى العلماء الأعلام الشيخ سليم البشرى المالكى - رحمه الله - أيام كنا فى خدمته، وكان إذ ذاك شيخ الأزهر، فعنى به عنايته بحملة العلم عنه، وجرت بيننا وبينه حول الخلافة عن رسول الله ﷺ ونصوصها مناظرات ومراجعات خطية، بذلنا الوسع فيها إيغالا فى البحث والتمحيص، وإمعانا فيما يوجبه الإنصاف والاعتراف بالحق، فكانت تلك المراجعات.. [1]

---

(١) انظر بغية الراغبين فى سلسلة ال شرف الدين ج ٢/٩٨

والأقدار الغالبة التى حالت دون صدور الكتاب سريعا وتسببت فى تأخيره تتمثل فى موقف السيد عبد الحسين من الاستعمار الفرنسى آنذاك وموقف الفرنسيين منه، ذلك الموقف الذى أدى الى إحراق بيته بما فيه من كتب وأثاث بعد أن يئست قوات الاحتلال من القبض عليه، هذا بالإضافة الى قيام الحرب العالمية الأولى قبل ذلك..(١)

وفى الفصل الثانى من السياط وتحت عنوان : منهج الرافضة عموما وعبد الحسين خصوصا فى الاستدلال من كتب السنة، تبين أن هذا الفصل أيضا منقول من كتب أخرى..

وقد حدد هذا المنهج ما يلى :

٣ ـ ان فقهاء الشيعة دسوا على أحاديث السنة نصوصا مطابقة لمذهبهم ضل بها كثير من خواص السنة وعوامها..

٤ ـ استغلال المشابهه فى أسماء الرواة السنة مع رواه الشيعة وإدخال أحاديث على لسان رواه السنة تخدم مذهب الشيعة..

٥ ـ نسبة كتب تطعن فى الصحابة ومذهب أهل السنة إلى فقهاء من السنة..

ـ النقل من كتب عزيزة والإستدلال بها على الطعن فى الصحابة..

ـ لزيادة فى النصوص المتداولة المشهورة..

٦ ـ ادعاء الإجماع على لفظ محدد للرواية التى تخدمهم بينما للرواية ألفاظا أخرى لا تفيد غرضهم..

٧ ـ النقل من علماء لا يمثلون أهل السنة للاحتجاج بأقوالهم عليهم..

٨ ـ تأليف كتب فى فضائل الخلفاء الأربعة تضم أحاديث صحيحة عند أهل السنة، ويضعون فى مناقب على ما يوجب القدح فى الثلاثة..

٩ ـ الاستناد الى الأحاديث الضعيفة والموضوعة والادعاء أنها من مصادر السنة المعتبرة والمتفق عليها..

---

(١) المرجع السابق ج٢/١٥,

ومثل هذا وغيره يسقطه طرح هذا الكتاب المفصل لعقائد الشيعة وتوجهاتها وطرق استدلالاتها، وكأنه بهذا الكلام ينسب الجهل الى أهل السنة الذين استطاع الشيعة اختراقهم بهذه السهولة والعبث فى نصوصهم..

والحق أن مثل هذا الكلام يثبت التداخل بين الإتجاهين عبر التاريخ فى مجال النقل والرواية، ذلك التداخل الذى أقر به فقهاء السنة حين اعترفوا برواة الشيعة ونقلوا عنهم وهو ما يدحض كلام صاحبنا على ما سوف نبينه فى ملاحق الكتاب..

ومنهج الحنابلة فى الاستدلال الذى يجرم العقل ويغالى فى الروايات ويفتقد الى الموضوعية العلمية، كما هو واضح من منشوراتهم، لا يوزن بشىء أمام منهج الاستدلال العلمى الذى التزم به صاحب المراجعات..

• وهل يمكن لخواص السنة أن يضلوا على أساس أحاديث مدسوسة من قبل الشيعة، أم أنهم تحولوا عن طرح أهل السنة نتيجة لانتباه عقولهم عن طريق كتاب مثل المراجعات.. ؟

أما ما يتعلق باتهام السيد شرف الدين بالكذب فى النقل وتغييره وبتره والغش والتدليس وكتمان الحقيقة والتناقض، فكل ذلك مما اعتدنا عليه من حنابلة العصر الذين يلقون بالتهم جزافا وبغير علم على أساس النقل واعتمادا على الخصومة والعداء للشيعة..

ومكمن الإشكال الذى يراه حنابلة العصر فى المراجعات ليس فى أمر صحة هذا الكتاب ونسبته إلى الشيخ البشرى، إنما الأشكال فيما يحتويه من نصوص تمس الصحابه..

وهو ما عبر عنه صاحب السياط بقوله :

ولعل القارىء يلحظ فى كلامى شدة فى القول إنتهجتها، وسياطاً شداداً أنزلتها على صاحب المراجعات وكتابه، وحسبى فى ذلك أننى رأيت ما لا يصبر عليه مسلم، فقد طعن هذا الرافض وقومه فى أصحاب محمد وخونوهم وقدحوا فى دينهم وأمانتهم وهم حملة الدين والكتاب وحفظته..

ولا أدعى أن هذه الصحف من بنات أفكارى فقط، فألبس ثوبا ليس لى، ولكنها صحف عراقية بأيد يمانية..

وهكذا اعترف لنا هذا الحنبلى بكذبه، وما كنا فى حاجة الى سياطه هذه وهو قد استعارها من آخرين..

ويكفى فى ختام هذا التعليق أن نذكر دفاعه عن معاوية بقوله :.. فإن معاويه كاتب الوحى وخال المؤمنين اجتهد فى قتال على وكان الحق مع على فله أجر الاجتهاد..

وهذا النقل العشوائى يدينه ويدين مذهب أهل السنة ويبرز أصابع السياسة فى تكوين ونشأة هذا المذهب..

فأى عقل يقبل أن القتال يعد اجتهاداً، وقتال صاحب الحق باعترافهم..

ثم من قال من أهل السنة بصحة ادعاء أن معاوية كان من كتبة الوحى..؟

والثابت عند فقهاء الرواية ما جاء على لسان اسحاق بن راهويه أنه لم تصح فى معاوية منقبة كما جاء فى شرح باب ذكر معاوية بفتح البارى كتاب الفضائل..

من أجل ذلك اخترعوا له أو اخترع لنفسه فكرة خال المؤمنين باعتباره شقيق السيدة رمله بنت أبى سفيان زوج النبى والمعروفة بأم حبيبة، وقام ابن قدامة بوضع نص معاوية خال المؤمنين ضمن نصوص عقيدته المسماة لمعة الاعتقاد والتى قام بشرحها وتوثيقها امامهم ابن عثيمين..

ومن أكاذيب حنابلة العصر إدعاؤهم أن الشيعة يطعنون الصحابة ويخونونهم ويقدحون فى دينهم وأمانتهم، والحقيقة أنهم يطعنون ويخونون ويقدحون فى معاوية وأمثاله، ويحبون ويوالون من استقام على الدين الحق وهم كثير على ما سوف نبين فى فصل الصحابة..

إلا إن مانود قوله بشأن كتاب المراجعات هو أن النصوص التى حواها ليست من اختلاق عبد الحسين شرف الدين وإنما تزدحم بها كتب السنن. وقد تكون هناك بعض الأخطاء فى النقل من مصادر أهل السنة لكن هذه الأخطاء مما هو معتاد وقوعه فى مثل هذه الموضوعات على مستوى الكتابات السنية والشيعية..

والأمر الذى يجب ذكره فى هذا المجال أن كتاب المراجعات يقدم لنا درسا بليغا فى أدب الحوار ويؤكد لحق الخلاف وهو الخلق الذى ندعو حنابلة العصر إلى التحلى به..

وفى منشور حقيقة الشيعة حتى لا ننخدع وهو منشور آخر من المنشورات المستوردة من خارج مصر قال كاتبه فى مقدمته : هذه هى الطبعة السابعة عشر من كتابنا والذى بحمد الله لقى رواجاً وقبولاً لدى كثير من المثقفين وغيرهم من السنة والشيعة على السواء لأننا التزمنا فيه الحياد..

وهذا الكلام كذب تثبته نصوص المنشور النقلية بلا وعى ولا تبين من كتب الشيعة والتى تجعل منه صورة من كتب الحنابلة النقلية البعيدة عن الحياد والموضوعية وقواعد البحث العلمى والعدل والإنصاف..

وكتب الحنابلة كما يدل الواقع لا يقرؤها أحد من أصحاب العقول من أهل السنة فضلا عن الشيعة وإنما رواجها يكون بين العامة والبسطاء والسوقة الذين يشكلون غالبية حنابلة العصر..

ويحاول هذا الكتاب أن يصور أن التقية أساس التشيع وأن الشيعة تيار متطرف وعدوانى يسعى للقضاء على أهل السنة ويستبيحهم فهو لا يرعى لهم حرمة ولا يعترف بهم كمسلمين محددا أن الشيعة يقولون بإباحة دماء وأموال أهل السنة الأمر الذى لا يجد له شواهد إلا بعض النقولات التى نقلها من كتب الشيعة..

وهذه النقولات لا تخرج عما يلى :

- انها أقوال تمثل أصحابها..
- انها موجهة الى طائفة النواصب..
- انها رد فعل للضغط والإرهاب من الخصوم..

والذين يقولون مثل هذا الكلام لا يعتدون بما كان يواجهه ويعانيه الشيعة عبر التاريخ من المتعصبين السنة والحكام الذين كانوا يدعمونهم باعتبار أن هذا عمل مشروع فى نظرهم..

والحنابلة يتغاضون عن الجرائم والبطش والتنكيل الذى لحق بالشيعة ثم يحرمون عليهم رد الفعل ولو نظريا..

وفى الوقت نفسه يتغاضون عن صور العنف والإرهاب التى مارسها الحنابلة ضد الشيعة وغيرهم والتى تزدحم بها كتب التاريخ..

ويتغاضون عن العمليات الانتحارية التى تقوم بها عناصرهم فى العراق وافغانستان ودول العالم والتى يسقط ضحيتها عشرات الأبرياء كل يوم..

ويتعجب الكاتب من أن الحق عند الشيعة هو مخالفة ما عليه السنة..

وما هو وجه التعجب فى هذا وكل مذهب يعتقد هذا الاعتقاد ويتعصب لما هو عليه وحال المذاهب الأربعة يشهد بهذا..

ومن الطبيعى أن يخالف الشيعة أهل السنة وأن يعتبروهم لا يمثلون الدين الحق لكن هذا بحال لا يستوجب تكفيرهم..

والعجيب أن الكاتب دافع عن الأزهر ضد تهمة وجهها إليه أحد الشيعة بالإعداد لتزوير أمهات الكتب وحذف منها ما يتعلق بأهل البيت ويدعم طرح الشيعة فى حين أن حنابلة العصر يهاجمون الأزهر ولا يعترفون برجاله..

هذا فى الوقت الذى قاموا هم بتزوير كتب التراث وحذف النصوص التى لا تخدم مذهبهم منها ويتجلى ذلك فى حذفهم جملة - عليه السلام - التى كانت مكتوبة فى أمهات وشروحات الكتب القديمة مثل البخارى ومسلم وكتب السير والتاريخ والتراجم عند ما يذكر اسم الإمام على أو السيدة فاطمة الزهراء أو الحسن والحسين..

وقد ضربنا المثل فيما سبق على كتاب فتح البارى لابن حجر العسقلانى.. ثم ينقل الكاتب صور من نقد الشيعة لأصحاب المذاهب الأربعة ونسى أن المذاهب الأربعة كفرت بعضها بعضا وحاربت بعضها بعضا..

ومن الطريف أنه نقل قصة الكسروى الذى صرح بعداوتة للإسلام فى إيران واغتيل على يد جماعة نواب صفوى وهو يريد الاستدلال بهذه القصة على إرهاب الشيعة

لخصومهم ومنتقديهم وأن الشيعة قتلة معللا أن الكسروى كانت له كتب كثيرة وأن مقالاته كانت منتشرة فى الصحف الإيرانية ويهاجم بها أصول المذهب الشيعى..

والسؤال هنا هل هذا الحنبلى حريص على حرية الرأى الى هذا الحد.. ؟

أم هو حريص على المذهب الشيعى..؟

وعلى فرض التسليم بهذه القصة فالاغتيال باسم الشيعة أو باسم السنة مرفوض..

إلا إن المغالطة الفاضحة هنا هى أن جماعات الحنابلة من التكفير والجهاد وجند الصحابة وغيرهم المنتشرون فى جميع أنحاء العالم هى التى تتبنى الاغتيالات والتصفية الجسدية للمخالفين من أهل السنة ثم اتجهت بعد ذلك إلى الشيعة..

ومادام هذا الحنبلى قد نصب نفسه مدافعاً عن الحريات وأصحاب الرأى فهل له أن يخبرنا لماذا اغتالوا الكاتب فرج فوده فى مصر.. ؟

ولماذا حاولوا اغتيال نجيب محفوظ وغيره..؟

ولماذا تنسف وتحرق جماعة جند الصحابة السلفية فى باكستان مساجد الشيعة بالمصلين..؟

ولماذا يقتلون المسلمين وغيرهم فى كل مكان بعملياتهم الانتحارية..؟

وإذا كان بعض فقهاء الشيعة قد أباحوا قتل النواصب أعداء أهل البيت فهل أهل السنة يعدون أنفسهم من أعداء أهل البيت.. ؟

وإذا كان جوابه نعم فقد أضر بأهل السنة..

وإذا كان الجواب لا فلا توجد مشكلة..

وحتى قصة الكسروى هذه لم يأت بها هذا الحنبلى بجهده وبحثه بل نقلها عن مصدرمعاصر من مصادرهم وهوكتاب مسألة التقريب الذى لا يقر التقريب ويرفضه من منطلق المذهبية والتعصب..

والناقل يؤكد لنا أن حنابلة العصر ضد وحدة المسلمين وتوافقهم وتقاربهم لأن ذلك سوف يكون على حسابهم فهم ليسو على استعداد للتنازل عن أفكارهم التى عدوها دينا

أو المرونة فى مواجهة الواقع والتوحد والتقريب فى مفهومهم ليس له إلا طريقة واحدة وهى دخول جميع المسلمين فى مذهبهم والتخلى عن عقولهم..

ومما يذكر حول هذا المنشور أن صاحبه قد أصدر طبعة جديدة منه قال إنها الطبعة العشرون، وقام بتصحيح بعض الأخطاء فى النقل التى وقعت فى الطبعات السابقة وزاد فيها بعض الأخبار والنقول حسبما ذكر فى مقدمة الطبعة المذكورة..

وقد بالغ هذا الحنبلى فى تصيده لمواقف وممارسات وفتاوى الشيعة فجعل فى كتابه مبحثا تحت عنوان : موقف الناخب الشيعى من المرشح السنى ذاكرا أن مراجع الشيعة يدعون لمقاطعة المرشحين السنة..

وإذا كان هذا قد حدث فما هى المشكلة فى ذلك.. ؟

وهل يجوز عند أهل السنة إعطاء أصواتهم للشيعة.. ؟

وقدم فى نهاية منشوره رسالة للإخوان المسلمين مؤكداً أن الذين تعاطفوا مع الشيعة لم يكونوا على علم بمعتقداتهم وعلى رأسهم الشيخ حسن البنا والشيخ محمد الغزالى وجميع الذين تبنوا فكرة التقريب..

ثم استنجد بمعارضى التقريب مثل إحسان إلهى ظهير والسالوس ومحمد عبد الوهاب ومحب الدين الخطيب ومحمد عمارة وبعض من حنابلة العصر الذين هاجموا الشيعة..

واعتبر السالوس من الأبطال الذين انتبهوا الى الأعيب الشيعة..

واعتبر أيضا أن التقية هى التى أوقعت الشيخ شلتوت فى فتواه التى قال فيها بجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية..

ثم قال بعد ذلك ولم يؤيد الشيعة إلا جاهل أو مفكر متطفل استدرجه دهاة التقية فاستكتبوه فكان بوقا لهم أو رجل فرشوا منزله بالسجاد التبريزى فكان نعم العون لهم..

وهكذا اتهم هذا الحنبلى رموز الأمة بالجهل والغفلة والعمالة كما اتهم السابقين الذين رووا أحاديث الشيعة فى أمهات مصادر السنة..

وقرر أخيراً أن الشيعة ماضون فى نشر دعوتهم وترويجها بين العوام مستغلين الظروف السيئة التى يعيشها المسلمون..

وأن التقريب بين السنة والشيعة مستحيل..

والحق أن الشيعة تروج لأفكارها ومعتقداتها بين العقلاء والمعتدلين والمثقفين..

أما العوام والسوقة فهم مجال حنابلة العصر..

ويشهد الواقع أن حنابلة العصر هم العملاء، ويظهر ذلك بوضوح من خلال رائحة النفط التى تفوح منهم على الدوام، والتى أزكمت أنوف المسلمين..

والظروف السيئة التى يعيشها المسلمون اليوم إنما هى بسببهم وبسبب فرقهم الجاهلة المتطرفة والإسلام المعوج الذى أبرزوه وأشاعوه بين الناس مما دفع البعض منهم إلى الإرتدادعن الإسلام إلى البوذية والمسيحية وغيرها من الأديان..

وهو ما نراه واقفا فى الساحة الأوربية اليوم وحتى فى ساحة المسلمين..

وبسببهم وبسبب فرقهم أيضا اندفع العديد من أصحاب العقول والفطر السليمة نحو التشيع..

ويغفل الحنابلة دائما أن الزمان ليس زمانهم..

وأنهم يسيرون عكس الواقع..

وأنهم فشلوا فى كسب ثقة المسلمين..

وأقول هذا الكلام لأننى كنت يوماً واحداً من هؤلاء الذين كانوا يدورون فى محيط الماضى المستقطبين بأموال النفط منذ زمن إلا إن الله سبحانه هدانا لنهج أهل البيت الأطهار وأبعدنا عن نهج الرجال والحكام..

ولم أترك من قبل حنابلة العصر فقد أصدر أحدهم فى منشورا منذ سنوات بعنوان : بداية الشر ونهج البرير: نماذج من سموم الغزو الشيعى لمصر..

ثم ادعى بعضهم بعد ذلك أننى شخصية وهمية..

ولاتزال الحرب علىَ مستمرة..

وبعد انتصارات حزب الله على الصهاينة فى لبنان انتفض حنابلة العصر بقوة وأصدروا كماً كبيراً من المنشورات التى تعد صورة طبق الأصل من المنشورات السابقة المنقولة من بعضها..

منها منشور تحت عنوان﴿هل فرحت بالشيعة﴾ركز فيه صاحبه على الامام الخمينى منزلاً عليه شتى اللعنات والمسبات من خلال استعراض مجموعة من الأقوال المنقولة من المنشورات السابقة المقتطعة من كتب للخمينى مترجمة عن الفارسية وكتاب لله ثم للتاريخ المزعوم وغيرها من منشوراتهم التى عدوها بمثابة وثائق ثابتة لا تقبل النقض..

وكل ما كتبه كان تحت عنوان أقوال إمامهم الخمينى قائلاً : فما أظن أبداً أحداً منهم الآن يلين له أن يتبرأ من أى كلمة قالها الخمينى، بل إنهم عند هذا الموطن سيستكبرون ويستنكفون ويأنفون..

وهذا الكلام يدل على جهل صاحبه إذ أن الخمينى لم يكن يوماً إماماً للشيعة بل كان زعيماً لثورة وقائداً لدولة ومرجعاً لقطاع من الشيعة يمثل الأقلية بالنسبة الى غيره من المراجع الكبار المتواجدين فى عصره مثل الخوئى والكلبكانى وشريعة مدارى وغيرهم الذين كانوا معارضين له ورافضين لفكرة ولاية الفقيه التى نادى بها، فمن ثم لم تكن كلماته نصوصاً مقدسة وإنما كانت تعبر عن مواقفه واجتهاداته فى مجال الحكم والسياسة..

ومنهج التصيد الذى يعتمد عليه هؤلاء جعلهم يركزون على الخمينى دون بقية المراجع والفقهاء الآخرين من الشيعة وذلك لكونه ارتبط بدولة شيعية كانت لها العديد من المواقف والممارسات التى أحرجت الحنابلة الوهابيين وعرتهم..

ولم يكن الخمينى يوماً- إن كان ما نسب إليه صحيحاً - حجة على الإسلام والتشيع فهو رجل كبقية الرجال يخطىء ويصيب والحق لا يعرف بالرجال بل يعرف الرجال

بالحق والتركيز عليه بهذه الصورة حتى بعد رحيله يؤكد ما ذكرناه من أن الحرب على الشيعة دوافعها سياسية وما الحنابلة إلا أدواتها..

وهاجم صاحب هذا المنشور رموز الإخوان الذين دعوا للتقريب ونبذ الخلاف بين المسلمين، وعلى رأسهم حسن البنا والمرشد الراحل مصطفى مشهور والمرشد الحالى بالإضافة الى الشيخ الغزالى والدكتور القرضاوى..

وأكد على أن تأييد إيران للمقاومة الفلسطينية ودعمها وعدم التصريح من جهتها ومن جهة حزب الله بأية مواقف عدائية للصحابة وأهل السنة هو من باب التقية..

أليست هذه نكتة..

ومن بين منشورات الحنابلة التى صدرت مؤخراً كتاب يحمل عنوان (الفكر التكفيرى عند الشيعة حقيقة أم افتراء) وهو نفسه كتاب تكفير الشيعة لعموم المسلمين الذى صدر منذ سنوات، وقد تم تغيير عنوانه ودار النشر السابقة مع إضافة مقدمة جديدة له لأحد عناصر الازهر المفصولين صاحب كتاب الجذور اليهودية للشيعة فى كتاب علل الشرائع للصدوق.

ويسعى الكتاب الى التأكيد على أن التكفير عقيدة راسخة عند الشيعة معتمداً على أقوال لبعض الفقهاء والمحدثين منهم على مستوى الماضى والحاضر خاصة تكفير الشيخين.. وقد حوى الكتاب ملحقاً بعنوان وثائق التكفير من كتب الشيعة الاثنى عشرية ضم مجموعة من أغلفة بعض الكتب الشيعية وصفحات منها تحمل نصوصاً تكفيرية وهذه الكتب هى :

كتاب (الانوار النعمانية لنعمة الله الجزائرى)..

وكتاب (نفحات اللاهوت فى لعن الجبت والطاغوت للكركى)..

وكتاب (الأربعين فى إمامة الأئمة الطاهرين للنجفى)..

وكتاب (العقائد للمجلسى)..

وكتاب (حق اليقين فى معرفة أصول الدين لشبر)..

وكتاب (مصباح الفقاهة للخوئى)..

وكتاب (بحار الأنوار للمجلسى)..

إلا أن الأمر الملفت فى هذا الكتاب هو أن صاحبه ذكر تحت عنوان : تقتيل أهل السنة واستباحة أموالهم من أخطر آثار فكرهم التكفيرى، تبنى بعض مراجعهم لهذا المظهر الخطير كعقيدة يتعبدون بها ونقل كلاماً للبحرانى والجزائرى وكلاهما من الإخباريين- يؤكد دعواه ضارباً المثل بما حدث فى بغداد على يد التتار فى الماضى وما يحدث فيها اليوم بمساعدة الرافضة حسب قوله..

والجميل هنا هو أنه صرح بأن هذا هو كلام البعض أى ليس كلام الكل، وهو بهذا التصريح يؤكد لنا منهج التصيد الذى يتبناه حنابلة العصر فى مواجهة خصومهم..

والسؤال هنا هو لماذا لم يتجه هذا الحنبلى الى مصادر الأصوليين الذين يمثلون أغلبية الشيعة واكتفى بالتركيز على المصادر الشاذة التى تكتظ بالخرافات.. ؟

ولماذا يركز على الروايات ويبنى عليها مواقف ورؤى دون أن يتبين مدى صحة هذه الروايات وقيمتها العلمية عند الخصم وهو وأمثاله غارقون ليل نهار فى متاهات الروايات يصححون هذه ويضعفون هذه وينكرون هذه مما يحتج به عليهم من قبل خصومهم..؟

وما يمكن قوله حول هذه الكتب المذكورة وغيرها أنها تشكل أزمة فى التراث الشيعى، كما تشكل كتب الحنابلة وابن تيمية وتلميذه ابن القيم وكتب الوهابيين التى تحوى العديد من النصوص التكفيرية للشيعة والمعتزلة والجهمية والصوفية والمخالفين أزمة فى التراث السنى..

ونصوص تكفير تارك الصلاة والقائل بخلق القران وساب الشيخين ومنكر الروايات وغيرهم تكتظ بها كتب اهل السنة، وقد كُفر أبو حنيفة من قبل العديد من العديد من الفقهاء ونقل نصوص التكفير الخطيب فى كتابه تاريخ بغداد الذى طبع وبذيله كتاب السهم المصيب فى كبد الخطيب للكوثرى، هذا بالإضافة الى فتاوى التكفير المعاصرة على لسان فقهاء الوهابية وفرقهم المنتشرة فى كل مكان، وقد أشرنا سابقاً الى متاهة التكفير السائدة وسطهم والتى دفعتهم الى إصدار العديد من الكتب والفتاوى والبيانات من أجل الحد من هذه الظاهرة..

والخلق وأمانة النقل تفرض علينا أن نلقى الضوء على جهود فقهاء الشيعة فى مقاومة ظاهرة التكفير والسب واللعن عندهم لا أن نركز على الجانب المتطرف وسطهم كما تفرض علينا عدم التركيز على الاتجاهات المتطرفة والمغالية من الحنابلة وابن تيمية وتلاميذه والوهابيين المعاصرين واستغلالهم فى ضرب أهل السنة..

ومن الممكن لأى باحث شيعى أن يقوم بإصدار كتاب يحمل النصوص التكفيرية التى تزدحم بها كتب أهل السنة ويحشد فيه ما يمكن حشده من الروايات ويضع له ملحقاً يحوى صوراً لأغلفة هذه الكتب وصفحات منها رداً على حنابلة العصر إلا أن هذا الأسلوب لا يأتى بشىء..

وليس من الحكمة أن يدور المسلمون فى متاهة المنشورات ويتراشقوا بها ويغرقوا فى دوامة الردود المستمرة من القرون الماضية دون توقف..

وفكرة التكفير واكبت جميع المذاهب وليس الشيعة وحدهم وهى غالباً ما تبرز نتيجة للضغط والإرهاب، إلا أن الواقع يشهد بهذا الكم من الفرق التكفيرية المنتشرة فى بقاع المسلمين اليوم التى تنتسب لأهل السنة ولا صلة للشيعة بها..

ونأتى الى كتاب فرح به حنابلة العصر وسعوا الى تحقيقه وترجمته ونشره وتوزيعه فى كل مكان وهو كتاب : كسر الصنم، أو ما ورد فى الكتب المذهبية من الأمور المخالفة للقرآن والعقل، نقض كتاب أصول الكافى للكلينى..

وهو من تأليف آية الله العظمى السيد أبو الفضل بن الرضا البرقعى حسبما جاء على غلافه وترجم من الفارسية الى العربية وقدم له ثلاثة من دعاة السلفية الوهابية المتربصين بالشيعة ومؤلفه شيعى كما هو واضح من لقبه..

والكتاب كما يظهر من عنوانه نقض لكتاب الكافى للكلينى الذى عده المؤلف صنما تمكن من كسره، وما يدعونا للتوقف هو العنوان الفرعى الذى يقول : أو ما ورد فى الكتب المذهبية من الأمور المخالفة للقرآن والعقل..

ولست أدرى ما هو المقصود بالكتب المذهبية والموضوع يتركز حول كتاب واحد هو الكافى.. ؟

وإذا كان المقصود هو كشف ما ورد فيه من أمور مخالفة للقرآن والعقل فهو أمر جيد ومطلوب ليس على مستوى الكافى وحده وإنما على مستوى كتب الأحاديث جميعها عند السنة والشيعة..

وليت الذين تبنوا هذا الكتاب ليضربوا به الشيعة من خلال إثبات مناقضة روايات الكافى للقرآن والعقل يلتزموا بهذا المنهج مع البخارى وغيره من كتب السنن ليتم تطهير التراث من الخرافات وسائر الروايات المصادمة للقرآن والعقل..

وبالطبع هذا الكلام لا يرضى حنابلة العصر ولا يقبلونه لاعتقادهم بعصمة مصادرهم الروائية وخلل وضعف مصادر الآخرين وليس هذا هو هدفهم من وراء نشر هذا الكتاب الذى وضعهم فى مازق كبير برفعهم شعار القرآن والعقل الذى يصطدم بأصول مذهب أهل السنة..

وقد جاء فى المقدمة الأولى للكتاب أن المؤلف وجد معظم ما فيه يتناقض مع ما جاء به القرآن الكريم ويصطدم بالعقل الذى منحه لنا ربنا عز وجل حسبما ذكر..

وفى المقدمة الثانية جاء ما يلى :

استخدم المؤلف طريقتين إثنتين لفهم الكتاب:

أولاهما : جمع الآية بنظيراتها من الآيات وذلك أخذاً بقاعدة أن خير من يفسر القرآن هو القرآن نفسه..

ثانيهما : العقل الفطرى اليقينى وهو دليل من أدلة هذه المسائل التى يدور حولها الجدل..

وفى المقدمة الثالثة جاء مايلى :

ان كتاب الكافى احتوى بعض الأحاديث الصحيحة والمؤلف لم يتطرق الى هذه الطائفة من الأحاديث بل تناول بالنقد الأحاديث التى تخالف القرآن والعقل..

وهذا اعتراف بأن الكافى يحوى أحاديث صحيحة وهو بهذا يتساوى مع بقية كتب الأحاديث عند جميع المذاهب..

وما يجب ذكره هنا هو أن المقدمات الثلاث لا صلة لها بموضوع الكتاب وإنما ركزت هجومها على الشيعة وعلى فكرة التقريب..

والسؤال هنا هو هل أصحاب المقدمات الثلاث يتبنون نهج القرآن والعقل الذى تبناه مؤلف الكتاب..؟

وإذا كانوا لا يتبنونه فلماذا يثنون عليه وعلى نهجه المصادم لنهج أهل السنة الذين يروون فى سنن الدارمى بسند صحيح السنة قاضية على الكتاب..؟

ويتساءل مؤلف الكتاب فى مقدمته الأولى - موجها هذه التساؤلات للشيعة - لماذا لم يبين الله تعالى صراحة لرسوله وللرعيل الأول من المسلمين فى صدر الإسلام أن أصول الدين هى التى تزعمونها أنتم..؟

لماذا لم يقل أن أصول الدين خمسة..؟

ولماذا لم يقل أن العدل أصل من أصول الدين أو المذهب..؟

لماذا جعل صانعو المذهب الإمام أصلا للدين وعدم الايمان بالإمام كفرا..؟

لماذا صنع الذين يدعون محبة علىٍّ وطاعته لأنفسهم مذهباً..؟

وهل ادعى على لنفسه بأنه أتى بمذهب.. ؟

هل كان هو نفسه جعفريا أوزيديا أو صوفيا أو شيخيا.. ؟

هل ادعى الإمام جعفر الصادق بأنه قد جاء بمذهب أسمه الجعفرية..؟

أليس دين الله ديناً واحداً، ومسلكاً واحداً، وطريقاً واحداً، أم هو مئات المسالك والمذاهب.. ؟

لماذا لا يترك العلماء المتمذهبون هذه الأسماء والمذاهب والتفرق..؟

ومثل هذه التساؤلات تدل على سذاجة وعدم وعى وتثير الشك فى قدرات مؤلف هذا الكتاب ونسبته للشيعة بل اعتباره مرجعاً مشهوراً من مراجعهم إلا أن هذا لا يعنينا فكل مذهب من حقه أن يستنبط من نصوص الدين ما يشاء من مفاهيم ومعتقدات شريطة أن يبرهن على صحتها بالأسانيد الصحيحة المعقولة..

والشيعة يبرهنون على أصل الإمامة وحصرها فى محيط أهل البيت بنصوص استنبطوها من القرآن والسنة..

وكذلك العدل الذى هو أصل عند المعتزلة أيضاً بالإضافة الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لكن حنابلة العصر لا يعنيهم المعتزلة لكونهم لا يشكلون خطرا عليهم كما يشكل الشيعة..

والعدل يوجب أن يتم مناقشة نصوص الخصم والرد عليها بالبراهين الصحيحة والأدلة الساطعة لا الطعن فى مفاهيمه ومعتقداته وتشويه الخصم فى أعين المسلمين وهذا ما لا يفهمه الوهابيون الذين يقسمون التوحيد الى ثلاثة أقسام ـ الألوهية والربوبية والأسماء والصفات ـ دون دليل شرعى صريح على هذا التقسيم..

من هنا فنحن نتوجه إليهم بالسؤال التالى:

لماذا لم يبين الله صراحة أن التوحيد ينقسم الى ثلاث أقسام.. ؟

ولماذا لم يبين مكانة الشيخين وأن خير الناس بعد رسول الله ابوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم على حتى لا تختلف الأمة مثل هذا الاختلاف الذى شق صفها وأوقعها فى الفتن المستمرة حتى اليوم..؟

ولماذا لم يبين أن الجهاد ماض وراء كل إمام براً كان أو فاجراً وأن السمع والطاعة له وأن جلد الظهور وسلب الاموال..؟

وهذه الأمور وغيرها عقائد ثابتة عند أهل السنة لا يوجد لها بيان من الكتاب..

ولماذا انقسم أهل السنة الى مذاهب أربعة ومذاهب أخرى.. ؟

وهل يجوز أن يكون المسلم حنفيا أو مالكيا أو شافعيا أو حنبليا.. ؟

وهل كان الرسول ﷺ حنفيا أو مالكيا أو شافعيا أو حنبليا.. ؟

أليس دين الله واحد وطريقه واحد ومسلكه واحد.. ؟

ولماذا لا يترك أهل السنة هذه المذاهب والأسماء والفرق.. ؟

أما فكرة التكفير فهى مرفوضة عقلاً وشرعاً ولا يجوز للشيعة أوالسنة أن يكفروا أحداً من المسلمين على أساس مفاهيمهم وقواعدهم..

ان التكفير سلطة إلهية لا يملكها أحد إلا الله سبحانه وأى جهة أو مذهب تتبناه وتنادى به إنما تعتدى على سلطة الله تعالى..

ويبدو أن المترجم لم ينتبه إلى أقوال المؤلف الشيعى الأصل- كما يدعى - التى تركز على القرآن والعقل وتصطدم بطرح أهل السنة والتى سوف نعرض المزيد منها فى الآتى:

يقول المؤلف فى مقدمتة الثانية : اعلم أن الإسلام دين إلهى يدعو الناس الى الوحدة والإتحاد وقد كان المسلمون متحدين فى عهد رسول الله لم يكن لهم إسم إلا الإسلام ولم يكن فيهم هدى إلا هدى القرآن ولم تكن العصبية المذهبية ولا كتبها وجدت آنذاك وكان القرآن هو حجتهم الوحيدة وبسبب إجتماعهم وإتحادهم على الدين الواحد والكتاب الواحد تقدموا إلى الأمام وقوى أمرهم ونشروا الإسلام بين العباد والبلاد وعرفوا الناس لكن بعد مضى قرن أو قرنين من الزمان ظهرت أخبار بإسم الدين ووجد أشخاص بإسم المحدثين والمفسرين الذين جاؤوا بأحاديث مسندة عن النبى أو أقوال لأكابر المسلمين محاولين بذلك توجيه الأنظار إليهم ثم شيئاً فشيئاً ظهرت فئة تزيت بزى العلماء فرقوا أمر هذه الأمة ونشروا بينها الإختلاف عن طريق هذه الأخبار والأحاديث..

ومثل هذا الكلام يشكل حرجاً لأهل السنة إذ هو يدعم الإتجاه القرآنى ويدعوا الى نبذ الأحاديث أو التشكيك فيها على الأقل كما يقلل من شأن الفقهاء الذين برزوا فى ظل هذه الأحاديث وأسسوا عليها مذاهبهم..

والنزعة القرآنية العقلية التى يتحلى بها المؤلف هى من رواسب التشيع أو هو محاولة لإثبات شيعية المؤلف بالطبع فمذهب أهل السنة الذى إتجه إليه بعد خروجه من دائرة الشيعة كما ذكر عنه لا يتبنى هذا الاتجاه بل يجرمه..

ويشير المؤلف إلى ان الأخبار التى يضمها الكافى فيما يتعلق بالعقيدة كلها او معظمها من أحاديث الآحاد..

وتحت عنوان ما هى الحجة فى الإسلام قال : إن فى الإسلام حجتين لا ثالث لهما وذلك طبقا لآيات القرآن وسنة الرسول والأحاديث المعتبرة وهما :

- الكتاب الإلهى..
- العقل..

ثم يقول لا ينبغى الإلتباس هنا إذا قلنا إن مخالفة أصول الكافى مع الحجتين الالهيتين قائمة فإننا لا نقصد بذلك إلا الأخبار المخالفة للقرآن والعقل فى الكافى أى نقصد الأخبار والأحاديث الواردة فيه والتى تخالف القرآن والعقل فى المجلد الأول - يعنى فى أصول الكافى لا فروعه - وبالتالى فإننا نقبل فى الوقت نفسه ما توافق مع القرآن والعقل ويجب رفض كل خبر يخالف القرآن والعقل كما روى الكلينى نفسه فى الكافى.. ومسألة الخرافة والتلاعب بنصوص القرآن أمر مرفوض سواء جاء من جهة الشيعة أومن جهة السنة..

أما مسألة أحاديث الآحاد فلا يحتج بها الشيعة فى العقائد كما ذكر المؤلف لكن فقهاء الشيعة خالفوا هذه القاعدة واحتجوا بأحاديث الآحاد فى الأمور العقائدية- كما ذكر أيضا - إلا أن أهل السنة يحتجون بها ويدافعون عنها فى مسائل الإعتقاد وغيرها لكونها تشكل معظم الأحاديث التى تضمها كتب السنن..

والظاهر أن ناشرى هذا الكتاب لم يدققوا فى أقوال المؤلف التى تدعوالى رفض الأحاديث المخالفة للقرآن والعقل والتى هى دعوة الكلينى أيضا، بالإضافة الى نقده الاعتماد على أحاديث الآحاد فى مجال الاعتقاد عند الشيعة مما يعد نقداً لأهل السنة أيضا، وهو ما دفع بالمعلق على الكتاب الى ذكر ملاحظة فى الهامش تقول :هذا فى مذهب الشيعة والمتكلمين وأما أهل السنة فإن الحديث الصحيح حجة فى العلم والعمل لحصول الإطمئنان الكافى أن رسول الله قد قاله..

وكان من الواجب عليه أن يضيف مبيناً كيفية حصول الاطمئنان الكافى أن رسول الله قد قاله فمثل هذا الكلام يجسم لنا أزمة الروايات والأحاديث عند الشيعة والسنة فإن

حصول الإطمئنان الكافى يكون إما بطرق السنة أو بطرق الشيعة التى تقوم على أساس الرجال وقواعد التعديل والتجريح لدى الفريقين..

وهذه القواعد لا تخرج عن كونها إجتهادات فى محيط الرجال وتبدو بصمة السياسة والمذهبية واضحة فيها ولا يمكن أن تصل الى درجة اليقين المطلق والخلاف فى دائرتها لا نهاية له ولازال مستمراً فى واقع السنة والشيعة..

وكما أن هناك خلاف حول أحاديث الكافى ورجاله عند الشيعة هناك خلاف حول أحاديث البخارى ورجاله عند السنة ويكفى إلقاء نظرة الى مقدمة فتح البارى شرح البخارى لابن حجر العسقلانى المسماة هدى السارى والتى كتبها خصيصاً للدفاع عن البخارى ورد الطعون التى وجهت إليه من فقهاء الحديث..

وعلى مستوى الماضى والحاضر ظهرت العديد من الأطروحات التصويبية والتهذيبية للأحاديث والروايات..

على مستوى الشيعة ظهر كتاب صحيح الكافى للبهبودى وغيرها من الكتب..

وعلى مستوى السنة ظهرت سلسلة الأحاديث الصحيحة والضعيفة للألبانى- الذى قام باختصار بعض كتب السنن - وغيرها من الكتب..

وكتاب كسر الصنم محور الحديث هنا لم يرد فيه أى نص من نصوص الكافى وكل ما جاء فيه تخريجات لأحاديثه وفق الأبواب التى وضعها الكلينى، فتحت كل باب كتب مؤلفه أرقام الأحاديث وأمام كل رقم قال سنده ضعيف أو مرسل أو مرفوع أو لا اعتبار له أو مجهول أو أحاديث الباب كلها متناقضة ومتعارضة وهكذا، وهذا يشكل نقطة ضعف كبيرة للكتاب ويظهره وكأن مؤلفه يتحدث فى فراغ فكل كلامه لا قيمة له بدون النصوص التى ينتقدها ويطعن فيها..

لكن حنابلة العصر لا يعنيهم هذا الأمر مادام الكتاب ضد الشيعة العدو اللدود والمقدم على جميع الأعداء..

ولا يعنيهم أيضاً ان مثل هذه الكتب تسىء الى أهل السنة قبل أن تسىء الى الشيعة فما يعنيهم هو مذهبهم ومعتقداتهم التى يتصورون أنها الإسلام والتى لا يمكن لها أن تصمد وتبقى إلا فى ظل الفتن والقلاقل والصراعات التى يصنعونها بين الحين والآخر.. ولا يعنيهم الصهاينة أو الامريكان أو طواغيت الأرض فكل هؤلاء ليسوا أعداءاً ولا يشكلون خطراً على الإسلام والمسلمين ولا وجود لهم فى تصوراتهم وكتاباتهم، وهذا ما يؤكد لنا أن الحرب التى يشنها هؤلاء على الشيعة هى حرب مذهبية يدافعون من خلالها على أنفسهم ومعتقداتهم المعوجة..

وفى نهاية الكتاب وضع المؤلف عدداً من الفروق بين الدين والمذهب الجعفرى وهى :

- دين الله له إسم واحد هو الإسلام لكن المذهب من صنع البشر وله أسماء متعددة..

- دين الله تعالى ليس فيه خرافات ولكن المذهب ملىء بالخرافات..

- إن الدين يدعو للوحدة والإتحاد ولكن المذهب يكرس التفرقة والجدال والعناد والحرب..

- إن الدين سهل ميسور ولكن المذهب صعب مستصعب..

- لا يحق لأحد فى الدين أن يتكلم برأيه ويصدر الفتوى ويقنن القوانين وهذا خاص بالله تعالى ولكن فى المذهب يحق لكل إمام ومجتهد ومرشد وشيخ أن يفتى..

- إن أحكام دين الله لا تغير ولا تبدل لكن فى المذهب يتغير الحكم والفتوى بين حين وآخر..

- يجب فى الدين نصب ولى الأمر بين الناس ليجرى أحكام الله ولكن فى المذهب يمكن أن يتغيب ولى الأمر مئات السنين..

- فى الدين الاسلامى لا حجة غير الرسل والعقل لكن فى المذهب يكون كل إمام مرشد وحجة..

- الدليل والحجة فى الدين هو الكتاب فى حين فى المذهب هناك عشرات الكتب هى الدليل والحجة..

ـ الإسلام لا يعترف بغير الله مؤثراً في الأمور التكوينية والخوارق بينما في المذهب كل إمام ومرشد وقطب هو منشىء للكرامات وخوارق العادات..

ـ إن في الاسلام الدعاء عبادة ودعاء غير الله شرك لكن في المذهب نداء المقربين الى الله تعالى هو أمر ضروري ولازم..

ـ الشعائر في الأسلام فيما شرعه الله ولكن في المذهب الشعائر المبتدعة كثيرة جداً كبناء القبور والمشاهد ولطم الخدود وشق الصدور وضرب السلاسل والضرب بالدف وضرب الآلات الموسيقية ولبس السواد..

ـ في الإسلام يجب على كل إمام ومأموم أن يتبع الدين بينما في المذهب أصبح الإمام والإمامة أصلا للدين..

ـ لايحق لأحد تقاضي الأجر على الدعوة وتبليغ الدين ولكن في المذهب أصبح الأمر رائجاً ومن مقررات أهل المذهب..

ـ لا يجوز في الإسلام التزلف والمدح والثناء على غير الله تعالى ولكن هذا كله أصبح من الأمور التي تقدم لرجال المذهب حتماً وضرورياً..

ـ الغنائم الحربية في الإسلام والمعادن فيها الخمس ولا يمكن أخذ الخمس هذا من التجار وصغار الكسبة إلا أن هذا صار واجباً في مذهب الشيعة..

ـ الإسلام لا يعرف النذر والوقف والهدايا للمقابر والموتى وتعتبر هذه البدع من الضروريات المهمة في المذهب..

ـ لا يوجد في الإسلام تمييز طبقي سيد وغير سيد رجال دين وغير رجال دين وإمام وغير إمام ولكل واحد منهم ميزات خاصة..

ومثل هذه الأمور التي أخذها المؤلف على مذهب الشيعة يمكن أن تؤخذ أيضاً على مذهب السنة فحالة المذاهب واحدة وتناقضاتها وسلبياتها واحدة، بل إن معظم هذه الأمور ـ عدا الأمور الخاصة بالشيعة- تعد حجة على السنة، ولو أدرك هذا المترجم

وأنصاره من الوهابيين ما ترجم هذا الكتاب الذى لم يحو شيئا يدين الشيعة فالرواية كونها موضوعة أو ضعيفة أو مرسلة أو متناقضة مع غيرها أو متصادمة مع القرآن والعقل أمر ليس بجديد وهو شغل فقهاء الحديث على مر الزمان، وقد تعرضت العديد من كتب الحديث عند أهل السنة لمثل ما تعرض له الكافى من النقد والطعن فى أحاديثها فلماذا لم تكسر..؟

وألقى حنابلة العصر على المسلمين العديد من القذائف الأخرى الفارغة التى تهدف الى عدم الانشغال بهم وبعوراتهم التى عرت الاسلام وأهل السنة ونسيان عدوهم الحقيقى والانشغال بالشيعة المسلمين..

ومن هذه القذائف الجديدة القديمة :

هذه نصيحتى لكل شيعى..

الشيعة هم العدو فاحذرهم..

عداء الشيعة لأهل السنة..

خطبة الحذيفى فى الشيعة..

يحسبون أنهم مهتدون..

وهذه القذائف هى تكرار لما سبق إلا أننا سوف ننتقى من بينها منشوران هما :

هذه نصيحتى لكل شيعى..

وخطبة الحذيفى..

وذلك لكونهما يحملان بعض النقاط الجديدة..

يقول كاتب هذه نصيحتى وهو من كبار الحنابلة الوهابيين : هاكها يا شيعى سبعاً من الحقائق تضمنها كتاب " الكافى " الذى هو عمدة مذهبك ومصدر شيعتك فأجل فيه النظر وأعمل فيه الفكر واسأل الله تعالى أن يريك فيها الحق وأن يعينك على انتحاله ويقدرك على احتماله إنه لا إله إلا هو ولا قادر سواه.. وهذا الكلام يدل على جهله بمصادر الشيعة فالكافى هو واحد من مصادرهم الروائية لا يسلمون بصحة كل ما فيه

كما لا يسلمون بصحة ما تحتويه مصادرهم الأخرى وهذا هو معتقد الإتجاه الأصولى..

والحقيقة الأولى التى استوقفته فى الكافى هى استغناء آل البيت عن القرآن بما عندهم من الكتب الإلهية الأولى وهى التوراة والإنجيل مستندا على ما جاء فى كتاب الحجة باب أن الأئمة عندهم جميع الكتب التى نزلت من الله عز وجل وأنهم يعرفونها كلها على اختلاف ألسنتها..

وليس فى هذا الباب كما هو ظاهر ما يؤكد هذا الإدعاء بل فيه ما يفيد أن أهل البيت لديهم العلم بهذه الكتب والإحاطة بها، وهو ما استفز صاحبنا الذى ينظر الى الغير بمنظوره هو لا بمنظور متجرد، ومنظوره يرفض مثل هذا التصور على أساس رواية تقول أن الرسول راى عمر وفى يده ورقة من التوراة فانتهره قائلاً : ألم آتكم بها بيضاء نقية..

وهذا المنظور لا يمثل حجة على الآخر وهو يكشف لنا مدى غباء هؤلاء الحنابلة الذين يحتجون على الخصم بنصوصهم ويريدون فرضها عليه..

أما الحقيقة الثانية فهى اعتقاد أن القرآن لم يجمعه ولم يحفظه أحد من أصحاب النبى إلا علىُ والأئمة من آل البيت..

ومثل هذا الاعتقاد إنما هو فى صالح القرآن لكونه يؤكد أن القرآن إنما جاء من جهة موثوقة ومطهرة لا يتطرق إليها الشك، لكن رفضه من قبل هذا الحنبلى يعود الى كونه يصطدم برواياته التى تنص على أن الرسول توفى وترك القرآن متفرقاً فى صدور الناس ولم يجمعه ولم يبينه، وأن الصحابة هم الذين تولوا أمر الجمع وعلى رأسهم الشيخين لا أهل البيت على ما سوف نبين فى فصل القرآن..

وبالطبع فإن هذا الإعتقاد سوف يؤدى الى المساس بالصحابة والشيخين الذين يعتقد أهل السنة أن القرآن جاء عن طريقهم والمساس بهم يعنى المساس بالقرآن وسيأتى بيان أمر الصحابة..

وهذا الاعتقاد لا يعنى أن أهل البيت جمعوا وحفظوا قرآناً آخر إلا أن حنابلة العصر الذين يتربصون بخصومهم على الدوام ويتبنون عقيدة الشك فى معتقدات الآخرين

خاصة الشيعة يستغلون مثل هذه الروايات لإشاعة فكرة القرآن الآخر وقادتهم عقولهم القاصرة الى فهم معتقد الشيعة فى القرآن على نحو معوج يخدم مذهبهم ورواياتهم..

والحقيقة الثالثة والرابعة فى هذا المنشورتقول :استئثار آل البيت وشيعتم دون المسلمين بآيات الأنبياء كالحجر والعصا وألواح موسى وخاتم سليمان واعتقاد اختصاص آل البيت وشيعتهم بعلوم ومعارف نبوية وإلهية دون سائر المسلمين كما جاءت روايات الكافى..

ويعلق الكاتب على هذا المعتقد بقوله : أيها الشيعى إن هذا المعتقد يلزمك أموراً فى غاية الفساد والقبح ولا يمكنك وأنت العاقل إلا أن تبرأ منها ولا تعترف بها وهى تكذيب علىٌ فى قوله: وقد سئل : هل خصكم رسول الله آل البيت بشىء.. ؟

فقال : لا الا ما كان فى قراب سيفى هذا، فأخرج صحيفة مكتوب فيها أمور أربع، ذكرها أهل الحديث كالبخارى ومسلم..

والكذب عليه رضى الله عنه بنسبة هذا القول إليه..

والإزدراء من نفس صاحب هذا المعتقد إذ لو قيل له : أين الخاتم وأين العصا وأين الألواح مثلاً ؟ لحار جواباً..

والنتيجة الحقيقية لهذا الاعتقاد الباطل هى الاستغناء عن كتاب الله واختصاص آل البيت بعلوم ومعارف دون سائر المسلمين هو خيانة صريحة تنسب الى النبى ونسبة الخيانة إليه كفر لا شك فيه ولا جدال، وهو كذب على علىٌ وكذب على فاطمة بأن لها مصحفاً خاصاً يعدل ثلث القرآن..

وهذا الكلام يدل على سطحية الكاتب واستخفافه بعقول المسلمين وهو يبدو كمن يطلق الكذبة ثم يصدقها فاحتجاجه بالرواية السابقة احتجاج فى غير محله وهو احتجاج يدين معتقده إذ تبين هذه الرواية كما أشرنا سابقاً أن لدى علياً صحيفة وهذا يعنى أنه أختص بعلم من قبل الرسول دون سائر الصحابة..

ولو كان هذا العلم مشاعاً لكان على السائل أن يتوجه نحو أبوبكر أو عمر أو غيرهما ويسأله هذا السؤال..

ثم إن الكاتب لم يبين ولم يشر الى أن علياً كان بحوزته كتاب الله بالإضافة الى هذه الصحيفة مثلما أشارت العديد من الروايات الأخرى الصحيحة فى كتب السنن، كما لم يشر الى الأمور الأربع التى اشارت إليها الرواية وهذا يكشف لنا تضليل الحنابلة وتمويههم على الحقائق من أجل نصرة مذهبهم..

والحنابلة تسيطر على أذهانهم الكثير من التصورات النابعة من رواياتهم وأقوال أئمتهم ألغير مسلم بها من قبل مخالفيهم وهم يبنون على أساسها مواقفهم وأحكامهم فى مواجهة الشيعة وغيرهم ويصورون للمسلمين أن هذا هو حكم الإسلام المجمع عليه ولا جدال حسبما ذكر صاحبنا أن هذا الاعتقاد يمثل خيانة وكذب وكفر وهى مصطلحات إرهابية تعود عليها الحنابلة وأصبحت لغتهم الأساسية فى مواجهة خصومهم من السنة والشيعة على السواء..

والسؤال هنا هو ما هى صلة استئثار أهل البيت بعصا موسى وألواحه وخاتم سليمان وعلوم ومعارف نبوية بالكفر والخيانة والكذب.. ؟

إن كتب أهل السنة تزخر بعشرات الروايات التى تؤكد إختصاص الإمام علىُ بالعلم وحل المعضلات وتفوقه على أقرانه من الصحابة، فهل غابت هذه الروايات عن هذا الحنبلى.. ؟

وعلى فرض التسليم بوجود عصا موسى وألواحه وخاتم سليمان بحوزة أهل البيت ما هو الضير فى هذا الأمر.. ؟

وهل يصطدم مثل هذا الاعتقاد بثوابت الإسلام وأصوله، أم يصطدم بتصورات الحنابلة ومعتقداتهم..؟

وما يتعلق بموقف أهل البيت من القرآن ومصحف فاطمة والجامعة فسوف يتم بيانه فى فصل القرآن..

ومن المغالطات التى وقع فيها الكاتب أنه ربط بين أهل البيت وشيعتهم فى هذه المعتقدات مع أن النصوص لا تشير الى شىء من هذا، وهو من صور الخلط التى يقع فيها الحنابلة فهم قد خلطوا بين خصوصية أهل البيت واعتقاد الشيعة بهذه الخصوصية..

والحقيقة الخامسة أورد فيها رواية عن موسى الكاظم - الامام السابع - تقول : الله عز وجل غضب على الشيعة فخيرنى نفسى أو هم، فوقيتهم نفسى..

وقال معلقاً : هذا كذب على الله أنه أوحى الى موسى الكاظم بأنه غضب على الشيعة وكذب على الكاظم أيضاً وخرج بنتيجة تقول باتحاد الشيعة والنصارى فى عقيدة الصلب والفداء..

وانتقاء مثل هذه الروايات من الكافى وغيره من مصادر الشيعة يدل على الغرضية وسوء النية فهناك العديد من الروايات التى تناقض هذا التصور تغافل عنها هذا الحنبلى المتربص لا الباحث، وهذا يشبه انتقائهم الروايات التى تقول بتحريف القرآن من كتب الشيعة مع تغافلهم عن الروايات الأخرى التى تضادها..

ولا شك أن هناك العديد من الروايات المغالية فى أهل البيت فى مصادر الشيعة تصيدها حنابلة العصر وبنوا على أساسها مواقف وتصورات تجاه الشيعة وعملوا على إشاعتها بين المسلمين من أجل الوقيعة بينهم ونصرة معتقداتهم وهذا أمر يتنافى مع الخلق ومع أصول البحث والتناول، وأقل ما يمكن أن يفعله الباحث المتجرد هو أن ينظر فى مدى صحة هذه الروايات عند الشيعة ومدى قبولها لهم..

وفيما يتعلق بالحقيقة السادسة وهى اعتقاد أن أئمة الشيعة بمنزلة رسول الله فى العصمة والوحى والطاعة وغيرها إلا فى أمر النساء فلا يحل لهم ما يحل له..

والشيعة يعتقدون بهذا ولكن ليس على هذه الصورة التى يحاول الكاتب إشاعتها، فعصمة أهل البيت قضية مفروغ منها عندهم لكنها ليست كعصمة الرسول فهى أقل منها لكنها أعلى من عصمة الناس..

أما الوحى فالشيعة يعتقدون بأن الوحى بصورة جبريل قد انقطع بعد رسول الله إلا أن صور الوحى الأخرى لم تنقطع عن الأئمة مثل الإلهام و ومخاطبة الملائكة وهى حالات خاصة بهم بحكم إنتخابهم وطهارتهم..

ومثل هذا التصور يستفز الحنابلة بالطبع الذين يرون الدين قوالب جامدة صماء ويرفضون أية صورة من صور الروحانيات والعرفان، لكن هناك إتجاهات من بين المسلمين تقبل بمثل هذا التصور وعلى رأسها الإتجاه الصوفى..

وطاعة أهل البيت هنا تعنى حصر مصدر تلقى الدين فى دائرتهم وهو ما يعتقده الشيعة فلا يتلقون الدين من خارج دائرتهم وهو ما يعنى رفض التلقى من الصحابة..

وهناك رواية صحيحة فى البخارى ومسلم وكتب السنن تقول على لسان النبى لعلىُ : أنت منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى..

وهذه المنزلة تضع علياً فى دائرة خاصة هى نفس الدائرة التى جمعت هارون كما تضع فاطمة فى نفس الدائرة التى جمعت مريم..

والحقيقة السابعة والأخيرة التى أوردها فى منشوره هى اعتقاد ردة وكفر أصحاب الرسول بعد وفاته ما عدا آل البيت ونفرا قليلا كسلمان وعمار وبلال..

وهذه مغالطة أيضاً فهناك روايات تشير الى هذا التصور فى الكافى لكن هناك روايات أخرى تشير الى العديد من الصحابة وتثنى عليهم، فمن ثم لا يعد هذا معتقداً عند الشيعة كما يدعى الكاتب على ما سوف نبين فى فصل الصحابة..

وفيما يتعلق بخطبة الحذيفى التى طار بها الحنابلة واعتبروها كلمة حق وموقف صدق وفضح للشيعة نال به عظيم الثواب فقد ألقاها فى المسجد النبوى من باب العناد المذهبى والتحدى العقدى لضيف شيعى دخل المسجد لأداء صلاة الجمعة وراءه وهو الشيخ رفسنجانى الذى كان فى زيارة للبلاد يومئذ وأدت هذه الخطبة الى عزله من إمامة المسجد..

ونحن نتوجه هنا الى الحنابلة وأشياع الحذيفى بالسؤال التالى : هل يستطيع صاحبكم أن يخطب خطبة يفضح فيها العائلة الحاكمة ومفاسدها ومنكراتها وبنات الهوى اللاتى يتقاطرن على قصور الأمراء من كل صوب وحدب والحفلات الماجنة التى تقام لهن.. ؟

وهل يستطيع أن يفضح العلاقات السرية بين آل سعود والكيان الصهيوني ورجال الموساد الذين يتوافدون على البلاد - السنية- مع رجال المخابرات الأمريكية، وهل يستطيع أن يفضح أبناء شعبه ـ السنة ـ الذين يرتكبون الفواحش والمنكرات من حول الحرمين.. ؟

والخلاصة أن مثل هذه الأمور لاتعنى الحنابلة ولا تشغلهم لكونها لا تشكل خطراً عليهم فالشيعة هم الخطر الأكبر فى منظورهم وهذا صحيح لكونهم مهددون بالزوال على أيديهم..

ويكفى القول فى قذائف الحنابلة أن معظمها كتيبات صغيرة بأسماء وهمية أو دور نشر وهمية وتوزع مجانا أو تباع بأسعار زهيدة مما يشير الى أن وراء هذه الحرب جهات تدعمها بلا حساب تلك الجهات التى فتحت الأبواب على مصارعها لباعة الأرصفة كى يتحولوا الى ناشرين على حساب الشيعة..

والسؤال الذى يفرض نفسه هنا هو هل الذين يقفون وراء هذه المنشورات يخدمون الإسلام أم يخدمون مذهبهم..؟

وهؤلاء الحنابلة ينسون أن مثل هذه القذائف يصدها الشيعة بوسائلهم الدفاعية هذا فى حالة سقوطها عليهم ففى الحقيقة هى تسقط على العامة من المسلمين الذين لا تشغلهم مثل هذه القضايا وهم منشغلون بأحوال المعيشة ومشاكل الحياة التى لا يجدون لها حلولاً عند حنابلة العصر الغارقون فى الماضى ويعيشون فى وادٍ آخر غير واديهم..

وأقل ما يقال فى قذائفهم أنها منقولة من بعضها مكررة فى موضوعاتها واهية ضرباتها منعدمة تاثيراتها ساذجة فى شبهاتها لم تؤثر فى الشيعة ولم تحصن العامة أوتشكك المثقفين الذين انتبهوا الى قوة المد الشيعى المتزايد..

والروايات التى يتبناها الإتجاه الاجتهادى الأصولى من خلال الكتب الأربعة وغيرها لا تصطدم بثوابت الدين أو حتى بروايات السنة بل إن هناك الكثير من الروايات المشتركة بين الطرفين سوف نعرض نماذج منها ضمن ملاحق هذا الكتاب..

إلا أن حنابلة العصر يفترضون سوء النية فى خصومهم على الدوام، فهم حشوية هذا الزمان، وقد حشو كتبهم بروايات استخدموها فى ضرب الشيعة. ومع هذا الحشو وقعوا

فى روايات تناقضها ومن غبائهم أنهم إستحضروا هذه الروايات لكشف تناقض الشيعة فكشفت الروايات تناقضهم هم..

وكان فهمهم القاصر للنصوص القرانية والنبوية، ذلك الفهم الذى حاولوا به تطويق النصوص المتعلقة بأهل البيت والصحابة قد أدى بهم الى إستنتاجات لا تستقيم مع العقل..

وجميع الروايات الخرافية والأساطير التى نسبوها للشيعة نقلوها من كتب الإخباريين الذين يعيشون بعقل الماضى على شاكلتهم..

وكتاب بحار الأنوار للمجلسى الذى يحوى (١١ مجلداً) جمع فيه صاحبه كل ما يتعلق بأهل البيت من روايات وحوادث وأحكام وترك أمر تحقيق هذه النصوص وتصحيحها للمتخصصين وهذا الكتاب لو تم اختصاره فى عشر مجلدات لكان كثيراً..

لكن الشيعة قصروا فى هذا الأمر وأهملوه ليظل بحار الأنوار والأنوار النعمانية وبصائر الدرجات وغيرها من كتب الأخبار تمثل نقطة ضعف فى التراث الشيعى كما تمثل كتب العقائد والتاريخ والرواية وتاريخ القرآن وغيرها نقطة ضعف فى التراث السنى..

وما يجب ذكره هنا حول الروايات هو أن التراث السنى والشيعى قد اخترقته الأصابع اليهودية، وكما أن هنلك بعض الروايات عند الشيعة أستغلت من قبل الخصوم فى محاولة إثبات أن التشيع جذوره يهودية هناك أيضاً روايات عند السنة تتطابق نصياً مع نصوص التوراة..

ومن هذه الروايات:

خلق الله آدم على صورته..

وخلقت المرأة من ضلع آدم..

واختتان إبراهيم وهو ابن تسعة وتسعين سنة..

وأنه كذب ثلاث كذبات..

ودخول سليمان على نسائه التسع والتسعين..

وأن الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت..

وقول آمين الذى يردد فى الصلاة وفى الدعاء..

بالإضافة الى أحاديث الرجم..

وهذه الروايات وغيرها وردت فى كتب الصحاح..[1]

■ ■ ■

---

(١) انظر البخارى كتاب التوحيد وباب فضائل الأنبياء فى البخارى ومسام والاعتقاد للبيهقى وانظر لنا دفاع عن الرسول وانظر التوراة سفر التكوين الإصحاح الأول والثانى عشروالسابع عشروسفر التثنية الإصحاح السابع والعشرون وسفرالملوك الأول الاصحاح الحادى عشر ومما يذكر هنا ان هناك كتاباً أصدره واحد من حنابلة العصر وهو التويجرى يحمل اسم عقيدة أهل الإيمان فى خلق آدم على صورة الرحمن..

4

المتحولون

محاولات الاستقطاب

الحق والحقيقة
بين السنة
والشيعة

برزت مؤخراً العديد من الكتابات التى ترصد ظاهرة التحول من السنة الى الشيعة وفى المقابل برزت كتابات أخرى عن الشيعة الذين تحولوا الى السنة..

وفى مقدمة هذه الكتابات التى تتعلق بتحول الشيعة والتى اعتمد عليها حنابلة العصر وكان بمثابة فتح لهم فى حربهم ضد الشيعة، منشور (لله ثم للتاريخ)، عدد صفحاته (١١٢ صفحة) منسوب للأحد رجال الشيعة فى النجف يحمل اسم حسين الموسوى..

وفى هذا المنشور تحدث المؤلف عن غرائب تجاريه مع مراجع الشيعة وما كان يحدث له معهم كلهم أو مع واحد منهم، وكان يرد قراءه الى أمهات كتبهم التى تنص على مشروعية هذا الفعل القبيح وكل من يتناول هذا الكتاب بالقراءة المتأنية سوف يلمس صدق المؤلف واختلاف طريقته عن طريقة من سبقة من المؤلفين الشيعة الذين نقدوا بعض أصول مذهبهم..

وما ذكرناه ليس كلامنا بالطبع وإنما هو من مقدمة المنشور الذى نسب الى جمعية تسمى صلاح الدين الخيرية بتاريخ ١٤/صفر/١٤٢٢هـ دون ذكر عنوانها..

أما المؤلف فقد قال عن كتابه هذا : هذه رواية صيغت على شكل بحث قلتها بلسانى، وقيدتها ببنانى قصدت بها وجه الله ونفع إخوانى ما دمت حياً قبل أن أدرج فى أكفانى..

وقال : كانت الأمنية أن يأتى اليوم الذى أصبح فيه مرجعاً دينياً أتبوأ فيه زعامة الحوزة وأخدم دينى وأمتى وأنهض بالمسلمين..

وهناك أمنيات كثيرة مما يتمناه كل شاب مسلم غيور..

ويسر الله تعالى لى الإلتحاق بالدراسة وطلب العلم، وخلال سنوات الدراسة كانت ترد على نصوص تستوقفنى، وقضايا تشغل بالى، وحوادث تحيرنى..

المهم أنى أنهيت دراستى بتفوق حتى حصلت على إجازتى العلمية فى نيل درجة الاجتهاد من أوحد زمانه العميد محمد الحسين ال كاشف الغطاء زعيم الحوزة، وعند ذلك بدأت أفكر جدياً فى هذا الموضوع، فنحن ندرس مذهب أهل البيت، ولكن أجد فيما ندرسه مطاعن فى أهل البيت ندرس أمور الشريعة لنعبد الله بها، ولكن فيها نصوصاً صريحة فى الكفر بالله تعالى..

أى ربى ما هذا الذى ندرسة ؟ أيمكن أن يكون هذا هو مذهب أهل البيت حقاً ؟

إن هذا يسبب انفصاماً فى شخصية المرء، إذ كيف يعبد الله وهو يكفر به ؟

كيف يقتفى أثر الرسول وهو يطعن به ؟

كيف يتبع أهل البيت ويحبهم ويدرس مذهبهم، وهو يسبهم ويشتمهم..؟

ثم يطرح السؤال التالى : ما موقف هؤلاء السادة والأئمة وكل الذين تقدموا من فحول العلماء، ما موقفهم من هذا ؟ أما كانوا يرون هذا الذى أرى ؟ أما كانوا يدرسون هذا الذى درست ؟

بلى، إن الكثير من هذه الكتب هى مؤلفاتهم هم، وفيها ما سطرته أقلامهم، فكان هذا يدمى قلبى ويزيده ألماً وحسرة ؟

ويحدد الكاتب أنه قرأ كل المصادر المعتبره وغير المعتبره وكل كتاب وقع فى يده، وكانت تستوقفه نصوص وفقرات بحاجة الى تعليق، فأخذ ينقل تلك النصوص ويعلق عليها بما يجول فى نفسه ولما انتهى من قراءاته للمصادر المعتبره وجد عنده أكداساً من قصاصات الورق فاحتفظ بها عسى أن يأتى يوم يقضى الله فيه أمراً كان مفعولا..

وكانت له علاقات حسنة مع كل المراجع الدينية والعلماء والسادة وكان يخالطهم ليصل الى نتيجة تعينه على اتخاذ القرار الصعب الذى اتخذه رغم خوفه من انتقام الشيعة وإتهامه بالعماله لأمريكا أو إسرائيل وبيع دينه وضميره بعرض من الدنيا، فأصدر كتابه هذا وهو على يقين أنه سيلقى القبول عند طلاب الحق لا أهل الضلالة أصحاب المتعة والخمس الذين لبسوا العمائم وركبوا المرسيدس والسوبر حسب تعبيره..

ويظهر لنا من هذه المقدمة الضعيفة أن كاتبها لا صلة له بالشيعة ولم يكن منهم يوماً ما، وإنما هو شخصية مخترعة من قبل حنابلة العصر لضرب الشيعة..

إلا أن الذين اخترعوا هذه الشخصية لم يحسنوا بناءها وضبط لغتها بحيث تتفق مع لغة فقهاء الشيعة الذين عد الكاتب نفسه واحداً منهم بل عد نفسه مجتهداً، والاجتهاد رتبة علمية لا تمنح بهذه الصورة الساذجة التى صورها، وهذا يدل على جهله بنظم التعليم فى الحوزات العلمية عند الشيعة والتى لا تخرج مجتهدين..

ثم كيف بعد هذه القراءات الطويلة والخوض فى هذه المصادر المعتبرة وأكداس القصاصات من الورق لا يخرج لنا إلا بهذا الكتاب الصغير الفارغ المضمون..

وهذا الكتاب كان قد ظهر فى الكويت منذ بضع سنين وتصدى له الشيعة هناك وكشفوا الجهة التى أصدرته والشخصية الوهمية التى نسبوه إليها..

ومثل هذه الشخصية التى لها هذه العلاقات والقيمة العلمية التى يلقى المنشور الضوء عليها لابد وان تكون مشهورة الى الدرجة التى لا تحتاج معها الى مثل هذا المنشور المهلهل..

إلا أن هذا كله لا يعنينا، وما يعنينا هو موضوعه الذى يتشابه أو تتشابه معه منشورات حنابلة العصر..

وقد بدأ منشوره بحكاية ابن سبأ وإثبات كونه شخصيته حقيقية تنطق بها مصادر الشيعة..

وفى الفصل الثانى ركز على حقيقة إنتساب الشيعة لأهل البيت سارداً العديد من الروايات والنصوص التأريخية التى تقود الى براءة أهل البيت من شيعتهم..

وفى الفصل الثالث تناول نكاح المتعة..

وفى فصله الخامس تناول مسألة الخمس وأنه استغل من قبل الفقهاء والمجتهدين استغلالاً بشعاً حسب تعبيره..

ثم تحدث الكاتب بعد ذلك عن الكتب الأخرى التى فى حوزة أهل البيت غير القرآن، مثل صحيفة الجامعة، والجفر ومصحف فاطمة..

وحاول الكاتب من خلال فصل خاص أن يؤكد على نظرة الشيعة الى أهل السنة وأنهم العدو الوحيد للشيعة ولذا وصفوهم بأوصاف وسموهم بأسماء منها : العامة والنواصب..

وتناول بعد ذلك أثر العناصر الأجنبيه فى صنع التشيع وضرب مثلا بهشام بن الحكم وزرارة بن أعين وأبو بصير ليث بن البخترى وغيرهم..

ثم تحدث عن المهدى وأنه يضع السيف على العرب، ويهدم المسجد الحرام والمسجد النبوى، ويقيم حكم ال داود..

وقال إن من أعظم آثار العناصر الأجنبيه فى حرف التشيع عن ركب الإمة الاسلامية هو القول بترك الجمعة وعدم جوازها إلا وراء إمام معصوم..

وختم كلامه عن المهدى بقوله إن كثرة الفساد تعجل فى خروج الإمام المهدى وقد استجاب كثير من الشيعة لذلك، وطبقوا هذه التعليمات ومارسوا الفساد بكل ألوانه..

وختم كتابه بطرح السؤال التالى : هل أبقى فى مكانى ومنصبى وأجمع الأموال الضخمة من البسطاء والسذج بإسم الخمس والتبرعات للمشاهد،وأركب السيارات الفاخرة وأتمتع بالجميلات ؟ أم اترك عرض الدنيا الزائل وأبتعد عن هذه المحرمات، وأصدع بالحق لأن الساكت عن الحق شيطان أخرس ؟

والمتأمل فى منشور بشرى للشيعة أو جذور الشيعة أو فكر الخوارج والشيعة وغيرها من منشورات حنابلة العصر يجدها تتطابق مع منشور لله ثم للتاريخ، وهذا يؤكد ما ذكرناه بداية أنه من اختراع الحنابلة المتربصين بالشيعة..

إن الإعتماد على منشور ضعيف مثل منشور لله ثم للتاريخ المزعوم يدل على مدى ضعف موقف حنابلة العصر واهتزازهم فى مواجهة الشيعة ومن جهة أخرى هو يؤكد لنا افتقادهم الموضوعية العلمية والأدلة القوية وهذا كله يقودنا الى الحكم أن حربهم ضد الشيعة ليست بريئة ولا خالصة لوجه الله تعالى وإنما هى حرب شنوها من أجل الدفاع عن أنفسهم لا عن الاسلام ولا عن أهل السنة..

ونحن نقول لصاحب هذه النشرة لقد كنا من رموز الجماعات الاسلامية الحنبلية لفترة طويلة وكنا ندرس مذهب أهل السنة ونحفظ عقائدهم ونترنم بها ثم تخلينا عن هذا كله وكان يمكن أن أستمر فى هذا الطريق وأركب المرسيدس واتزوج الجميلات كما حدث لغيرى من أبناء جيلى الذين أصبحوا من أصحاب الملايين ولازالوا متلحفين بالجلباب القصير واللحية الطويلة..

والآن أسأل ما موقف هؤلاء السادة والأئمة وكل الذين تقدموا من فحول العلماء، ما موقفهم من هذا، أما كانوا يرون هذا الذى أرى، أما كانوا يدرسون هذا الذى درست..؟

والطريف حول هذا المنشور أن الشيعة أصدروا مؤخراً كتاباً يحمل نفس العنوان لله ثم للتاريخ ويناقش مفاهيم ومعتقدات أهل السنة ويرصد تناقضاتهم على نفس طريقة الكتاب المزعوم..

وهناك منشور صغير صدر تحت عنوان: (ربحت الصحابة ولم أخسر آل البيت) أصدره أحد المتحولين عن الشيعة فى البحرين بدأ فيه بالحديث عن بعض ذكرياته مع الشيعة وكانت نيته متجهه الى دراسة الموسيقى لكن هذا لم يتحقق بالطبع بعد أن إنغمس فى مواكب الشيعة وشارك فى إحياء مناسباتهم التى كان يفرح بها شباب الشيعة لكونها تعطيهم الفرصة لمعاكسة الفتيات..

وكان قد أجريت له عملية جراحية وضعته بين الحياة والموت، وأرادت والدته أن تذهب به الى أحد المزارات وتنذر له نذراً هناك إلا أنه شفى دون ذهاب أو نذر..

وينقل بعد ذلك شائعة شيعية تقول أن الخوئى بعد وفاته ظهرت صورته فى القمر..

ثم يحدد لنا بعد ذلك ما أرقه من الشيعة وهو سب الصحابه ولعنهم، وإباحتهم نكاح المتعة، واللطم والنواح فى عاشوراء ويقص فى الصفحات التالية قصة رجل أشتهر بمعالجة المرضى وحل مشاكل الناس بالقرآن والأدعية المشروعة وقد حاول هذا الرجل أن يعيده الى صفوف الشيعة ففشل بعد أن استخدم معه بعض الحيل السحرية.. .

وتحت عنوان : تاريخ أهل البيت ينفى عقيدة الامامية النصية قال : إن المتأمل فى التراث التأريخى الشيعى بجد أن عقيدة الإمامة التى يوالى ويعادى عليها الشيعة اليوم لم تكن مكتمله ولا واضحة المعالم عند الشيعة أنفسهم حتى وفاة الإمام الحسن العسكرى وافتراق الشيعة بعد موته الى فرق كثيرة، منها الإمامية الإثنا عشرية والإسماعيلية..

ولذلك لم يكن عامة الشيعة يميزون كثيراً بين أئمة أهل البيت..

وهناك عدة أحاديث شيعية تصرح بإمكانية جهل الشيعة بالإمام، بل إن روايات كثيرة تشير الى عدم معرفة الأئمة أنفسهم بإمامتهم أو إمامة الإمام اللاحق من بعدهم إلا قرب وفاتهم..

ثم ذكر أن صاحب كتاب : (النجم الثاقب فى أحوال الإمام الحجة الغائب) جاء بلقب للامام المهدى - خرومجوس - وهو اللقب السابع والأربعون المذكور فى الكتاب..

وتعجب من هذا اللقب الذى تسبب له فى هزة وتأكد له أن مهدى الشيعة سوف ينتقم من العرب لآبائه الفرس حيث تشير رواية فى بحار الأنوار الى أن المهدى من ولد يزدجرد..

وطرح بعد ذلك سؤالاً : لماذا غاب صاحب الزمان ؟

ولماذا يهاجمون المرجع محمد حسين فضل الله ؟

وختم منشوره بقصة قصيرة لشاب شيعى تحول الى التسنن بعد إصابته بمرض نفسى عالجه منه إمام مسجد سنى بالقرآن بعد أن فشل علماء الشيعة فى علاجه منه..

وهذا الشاب تسنن والده أيضاً وهو بائع خضار عندما ذهب الى الحج شيعياً وعاد منه سنيا بعد أن بين له أحد عناصر السنة أن بغض عائشة يناقض القرآن..

وهذا البائع كان على علاقة بثلاثة من السنة، دار بينه وبينهم ذات مرة حديث عن مسألة سب الشيعة لعائشة والطعن فيها فلم يستطع أن ينكر ذلك، وقال : بصراحة نحن الشيعة نبغضها ونكرهها ونسبها ونلعنها وهى ناصبية، ونعتقد بأنها من أهل النار..

فقال له أحدهم : ألم تسمع قول الله تعالى : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ «الاحزاب ٦».

وفسر له الآية وشرحها له..

عندها احتار الرجل من سماع الآية والمعنى، وتساءل : هل هذه الآية موجودة فى القرآن؟ إننى أول مرة أسمعها، فقلبوا له صفحات القرآن حتى أوقفوه على الآية التى استشهدوا بها..

فقال : الآن عرفت أن عائشة هى أمى وأم كل مؤمن هى وبقية زوجات الرسولﷺ

هكذا ببساطة ترك هذا البائع عقيدته الموروثه..

ومن علامات جهل صاحب هذا المنشور أنه ذكر أن الشيعة افترقت بعد وفاة الحسن العسكرى الى الامامية والاسماعيلية، وكيف ذلك والامامية قائمة من قبل العسكرى الذى هو امتداد للأئمة السابقين له، أما الاسماعيلية فقد برزت فى عهد الامام جعفر الصادق من قبل العسكرى..

ونشر مؤخراً منشور صغير بعنوان : الوصية الخالدة بدون ناشر كما هو حال منشور ربحت الصحابة..

وهذا المنشور تركز موضوعه فى محيط مسألة الشرك والتوسل وهى كما قال كاتبها رسالة لطيفة فى توحيد رب العالمين كتبتها بعد أن وقفت على روايات لآل بيت النبوه تخالف ما يدعيه بعض المنتسبين الى مذهبهم اليوم..

والحمد لله أنه قال بعض ولم يقل كل..

وفى نهاية هذا المنشور قال الكاتب : لنقلها بكل وضوح كفانا شعارات أيها الناس..

الى متى نتكلم بإسم أهل البيت ونحن لا نعيش التوحيد الذى عاشوه، نتعلق بالمخلوقين ونستغيث بهم عند الشدائد، ونرغب فى انعامهم علينا ورزقهم لنا، ونعرض عن الرازق السامع لكل شكوى ؟

الى متى نتكلم عن حب الله تعالى وحب رسوله الكريم ولا تتحرك مشاعرنا لكلام الله تعالى وكلام رسوله الكريم اللذان يحضاننا على التوجه لله تعالى وحده لا لأنبيائه ولا لغيرهم..؟

الى متى نتكلم عن اتباع أهل البيت ولا نعرف من هذا الاتباع، إلا شتم الأموات والوقيعة بين المسلمين وإثارة النعرات الجاهلية..؟

أين نحن من جهود أهل البيت المبذولة فى ترسيخ معالم التوحيد فى نفوس الناس ومحاربة البدع والخرافات التى طرأت على المجتمع المسلم.. ؟

إننا بحاجة الى وقفة نصحح بها مفاهيمنا ونحاكم فيها أنفسنا.. ؟

ونحن لا نختلف مع الكاتب فيما قاله عن وجوب إتباع أهل البيت بحق والتوقف عن السب والشتم..

ولا نختلف معه فى محاربة البدع والخرافات وترسيخ معالم التوحيد واضعين نصب أعيننا جهود أهل البيت

فى هذا المجال..

إلا أن تحقيق الإتباع ومحاربة البدع والخرافات وترسيخ معالم التوحيد يجب أن يتم فى محيط أهل السنة أيضاً..

أما نفى التوحيد عن الشيعة لكونهم يجيزون التوسل المحارب من قبل الحنابلة فهذه مسألة تنقض دعوى صاحبنا برفض الشعارات وتنزع عنه صفة التجرد..

وإذا كانت الشيعة بحاجة الى وقفة تصحح فيها مفاهيمها وتحاكم نفسها، فإن أهل السنة أيضاً بحاجة الى ذلك..

لكن صاحب هذا المنشور لم يخبرنا عن جهود أهل البيت فى ترسيخ معالم التوحيد ومحاربة البدع والخرافات التى وجدها مهملة عند الشيعة هل وجدها عند أهل السنة..؟

وإذا كان حنابلة العصر قد اعتمدوا على كتاب موسى الموسوى : الشيعة والتصحيح واستثمروا نقده للشيعة ورفضه لبعض الممارسات والسلوكيات فإن هذا يدعو أهل السنة الى مجاراة الموسوى وإصدار كتاب مثل كتابه يكون عنوانه : أهل السنة والتصحيح..

والموسوى لم يرتد عن التشيع ويتحول الى أهل السنة فقد كان صاحب موقف ورأى اختلف فيه مع الشيعة، واختلف الشيعة معه، إلا أن عقدة التربص لدى الحنابلة وخصوم الشيعة استثمرت كتابه وسلطت عليه الأضواء بقوة أثناء الحرب العراقية الإيرانية ولا زال يستثمر حتى الآن..

ونظرة على تلك الكتابات التى برزت من الجانب الآخر ورصدت لنا حالات التحول من السنة الى الشيعة يمكنها أن تكشف لنا مدى الفارق الكبير والمضمون العميق والإحاطة الكاملة باطروحة أهل السنة مع البرهنة والإستدلال التى كشفت عورات هذه الأطروحة وهى عورات كبيرة وخطيرة كان من الواجب على حنابلة العصر أن ينشغلوا بها بدلاً من الإنشغال بعورات الشيعة..

هناك كتاب ثم اهتديت للتيجانى التونسى الذى شنوا عليه حرباً شعواء..

وكتاب (وركبت السفينة لمروان خليفات الأردنى)..

وكتاب (لقد شيعنى الحسين الإنتقال الصعب فى رحاب المعتقد والمذهب لأدريس الحسينى المغربى)..

وكتاب (الحقيقة الغائبة) لمعتصم احمد السودانى..

وكتاب (رحلتى من الوهابية الى الاثنى عشرية) لعصام العماد اليمنى..

وكتاب (الخدعة وهو من تأليفنا)..

وغيرها من الكتابات التى تعكس رؤى نقدية للعديد من القضايا والمفاهيم التى يتبناها أهل السنة والتى كانت السبب المباشر فى تحولهم وانتقالهم الى التشيع..

وأقول التشيع وليس الشيعة، فهناك فرق بين الشيعة والتشيع، كما أن هناك فرق بين الاسلام والمسلمين

وحنالة العصر أخذوا فى طريقهم التشيع وهم يحاربون الشيعة..

ومثل هذه الكتابات قد استفزت حنابلة العصر لكن ردودهم على بعضها لم يكن أكثر من محاولة الدفاع عن أنفسهم بالتحصن بعقيدة أهل السنة..

وقد عبر صاحب منشور جذور الشيعة عن غضبه وثورته على حالات التحول نحو الشيعة بقوله : اجتمع اللئام على موائد النيام، فإذا أذن مؤذن فى الناس يكشف لهم ما يحاك من حولهم، تثائب أصحاب العزائم المتهالكه قائلين : دعونا نقارب بين المذاهب، ألا يعلم هؤلاء أن الأمر انتقل من عداوة دفينة فى سراديب التقية، قد تحولت الى هجمات علنية..

وان المتتبع لنشاط الشيعة يلاحظ كثرة الكتب التى تظهر بين أوساط السنة وأن عناوينها : رحلتى من السنة الى الشيعة، المراجعات، وركبت السفينة، بل ان داراً لنشر الفكر الشيعى قد تأسست فى مصر..

وماهو الغريب فى نشر الكتب الشيعية وتأسيس دور نشر شيعية والساحة الإسلامية تزدحم بكتب التغييب والتخلف والتطرف التى تصدرها دور النشر الحنبلية والوهابية المنتشرة فى كل مكان..؟

هل يريد حنابلة العصر أن تكون الساحة الإسلامية حكراً عليهم..؟

ان من حق أى إتجاه أن يبشر بدعوته طالما يبرهن عليها بالطرق الصحيحة التى تستقيم مع العقل والخلق، وطالما أن دعوته لا تصطدم بثوابت الدين وأصوله فلا حرج فى ذلك..

والحكم فى النهاية للجمهور المسلم فهو صاحب القرار فى قبول أى دعوة أو رفضها، والمسألة باختصار تنحصر فى الخوف من أفكار الشيعة بعد أن بزغ نجمهم بقوة منذ ظهور الثورة الإسلامية وتحطمت الحواجز والسدود التى صنعها الحكام والمذاهب فى الماضى لعزل الشيعة عن جمهور المسلمين..

والخوف من الشيعة لا مبرر له إلا إذا كان الطرف الآخر قد فقد الثقة فى قوته وثبات أفكاره وقدرتة على الصمود أمام تيارهم..

وقول صاحب جذور الشيعة : أن هجمات الشيعة قد تحولت الى هجمات علنية يعنى نقض فكرة التقية التى لازالوا ينسبونها للشيعة حتى اليوم، وهو يعبر بكلامه هذا عن خوفه على مذهبه..

ملاحظات:

وهناك العديد من الملاحظات التى استوقفنا فى منشورات حنابلة العصرالتى تكشف لنا أزمتهم فى النقل..

وأول هذه الملاحظات ما يتعلق بأهل البيت فقد ذكرت هذه المنشورات مناقبهم وفضائلهم من الإمام على حتى الإمام الحسن العسكرى وهو الإمام الحادى عشر، وهذا يعد اعترافا منهم بوجود هؤلاء الأئمة من خلال مصادرهم، فى حين أنهم عجزوا عن إبرازهم بصورتهم الصحيحة وإلقاء الضوء على علومهم وآثارهم فى دائرة أطروحة أهل السنة، فهذه العلوم والآثار تكاد تكون منعدمة فى مصادرهم الفقهية والعقائدية..

وهذا الاعتراف من قبلهم يضرب فكرة ابن سبأ فهؤلاء هم أئمة الشيعة وقد قال صاحب منشور جذور الشيعة : رغم جهود علماء السلف عبر العقود والقرون الماضية فى خدمة هذا الدين.. فإن لآل البيت دور عظيم فى هذا الشأن.. ولا أتجاوز الحقيقة حين أقول : إن آل البيت هم أصحاب ذلك المقام والذين إذا تبوءوه إستقامت أمور الدعوة فعندهم الوسطية الحكمية التى تضىء طريق الصواب فى ظلمات الفتن..

وهذا يؤكد ما تقول به الشيعة من أن أهل البيت هم مصدر كل العلوم الإسلامية، من فقه وتفسيروحديث وعقائد ولغة وأصول..

ويؤكد أيضا حالة التداخل بين التشيع والتسنن..

ويشير الحنابلة فى كتبهم الى مسألة العنصرية التى يرمون بها الشيعة مدعين أن التشيع جذوره فارسية مجوسية فى حين أن الشيعة منذ نشأتهم وحتى اليوم يتلقون دينهم من أرقى بيوت العرب وأعلاها وهو بيت الرسول..

والكثير من فقهاء الشيعة الفرس مثل الخمينى أصولهم عربية والأمر الغريب الذى يؤكد جهل حنابلة العصر هو أن معظم فقهاء أهل السنة الكبار وأصحاب السنن الذين جمعوا الأحاديث ودونوها هم من أصول فارسية على ما سوف نبين..

كذلك مسألة نسبة التشيع الى اليهود تشير الى الجهل بتاريخ الصحابة والتابعين من أصحاب الأصول اليهودية الذين كان لهم دور بارز فى عالم الرواية فى دائرة أهل السنة..(١)

ومن صور التضليل التى يركز عليها الحنابلة فى منشوراتهم محاولة ايجاد تشابه بين عقائد الشيعة وعقائد اليهود، ووجود هذا التشابه لا يعنى شيئا لكون مصدر الأديان واحد وسننها ثابته فضلا عن أن الكثير من معتقدات أهل السنة وأحكامهم تتشابه مع عقائد وأحكام اليهود، ومحاولة الاستدلال بها على انحراف أهل السنة وارتباطهم باليهود يعد خروجا عن الموضوعية والمنهج العلمى والإسلام كدين هو امتداد للأديان السابقة له.. (٢)

وفكرة الأفضلية والفرقة الناجية واحتكار الحق التى يتبناها أهل السنة قال بها اليهود حيث اعتبروا أنفسهم شعب الله المختار..

---

(١) انظر كتب التراجم والتاريخ، وكان عمر على ارتباط وثيق بكعب الأحبار. انظر الطبري وابن الأثير والإصابة..
(٢) انظر فصل شبهات تاريخية..

وفكرة عدم الخلود فى النار لأهل الكبائر قال بها اليهود وأكدها القران بقوله تعالى :

﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً﴾ « البقرة ٨٨».

وإذا كان اليهود قد غالوا فى ملوكهم وقالوا بانحصار الملك فى آل داود فقد غالى أهل السنة فى الحكام واعتبروا طاعتهم والصلاة والحج والجهاد من ورائهم من العقائد واعتبروا غزواتهم فتوحات إلهية بنوا على أساسها أحكاماً شرعية أسهمت فى نشر الرق وتوطينه وسط المسلمين، وقالوا بحصر الإمامة فى قريش..

وقام اليهود بتحريف الكتب، وتبنى أهل السنة القول بأن الرسول ترك القرآن متفرقاً وغير مجموع وقد جمع ورتب بعد وفاته..

وتبنوا آلاف الروايات التى نسبوها للرسول وأدت الى تشويه النبى والغلو فى الصحابة والحكام وابتداع أحكاماً فوق أحكام القرآن..

واعتقاد الحنابلة أن الشيعة والمتصوفة من المشركين وعدم جواز نكاح نسائهم وأكل ذبائحهم يوازى المعتقد اليهودى الذى ينص على نجاسة غيرهم..

حتى أن الخلاف الذى وقع بين الحنابلة المجسمه والآخرين من الفقهاء مثل الطبرى وابن الجوزى والخلف من بعدهم حول الموقف من صفات الله سبحانه الواردة فى الروايات وإصرار الحنابلة على أخذ هذه الصفات على وجه الحقيقة بينما يرى الآخرون أخذها على وجه المجاز ـ هذا الخلاف له ما يشابهه عند اليهود حيث وقع الخلاف بين فرقة القرائين الذين يرون أخذ صفات الله الواردة فى التوراة على وجه المجاز بينما ترى فرقة الربانيين أخذها على وجه الحقيقة..

ويحاول حنابلة العصر ضرب الشيعة بأهل البيت واستدلالهم بمواقف وسلوكيات أتباع الإمام على والإمام الحسن والإمام الحسين التى دفعت هؤلاء الأئمة الى الصدام بهم وتوبيخهم، واعتبار هذا دليل على فساد الشيعة وعدم صدقهم والتزامهم بنهج أهل البيت..

وهذا الإستدلال يدل على الغباء، إذ أن الرسل قد مروا بنفس التجارب وتمرد عليهم اتباعهم ـ كما هو حال موسى مع بنى اسرائيل ـ فهل هذا يعنى أن جميع اتباعهم ليس فيهم خير ؟

وانهم عجزوا عن استقطاب أتباع جدد ؟

أليس هذا التصور ينطبق على الصحابة الذين أضفى عليهم أهل السنة صفة العدالة، بينما تواترت نصوص القران تكشف مواقف وسلوكيات بعضهم المضرة بالدين المؤذية للرسول ؟

وحسم هذا الأمر قوله تعالى :وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم..

وهل هذا يعنى أن توبيخ الإمام على أو الحسن لبعض أصحابه، وتخلى الشيعة عن نصرة الحسين، أن الشيعة تخلوا عن نصرة أهل البيت والإلتفاف حولهم ؟

أو أن كل الشيعة على مر الزمان على هذه الصورة ؟

وهل أتباع أهل السنة لا ينطبق عليهم مثل هذا التصور ؟

إن حال حنابلة العصر وواقعهم يشهد بانطباق هذا التصور عليهم..

ويلاحظ فى هذه المنشورات جهالات عديدة فى النقل والتخبط فى تحديد المصادر وخلط بين الأصول والفروع..

ومن ذلك أن نقلهم العشوائى جعلهم ينسون كلمة عليه السلام ويذكرونها فى كتبهم مع أن هذه الكلمة لا توجد إلا فى مصادر الشيعة وهى خاصة بأئمة أهل البيت، وقد كانت موجودة فى المصادر السنية القديمة كما ذكرنا..

واعتراف السلف بكلمة عليه السلام يعنى أنهم كانوا يعلمون الوضع الشرعى لأهل البيت..

ويعنى أيضا أن حنابلة العصر لا يمثلون السلف وإنما يمثلون مذاهبهم..

ومن ذلك نقل خرافات من كتب الشيعة دون تثبت والإسراف فى النقل من مصادر محدودة تخدم أغراضهم مثل كتاب : (بحار الأنوار) وكتاب (الأنوار النعمانية) وكتاب (بصائر الدرجات) وغيرها من الكتب الروائية التى تعكس معتقدات الإخباريين، مع تناسى أن العديد من المصادر الصحيحة عند أهل السنة تحوى خرافات كثيرة..

ويمكن للقارىء الاطلاع على نماذج من هذه الخرافات فى كتاب التوحيد فى البخارى وكتب السنن مثل : رواية رؤيةالله، ونزوله الى الدنيا، ووضع قدمه فى النار لكى يوسعها، وأنه سبحانه سيكشف عن ساقه يوم القيامة، كذلك حديث رضاعة الكبير فى مسلم كتاب الرضاع، ورواية فرار الحجر بثوب موسى وجريه وراءه وهو عريان واعتدائه على ملك الموت وفقأ عينه فى البخارى ومسلم باب فضائل موسى وروايات زواج الرسول بعائشة وهى طفلة، ومص الرسول أثداء البكارى فدررن لبناً فى الإستيعاب السين ترجمة سيابة بن عاصم وغيرها..

وقد نقل صاحب منشور جذور الشيعة عن منشور لله ثم للتاريخ أن المهدى حين ظهوره سوف ينقل الحجر الأسود من الكعبة الى الكوفة وبالتالى سوف يحول القبلة الى الكوفة، وعلى فرض التسليم بصحة هذه الرواية ماهى صلة الحجر الأسود بقبلة المسلمين ؟

ويذكر فى «ص ٢٧٥»: لا ريب أن الشيعة تقرأ القرآن قرناً بعد قرن ولا يجاوز تراقيهم..، وهو ما يمثل اعترافاً منه بصحة قرآن الشيعة..

ونقل رواية من كتاب ينابيع المودة للقندوزى الحنفى باعتبار أنه مصدر من مصادر الشيعة..

وعد صاحب منشور بشرى للشيعة آية المتعة فى سورة النساء من المتشابهات..

واستدل صاحب منشور فكر الخوارج والشيعة بحديث، تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ابدا : كتاب الله وسنتى..

وهو حديث لا أثر له فى الصحاح السته عند أهل السنة، فقد رواه مالك فى الموطأ والحاكم فى المستدرك..

ويكفى أن من رواته سيف بن عمر المتهم بالوضع والكذب.. وما نود تأكيده هنا هو أن الشيعة يتمسكون بالكتاب والسنة أيضاً ولكن السنة يأخذونها عن طريق أهل البيت..

وذكر صاحب فكر الخوارج والشيعة أن ابن ابى الحديد شارح نهج البلاغة بعد ان استدل بأقواله ـ هو من كتاب الشيعة بينما هو معتزلى معروف..

وجاء فى منشور بشرى للشيعة أنهم يفضلون الكلب على أهل السنة وذكر الروايات التالية:

ما خلق الله شيئاً شراً من الكلب والناصب شر منه..

إن الناصب أهون على الله من الكلب..

والنواصب هم الذين ناصبوا أهل البيت العداء، وهى تهمة يبرأ أهل السنة أنفسهم منها فى مصادرهم..

وهذا الناقل يلصق تهمة النصب بنفسه وبمذهبه وهو لا يدرى، فما دام أهل السنة لا يعتبرون أنفسهم من النواصب فما هو مبرر طرح هذه القضية والإستدلال بهذه الروايات؟

وفى منشور فضائل الصحابة كذب صاحبه دعوى تكفير الشيعة من قبل أهل السنة ثم وقع فى تناقض وأكد هذه الدعوى بقوله : وغاية ما فى الأمر أن أهل السنة يقولون بكفر من يدعون تحريف القرآن الكريم أو ينكرون السنة الثابته الصحيحة عن النبى أو ينسبون الصحابة الى التواطىء على الكذب على الله ورسوله أويكفرون الصحابة ويدعون ردتهم عدا خمسة او سبعة... إلخ هذه العقائد المكفرة..

ثم تحدث بلغة مطلقة وقال : بل إن كل مسلم على وجه الأرض يتفق مع أهل السنة فى ذلك بما فيهم مسلمو الشيعة..

وهذا الكلام يعنى أن الشيعة فى منظور أهل السنة فيهم كفار وفيهم مسلمون ؟

الكفار فى منظورهم الذين يقولون بهذا الكلام..

والمسلمون فى منظورهم من يتفقون معهم فى معتقداتهم..

والسؤال هنا : هل الذين يتفقون مع السنة فى هذه المعتقدات يعدوا من الشيعة ؟

لكن صاحب المنشور عاد وفصل بقوله: غير أن الشيعة الإثنى عشرية الذين يعتقدون هذه الإعتقادات الباطلة ويفترون هذه الفرية حتى يوهموا الناس أنهم من الشيعة - والشيعة الصادقون برءاء منهم - ثم يوهموا الناس أن أهل السنة يكفرون جميع الشيعة..

ومن الواضح من خلال هذا الكلام ان التكفير يتجه نحو الشيعة الاثنى عشرية، وان الشيعة الصادقون برءاءو منهم..

ولست أدرى ماذا يقصد بهذا الكلام المضطرب المتخبط..؟

هل يقصد القول أن غالبية الشيعة فى العالم اليوم - وهم إمامية اثنى عشرية - كفار؟

وإذا كانوا كفاراً فمن هم الشيعة الصادقون فى تشيعهم ؟

وأين أقوالهم التى يتفقون بها مع أهل السنة ؟

لعل هذا الحنبلى الضائق بالاثنى عشرية أراد أن يخترع لنفسه شيعة آخرون يوافقون مذهبه ومعتقده..

وسوف نبين أن دعوى تحريف القرآن وقع فيها أهل السنة أيضاً وأن السنة الثابته الصحيحة هى ثابته وصحيحة بطرق أهل السنة التى لا يعترف بها الشيعة..

وأن فكرة الصحابة يتستر بها أهل السنة لضرب خصومهم الذين يخالفونهم فى تعريفهم لمفهوم الصحبة وإدخال كل من هب ودب فى دائرته وتعويم النصوص القرانية الخاصة بهم..

ومن جهل هذا الكاتب أنه فى دفاعه عن يزيد بن معاوية ورفض إتهامه بالفسق وشرب الخمر جاء برواية منسوبة لمحمد بن الحنفية بن على بن ابى طالب تزكى يزيد وتشهد له بالتقوى والصلاح، ثم علق فى الهامش بقوله : والقوم - الشيعة - بسحرهم العظيم لا يعدونه - أى ابن الحنفية - من أهل البيت..

وعلامات جهله تظهر لنا بوضوح فى مصدر هذه الرواية وهو كتيب الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب الذى نقلها بدوره عن ابن كثير فى تاريخه..

وهذا المصدر لا يصح الاستدلال به فى هذا المجال لكونه غير معترف به من قبل الخصم من جهة، ومن جهة ثانية هو ليس من المصادر الحديثية المعتبرة..

والأمر الثانى أن صاحبنا تجاهل أولا يعلم من الأصل أن مفهوم أهل البيت عند الشيعة إنما ينحصر فى حدود الأئمة الاثنى عشر فقط، فلا يعد ابن الحنفية أو ابن عباس وغيرهما من أهل البيت ولم يقل بذلك أحد ممن يعلم ويلم بعقائد الشيعة..

وجاء هذا الناقل بلا وعى برواية تدينه وتدين مذهب أهل السنة فى الصحابة وهى رواية البخارى التى تقول : لقيت البراء بن عازب فقلت : طوبى لك، صحبت النبى وبايعته تحت الشجرة، فقال : يا ابن اخى إنك لا تدرى ما أحدثنا بعده..

واستنكر إتخاذها دليلاً على أن الأولين أصحاب بيعة الرضوان من الممكن أن يحدثوا شيئاً بعد الرسول ويرتدوا على أدبارهم وعد هذا استهزاء واضح وغمز بالقرآن الكريم، وكفى به كفراً مبيناً حسب تعبيره..

وكيف لا يتخذ دليلاً وهو نص واضح صريح وصحيح..

وأزمة أهل السنة أنهم ربطوا القرآن بالصحابة بلا استثناء وأصبح عندهم من يمس الصحابة فقد مس القرآن، وهذا هو الغلو بعينه، بل هو التحريف البين لنصوص القرآن التى نزلت على هؤلاء الصحابة لتزكى أفعال أو مواقف بعينها إرتبطت ببعضهم ولا تعنى بحال استمرارهم فى محيط التزكية حتى الممات وإلا أضفينا عليهم العصمة وهذا ما لا يقول به أهل السنة الذين يقولون أن الصحابة يصيبون ويخطئون غير ان الله غفر لهم وتاب عليهم..

وإذا اسلمنا بأن الله غفر لهم وتاب عليهم فإن هناك سؤالا يطرح نفسه وهو : هل التوبه والغفران تشمل الذين جاءوا بعد نزول آيات القران الخاصة بالسابقين الأولين والمهاجرين والأنصار ؟

أو السؤال بصورة أخرى : هل يدخل في محيط التوبة والغفران من رأى الرسول ولو ساعة أو سلم عليه أو ولد في عصره وكل هؤلاء صحابة بمفهوم أهل السنة..؟

وقد عمل جاهداً هذا التائه في منشور فضائل الصحابة على نقض فتوى الشيخ شلتوت التي تعترف بالشيعة الإمامية وتجيز التعبد بمذهبهم كسائر المذاهب الإسلامية..

وقال معلقاً : وهب أن شيخ الأزهر أو الشيخ محمد الغزالي قد قالا ذلك لأسباب سياسية أو طمعاً في أن يراجع القوم أنفسهم، أو لعدم علمهما بالروايات المكفرة التي تغض بها كتبهم ناهيك عن تصريح كبار رجال دينهم بالعقائد المكفرة قولاً واحداً، وذلك إما بسبب استخدام القوم للتقية أو لحجبهم الكتب المصرحة بعقائدهم الفاسدة..

وهذا الكلام يمثل إتهاما للشيخ شلتوت والشيخ والغزالي أن ما قالاه في حق الشيعة كان بدافع السياسة أو بسبب الجهل بمعتقدات الشيعة، وهو كلام يكشف جهل صاحبة وجرأته على الآخر وهي من صفات حنابلة العصر الذين يحاولون تصوير أنفسهُم بأنهم أصحاب الحق والعلم والسبق على الدوام..

وكيف يتهم الشيخان بالجهل وهما كانا في جماعة التقريب التي نشرت العديد من مصادر الشيعة وعلى رأسها مجمع البيان في تفسير القرآن الذي قدم له الشيخ شلتوت وحققه علماء الازهر.. ؟

ونود بهذه المناسبة أن نؤكد على حقيقة هامة وهي أن حنابلة العصر لا يعترفون بالأزهر ولا بأحد من الفقهاء سوى فقهاء الحنابلة القدامى وفقهاء الوهابية المعاصرين..

ويظهر لنا من خلال كتب الحنابلة جهلهم الواضح بحوادث التاريخ التي يلصقونها بالشيعة مثل حوادث القرامطة.. كذلك هم نصبوا أنفسهم حماه لأهل السنة وناطقين بلسانهم فمن ثم هم يستنكرون على الدوام ما يجري للسنة في ايران..

والحق ان أهل السنة في ايران ونسبتهم ـ لا تزيد على ٩٪ ـ يتمتعون بحرية لا يتمتع بها أهل السنة في البلاد الأخرى التي تعد سنية بمنظور حنابلة العصر ثم إنهم أحناف وشافعية وليسوا حنابلة وهابيين..

ونحن نرى بأم أعيننا ما يجرى لفرق أهل السنة من بطش وتضييق واضطهاد فى دولة الوهابيين وغيرها من الدول العربية والاسلامية وحتى الأوروبية..

ولم يعتد صاحبنا بظاهرة المتحولين من السنة الى الشيعة واعتبر أنهم عناصر لا وزن لها ولا يمثلون شيئا فى محيط أهل السنة، وأنهم نكرات بينما اعتبر أن موسى الموسوى صاحب كتاب الشيعة والتصحيح وحسين الموسوى المنسوب إليه منشور لله ثم للتاريخ من كبار علماء الشيعة وكلاهما قد نال درجة الاجتهاد من عظمى وكبرى حوزاتهم العلمية، وقد تدرجا فى أسرة علمية على المذهب الإمامى، وأصبحا فقيهين يجوز عندهم تقليدهما كما ينص على ذلك منهجهم فى الفقه.

وقال : على أية حال فإن الحكم على دين ما، أو مذهب ما، لا يكون بشهادة أحد من الناس، إنما يكون من خلال الأصول التى تثبت على هذا أو ذاك ومن مصادره الموثقة عند أصحابه، وهذا ما فعله علماؤنا عند تعاملهم مع دين الرافضة الإمامية الجعفرية الإثنى عشرية، وعلى سبيل المثال لا الحصر راجع عموم مؤلفات الشيخ احسان الهى ظهير، والشيخ منظور نعمانى، والدكتور على السالوسى، ومن قبلهم الشيخ محب الدين الخطيب حول هذا الموضوع، لتعرف المنهجية المنصفة فى الحكم على القوم من خلال كتبهم وتصريحاتهم وشهادتهم على أنفسهم، وكما قيل :من فمك ادينك..

ومن الطبيعى أن يكون هناك رد فعل من قبل أهل السنة تجاه المتحولين منهم نحو الشيعة، إلا أن رد فعل الحنابلة يتناسب مع طبيعتهم العصبية التى تتجاوز حدود العدل والإنصاف مع الخصم..

لكن أعتبار موسى الموسوى وحسين الموسوى من المجتهدين هو كذب، فلا هم بمجتهدين ولا لهم مقلدون فى دائرة الشيعة، هذا على فرض التسليم بشخصية حسين الموسوى المزعومة..

واعتبار إحسان الهى ظهير ومنظور نعمانى والسالوس من علماء السنة كذب أيضاً فهم لا يخرجوا عن كونهم باحثين وكتاب فى مجال الفكر والصحافة..

أما محب الدين الخطيب فلم يكن شيخاً وكان المناهضين لدولة الأستانة _ دولة الخلافة العثمانية - وفر من الشام الى مصر وكون المطبعة السلفية ومكتبتها التى نشرت العديد من الكتب الموجهة ضد الشيعة بالتعاون مع الدوائر الوهابية..

وهؤلاء المبجلين من قبل هذا الحنبلى لم تكن كتاباتهم ضد الشيعة تتحلى بالمنهجية العلمية وتعتمد على المصادر الموثقة كما ادعى بل كانت كتابات مهلهله تحوى عورات وثغرات أعتمد عليها الشيعة فى ردودهم عليها وهى ردود منشورة على شاشات الانترنت وفى الصحف والكتب..

ويكفى لأى باحث او متابع أن يرى على شاشات " الانترنت " العديد من الردود الشيعية على كل ما يثار من شبهات..

والسؤال الذى يفرض نفسه هنا هو : هل حنابلة العصر يمثلون شيئا ذا وزن فى محيط أهل السنة..؟

والملاحظة الأخيرة حول كتب حنابلة العصر تتركز فيما ادعوه وحشوبه كتبهم من مناظرات وحوارات دارت بينهم وبين أفراد من الشيعة أو نقلت من مصادرهم التاريخيه..

وهى مناظرات وحوارات ساذجة تتفق مع عقول الحنابلة الضعيفة وتعتمد على مواقف وسلوكيات لا على علم..

ومن هذه الحوارات ما ختم به هذا الحنبلى اليمنى منشوره فضائل الصحابة من قصص وحكايات دارت بينه وبين عناصر من الشيعة هناك..

وقد نقل صاحب منشور جذور الشيعة مناظرة من صفحة واحدة نقلها من كتاب الإعتصام للشاطبى..

ومن أهم الأمور التى نلاحظها فى هذه المنشورات هى الخلط بين الأصول والفروع وتضخيم الفروع لتصبح أصولا ثم تبنى عليها أحكام بالشرك والتكفير، وهذه من

متاهاتهم التى تؤكد سيادة العقل المذهبى ورثوها عن حنابلة الماضى كما ورثوا الخلط بين الشيعة الإمامية والفرق الأخرى عن فقهاء الماضى أيضا..

ومن بين القضايا التى تم تضخيمها من قبل حنابلة العصر واعتبروها من القضايا الفاصلة بين الإيمان والشرك، قضيةالتوسل بأهل البيت والأولياء من الراحلين عن الحياة الدنيا..

وتلك هى القضية التى نهضت على أساسها فرقة الوهابية وشغلت بها المسلمين فى كل مكان، واعتقد حنابلة العصر على ضوئها أنهم يملكون القول الفصل فيها..

قال أحدهم فى منشور الغلو ومظاهرة فى الحياة المعاصرة : الغلو على نوعين :

الأول : غلو مخرج من الملة وهو ما بلغ بصاحبه الى تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، كمن ينسب الى بعض الخلق أنه يعلم الغيب أو أنه على كل شىء قدير، أو أنه يتصرف فى الكون بحياة أو موت أو نفع أوضر استقلالاً بقدرته هو ومشيئته، وهذا يوجد عند كثير من الغلاة من الروافض والصوفية وأشباههم..

ومن صورة أيضاً : صرف العبادة لغير الله كدعاء الأوليا ء، والاستغاثة بهم والذبح لهم والنذر لهم والطواف بقبورهم تقرباً إليهم، لأنها عبادات والعبادات لا يجوز صرفها لغير الله، ومن صرفها لغير الله فقد اشرك..

وكلام هذا الحنبلى إنما هو صورة من صور الغلو، ومن يملك هذه اللهجة الحادة كيف يكتب عن الغلو.. ؟

وكيف له أن يحكم أن من بين المسلمين الذين نطقوا بالشهادتين وأقروا الله بالقدرة واستئثاره بعلم الغيب وأنه يحيى ويميت ويملك مقادير كل شىء _ من يساوى به بشر من خلقه ؟

وذكره الروافض والصوفية هو من قبيل التضليل والتعميم غير المبرر الذى يعكس لنا غلوه فى الآخر المخالف لنهجه..

وكان من الواجب عليه شرعاً أن يبين ويفصل لاأن يلقى بالناس خارج دائرة الملة على هواه..

وقد ذكر أن من صور الغلو المخرج من الملة صرف العبادة لغير الله..

وهذه الصورة المدعاه تطبق على الشيعة والصوفية من قبلهم، فهل يعنى هذا ان الشيعة والصوفية لا صله لهم بالصورة الأولى التى ذكرها ؟ أم أنهم يشتركون فى الصورتين ؟

وإذا اشتركوا فى الصورتين فما هو مبرر التفريق بينهما ؟

أما النوع الثانى من الغلو حسبما ذكر فهو ما كان وسيله الى الشرك وذريعة إليه ومنه : رفع قبور الأولياء، وبناء القباب والمساجد عليها أو دفن الأولياء فى المساجد وشد الرحال إليهم، والتوسل الى الله بجاههم والحلف بهم، مع الإعتقاد أن الحلف بهم دون الحلف بالله، أما إن قام بقلب الحالف أن الحلف بغير الله كالحلف بالله أو أعظم فهذا شرك أكبر..

ومعنى هذا الكلام أن النوع الثانى لا ينقل من الملة، فإذا كان لا ينقل من الملة فما هو مبرر هذه الحرب الضروس التى يشنها حنابلة العصر على الشيعة والمتصوفه بسبب القبور والقباب والزيارات والتوسل..؟

وكيف لنا أن نحدد الفارق بين ما هو شرك وما هو وسيلة الى الشرك فى أمر من أمور الباطن ؟

ويبدو - وهو الظاهر - أن حنابلة العصر قد حسموا هذا الأمر بالخلط بين الأمرين وهو ما يتناسب مع قدراتهم وعقولهم الضعيفة وميولهم العدوانية..

وتأمل قوله : أما إن قام بقلب الحالف أن الحلف بغير الله كالحلف بالله أوأعظم فهذا شرك أكبر... فتجده يحاول أن يسحب ما قاله بوضع شرط يصعب تحقيقه وقبوله عقلاً وشرعاً، إذ الأحكام تبنى على الظاهر فكيف له أن يقيم حكماً على الباطن ؟

وكيف لنا أن نعرف ما فى قلب الحالف ؟

وكيف للحالف أن يحلف بما أعظم من الله سبحانه ؟

ومن التساؤلات الغبية لحنابلة العصر التى يطرحونها دائماً من باب التحدى مادام عليا بهذه القيمة والقداسة العالية فلماذا لم يذكر فى القرآن.. ؟

والجواب ببساطة و ما دام أبو بكر بهذه القيمة والمكانة والقداسة العالية وعلى أدنى منه عندكم فلماذا لم يذكر فى القرآن.. ؟

ومن براهين جهل حنابلة العصر بعقائد السلف أنهم وضعوا أفكار وعقائد مخالفيهم فى دائرة الغلو باعتبار أن هذه الأفكار والعقائد تصطدم بأصول الدين، بينما السلف قد فرقوا بين أصول الدين وفروع ومسائل الاعتقاد..

وكل مسألة من مسائل أصول الدين يجب أن تكون من مسائل العقيدة، ولكن ليس كل مسألة من مسائل العقيدة يجب أن تكون من أصول الدين، فبعض مسائل العقيدة من أصول الدين وبعض مسائلها ليس من أصول الدين، ولا يصح أن نخلط بين مسائل العقيدة المرتبطة بأصول الدين وبين مسائل العقيدة المنفصلة عن أصول الدين..(٢)

ولو تم ادراك هذه المسألة لحسم هذا الصدام الواقع بين السنة والشيعة وغيرهم..

وحنابلة العصر ما هم إلا ضحايا لفقهاء الماضى الذين عدوا الكثير من المسائل عقائد بينما هى لا صلة لها بالمعتقدات وهى لا تخرج عن كونها مجرد آراء ومواقف..

ومن ذلك قول ابن تيمية : إن القتال فى الفتنه الكبرى كان الصحابة فيها ثلاث فرق :

فرقة قاتلت فى هذه الناحية..

وفرقة قاتلت فى هذه الناحية..

وفرقة قعدت..

---

(١) انظر معا على طريق الدعوة ابن تيمية وحسن البنا. وانظر المنهج الجديد والصحيح فى الحوار مع الوهابيين للدكتور عصام العماد..

والفقهاء اليوم على قولين : منهم من يرى القتال من ناحية على مثل أكثر المصنفين لقتال البغاة..

ومنهم من يرى الإمساك، وهو المشهور من قول أهل المدينة وأهل الحديث، والأحاديث الثابتة الصحيحة عن النبى فى أمر هذه الفتنة توافق قول هؤلاء، ولهذا كان المصنفون لعقائد أهل السنة والجماعة يذكرون فيه ترك القتال فى الفتنة والإمساك عما شجر بين الصحابة.(١)

وفكرة الإمساك عما شجر بين الصحابة أصبحت من العقائد عند المصنفين بينما هى فى الحقيقة لا صلة لها بأصول الدين..

كذلك مسألة طاعة الحكام والحج والجهاد من ورائهم ولو كانوا فجرة أو فساقاً وضعها المصنفون بين العقائد تحت ضغط الأحاديث المنسوبة للرسول..

أيضا ما يتعلق بصفات الله تعالى أوجب المصنفون الإيمان بها كما وردت فى الأحاديث وليس كما جاءت فى القران فقط..

وهذا ما أدى الى وقوع الحنابلة فى متاهات التجسيم حيث غالوا فى هذه الأحاديث وكفروا الرافضين لها وضللوا الآخذين لها على وجه المجاز..

أما مسألة التوسل والأضرحة والقباب فلم يركز عليها مصنفو العقائد، فمن ثم لا تجد لها ذكراً فى كتب العقائد عند أهل السنة عدا بعض الكتب المتأخرة التى كتبها الحنابلة وكتب الوهابيين..

ومن غباء حنابلة العصر أنهم يتهمون فى منشوراتهم الشيعة بالحقد على الإسلام والمسلمين والكيد لهم على أساس أكاذيب وشبهات إخترعها مؤرخوهم ورواتهم وصدقوها..

إلا أن الواقع المعاصر يشهد بما حل من نكبات على الإسلام والمسلمين اليوم بسبب فرق التكفير والجهاد والوهابيين وغيرهم من حنابلة العصر الذين تسببوا فى تشويه

---

(١) مجموع الفتاوى ج٢/ ٣٩٤.

الإسلام وارتداد الناس عنه وفتح الأبواب على مصارعها للهجوم عليه والطعن فى القرآن من قبل الدوائر العالمية، ودفع الحكومات للبطش بالمسلمين فى كل مكان..

وقد حلت النكبات بالإسلام والمسلمين بداية من ظهور الفرق الأفغانية ونهاية بظهور الفرق الإنتحارية التى نشرت الرعب والفزع فى كل مكان باسم الإسلام..

فهل هذه النكبات مسئول عنها الشيعة أم هذه الفرق المنسوبة لأهل السنة ؟

ومن ينفع الإسلام ومن يضره اليوم ؟

وماذا يمكن أن يقول التاريخ فى هذه النكبات والى أى جهة سوف يلقى بالمسئولية ؟

وأصحاب هذه المنشورات المخربة لعقول المسلمين لم يبينوا لنا أى إسلام يقصدون..؟

هل هو إسلام الماضى الذى ورثوه عن سلفهم..؟

أم هو إسلام المذاهب التى نبذوها وناصبوها العداء..؟

أم هو إسلام الحاضر الذى نكبوه وشوهوه..

والعجيب أن ترتفع اليوم أصوات الحنابلة وأذنابهم محذرة من خطر المد الشيعى والعالم يشهد فضائحم ومصائبهم التى حلت على الاسلام والمسلمين فى كل مكان..

ويشهدعملياتهم الانتحارية التى طالت المسلمين وغير المسلمين..

والحقيقة أن المد الشيعى يشكل خطرا على صروحهم المذهبية المعوجة المتطرفة والمتخلفة التى لا يمكن لها الصمود فى مواجهة العصر والمتغيرات وحالة الصحوة الفكرية التى يعيشها المسلمون..

ولا يمكن لأى عاقل أن يقبل مقالة الخطر الشيعى وهو يرى بأم عينه الخطر الحقيقى الذى يحيط بالاسلام والمسلمين الذى يتمثل لنا فى القوى الحاكمة المهيمنة على واقع المسلمين، والقوى الكبرى المتربصة، والكيان الصهيونى المغتصب لأرض فلسطين، وذلك هو الخطر الذى يريد حنابلة العصر وأذنابهم أن يصرفوا وجوهنا عنه، ويشغلوا المسلمين ببعضهم، وتلك هى الخدمة الكبرى التى يقدمها هؤلاء لأعداء الاسلام..

ولقد قدم لنا حنابلة العصر بمواقفهم وممارساتهم الدليل القاطع والبرهان الساطع على أنهم هم الخطر الحقيقى على الاسلام والمسلمين..

ان حنابلة العصر من الوهابيين ومن هم على شاكلتهم أشبه بالخفاش الذى لا يعيش الا فى الظلام فمن ثم هم يخشون من نور العصر وأضواءه الكاشفة التى أتاحت البروز للآخرالذى يخشون من مواجهته ومن أفكاره..

وكما سعى الحنابلة فى الماضى الى البطش بأصحاب المذاهب المخالفة والتنكيل بهم، هم يقومون اليوم بنفس الدور فى مواجهة الشيعة وبدعم أكبر على مستوى الداخل والخارج، ذلك الدعم الذى لم يحصلوا عليه فى الماضى، فقد حلت عليهم بركات النفط وبركات أعداء الاسلام أيضا..

وفى الوقت الذى تتجه فيه هذه الفرق الإرهابية نحو المسلمين بمدافعها وقنابلها، يتجه حزب الله الشيعى بمدافعه وقنابله نحو الصهاينة..

ومع ذلك اعتبر حنابلة العصر حزب الله هو حزب الرافضة الشياطين وهم الملائكة الصالحون وحدهم دون بقية المسلمين، وقاموا بإصدار العديد من المنشورات التى تثير الشبهات من حوله منها :

ماذا تعرف عن حزب الله..

حزب الله الرافضى تاريخ أسود وافتراءات..

حقيقة المقاومة..

حسن نصر الله خمينى العرب والشيعة الرافضة الشر الذى اقترب..

وعجيب أمر حنابلة العصر الذين يتهمون الشيعة بالخيانة والتقاعس عن الجهاد عبر التاريخ وعندما يبرز لهم دور جهادى كدور حزب الله يتهمونهم بالخيانة أيضا، وهم قد تركوا جهاد أعداء الإسلام وتفرغوا لجهاد المسلمين ولا يريدون لأحد أن يشهر سلاحاً فى وجه الصهاينة حتى لا يعريهم..

وإذا كان حزب الله لا يعجب هؤلاء فلماذا لم يشكلوا حزب الله السنى المبارك من قبل الله ويفوتوا الفرصة على الرافضة وتتحقق فيهم آيات الرحمن التى تحققت فى جهاد الأفغان بزعمهم.. ؟

إن حقيقة المسألة لا تكمن فى حزب الله، وإنما تكمن فى المد الشيعى المتنامى والذى أخذ دفعة قوية من خلال انتصاراته مما شكل خطراً على حنابلة العصر الذين يشعرون أن الزمان ليس زمانهم وأن البساط يسحب من تحت ارجلهم، وانتصارات حزب الله هى انتصارات للاسلام والمسلمين لا للشيعة أو السنة، لكن دعاة الفرقة من الحنابلة يريدون أن يوظفوا هذه الإنتصارات توظيفاً مذهبياً..

ومن الطبيعى أن ينزعج هؤلاء من حزب الله الذى عرى المنهزمين والمتقاعسين والعملاء من العرب والمسلمين..

وقد استفز حنابلة العصر تصريح حسن نصر الله لأحد الصحف الذى نشر ملحقاً بكتاب ماذا تعرف عن حزب الله، تحت عنوان : حسن نصر الله يكفر أهل السنة..

ونص التصريح هو : رأى السيد نصر الله أن بعض الحركات الإسلامية تقدم اليوم خدمات جليلة للأمة، ومما لاشك فيه أن بعض الحركات التى تسمى نفسها إسلامية تقدم خدمات جليلة لأمريكا وإسرائيل على حساب الإسلام، ونفى أن نكون أهل عصبية ونتعصب لكل ما هو بإسم الإسلام فى العالم لكل حركة أو شخصية إسلامية فهناك بعض المجموعات التى تنسب نفسها الى الإسلام تكفر السنة والشيعة من مختلف المذاهب وتقتل الشيعة والسنة وأولوياتها قتل المسلمين الذين لا ينتسبون الى خططها وفكرها..

وقال وهو ما ركز عليه صاحب المنشور باللون الأصفر والأحمر : إننى أتحدث بالتحديد عن الحركات الوهابية التى لا تقوم ولا تعمل أى عمل لتحرير القدس، بل تسعى من أجل التطبيع مع العدو وتفتن أمتها لمصلحة الولايات المتحدة، هنا نقول للباحثين لا نقبل أن تحسبوا الحركة الوهابية على الإسلام وعلى الصحوة الاسلامية..

ومثل هذا الكلام لا يشير الى شىء من التطرف أو الإعوجاج فى القول أو تكفير أهل السنة كما ادعى صاحب المنشور بل هو رؤية نقدية لحالة التطرف السائدة المدعومة من السلفيين والوهابيين، وهو يعكس لنا حالة الغفلة التى يعيش فيها هؤلاء وخوفهم الشديد من الآخر ومن النقد ومحاولات الصحوة الاسلامية التى سوف تكون على حسابهم بالطبع..

ومن صور التلبيس والتضليل توظيف هذا الكلام بهذه الصورة التى تدل على مدى ضعف عقول حنابلة العصر واستخفافهم بعقول الآخرين..

وختاما ننقل هنا أهم مظاهر الغلو فى العصر الحديث كما حددها صاحب منشور فكر الخوارج والشيعة فيما يلى :

التشدد فى الدين على النفس والتعسير على الآخرين..

التعالى والغرور وما يؤدى إليه من تصدر الأحداث..

الاستبداد بالرأى وتجهيل الآخرين..

الطعن فى العلماء العاملين..

سوء الظن..

التشدد والعنف مع الآخرين..

التكفير..

ومن الواضح أن هذه المظاهر هى خاصة بالفرق والجماعات السلفية الوهابية وتنطبق عليهم قبل أن تنطبق على الشيعة، وقد اعترف بها أحد كتابهم ومن فمهم ندينهم..

وبعد هذه الرحلة الطويلة مع منشورات حنابلة العصر نخرج بالنتائج التالية :

أولاً : ان هذه المنشورات صورتها وموضوعاتها ومراجعها واحدة..

ثانياً : انها تفتقد الى الأمانة فى النقل والموضوعية فى العرض..

ثالثاً : انها تحوى العديد من الأخطاء العلمية واللغوية..

رابعاً : انها تحوى العديد من الشتائم والإفتراءات..

خامساً : انها تعتمد على مصادر إنتقائية..

سادساً : انها تحوى جهالات بمدلولات النصوص..

ومما سبق ذكره يتبين لنا أن حنابلة العصر يفتقدون الأمانة ويتسمون بالكذب ويسعون الى تضليل المسلمين وهذا كله مما ينقض شهادتهم فى الشيعة..

قال سبحانه :﴿لاَ يُحِبُّ اللَّهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً﴾ ﴿إِن تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيرا﴾.

(النساء ١٤٨:١٤٩)

■■■

5

أصل التسمية

تسمية الشيعة وتسمية السنة

كان من نتيجة حالة العداء التى سادت واقع المسلمين ضد الشيعة و حملات الدعاية المضادة التى استمرت لقرون طويلة ولا تزال آثارها ممتدة حتى اليوم - أن أصبحت كلمة الشيعة تعنى الزيغ و الضلال و الانحراف..

وقد نبع هذا التصور من حالة الإعتياد على نهج ثابت ومذهب واحد شاع بين المسلمين عبر القرون ترعرعوا فى ظله و ارتووا من معينه و بات من المسلمات أنه الجهة الشرعية الوحيدة المعبرة عن الإسلام والناطقة بلسانه..

ونبع أيضاً من اختفاء الشيعة وعدم امتلاكهم القدرة للدفاع عن أنفسهم مما ساعد على انتشار الشائعات وإثارة الشبهات من حولهم..

من هنا أردنا من خلال هذا الباب أن نلقى الضوء على أصل تسمية الشيعة وجذورها وهل كلمة شيعة بدعة مختلقة.. ؟

وفى المقابل لابد لنا من إلقاء الضوء على أصل تسمية السنة وجذورها..

ومتى برز المصطلحان فى واقع المسلمين ؟

تسمية الشيعة :

ارتبطت كثير من التسميات السائدة فى عالم الفرق عبر التاريخ بالأشخاص الذين تزعموها وأبرزوها وسط المسلمين..

فعلى مستوى الشيعة أطلقت تسمية الكيسانية نسبة الى كيسان..[1]

والزيدية نسبة الى زيد بن على بن الحسين..[2]

والسبئية نسبة الى عبد الله بن سبأ..[3]

والجعفرية نسبة الى جعفر بن محمد الصادق..[4]

والإسماعيلية نسبة الى إسماعيل بن جعفر الصادق..[5]

وعلى مستوى السنة أطلقت تسمية المالكية نسبة الى مالك بن أنس.. ت ١٧٩ هـ

وتسمية الحنفية نسبة الى أبى حنيفة النعمان.. ت ١٥٠ هـ

والشافعية نسبة الى محمد بن إدريس الشافعي.. ت ٢٠٤ هـ

والحنبلية نسبة الى أحمد بن حنبل.. ت ٢٤١ هـ

والأشاعرة نسبة الى أبى الحسن الأشعرى.. ت ٣٢٤ هـ

والماتريدية نسبة الى محمد بن محمود الماتريدى السمرقندى.. ت ٣٣٣ هـ

والظاهرية نسبة الى سليمان بن الأشعث الأزدى السجستانى.. ت ٢٧٥ هـ

والوهابية نسبة الى محمد بن عبد الوهاب.. ت ١٢٠٦هـ

و يلاحظ أن التسميات التى ارتبطت بالأشخاص هى التى سادت و التصقت بكثير من الفرق و الاتجاهات بينما أصل المعتقد و التصور لم يكن له دور فى هذه التسميات،

---

(١) هو مولى الامام على ويقال ان هذه الفرقة تولدت من ثورة المختار بن عبيد الثقفى الذى خرج يطالب بدم الحسين..

(٢) ذكرت كتب الفرق و التاريخ أن زيد اختلف مع الشيعة بسبب الموقف من أبى بكر و قوله بجواز إمامته فرفضه الشيعة ومن هنا نشأت فرقة الزيدية..

(٣) سبق الإشارة لابن سبأ..

(٤) هو الإمام السادس عند الشيعة الاثنى عشرية و هو امتداد لمن سبقه من الأئمة و لا يمثل فرقة قائمة بذاتها كما تصور كتب الفرق..

(٥) توفى إسماعيل فى حياة أبيه و لم تعترف طائفة من الشيعة بإمامة موسى بن جعفر و اعتبرت إسماعيل هو الإمام و الإمامة فى ذريته و من هنا نشأت فرقة الإسماعيلية..

كذلك هناك تسميات ارتبطت بحوادث معينة صاحبت بعض الفرق و الاتجاهات و لم يكن لها صلة بأصل المعتقد..

فتسمية المعتزلة ارتبطت بأهل العدل و التوحيد نسبة الى القصة المشهورة الخاصة بواصل بن عطاء..(١)

وتسمية الخوارج ارتبطت بالمحكمة نسبة الى قصتهم فى الخروج على الإمام على..(٢)

وتسمية الرافضة ارتبطت بالشيعة نسبة الى قصتهم مع زيد بن على كما ذكرنا..

وتشهد الوقائع التأريخية أن التشيع لأهل البيت كمعتقد سبق تسمية الشيعة و تسمية السنة ومعتقدها أيضاً..(٣)

وتشهد المصادر السنية بأعلمية الإمام على و تفوقه على أقرانه من الصحابة، ذلك التفوق الذى جعل كتلة من الصحابة تتحزب له و تواليه فى حياة الرسول وبعد وفاته..

وقد ورد فى بعض المصادر قول النبى : والذى نفسى بيده، إن هذا - يعنى علياً - و شيعته هم الفائزون يوم القيامة..(٤)

وورد قول الإمام على: عهد إلى النبى الأمى اذهب يا على لا يحبك إلا مؤمن و لا يبغضك إلا منافق..(٥)

وورد قول جابر بن عبد الله: كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ببغض علياً..(٦)

---

(١) كان واصل بن عطاء من تلاميذ الحسن البصرى واختلف معه فى قضية الكبيرة و اعتزله و لقب اتباعه بالمعتزلة انظر قصة المعتزلة فى كتب الفرق..

(٢) انظر حوادث عام ٣٨ هـ فى كتب التاريخ..

(٣) سيأتى بيان أن السنة كتسمية برزت فى العصر العباسى وهو العصر الذى قنن فيه فقه وعقائد أهل السنة.

(٤) انظر الدر المأثور فى تفسير كتاب الله بالمأثور للسيوطى تفسير قوله تعالى : أولئك هم خير البرية.. و انظر الدارقطنى و ابن عساكر و ابن مردويه و النهاية لابن الأثير مادة قمح و انظر الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمى..

(٥) مسلم كتاب الإيمان. باب حب الأنصار. و انظر كتب السنن..

(٦) رواه الهيثمى فى مجمع الزوائد جـ ١٣٢/٩ و الحاكم جـ ٣ و الطبرانى فى الأوسط جـ٣٩/٢

و مثل هذا الوضع المتميز للإمام على هو الذى أنبت بذرة التشيع له و لأبنائه بمباركة الرسول مما يعنى أن الشيعة كحزب و تكتل برز فى عهده و تحت رعايته حيث أن النصوص الواردة على لسانه لم تكن سوى صورة من صور الدعم لهذا الاتجاه..

أما الشيعة كلفظ فهى ليست من اختراع أبناء المذهب، و إنما هى كلمة عربية[1] متداولة ورائجة فى لسان العرب فى الجاهلية و الإسلام، و إن كانت التصقت بالمتبعين للإمام على فى حياته، و المتبعين لأبنائه بعد وفاته..[2]

قال أبو حاتم الرازى: إن الشيعة لقب قوم كانوا قد ألفوا أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى حياة الرسول ـ وعرفوا به مثل سليمان الفارسى و أبى ذر الغفارى و المقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وغيرهم.. و كانوا يقال لهم: شيعة على و أصحاب على..[3]

و قال أبو نعيم الأصفهانى عن مجاهد بن جبر: شيعة على الحلماء و العلماء الذابلى الشفاة الأخيار الذين يعرفون بالرهبانية من أثر العبادة..[4]

وروى أن علياً نظر إلى قوم ببابه فقال لقنبر مولاه: من هؤلاء..؟

قال: شيعتك يا أمير المؤمنين..

قال: وما لى لا أرى فيهم سيماء الشيعة.. ؟

فقال: وما سيماهم ؟

قال: خمص البطون من الطوى، يبس الشفاة من الظمأ، عمش العيون من البكا..[5]

وقد ورد لفظ شيعة فى القرآن تسع مرات..

---

(١) أصل الشيعة من المشايعة وهى المتابعة والمطاوعة. وشايعه صحبه وأيده. وهى دلالة على الموالاة و المناصرة. انظر كتب اللغة مادة شيع

(٢) كتاب الزينة. باب ذكر ألقاب الإسلام..

(٣) المرجع السابق..

(٤) حلية الأولياء جـ ٨٦/١..

(٥) الكامل فى التاريخ لابن الأثير جـ ٤٠٣/٣

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ «الانعام ٥٦».

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ «الأنعام ١٥٩».

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ «سبأ ٥٤».

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ «الصافات ٨٣».

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً﴾ «القصص ٤».

﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ. فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ﴾ «القصص ١٥».

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً﴾ «مريم ٦٩».

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾ «الحجر ١٠».

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ «القمر ٥١».[١]

وحول قوله تعالى: ﴿إن الذين فرقوا دينهم و كانوا شيعاً لست منهم فى شيء﴾.

قال الحكيم الترمذى: أما قوله شيعاً على كذا وجه، فالشيعة: واحدة و جماعتها شيعاً، فالشيعة كل فرقة شايع بعضهم بعضاً، أى شاع قول كل واحد منهم فى قول الآخر، فصاروا مختلطين قولاً و فعلاً، فهم شيعة بالاختلاط، و لذلك يقال للشيء بين شركاء: شائع غير مقسوم، و يقال شاع هذا الأمر فى الناس، لتفرقه واختلاط الخبر بأسماعهم و قلوبهم.. و للشيعة نظيرين فى الدلالة القرآنية هما: الفرق، و أهل الدين.[٢]

ومعتقد الشيعة أن بداية التشيع وزمن تكوينه كان فى عهد رسول الله ـ فهو أول من غرس هذه البذرة ونماها و رعاها فى جميع مراحل حياته فهى و ضعت مع بذرة الإسلام

---

(١) ومجموع ما تشير إليه هذه النصوص هو الدلالة على الجماعة ذات النهج الحسن المستقيم و الجماعة ذات النهج الفاسد الضال..

(٢) انظر تحصيل نظائر القرآن..

جنباً إلى جنب و سواءً بسواء، فإطلاق اسم الشيعة على الموالين لعلى جرى منذ عهد النبى ـ و على لسانه، و ليس فى عصر الخلفاء أو العهد الصفوى أو غير ذلك..[1]

و ذهب ابن خلدون الى أن الشيعة ظهرت فى أيام الشورى، و أن هناك جماعة من الصحابة كانوا يتشيعون لعلى، و يرون أنه أحق بالخلافة من غيره و لما عدل بها عنه على غيره تأففوا و أسفوا كالزبير و عمار و المقداد و غيرهم.. [2]

وذهب ابن حزم الى أن الشيعة ظهرت بعد مقتل عثمان..[3]

وذهب ابن النديم الى أن الشيعة نشأت بعد خلاف طلحه و الزبير مع الإمام على و تمردهما عليه..[4]

وتسمية شيعة لم تكن ترتبط بالإمام على خاصة فى حياته، فقد كان هناك شيعه لأبى بكر وعمر و عثمان و ومعاوية و عائشة فمن ثم كانت هذه التسمية سيراً مع المدلول اللغوى مشاعاً لكل فئة و حزب يناصر شخصاً أو فكرة أو معتقد..

وتشير بعض الدلائل التأريخية الى أن تسمية الشيعة قد التصقت بالموالين للإمام على وأبنائه لأول مرة فى ابتداء حركة المختار بن يوسف الثقفى التى عرفت بحركة التوابين عام ٦١ هـ، تلك الحركة التى قامت من أجل الثأر للحسين من قتلته..[5]

... تلاقت الشيعة بالتلاوم والندم ـ أى بعد قتل الحسين ـ ففزعوا الى خمسة نفر من رؤوس الشيعة و هم: سليمان بن صرد الخزاعى، و كانت له صحبة ـ أى صحابى ـ والمسيب بن نجبة الفزارى وكان من أخيار صحابة على وعبد الله بن نفيل الاسدى وعبد

---

(١) انظر هذه هى الشيعة لباقر شريف القرشى، و أصل الشيعة و أصولها لمحمد كاشف الغطاء، وبحث حول الولاية لمحمد باقر الصدر، و عقيدتنا لناصر مكارم الشيرازى، و تاريخ الإمامية و اسلافهم من الشيعة لعبد الله فياض..

(٢) انظر العبر لابن خلدون

(٣) انظر الفصل فى الملل و النحل جـ ٨/٢...

(٤) انظر الفهرست..

(٥) تشير هذه المصادر ان قائد هذه الحركة كان يلقب بشيخ الشيعة وهو سليمان بن صرد الخزاعى حسبما روى البلاذرى فى انساب الأشراف ج٥/ ٤٢،

الله بن وال التميمى ورفاعة بن شداد البجلى فاجتمع هؤلاء النفر فى منزل سليمان بن صرد ومعهم نا س من وجوه الشيعة..

إلا أن تحديد تاريخ التصاق تسمية الشيعة بأتباع الإمام على وأهل البيت ليس هو القضية، و إن كانت هذه التسمية قد التصقت بطائفة الاثنى عشرية التى تمثل أغلبية الشيعة فى العالم اليوم، من دون بقية طوائف الشيعة الأخرى التى لا تزال لها بقايا وتتسمى بأسماء أئمتها..(١)

والخلاصة أن كل مسلمٍ فى حقيقة الأمر هو شيعى من حيث المدلول اللغوى لكلمة شيعة..

تسمية السنة

السنة فى اللغة تعنى الطريقة و هى تنطبق على الحسنة و السيئة منها..

قال الجرجانى: السنة فى اللغة الطريقة مرضية كانت أو غير مرضية، و فى الشريعة هى الطريقة المسلوكة فى الدين فى غير افتراض و لا وجوب..(٢)

و قال ابن تيمية: السنة هى العادة و هى الطريق التى تتكرر لنوع الناس مما يعدونه عباده أو لا يعدونه عباده..(٣)

و تأتى أيضاً بمعنى السيرة..(٤)

و جاء فى القرآن قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ «آل عمران ١٣٧».

و قوله: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾«الإسراء٧٧».

---

(١) مثل فرقة الإسماعيلية التى تحولت الى فرقتين فى عصر الخليفة المستعلى الفاطمى هما : فرقة النزارية التى تحولت الى الأغاخانية اليوم والمستعلية التى تحولت الى السليمانية والداودية وهى المعروفة اليوم بطائفة البهرة، كذلك فرقة النصيرية العلوية الموجودة فى سوريا اليوم..

(٢) انظر التعريفات..

(٣) انظر اقتضاء الصراط المستقيم..

(٤) انظر لسان العرب و كتب اللغة مادة سنة..

و قوله: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ «الأحزاب ٦٢».

وجاء فى الحديث : لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر و ذراع بذراع..[١]

من سن سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها الى يوم القيامة، و من سن سنة سيئة فعليه وزرها و وزر من عمل بها الى يوم القيامة..[٢] عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى..[٣]

والمقصود بالسنة فى دائرة النصوص القرآنية و النبوية هو المدلول اللغوى لا المدلول الاصطلاحى.. أما إطلاق كلمة سنة على الأحاديث النبوية فقد جاء متأخراً بعد القرن الأول وقبل ذلك التاريخ لم تكن لكلمة سنة صلة بأى من الفرق و الاتجاهات التى كانت سائدة فى واقع المسلمين..

و بعد انتشار الأحاديث و اعتبارها المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن قام الفقهاء بابتداع تعريفين للسنة:

الأول تعريف أهل الفقه الذى يتركز فى أن السنة هى ما يثاب فاعلها و لا يعاقب تاركها..[٤]

والثانى تعريف أهل الأصول الذى يتركز فى أن السنة هى ما ورد عن الرسول من قول أو فعل أو تقرير..[٥] أما تسمية أهل السنة فقد برزت فى العصر العباسى و ارتبطت بأهل الحديث من الحنابلة وهم الفئة التى تصدت لجمع الروايات و الحفاظ عليها و التمسك بها..[٦]

---

(١) رواه البخارى و مسلم..

(٢) رواه مسلم..

(٣) رواه الترمذى و ابو داوود..

(٤) و فى تعريف آخر: ما ثبت عن النبى - من غير افتراض و لا وجوب.. و قد تطلق عند الفقهاء على ما يقابل البدعة.. انظر كتب قواعد و أصول الفقه..

(٥) انظر الموافقات للشاطبى. و المستصفى للغزالى و كتب الأصول..

(٦) قام المأمون العباسى بضرب أهل الحديث و تصفيتهم و قبض على إمامهم أحمد بن حنبل وسجنه وعذبه، و لم يستطع الحنابلة البروز برواياتهم فى عصر المعتصم و الواثق من بعده، حتى جاء عصر المتوكل الذى قام بنصرتهم فلقبوه بناصر السنة. انظر كتب التاريخ سيرة المأمون و ابن حنبل والمتوكل..

ثم ارتبطت بعد ذلك بالأشاعرة والماتريدية..[1]

و تطورت بعد ذلك لتشمل أهل الحديث والمذاهب الأربعة والأشاعرة والماتريدية..

وفى العصر الحالى الذى ساد فيه الخط الوهابى الحنبلى بين كافة المؤسسات و الرموز والجماعات أصبح أهل السنة هم الحنابلة ابتداءً بابن حنبل و ابن تيمية و نهاية بمحمد بن عبد الوهاب..[2]

إن وجود أهل الحديث وأهل الرأى و المذاهب الأربعة والأشاعرة و الماتريدية و ابن تيمية و جماعته و ابن عبد الوهاب وفرقته فى الماضى، ووجود الجماعات المتناحرة فى الحاضر من إخوان و جهاد و سلفيين وغيرهم يدل على أن أهل السنة لم يكونوا جماعة واحدة فى أى فترة من فترات التاريخ، و أن هناك نزاع دائم بين هذه الفرق و الاتجاهات حول استحقاق تسمية أهل السنة..

ويبدو ذلك بوضوح من تلك المواقف المتطرفة التى تبناها أهل الحديث من الحنابلة وغيرهم تجاه المخالفين لهم فى الماضى حيث اعتبروهم من المبتدعة الضالين واعتبروا أنفسهم أهل الحق و الفرقة الناجية من النار، و قد انعكس هذا الموقف على الجماعات المعاصرة التى تبنت نفس المواقف من المخالفين لها.. [3]

ومما سبق يمكن القول أن تسمية السنة برزت فى واقع المسلمين مع ظهور حركة تدوين الأحاديث و جمع الروايات على يد الحنابلة بداية..

---

(١) دعمت الدول التى قامت فى بلاد ما وراء النهر المذهب الحنفى والماتريدى، بينما دعمت دولة الأيوبيين و المماليك الشافعية والأشاعرة، و اعتبرت هذه الدول أن أهل السنة هم الماتريدية و الأشاعرة، بينما دعمت الدول التى قامت فى بلاد المغرب والاندلس مذهب المالكية ودعمت الدولة العثمانية مذهب الاحناف لكونه يجيزتولى الخلافة لغير القرشى ويدرس الأزهرفى مصراليوم الأشاعرة والماتريدية على انهما جناحا أهل السنة..

(٢) و يقصد بهم هنا حنابلة العصر الذين يدعون تمثيل أهل السنة و ينطقون بلسانهم فى مواجهة الشيعة..

(٣) انظر كتب الفرق. و الشرح و الابانة لابن بطة وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائى، وانظر عقائد السنة، وانظر لنا كتاب أهل السنة شعب الله المختار..

من هنا فهى تسمية خاصة و ليست عامة، وإن كانت قد عممت فيما بعد لتشمل فرقاً واتجاهات متعددة..

و إن كانت هذه التسمية قد ارتبطت بالأحاديث و تدوينها و التمسك بها، فإن الشيعة قد ارتبطوا بالسنة ودونوها و تمسكوا بها أيضاً..

و كما أن السنة تتبنى الكتاب و السنة كمصدرين للتشريع، تتبنى الشيعة نفس المصدرين..

ومن هنا يتبين لنا ان السنى هو شيعى فى الحقيقة..

و الشيعى هو سنى..

و السؤال الذى يفرض نفسه هنا هو: لماذا التصقت تسمية أهل السنة باتجاه واحد فقط و لم تلتصق بأى من الاتجاهات الأخرى التى تتبنى الكتاب و السنة..؟

و الجواب أن اتجاه أهل السنة الذى تركز فى الحنابلة أو المذاهب الأربعة أوالاشاعرة أو الماتريدية أوالوهابية من بعدهوالذى دعم من قبل الحكام وأحاطت به صور الدعاية والترويج وفتحت أمامه أبواب الانتشار والشيوع دون غيره من الاتجاهات الأخرى، فهو قد علا و ساد بفعل عوامل و مقومات لم تتوافر للآخرين..

■■■

6

محاور الخلاف

القرآن - السنة
أهل البيت - الصحابة

الحق والحقيقة
بين السنة
والشيعة

القــرآن

يثير خصوم الشيعة على مستوى الماضى والحاضر أنهم يقولون بتحريف القرآن وان لديهم قرآناً سرياً خاصاً بهم..

وفى الحقيقة لم يتمكن هؤلاء الخصوم من السابقين واللاحقين إثبات وجود هذا القرآن السرى أو إثبات دعوى التحريف..

و الأمر فى حقيقته لم يخرج عن دائرة الشبهات التى تم تضخيمها بسبب عدم أمانة النقل وتجاوز حدود الخلاف..

ولقد اعتمد الذين أثاروا هذه الشبهات على كتب الفرق وبعض الروايات المتناثرة فى مصادر الشيعة..

إلا أنهم غفلوا عن حقيقة هامة وهى أن كتب الفرق هذه كتبت بأقلام الخصوم فمن ثم هى لم تنصف أحدا من الفرق والاتجاهات المخالفة لأهل السنة..

وغفلوا من جهة أخرى أن مصادر أهل السنة تكتظ بالعديد من الروايات التى تشير الى تحريف القرآن ووجود قرآنا آخر كان معروفا فيما سبق وتم نسخة أو محوه..

ويشير الخصوم على الدوام الى فكرة مختلقة تدور حول مصحف منسوب للسيدة فاطمة الزهراء وكونه المصحف السرى للشيعة، وفكرة مصحف فاطمة تم تضخيمها من قبل الخصوم لتشويه الشيعة وفات هؤلاء أن كلمة مصحف إنما هى كلمة حادثة على القرآن ولم تطلق علية إلا فى فترة عثمان بن عفان..

وكلمة مصحف تشمل كل ما صحف، أى كل ما جمع من ورق بين دفتين..

فهى كلمة تطلق على أى كتاب..

والشيعة يعترفون بوجود مصحف فاطمة أى كتاب فاطمة الذى ورثته عن أبيها ﷺ وهو يحوى أموراً أخرى غير القرآن..

الا ان هذا المصحف لا وجود له عند الشيعة وهو عبارة عن نصوص متناثرة فى شتى المصادر الشيعية..

ويدعى الخصوم من المعاصرين وجود سورتين لدى الشيعة- وهما سورة الولاية وسورة النورين- لا وجود لهما فى القرآن المتداول بين المسلمين..

ومصدر سورة الولاية هذه كتاب صدر فى الهند تحت عنوان دبستان المذاهب لمؤلف مجهول صدر فى أوائل القرن العشرين فى الهند فى فترة الاحتلال الانجليزى ونشرها محب الدين الخطيب فى كتيب الخطوط العريضة لمذهب الشيعة وتلقفها منه المتربصون بالشيعة..

إلا أن أقل متأمل فى كلمات هذه السورة القصيرة يكتشف أن لغتها ضعيفة وركيكة ولا تنسجم مع نصوص القرآن كذلك سورة النورين..

والذين نقلوا هذه السورة ليضربوا بها الشيعة اختلفوا فى نصها على الرغم من قصرها، وهذا فى ذاته يشكل علامة استفهام كبيرة حولها..

إلا أن الخصوم يتشدقون على الدوام بأن نص سورة الولاية المزعومة قد ورد فى مصدر شيعى وهو كتاب فصل الخطاب فى تحريف كتاب رب الأرباب للنورى..

وفصل الخطاب كتاب لمؤلف شيعى وليس من مصادر الشيعة..

والفرق كبير بين أن يكون كتاباً وأن يكون مصدراً..

وحنابلة العصر وقعوا فى الخلط بين الكتب والمصادر فجعلوا كتاب النورى مصدراً يحتج به فى هذه القضية البالغة الحساسية، وهذا من أدلة جهلهم وسوء نواياهم..

وقد ذكر النورى فى كتابة مصدر هذه السورة المزعومة وهو كتاب دبستان مذاهب وليس أى مصدر من المصادر المعتمدة عند الشيعة..

من جهة أخرى فإن النورى كما جمع فى كتابة العديد من الروايات الشيعة التى تشير الى الزيادة والنقصان فى القرآن جمع أيضا الروايات الأخرى المتداولة عند أهل السنة التى تشير الى الزيادة والنقصان بل تؤكد وجود العديد من السور القرآنية عندهم ولا وجود لها فى القرآن الحالى كما أشرنا سابقاً..

والشيعة لهم منظور خاص فى الرواية سوف نلقى علية الضوء، وهم لا يعترفون بصحة هذه الروايات التى تشكك فى القرآن..

غير أن العديد من هذه الروايات التى تقول بالزيادة والنقصان ثابتة وصحيحة عند أهل السنة..

وهذه هى النقطة التى فاتت حنابلة العصر وأئمتهم من البدو والأعراب أو التى تغافلوا عنها تحت وطأة التعصب المذهبى..[1]

وذكر النورى العديد من الروايات المتداولة فى كتب أهل السنة التى تشيرالى وجود سورة باسم الخلع وسورة باسم الحفد سوف يأتى بيانهما..

و للسيوطى مخطوط تحت عنوان : إتحاف الوفد بنبأ سورتى الخلع والحفد..

و قد حشد السيوطى فى كتابه المذكور العديد من الروايات التى أخرجها الطبرانى وأبو داود والبيهقى والتى تشير الى نصوص قرآنية كانت متداولة بين الصحابة والسلف ولا وجود لها فى القرآن الحالى..

ويمكن مراجعة كتاب : المصاحف. للسجستانى. وهو يعرض للعديد من مصاحف الصحابة والتابعين وهى جميعها مصاحف مختلفة عن بعضها فى جمل وكلمات..

---

(1) انظر دفاع عن القرآن الكريم للشيخ محمد الجلالى. ط القاهرة.وهو مؤلف شيعى.. وسوف نعرض لنماذج من هذه الروايات فيما سيأتى..

وقد صدر فى مصر عام ١٩٤٨ م كتاباً تحت عنوان: الفرقان حشد فيه مؤلفه محمد عبد اللطيف بن الخطيب العديد من الروايات التى تشير الى تحريف القرآن والتى تكتظ بها كتب أهل السنة..

والجدير بالذكر هنا أن الأزهر أعلن غضبته على هذا الكتاب فى حينه وتمت مصادرته..

ويعتقد أهل السنة أن الرسول ﷺ توفى وترك نصوص القرآن متفرقة فى صدور الصحابة، وأن عمر أوعز لأبى بكر بجمع القرآن بعد أن قتل عدد كبير من القراء فى وقعة اليمامة, وذلك خوفا من ذهاب القرآن وأن هناك آيات من القرآن كانت عند بعض الصحابة ولا يعلم بها البعض الآخر..

إلا أن أبا بكر رفض من البداية طلب عمر محتجا أن هذا الأمر لم يفعله رسول الله فلم يزل عمر يراجعه حتى شرح الله صدره, وتم إحضار زيد بن ثابت للقيام بمهمة جمع القرآن فأبى فى البداية محتجا بنفس حجة أبو بكر, ولما توالى علية الضغط من قبل أبى بكر وعمر شرح الله صدره فأوكل الأمر لزيد..

قال زيد: فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره :لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم..حتى خاتمة براءة فكانت الصحف ـ أى القرآن المجموع - عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عمرفى حياته ثم حفصة بنت عمر..[١]

وروى أن أبا بكر قال لعمر وزيد: اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شئ من كتاب الله فاكتباه..[٢]

---

(١) أنظر البخارى كتاب فضل القرآن وشرحه فى فتح البارى لأبن حجر جـ ٩، وأنظر الإتقان فى علوم القران للسيوطيى وتاريخ القرآن لعبد الصبور شاهين، واللخاف هى صفائح الحجارة والعسب هو جريد النخل..

(٢) انظر الإتقان جـ١/٥٨ والمصاحف للسجستانى وفتح البارى ج.٩ .

وفكرة ترك الرسول القران متفرقا فى صدور القراء وغيرهم وجمعه على يد أبى بكر وعمر تتصادم مع نصوص القران، وفى مقدمتها قوله تعالى : ﴿انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾..

وقوله : ﴿انا علينا جمعه وقرانه فاذا قرأناه فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه﴾«القيامة».

وقام عثمان بن عفان بإحراق المصاحف التى فى حوزة الصحابة ومنع تداول أية مصاحف بين المسلمين غير المصحف الذى قام بنسخة من النسخة التى كانت فى حوزة حفصة بنت عمر..[1]

وكان هدف عثمان من هذا الفعل كما صرح المؤرخون والفقهاء هو جمع الأمة على قراءة واحدة لحسم الخلاف..[2]

ويعتقد أهل السنة أن هناك العديد من الآيات المتعلقة بالأحكام قد رفعت من القرآن إلا أن أحكامها لازالت باقية..

ويعتقد أهل السنة أن لعمر بن الخطاب موافقات نزل بها القرآن مؤيدا له دون الرسول أى أن عمر كان يسبق القرآن فيقول شيئا أو يحكم حكما فينزل الوحى موافقا له بل انه كان يوجه الرسولﷺ ويصحح له..

«روى ان عبد الله بن مسعود سئل ألا تقرا على قراءة زيد .. ؟».

قال : مالى ولزيد ولقراءة زيد لقد أخذت من فى رسول الله ﷺ سبعين سورة وإن زيد بن ثابت ليهودى له ذوءبتان[3]

---

(١) انظر الكامل فى التاريخ لابن الأثير جـ٣/ حوادث عام ٣٠ هـ.

وانظر طبقات أبن سعد جـ٢/٢٥٦. وتاريخ القرآن لعبد الصبور شاهين والمصاحف للسجستانى..

و فتح البارى ونسخة حفصة هى النسخة التى جمعها زيد بن ثابت بتوجيه من أبى بكر وعمر، ووجود هذه المصاحف مع الصحابة يدل على أن المصحف كان موجوداً ومكتوباً من أيام أبى بكر وعمر..

(٢) انظر المراجع السابقة والقرآن فى معتقد أهل السنة انزل على سبعة أحرف. كما ورد فى الحديث أى سبع قراءات انظر كتب السنن ومقدمات كتب التفسير..

(٣) انظرتاريخ المدينة المنورة ج٣/ , ١٠٦

وروى عنه قرأت من فى الرسول ـ سبعين سورة وزيد بن ثابت له ذوءابة فى الكتاب..[1]

ويعتقد الشيعة أن القرآن هو المعجزة الإلهية الثابتة عن طريق التواتر القطعى عن طريق جبريل الى النبى الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب كاتب الوحى وربيب الرسول

أى من مطهر الى مطهر وليس عن طريق الصحابة وهو التصور الذى يستقيم مع عصمة الكتاب ويدفع الشبهات عنه..

والقرآن الحالى السائد بين المسلمين إنما هو بقراءة حفص عن عاصم بن أبى النجود عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على بن أبى طالب..[2]

ويعتقد الشيعة على أساس ما سبق أن الرسول ترك القرآن مكتوباً ومحفوظاً ومبيناً قبل وفاته وكان هذا مشهوراً بين الصحابة..

وقد ورد عند أهل السنة العديد من النصوص التى تؤكد ذلك..

ومن أمثله تلك النصوص :

«خيركم من تعلم القرآن وعلمه».. رواة البخارى جـ٩/٥٠٢٧..

«إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين».. رواه مسلم حديث رقم ٨١٧..

« تعاهدوا هذا القرآن».. البخارى جـ ٨/٥٠٣٣ ومسلم حديث رقم ٧٩١..

وعن أبن مسعود قال: قال لى النبىﷺ اقرأ على القرآن، فقرأت عليه سورة النساء.. البخارى جـ٨/ ٤٥٨٢ . ومسلم حديث رقم ,٨٠٠...

من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال.. وفى رواية من آخر سورة الكهف.. رواة مسلم رقم ٨٠٩..

---

(١) انظر مسند احمد ج١/٣٨٩ و٤٠٥ و٤٤٢

(٢) هى القراءة السائدة اليوم وعليها إجماع السلف والخلف انظر سير أعلام النبلاء للذهبى جـ٢/٤٢٦، ومشكل الآثار للطحاوى جـ١/١١٤، وتاريخ القرآن لشاهين وكتب القراءات..

وما أجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم.. رواة مسلم حديث رقم ٢٦٩٩ ..

وقد أوصى الرسولﷺ بكتاب الله فى حجة الوداع فى الحديث المشهور..

وتكتظ كتب السنن بالعديد من مثل هذه النصوص التى تشير فى دلاله واضحة الى أن القرآن كان معروفاً بآياته وسوره فى حياة الرسول

من هنا فأن الشيعة لا يعترفون بقصة جمع القرآن على يد أبى بكر و عمر ويرفضون فعلة عثمان بحرق المصاحف معتبرين أن ذلك كله ليس فى صالح القرآن..

ويعتقد الشيعة ان هذا القران ثابت على حرف واحد ولغة واحدة..

وأن الرسولﷺ قد حدد للأمة قبل وفاته مصدر تلقى القرآن والجهة التى أحاطت بعلومه وأسراره وهم أهل البيت من بعدة..(١)

يقول الشيخ كاشف الغطاء: ان الكتاب الموجود فى أيدى المسلمين هو الكتاب الذى أنزله الله للإعجاز والتحدى ولتعليم الأحكام وتمييز الحلال من الحرام وأنة لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة وعلى هذا إجماعهم ـ الإمامية ـ ومن ذهب منهم أو من غيرهم من فرق المسلمين الى وجود نقص فيه أو تحريف فهو مخطئ نص الكتاب العظيم : إنا نحن نزلنا الذكرو إنا له لحافظون..

والأخبار الواردة من طرقنا أو طرقهم ـ أهل السنة ـ فى نقصه أو تحريفه ضعيفة شاذة وأخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً, فإما أن تأول بنحو من الاعتبار أو يضرب بها الجدار.. (٢)

ولا شك أن الاختلاف فى أمر الرواية والنقل وتحديد مصدر التلقى فى دائرة أهل البيت عند الشيعة قد انعكس على فهم نصوص القرآن ومدلولاتها..

---

(١) وهذا الاعتقاد نابع من أحاديث الثقلين المنتشرة فى كتب السنن وسوف يأتى ذكرها..

(٢) انظر أصل الشيعة وأصولها..

من هنا اصطدم أهل السنة بالشيعة فى مجال التفسير واستنكروا التفسيرات الشيعية للعديد من نصوص القرآن واعتبروا بعض هذه التفسيرات ضرب من الخرافة..

وتبقى بعض الشبهات المثارة حول عدد آيات القرآن عند الشيعة وما يطلق علية الجفر أو الجامعة وصلتها بالقران..

وما يروى فى بعض مصادر الشيعة: ان القرآن الذى جاء به جبريل الى محمد سبعة عشرألف آية..[1]

وهذه الرواية تصطدم بالقرآن الذى لا تزيد آياته عن ستة آلاف و مائتين..

و قد روى السيوطى عن الطبرانى رواية تقول: قال عمر: القرآن ألف ألف حرف وسبعة وعشرون ألف حرف (٢٧٠٠٠, ٠٠٠, ١٠٠٠) فمن قرأه صابراً محتسباً كان له بكل حرف زوجة من الحور العين..[2]

وهذه الرواية مرفوضة أيضاً وكلا الروايتين تعكس حالة الخلط عند الرواة وأهل النقل.. ويظهر من الروايات المتداولة فى كتب الشيعة أنه كان لدى أئمة أهل البيت ثلاث كتب موروثة عن الإمام على أحدهم: الجفر..

والثانى هو ما أطلق علية مصحف فاطمة..

أما الثالث فهو الجامعة..

وهذه الكتب الثلاثة عبارة عن حكم ونبوءات وأحكام منقولة عن الرسول بخط الإمام على، وهى ليست موجودة بتمامها لدى الشيعة وإنما هى متفرقة بين مصادر شتى وتخضع لما تخضع له سائر الروايات المنقولة عن أئمة أهل البيت..

●●

---

(١) انظر الكافى كتاب فضل القرآن..

(٢) الإتقان ج ١٩٨/١

نماذج من روايات الصحابة فى القرآن

روى أبو الأسود قال: بعث أبو موسى الأشعرى إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن, فقال أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم، فأتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها فى الطول والشدة ببراءة فأنسيتها، غير أنى حفظت منها :

لو كان لابن آدم وأديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً, ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب.. وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بالمسبحات فأنسيتها غير أنى حفظت منها:

«يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون, فتكتب شهادة فى أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة»..[1]

وروى أن عمر بن الخطاب كان جالسا على منبر رسول الله ﷺ فقال: إن الله بعث محمداً بالحق وأنزل علية الكتاب, فكان مما أنزل علية آية الرجم , فقرأناها ووعيناها وعقلناها فقد رجم رسول الله ورجمنا بعده, فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله..[2]

وروى عنه أيضاً: إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: أن لا ترغبوا آبائكم فأنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم أو إن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم..[3]

وروى عن ابن عمر قوله: ليقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله وما يدريه ما كله ؟ قد ذهب منه قرآن كثير, ولكن ليقل: قد أخذت ما ظهر..[4]

وروى أبو يونس مولى عائشة: أمرتنى عائشة أن أكتب لها مصحفين وقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذنى وحافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فلما بلغتها آذنتها فأملت

---

(١) مسلم جـ٢/كتاب الزكاة

(٢) البخارى. كتاب الحدود. باب رجم الحبلى - ونص الآية المزعومة: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة.. أنظر موطأ مالك وابن ماجة..

(٣) البخارى ج٨/ ٢١.

(٤) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى جـ ٢/ ٤.

على: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين﴾ قالت: سمعتها عن رسول الله ﷺ..[١]

وروى عنها : كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفى رسول الله ـ وهن فيما يقرأ من القرآن..[٢]

وروى عروة بن الزبير عنها: كانت سورة الأحزاب تقرأ من زمن النبى مئتى آية فلما كتب عثمان المصحف لم نقدر منها الا ما هو الآن..[٣]

وروى أن عمر قال لعبد الرحمن بن عوف: ألم تجد فيما أنزل علينا أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة فأنا لا أجدها..؟

قال : أسقطت فيما أسقط من القرآن..؟..[٤]

وعن حميدة بنت أبى يونس : قرأ على أبى ـ وهو ابن ثمانين سنة ـ فى مصحف عائشة: «إن الله وملائكته يصلون على النبى ـ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعلى الذين يصلون الصفوف الأولى قالت : قبل أن يغير عثمان المصاحف»..[٥]

وروى أبى بن كعب أن الرسول ﷺ قال له: إن الله أمرنى أن أقرأ عليك فقرأه:

لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب فقرأ فيها أن ذات الدين عند الله الحنيفية لا اليهودية ولا النصرانية من يعمل خيرا فلن يكفره..

وقرأ عليه: ولو أن لابن آدم وادياً من مال لابتغى إليه ثانياً ولو كان له ثانياً لابتغى إليه ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله عن من تاب..[٢٢]

---

(١) مسلم. كتاب المساجد. و الترمذى جـ٥/٢١٧ والنسائى جـ١/٢٣٦ و أبو داود جـ١/١١٢
(٢) أنظر مسلم والبخارى كتاب الرضاع وانظر الإتقان..
(٣) مسلم جـ٤/١٦٧ وانظر الإتقان..
(٤) الناسخ والمنسوخ جـ٨..
(٥) الإتقان..
(٦) الدر المنثور جـ٨/٥٨٦

وروى : كان عبد الله بن مسعود يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول: إنهما ليستا من كتاب الله..[1]

وروى عن عثمان أنه قال: إن فى المصحف لحناً وستقيمه العرب بألسنتها. فقيل له: الا تغيره ؟

فقال: دعوه, فإنه لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً..[2]

ودعوى النسخ التى يتسلح بها أهل السنة فى مواجهة الكم المنسوب للقرآن من سور وآيات فى رواياتهم ومصادرهم مثل سورتى الخلع والحفد، هى دعوى باطله لوجوه :

الأول : ان فكر النسخ محل خلاف شديد بين الفقهاء والمحدثين وقد أنكرها بعضهم جملة وتفصيلا..

الثانى : ان نصوص هذه السور والآيات ركيكه وضعيفة ولا ترقى الى مستوى النص القرآنى..

الثالث : اذا سلمنا بالنسخ فهذا يعنى قبول هذه النصوص والاعتراف بها وانها توازى نصوص القرآن وهذا يعنى قبول التحريف..

الرابع : أن هذه النصوص تضيف أحكاما فوق أحكام القرآن عند أهل السنة..

الخامس : الأرجح أن هذه النصوص هى روايات وتفسيرات ولا صلة لها بالقرآن وانما ربطت بالقرآن عند طريق الدس والوضع من قبل أعداء الاسلام..

نماذج من روايات الشيعة فى القران

يروى أن الرسول ﷺ يسال الرايات يوم القيامة عما فعلوا بالثقلين ـ الكتاب والعترة ـ فتقول الراية الأولى عن الكتاب أما الأكبر فحرفناه ونبذناه وراء ظهورنا، وتقول الراية الثانية أما الأكبرفحرفناه ومزقناه وخالفناه..[3]

---

(١) مسند أحمد جـ٥/١٢٩. ومجمع الزوائد للهيثمى جـ١/١٤٩.

(٢) الإتقان جـ٢/٣٢.

(٣) انظر الخصال للصدوق وتفسير القمى ج١/٩٠.

ويروى : أن المصحف يقول يوم القيامة يارب حرفونى ومزقونى..[١]

ويروى : أن جبريل نزل على محمد ﷺ بقوله تعالى بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله ـ فى على ـ بغيا..[٢]

وبقوله تعالى ﴿وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ ـ فى على ـ..[٣]

وبقوله تعالى ياايها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما أنزلنا ـ فى على نورا مبينا ـ مصدقا لما معكم..[٤]

وبقوله تعالى ﴿ان الذين كفروا وظلموا﴾ ـ آل محمد حقهم ـ لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا..[٥]

وبقوله تعالى ﴿يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم﴾ـ فى ولاية على ـ فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا ـ بولاية على ـ فان لله ما فى السموات والأرض..[٦]

الا أن ما يجب الاشارة اليه هنا هو ان روايات التحريف عند الشيعة تكاد ترتبط بالتيار الإخبارى الذى يقول بصحة الروايات المنسوبة لأهل البيت فى المصادر الشيعية أما التيار الأصولى الذى يمثل الأكثرية فيرفض هذه الروايات ويشكك فى مصادرها..

والتيار الإخبارى يذهب الى عدم حجية ظاهر القران ويتبنى تأويل الروايات التى ترفض التحريف وهو يعتقد ان قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون لا يعنى عدم تعرض نصوص القرآن للتحريف..

وقد شكل التيار الإخبارى نقطة ضعف كبيرة فى الكيان الشيعى منذ ظهوره وحتى اليوم..

---

(١) الخصال..

(٢) انظر تفسير القمى والعياشى وفرات وكتاب سليم بن قيس والمسائل السرورية للمفيد . والاية فى سورة البقرة رقم ٩.

(٣) المراجع السابقة . والاية فى سورة البقرة رقم ٢٣

(٤) المراجع السابقة . والاية فى سورة النساء رقم ٤٧

(٥) المراجع السابقة . والاية فى سورة النساء رقم ١٦٨

(٦) المراجع السابقة . والاية فى سورة النساء رقم ١٧٠ , ١١

تماما كما يشكل التيار السلفى نقطة ضعف كبيرة فى الكيان السنى..

والاعتماد على رويات هذا التيار ومصادره فى الحرب الدائرة على الشيعة وتاكيد تهمة التحريف عليهم يشبه موقف خصوم الإسلام الذين يعتمدون على الروايات والخلل القائم فى واقع المسلمين والجماعات المتطرفة فى ضرب الاسلام، وكلا الموقفين يعتمد على التصيد الذى يتصادم مع منهج الباحثين عن الحقيقة..

روى الكافي فى كتاب فضل القرآن :

من قرأ المسبحات كلها قبل أن ينام لم يمت حتى يدرك القائم..

من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة حين يأخذ مضجعه غفر الله له..

من قرأ أربع آيان من أول البقرة وآية الكرسى وآيتين بعدها وثلاث آيات من آخرها لم ير فى نفسه وماله شيئاً يكرهه..

﴿قل هو الله أحد﴾ ثلث القرآن وقل ﴿ياأيها الكافرون﴾ ربع القرآن..

من قرأ ألهاكم التكاثر عند النوم وقى فتنة القبر..

ما قرئت الحمد على وجع سبعين مرة إلا سكن..

إن القرآن واحد نزل من عند واحد وعلى حرف واحد ولكن الاختلاف يجىء من قبل الرواة..

ما من عبد بقرأ آخر الكهف إلا تيقظ فى الساعة التى يريد..

استشف بالقرآن فإن الله عز وجل يقول : وشفاء لما فى الصدور..

إن القرآن زاجر وآمر، يأمر بالجنة ويزجر عن النار..

أعطيت السور الطوال مكان التوراة، وأعطيت المئتين مكان الإنجيل، وأعطيت المثانى مكان الزبور، وفضلت بالمفصل ثمان وستون سورة وهو مهيمن على سائر الكتب..

أن العزيز الجبار أنزل عليكم كتابه وهو الصادق البار فيه خبركم وخبر من قبلكم وخبر من بعدكم وخبر السماء والأرض، فيه منار الهدى ومصابيح الدجى..

وهذه الروايات الواردة عن الرسول - وعن طريق أهل البيت تشير فى دلالة ووضوح الى أن القرآن واحد عند السنة والشيعة وقد تغافلها حنابلة العصر واتجهوا الى تصيد الروايات الأخرى التى تخدم أغراضهم..

نص سورة الولاية المزعومة

﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنبى والولى واللذين بعثناهما يهديانكما الى صراط مستقيم، نبى وولى بعضهما من بعض وأنا العليم الخبير.إن الذين يوفون بعهد الله لهم جنات النعيم، فالذين إذا تليت عليهم آياتنا كانوا بآياتنا مكذبين.إن لهم فى جهنم مقام عظيم. نودى لهم يوم القيامة أين الضالون المكذبون للمرسلين. ما خلقهم المرسلين إلا بالحق وما كان الله لينظرهم الى أجل قريب. وسبح بحمد ربك وعلىٌ من الشاهدين..﴾

ومن سورة النورين المزعومة أيضاً نقتطف هذه العبارات :

يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتى ويحذرانكم عذاب يوم الدين نوران بعضهما من بعض وأنا السميع العليم.وإن علياً من المتقين. وإنا لنوفيه حقه يوم الدين وما نحن عن ظلمه بغا فلين. وكرمناه على أهلك أجمعين فإنه وذريته لصابرون وإن عدوهم إمام المجرمين. ولقد أرسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا هارون فصبر جميل. ولقد آتينا لك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين. وجعلنا لك منهم وصياً لعلهم يرجعون.إن علياً قانتاً بالليل ساجداً يحذر الآخرة ويرجوا ثواب ربه. إنا بشرناك بذريته الصالحين وإنهم لأمرنا لا يخلفون. فعليهم منى صلوات ورحمة أحياء وأمواتا ويوم يبعثون وعلى الذين يبغون عليهم من بعدك غضبى إنهم قوم سوء خاسرين. وعلى الذين سلكوا مسلكهم منى رحمة وهم فى الغرفات آمنون والحمد لله رب العالمين.. ويبدو من الواضح مدى ضعف كلماتهما وعدم انسجامهما وأنهما بعيدتان كل البعد عن نظم القران المعجز..

وهذا الكلام ينطبق أيضاً على سورتى الحفد والخلع المنسوبة للقرآن فى كتب أهل السنة..

إلا أن مانخلص إليه فى هذا الشأن هو أن مصادر السنة والشيعة نسبت الزيادة والنقصان للقرآن وأثارت الشبهات من حوله..

والواجب أن يكون القرآن هو الحكم على الروايات ولو تم الإلتزام بهذه القاعدة فليس هناك مبرر للإنشغال بمثل هذه المسألة..

نص سورتى الحفد و الخلع

أخرج الطبرانى فى الدعاء من طريق عباد بن يعقوب الأسدى، عن يحى بن يعلى الأسلمى، عن ابن لهيعة، عن ابن هبيرة عن عبد الله بن زرير الغافقى، قال: قال لى عبد الملك بن مروان: لقد علمت ما حملك على حبِّ أبى تراب، إلا أنك أعرابى جاف، فقلت : والله لقد جمعت القرآن من قبل أن يجتمع أبواك، و لقد علمنى منه على بن أبى طالب سورتين علمهما إياه رسول الله ما علمتها أنت ولا أبوك : اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، و نثنى عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد، ولك نصلى ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك و نخشى عذابك، إن عذابك بالكفار ملحق..

وأخرج البيهقى من طريق سفيان الثورى، عن ابن جريح، عن عطاء،عن عبيد بن عمير، أن عمر بن الخطاب قنت بعد الركوع، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إنا نستعينك و نستغفرك، ونثنى عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد، و لك نصلى ونسجد، و إليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى نقمتك، إن عذابك بالكافرين ملحق..

قال ابن جريح إن حكمة البسملة أنهما سورتان فى مصحف بعض الصحابة..

وأخرج محمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلاة عن أبى بن كعب أنه كان يقنت بالسورتين، فذكرهما، و أنه كان يكتبهما فى مصحفه..

و قال ابن الضريس: أنبأنا أحمد بن جميل المروزى عن عبد الله بن المبارك، أنبأنا الأجلح عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: فى مصحف ابن عباس قراءة أبى و أبى موسى :

فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثنى عليك الخير،ولا نكفرك، ونخلع و نترك من يفجرك..

وفيه : اللهم إياك نعبد، و لك نصلى ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نخشى عذابك و نرجو رحمتك، إن عذابك بالكفار ملحق..

وأخرج الطبرانى بسند صحيح، عن أبى إسحاق، قال: أمنا أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد، بخراسان، فقرأ بهاتين السورتين: إنا نستعينك و نستغفرك..

وأخرج البيهقى وأبو داود فى المراسيل عن خالد بن أبى عمران، أن جبريل نزل بذلك على النبى و هو فى الصلاة مع قوله: ﴿ليس لك من الأمر شىء﴾ سورة آل عمران/١٢٨ لما قنت يدعو على مضر..

موافقات عمر للقرآن

قال ابن عمر: وما نزل بالناس أمر قط فقالواوقال، إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر.. وأخرج ابن مردويه، عن مجاهد، قال: كان عمر يرى الرأى، فينزل به القرآن.. و أخرج البخارى وغيره، عن أنس، قال: قال عمر: وافقت ربى فى ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ؟

فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ سورة البقرة/١٢٥

و قلت: يا رسول الله ، إن نساءك يدخل عليهن البر و الفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن؟

فنزلت آية الحجاب..

واجتمع على رسول الله ـ نساؤه فى الغيرة، فقلت لهن: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾ «سورة التحريم، الآية ٥» فنزلت كذلك.

و أخرج مسلم عن ابن عمر، عن عمر،قال: وافقت ربى فى ثلاث، فى الحجاب، و فى أسارى بدر، و فى مقام إبراهيم..وأخرج ابن أبى حاتم عن أنس، قال: قال عمر: وافقت

ربى أو وافـقنى ربى فى أربع، نـزلت هذه الآية: ﴿وَلَقَـدْ خَلَقْنَا الإِنسَـانَ مِن سُـلالَةٍ مِّن طِينٍ﴾سورة المؤمنين/١٢

فلما نزلت قلت أنا: ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾.

فنزلت: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ سورة المؤمنين/١٢-١٤

وأخـرج عن عـبـد الرحـمن بن أبى ليلى أن يهـودياً لقـى عمـر بن الخطاب، فقـال: إن جبـريل الذى يذكر صاحبكم عدوُ لنا، فقـال عمـر: ﴿مَن كَانَ عَدُواً لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ سورة البقرة/٩٨

قال: فنزلت على لسان عمر..[1]

●●●

---

(١) انظرالإتقان فى علوم القـرآن، وانظر منظومة السيوطى فى موافقات عمر، وانظر الدر المستطاب فى موافقـات عمر بن الخطاب للعمـاوى، وانظر مسلم كتاب الفضـائل والبخارى كتاب الصـلاة وكتاب التفسير وموافقات عمـر للقران أمر مشهور ومسلم به عند أهل السنة الذين يعدون هذا الأمر من مناقبـه بينما هو فى الحقيقة يؤدى الى الشك فى القـرآن،انظر لنا دفاع عن الرسول ضد الفقـهاء والمحدثين..

السـنـة

يعتبر الشيعة السنة هى المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن و هو ما يقول به أهل السنة أيضاً، غير أن الخلاف بين الطرفين يكمن فى طريقة تناول السنة ونقلها..

أهل السنة و ضعوا قواعد لنقل الرواية و إثبات صحتها أدت بهم إلى تبنى كماً من الروايات والأحاديث التى بنوا على أساسها أحكامهم ومعتقداتهم..

والشيعة وضعوا قواعد أخرى لنقل الحديث و إثبات صحته نتج عنها تبنى كماً من الروايات و الأحاديث المخالفة..

وعلى هذا الأساس فإن أهل السنة لا يعترفون بأحاديث الشيعة و مصادرها مثل كتاب الكافى، و كتاب من لا يحضره الفقيه، و كتاب الاستبصار، و كتاب التهذيب، و هى المصادر الأربعة الأساسية للحديث عند الشيعة..

ومن جهة الشيعة فهم لا يعترفون بأحاديث أهل السنة ومصادرها مثل: البخارى و مسلم و الترمذى و النسائى و أبو داوود و ابن ماجة و غيرها..

إلا أن هذا لا ينفى وجود أحاديث مشتركة بين الطرفين ورواة مشتركين من الشيعة رووا أحاديث عند أهل السنة..[1]

---

(١) انظر ملاحق الكتاب..

و تجب الإشارة هنا الى أن الشيعة ليست الطائفة الوحيدة التى اختلفت مع أهل السنة فى مجال الحديث فهناك طوائف و اتجاهات أخرى مثل المعتزلة و الجهمية والكرامية وغيرهم..[١]

و تجدر الإشارة أيضاً الى أن داخل أهل السنة خلافات واسعة حول الأحاديث و الرواة وكتب السنن..[٢]

و يعتقد الشيعة أن أهل البيت هم المصدر الوحيد لتلقى الأحاديث الصادرة عن رسول الله، فمن ثم فإن جميع الأحاديث التى تحتويها كتبهم ترجع إلى أئمة أهل البيت بداية من الإمام على و فاطمة الزهراء إلى الحسن و الحسين وبقية الأئمة الإثنى عشر..

أما أهل السنة فيعتقدون أن مصادر الأحاديث متعددة و متشبعة تبدأ من الصحابة دون تحديد الى التابعين و تابعى التابعين دون تحديد و هذا الكم من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين يحوى الفقهاء و الحكام والعوام وحتى الخوارج، و قد يدخل ضمن الصحابة و التابعين و تابعى التابعين بعض أئمة أهل البيت مثل الإمام على و الحسن والحسين و على بن الحسين و محمد بن على و جعفر بن محمد، و هؤلاء الأئمة لهم عندهم أحاديث قليلة و محدودة..[٣]

و يعتقد التيار الأصولى عند الشيعة أن جميع الأحاديث الواردة فى مصادرهم بعضها صحيح و بعضها ضعيف وموضوع، و أن الحديث الذى يخالف القرآن و العقل يضرب به عرض الحائط وان كان هناك تجاوز فى الالتزام بهذه القاعدة..

---

(١) انظر كتب الفرق. و أهم هذه الخلافات تدور حول الأحاديث المتعلقة بصفات الله تعالى..

(٢) انظر مقدمة فتح البارى شرح البخارى لابن حجر المسماة هدى السارى و انظر مقدمة مسلم و مقدمة شرح النووى على مسلم و انظر كتب الرجال مثل ميزان الاعتدال للذهبى و تذكرة الحفاظ له أيضاً وتهذيب التهذيب لابن حجر و انظر من المعاصرين كتب الشيخ الألبانى و الردود على ما كتب..

(٣) روى البخارى لفاطمة الزهراء حديثاً واحداً و روى لعائشة (٢٤٢) حديثاً و روى لعلى (٢٩) وروى لأبى هريرة (٤٤٣) حديثاً ولم يرو لجعفر بن محمد الصادق الذى روى له مالك فى الموطأ تسعةأحاديث و روى له الترمذى والنسائى ومسلم أحاديث قليلة..

و على أساس هذا الاعتقاد فإن مصادر الحديث عند الاصوليين تخضع على الدوام للتنقيح و التهذيب، أما أهل السنة فيعتقدون بصحة البخارى ومسلم وأنهما أصح الكتب بعد كتاب الله و نصوصهما حجة مسلم بها أما بقية كتب السنن فتخضع للتهذيب..[1]

ولنعرض هنا بعض نماذج من رواة أهل السنة، وموقف أهل السنة من الرواة الشيعة:

- عمرو بن سعد بن أبى وقاص روى له البخارى و غيره و هو من التابعين الثقات عندهم وهو الذى قاد الجيش الذى قتل الحسين وأبناء الرسول ص فى كربلاء..

- مروان بن الحكم بن أبى العاص الأموى رمى طلحة بن عبيد الله بسهم يوم الجمل فقتله، ثم شهر السيف فى طلب الخلافة.. روى له البخارى..

- عنبسة بن خالد بن يزيد بن أبى النجاد الأموى كان على خراج مصر و كان يعلق النساء بالثدى قالوا : عنبسة أحب إلينا من الليث بن سعد وهو صدوق..

- عمران بن حطان شاعر الخوارج الذى ابتدع قصيدة يمدح فيها عبد الرحمن بن ملجم قاتل الإمام على. روى له البخار ووثقوه..

- إبراهيم بن يعقوب الجوزجانى الدمشقى كان من خصوم الإمام على والمتحاملين عليه مدحوه ووثقوه..

- ثور بن يزيد الديلمى كان ينسب إلى الخوارج والقدرية وثقوه وعدلوه..

- حريز بن عثمان الحمصى، وثقوه رغم أنه كان ينتقص علياً و يسبه..

- خالد بن عبد الله القسرى الأمير الدمشقى، ذكروه فى الثقات رغم كونه من ولاة السوء وكان يقع فى على بن أبى طالب..

---

(1) هناك اتجاهات داخل أهل السنة تنتقد البخارى و رواياته. انظر هدى السارى و مسلم خالف استاذه البخارى وزاد على رواياته وجعل فى كتابه باباً لأهل البيت وأهل المغرب كانوا يقدمون أبو داود على البخارى..

- زياد بن علاقة الثعلبى، مدحه ووثقه غير واحد رغم أنه كان سيئ المذهب و يطعن فى أهل البيت..

- شبث بن ربعى التميمى كان مؤذن سجاح التى ادعت النبوة و كان من الخوارج و حضر قتل الحسين..

- عكرمة مولى ابن عباس كان يرى رأى الخوارج و يقبل جوائز الأمراء روى له مسلم ودافع عنه فقهاء الحديث..

- لمازة بن زبار الأزدى أبو لبيد، كان يشتم على بن أبى طالب، مدحوه ووثقوه..

- زياد بن جبير الثقفى، كان يقع فى الحسن و الحسين، وثقه و مدحه غير واحد..

- الهيثم بن الأسود النجفى المذحجى، من الذين شهدوا على الصحابى حجر بن عدى، وثقوه وعدلوه..

- عبد الملك بن مروان بن الحكم الحاكم الأموى، وثقوه ورووا عنه..

أما موقف أهل السنة من الرواة الشيعة فهذه أمثلته:

قال ابن حجر: و قد كنت أستشكل توثيقهم الناصبى وتوهينهم الشيعة مطلقاً..(١)

وقد قال ابن حجر هذا الكلام مستدركاً على فقهاء الجرح والتعديل..

والناصبى مفرد ناصبية وهم من ناصب أهل البيت العداء وطعنوا فيهم، وهم كثير بين رواة الأحاديث عند أهل السنة..

ويواصل ابن حجر: فأكثر من يوصف بالنصب يكون مشهوراً بصدق اللهجة والتمسك بأمور الديانة، بخلاف من يوصف بالرفض– التشيع– فإن غالبهم كاذب و لا يتورع فى الأخبار..(٢)

---

(١) تهذيب التهذيب..

(٢) المرجع السابق..

وهذا الكلام قد ذكره ابن تيمية من قبل ابن حجر و تبناه حنابلة العصر..[١]

وعلى ضوء هذا الموقف من رواة الشيعة تبنى أهل السنة رواة الخوارج وعدلوهم على الرغم من أن الرسول تنبأ بالخوارج و ذمهم و أباح دماءهم و حذر الأمة من شرهم..[٢]

قال ابن المديني: سئل يحيى بن سعيد القطان عن جعفر الصادق، فقال: في نفسي منه شيء ومجالد أحب الى منه..[٣]

الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب والد السيدة نفيسة، كان من أهل العلم والدين و الرواية عن أهل البيت و غيرهم..

قال ابن معين عنه: ضعيف..

وقال بن عدى: أحاديثه عن أبيه أنكر مما روى عن عكرمة..

الحسن بن محمد بن الحنفية بن على بن أبى طالب، كان من أهل الفضل و الدين والعبادة

روى عن أبيه و عن ابن عباس و غيرهما، عابوه و اتهموه بالإرجاء..[٤]

الحسن بن زيد الشهيد بن على بن الحسين من الصالحين روى عن أهل البيت..

---

(١) قال ابن تيمية: والرافضة أكذب من كل طائفة باتفاق أهل المعرفة بأحوال الرجال كما سبق ذكره. انظر منهاج السنة النبوية..

(٢) الروايات الواردة في الخوارج كثيرة و مشهورة في كتب السن. انظر مسلم كتاب الزكاة. و البخارى كتاب المناقب و كتاب فضائل القرآن. و انظر مسند أحمد جـ٢/٣٥٦..

(٣) انظر تهذيب التهذيب.. و جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وهو سادس أئمة أهل البيت عند الشيعة و قد شهد له بالصدق و العلم والتقوى و الورع فقهاء أهل السنة.. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبى و تذكرة الحفاظ له أيضاً و وفيات الأعيان لابن خلكان و غيرها من كتب التراجم ت عام ١٤٨ هـ.
أما مجالد هذا الذى قدمه القطان عليه فقد أجمع فقهاء الرجال على أنه ليس بشيء..
أما البخارى فقد تبع القطان و استراب في جعفر الصادق و لم يرو عنه..

(٤) الإرجاء هو اتباع قول فرقة المرجئة. و هم الذين سكتوا في الفتنة فلم يقولوا شيئاً فيمن حارب علياً.. و كان هذا مذهب الكثير من المتأخرين و توفى الحسن عام ٩٩ هـ.

قال ابن المدينى عنه: «ضعيف».

وقال ابن معين: ليس بشئ..

عبد الله بن محمد الحنفية بن على بن أبى طالب، روى عن أبيه وعن بعض الأنصار..

وثقه النسائى و ابن حبان و طعن فيه آخرون..

محمد النفس الزكية ابن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب، روى عن أبيه وغيره، قالوا عنه و شقيقه إبراهيم: خارجيان..[1]

اصبغ بن نباته التيمى الكوفى..

قال ابن معين والنسائى: ليس بثقة، و لا يساوى حديثه شيئاً..

وقال ابن حبان: فتن بحب على فألقى بالطامات فاستحق الترك..

وقال ابن سعد: كان شيعياً، و كان يضعف فى روايته..

وقال الجوزجانى: زائغ..

إسماعيل بن أبان الوراق الكوفى..

قال الجوزجانى: كان مائلاً عن الحق، و لم يكن يكذب فى الحديث..

قال ابن عدى: يعنى ما عليه أهل الكوفة من التشيع..

أما النسائى و ابن معين و الحاكم والدارقطنى و غيرهم فقد وثقوه..

جعفر بن سليمان الضبعى أبو سليمان البصرى..

قال ابن حبان: كان جعفر من الثقات، غير أنه كان ينتحل الميل الى أهل البيت..

---

(١) تزعم محمد الثورة على أبى جعفر المنصور عام ١٤٥ هـ فى الحجاز. وتزعم شقيقه إبراهيم الثورة بالكوفة و استولى عليها و هزم جيش المنصور و استولى على فارس وناصره المسلمون وأيدهما أبو حنيفة ومالك حتى قتل محمد و كاد له المنصور و قضى على ثورته.. انظر الطبرى و الكامل حوادث هذه السنة..

وقال ابن سعد: كان ثقة و به ضعف وكان يتشيع..

الحارث بن حصيدة الأسدى أبو النعمان الكوفى..

قال ابن معين: خشبى، ينسبونه الى خشبة زيد بن على التى صلب عليها..

و قال ابن عدى: عامة روايات الكوفيين عنه فى فضائل أهل البيت، و هو أحد من يعد من المحترفين بالكوفة فى التشيع..

وقال الدارقطنى: شيخ للشيعة يغلو فى التشيع..

وقال الآجرى عن أبى داود: شيعى صدوق..

الحسن بن صالح بن حى وهو حيان بن شفى الهمدانى الثورى..

ذمه كثير من رجال الحديث، و مدحه آخرون..

قال العجلى: كان حسن الفقه و كان يتشيع..

وقال ابن حبان: كان فقيهاً ورعاً من المتقشفة على تشيع..

وقال ابن سعد: كان ناسكاً فقيهاً صحيح الحديث كثيرة و كان متشيعاً..

مالك بن إسماعيل بن درهم أبو غسان النهدى مولاهم الكوفى..

قال ابن سعد: كان صدوقاً شديد التشيع..

عمرو بن جابر الحضرمى أبو زرعة المصرى..

ذكره البرقى فيمن ضعف بسبب التشيع و هو ثقة و صحح الترمذى حديثه..[1]

مما سبق يتبين لنا أن حال السنة عند الشيعة هو حالها عند أهل السنة غير أن الشيعة لا يعترفون بالرواة من الحكام و النواصب و الخوارج و نقد الحديث عندهم مباح فى حدود المتن و السند..

---

(١) للتوسع فى أمر الرواة انظر كتب الرجال والتراجم..

أما أهل السنة فيحصرون نقد الحديث فى حدود السند فقط فهو الوسيلة الوحيدة للإثبات مدى صحة الحديث أو مدى ضعفه، و قليل منهم من شذ عن هذه القاعدة..

والمتعمق فى رجال الحديث وأحوال الرواة سوف يكتشف أن للشيعة دوراً كبيراً فى عالم الحديث و الرواية لم يستطع التفلت منه فقهاء أهل السنة، و يبدو ذلك بوضوح فى ذلك الكم الكبير من الرواة الشيعة الذين تكتظ بهم كتب السنن على الرغم من القيود والمعوقات..

ولدى الشيعة العديد من المصادر الرجالية الخاصة برواة الأحاديث كما لدى أهل السنة، و لديهم قواعدهم الخاصة بالجرح و التعديل التى تختلف مع قواعد أهل السنة..

من هنا نشأ رجال عدول عند أهل السنة مجروحين عند الشيعة..

ونشأ رجال عدول عند الشيعة مجروحين عند أهل السنة..

وعلى ضوء الاهتمام بالعقل عند الشيعة و الذى يعد المصدر الرابع من مصادر الفقه بعد الكتاب و السنة و الإجماع ـ رفض الشيعة ومعهم المعتزلة و غيرهم تلك الروايات المعتمدة عند أهل السنة التى تتحدث عن صفات الله تعالى..[1]

وقد جعل أهل السنة رفض هذه الأحاديث من قبل الشيعة والمعتزلة وغيرهم مبرر للحكم عليهم بالزيغ والضلال..

---

(١) مثل حديث النزول اى نزول الله إلى الأرض..
وحديث يضع الله قدمه فى النار حتى تقول قط قط..
وحديث رؤية الله يوم القيامة..
وحديث خلق الله آدم على صورته..
وحديث يضحك الله..
وحديث يكشف الله عن ساقه..
وحديث تردد الله..
وحديث العبد يقول لله يوم القيامة أتسخر منى..
انظر هذه الأحاديث و غيرها فى البخارى كتاب التوحيد و كتاب بدء الخلق و كتاب الدعوات وكتاب التفسير. و مسلم كتاب التوبة و كتاب الجنة و النار.
وانظر كتب السنن الأخرى..

وقاد الحنابلة فى الماضى حملة المواجهة لمنكرى هذه الأحاديث _ كما ذكرنا - حتى من أهل السنة و لا زال حنابلة العصر يقومون بهذا الدور..

يقول الامام على : إن فى أيدى الناس حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً وعاماً وخاصاً ومحكماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً، ولقد كذب على رسول الله على عهده حتى قام خطيباً فقال من كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار، وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس رجل منافق مظهر للإيمان متصنع بالاسلام، ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحفظه على وجهه فوهم فيه، ورجل ثالث سمع من رسول الله شيئاً يأمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله..[1]

●●●

(١) انظر نهج البلاغة ج ١٨٨/٢

أهل البيت

وتعد هذه المسألة إحدى الفوارق المهمة والفاصلة بين أهل السنة و الشيعة، إذ انبنى على المفهوم المختلف بينهما حول أهل البيت العديد من العقائد و الأحكام والمفاهيم..

انعكس هذا الخلاف على الموقف من الصحابة..

وانعكس على تناول الروايات و الأحاديث..

وانعكس على تفسير نصوص القرآن..

وانعكس على النتاج الفقهى..

وجملة فقد أوجد صورة مختلفة عن الإسلام لدى الشيعة و أهل السنة..

وبداية يجب علينا استعراض مفهوم أهل البيت لدى الطرفين كى نصل إلى حقيقة الفوارق بينهما..

يعرف أهل السنة أهل البيت فى حدود واسعة تشمل نساء النبى وآل على وآل عقيل وآل جعفر و آل العباس و هؤلاء هم من حرم الصدقة..[1]

---

(١) مسلم. كتاب فضائل الصحابة. باب من فضائل على.. و انظر باب فضل أهل البيت..

وهناك من يعرفهم فى حدود أهل الكساء و هم: الرسول وفاطمة وعلى والحسن والحسين مثلما ذكر عن ابن تيمية..[1]

أما الشيعة فيتبنون التعريف الثانى و هو حصر أهل البيت فى دائرة أهل الكساء الذين خصهم الرسول بالمباهلة..[2]

و قد وردت الكثير من الأحاديث الخاصة بأهل البيت فى كتب السنن، فى على وفاطمة والحسن والحسين، كما أن هناك العديد من النصوص القرآنية التى نزلت فيهم، و هذه الأحاديث والنصوص القرآنية هى محل اعتراف أهل السنة، إلا أنهم لا يبنون على أساسها موقفاً خاصاً من أهل البيت يميزهم عن الآخرين من الصحابة ولا يعلو بهم فوق مقام أبو بكر وعمر وعثمان..[3]

لكن الشيعة يتناولون هذه الأحاديث و النصوص القرآنية تناولاً آخر يصل بهم إلى القول بعصمة أهل البيت و اعتبارهم الأئمة الشرعيين للأمة من بعد الرسول وهم فوق جميع الصحابة..

---

(١) روت أم سلمة أن هذه الآية نزلت فى بيتى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً) قالت: وأناجالسة عند الباب، فقلت يا رسول الله: ألست من أهل البيت؟

فقال: إنك إلى خير، أنت من أزواج رسول الله..

قالت: و فى البيت رسول الله و على وفاطمة، وحسن، وحسين، فجللهم بكساء، وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتى، فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً..

رواه الترمذى. كتاب المناقب، باب مناقب فاطمة بنت محمد..

و انظر جامع الأصول حديث رقم (٦٧٠٢)

و انظر مستدرك الحاكم و سنن البيهقى..

(٢) ترتبط قصة المباهلة بقوله تعالى: (فمن حاجك فيه من بعدك ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) آل عمران/ ٦١.

وكان وفد من نصارى نجران جاء إلى النبى و حاجه فطلب النبى منهم أن يدخلوا فى مباهلة، فجاء النبى بعلى و فاطمة و الحسن و الحسين ليبتهل بهم و القصة مشهورة فى كتب التفسير.

وفى هذا النص إشارة إلى أن أهل البيت هم أبناء النبى و نفسه..

(٣) يعتبر أهل السنة أن من قدم علياً على عثمان فهو مبتدع رافضى و يتوقف فيه فقهاء الرجال ولا يأخذون بروايته.. انظر كتب العقائد والرجال..

من هنا هم يحتجون على أهل السنة بتلك الآيات و الأحاديث الواردة عندهم على صحة عقيدتهم فى أهل البيت و الأئمة الإثنى عشر..

وسوف نعرض هنا نماذج من هذه الأحاديث المنتشرة فى كتب السنن التى تتعلق بأهل البيت :

إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى: كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض، و عترتى أهل بيتى، لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما..[1]

ألا إن مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق..[2]

النجوم أمان لأهل الأرض، و أهل بيتى أمان لأمتى..[3]

وعن أبى بكر قال: ارقبوا محمداً فى أهل بيته..[4]

لما نزلت آية: ﴿قل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم..﴾

دعا رسول الله علياً وفاطمة وحسن وحسيناً، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتى..[5]

قوله تعالى: ﴿إن الله و ملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾

قال كعب بن عجرة: سألنا رسول الله e فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلم؟

---

(١) رواه الترمذى حديث رقم (٨٧٤). و انظر مسند أحمد. حديث زيد بن ثابت. والطبرانى فى الكبير عن زيد بن ثابت أيضاً. و مستدرك الحاكم جـ٣..

(٢) مستدرك الحاكم جـ٢

(٣) المرجع السابق..

(٤) البخارى جـ٧/٣٧٥١..

(٥) مسلم. كتاب فضائل الصحابة/باب فضل أهل البيت وانظر مستدرك الحاكم..

قال: قولوا اللهم صل على محمد و آل محمد كما صليت على إبراهيم و آل إبراهيم إنك حميد مجيد..[1]

وعن ابن عباس قال: ليس من آية فى القرآن ﴿يا أيها الذين آمنوا..﴾ إلا و عليٌّ رأسها و أميرها و شريفها و سيدها، و لقد عاتب الله أصحاب محمد فى القرآن و ما ذكر علياً إلا بخير..[2]

قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى﴾ الشورى/٢٣..

قال ابن عباس: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً..﴾

قالوا يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟

قال: على و فاطمة و ابناهم..[3]

وغير ذلك من النصوص كثير فى مصادر أهل السنة و مصادر الشيعة مما يدل على أن فكرة أهل البيت يمكن أن تكون أداة لإذابة الخلاف بين الطائفتين، فلا يوجد مسلم مهما كان مذهبه

ومهما بلغ تعصبه لا يوقر أهل البيت و يقدسهم و يضعهم فى مكانتهم التى حددها الشرع، تلك المكانة التى ربطتهم بالقرآن و دفعت بالشيعة إلى اعتبارهم المصدر الوحيد لتفسير نصوصه وتبيين أحكامه، ويدل من جهة أخرى على تداخل التشيع فى التسنن[4]

إلا أن السياسة لعبت لعبتها عن طريق المنافقين المندسين فى صفوف المسلمين فى الماضى والحاضر من أجل تفريق الأمة و ضرب وحدتها..

وسوف تتبين لنا هذه القضية بوضوح عند استعراض فكرة الإمامةعند الشيعة..

---

(١) البخارى/كتاب التفسير..

(٢) مسند أحمد عن ابن عباس..

(٣) المرجع السابق.. و انظر مجمع الزوائد جـ٧ و جـ ٩ و كتب التفسير..

(٤) انظر كتب التفسير الشيعية مثل الميزان ومجمع البيان..

وتنص عقائد أهل السنة كما ذكرنا أن الإمامة تنحصر فى الخلفاء و الحكام الذين تجب طاعتهم و الحج و الجهاد من خلفهم حتى ولو كانوا فسقة فجاراً..

وهذا الاعتقاد نابع من كم الأحاديث و الروايات المنسوبة للرسول و الصحابة والسلف التى تتعلق بالخلفاء والحكام..

ومن هذه الأحاديث:

من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة و لا حجة له، و من مات و ليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية..[١]

و من مات و هو مفارق للجماعة، فإنه يموت ميتة جاهلية..[٢]

اسمعوا و أطيعوا و إن استعمل عليكم عبد حبشى، كأن رأسه زبيبة..[٣]

من أهان السلطان أهانه الله..[٤]

من كره من أمير شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية..[٥]

من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده، و ثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه، فاضربوا عنق الآخر..[٦]

تسمع و تطيع للأمير و إن ضرب ظهرك و أخذ مالك فاسمع و أطع..[٧]

---

(١) انظر مسلم كتاب الإمارة و البخارى كتاب الأحكام و كتب السنن الأخرى و انظر فتح البارى شرح ابن حجر لكتاب الأحكام وشرح النووى على مسلم و انظر كتب العقائد وشروحاتها..
(٢) انظر المراجع السابقة..
(٣) المراجع السابقة..
(٤) المراجع السابقة..
(٥) المراجع السابقة..
(٦) المراجع السابقة..
(٧) المراجع السابقة..

أما الشيعة التى تعتقد أن الإمامة ركن من أركان الإسلام و هى تنحصر فى حدود أئمة أهل البيت الاثنى عشر الذين أولهم الإمام على وآخرهم المهدى المنتظر لا تعترف بهذه الأحاديث الخاصة بالحكام، و إن كان البعض منهم يرى صحتها لكنه يعتبرها حرفت عن مقصودها واتجهت نحو الحكام بدلاً من أئمة أهل البيت..

و فكرة الإثنى عشرية نابعة من نصوص نبوية موجودة عند السنة وعند الشيعة، غير أن أهل السنة يعتقدون أن الاثنى عشر المشار إليهم فى الأحاديث هم الحكام، بينما الشيعة تعتبرهم أئمة أهل البيت..

و إذا كان الشيعة تمكنوا من تحديد الاثنى عشر إماماً بأسمائهم، فإن أهل السنة عجزوا عن تحديد الاثنى عشر حاكماً و تخبطوا فى أمرهم على ما سوف نبين..

روى: لا يزال هذا الدين منيعاً حصيناً إلى اثنى عشر خليفة..[١]

لا يزال الإسلام عزيزاً الى اثنى عشر خليفة..[٢]

لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنى عشر رجلاً..[٣]

سيكون بعدى اثنى عشر..[٤]

قال ابن الجوزى : قد أطلت البحث عن معنى هذا الحديث و تطلبت فطانة و سألت عنه فلم أقع على المقصود به لأن ألفاظه مختلفة و لا شك أن التخبط فيها من الرواة..[٥]

و ينقل عن بعض الفقهاء: لم ألق أحداً يقطع فى هذا الحديث بشىء معين..[٦]

---

(١) انظر مسلم كتاب الإمارة و شرح النووى له..
(٢) المرجع السابق..
(٣) المرجع السابق..
(٤) البخارى كتاب الأحكام، و انظر شرح ابن حجر له..
(٥) مشكل الحديث..
(٦) فتح البارى كتاب الأحكام..

و ينقل ابن حجر: يحتمل أن يكون الاثنى عشر بعد المهدى.. و يحتمل أن يكون المراد أن الاثنى عشر فى مدة عزة الخلافة و قوة الإسلام..[1]

و عرض السيوطى هذه الأحاديث و أطال فى شرحها و الأقوال فيها و لم يصل الى شىء..[2]

والسؤال هنا هو: لماذا اعتبر الشيعة الإمامة ركناً من أركان الدين..؟

والجواب يعتقد الشيعة ان النصوص التى تتعلق بأهل البيت تربط مستقبل الدين وبيانه بهم وحدهم، فمن ثم فإن الانحراف عنهم وعدم التلقى منهم يعد انحرافاً عن الدين ويفتح الباب نحو الزيغ و الضلال..

من هنا فإن إمامة أهل البيت تقوم مقام الرسول بعد رحيله و تنوب عنه و لما كان الإيمان بالرسول و التلقى منه ركن و واجب، أصبح الإيمان بأهل البيت و التلقى منهم ركن وواجب من بعد الرسول حيث لا توجد جهة أخرى شرعية تنطق بلسان الدين سواهم..

ويستدلون بحديث: من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية..[3]

وهذا يعنى أن الإمام الحق هو الفيصل بين الحق و الباطل و الإسلام و الجاهلية..

والتزاماً بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم..﴾ النساء/٥٩..[4]

وقوله: ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله و كونوا مع الصادقين﴾ التوبة/١١٩

---

(١) المرجع السابق..
(٢) انظر مقدمة تاريخ الخلفاء..
(٣) مسند أحمد..
(٤) تعد هذه الآية من أدلة عصمة أهل البيت عند الشيعة و هى آية التوبة المذكورة مع النص النبويالذى يربط الكتاب بأهل البيت

وقف الشيعة الى جانب أهل البيت باعتبارهم ولاة أمور المسلمين الذين تعدد طاعتهم امتداد لطاعة الله و طاعة الرسول ولم يقفوا إلى جوار الحكام مما استوجب النقمة عليهم والتنكيل بهم و تشويه صورتهم على مر التاريخ..

وانحاز الشيعة الى الصادقين من أمة محمد وهم أهل البيت امتثالاً للأمر الإلهى..(١)

●●●

(١) قال الفخر الرازى: إن من كان جائز الخطأ وجب كونه مقتدياً بمن كان واجب العصمة، و هم الذين حكم الله بكونهم صادقين، فهذا يدل على أنه واجب على جائز الخطأ كونه مع المعصوم عن الخطأ حتى يكون المعصوم عن الخطأ مانعاً لجائز الخطأ عن الخطأ، و هذا المعنى قائم فى جميع الأزمان فوجب حصوله فى كل زمان.. انظر التفسير الكبير سورة التوبة آية ١١٩..

الصحابــة

ويعد موقف الشيعة من الصحابة أحد ركائز الموقف العدائى الذى يتبناه أهل السنة تجاههم ذلك الموقف الذى يتلخص فى اتهام الشيـعـة فى الماضى والحاضـر بسب الصحابة..

وتهمة سب الصحابة توحى فى ظاهرها أن الشيعة لا يعترفون بهم و ينكرون فضلهم ودورهم..

إلا أنه بعد استعراض موقف الطرفين من الصحابة سوف يتضح لنا الأمر بغير هذه الصورة..

يعرف أهل السنة الصحابى بأنه من عاصر رسول الله أو سلم عليه أو ولد فى حياته أو شاهده و لو مرة، حتى أن البعض يدخل الجن فى دائرة الصحابة لكونهم شاهدوا رسول الله واستمعوا له..[1]

و الصحابة جميعهم عدول فى منظور أهل السنة سيراً مع القاعدة التى تقول من ثبتت صحبته ثبتت عدالته..

---

(١) انظر الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر جـ ١ و انظر أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير. و الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر و هذا التعريف مرهون بالموت على الإيمان..
واعتبار الجن من الصحابة قاله ابن حزم الأندلسى..

و على ضوء هذا التعريف يقارب عدد الصحابة المائة ألف، يستوى فيهم الذى أسلم قبل الفتح

وقاتل مع الذى أسلم بعد الفتح و لم يقاتل..

والذى هاجر و الذى لم يهاجر..

والذى تقدم إسلامه مع الذى تأخر إسلامه..

والذى كان ملتصقاً بالرسول مع الذى شاهده مرة أو سلم عليه..

ويستوى الأصفياء مع الطلقاء..

والمنفقين فى سبيل الله مع البخلاء..

والمجاهدين الشرفاء مع المقاتلين للمسلمين المتآمرين على الإسلام قبل دخولهم فى الإسلام..

وجملة يستوى المؤمنون مع المنافقين..

وهذا التعريف يرفضه الشيعة لمصادمته للغة من جانب..

ومصادمته للقرآن من جانب آخر..

ففى لسان العرب أن المصاحب أى المعاشر، و لا يقال إلا لمن كثرت ملازمته..[١]

والصاحب هو الملازم، و إن المصاحبة تقتضى طول لبثه..[٢]

أما القرآن فقد حشد عشرات النصوص التى تنتقد بعض الصحابة وتعاتبهم و تحذرهم وتتوعدهم..[٣]

و إن من بين الصحابة منافقين و متآمرين و متربصين وجاهليين وانتهازيين.. إلخ مما يوجب ضرورة التمييز و التصنيف والفرز لتحديد الصالح من بينهم..

---

(١) مادة: صحب..

(٢) مفردات الراغب مادة: صحب..

(٣) انظر سورة براءة كمثال..

وعلى ضوء هذا التصور فإن فكرة عدالة الصحابة تعد مرفوضة عند الشيعة فالعدالة تنحصر فى دائرة أهل البيت فقط..

من هنا اعتبر الشيعة أن جميع الصحابة يخضعون للنقد و إن مواقفهم وأفعالهم وممارساتهم ينبغى أن تخضع للضوابط الشرعية والمراجعة وعلى رأس هؤلاء الخلفاء الثلاثة: أبو بكروعمر وعثمان..

واعتبر الشيعة أيضاً أن العديد ممن يعدهم أهل السنة من الصحابة هم ليسوا بصحابة

و لا يدخلون فى مفهوم الصحبة..

إما بسبب قصر مدة علاقتهم بالرسول..

و إما بسبب مواقفهم من الرسول وأهل البيت..

و إما بسبب الشك فى دخولهم الإسلام..

و إما بسبب رفضهم إمامة على بعد الرسول..

و إما بسبب التصدى للحديث باسم الدين وهم ليسوا أهلاً له..

واما بسبب توهم الرواة..

وبسبب قصر فترة الارتباط بالرسول تم رفض العديد ممن أدخل فى دائرة الصحابة ممن شاهد الرسول مرة أو سلم عليه أو ولد فى عصره..

و بسبب المواقف من الرسول و أهل البيت تم رفض العديد من المهاجرين على رأسهم

أبو بكر و عمر و عائشة و حفصة و طلحة و عثمان و عبد الرحمن بن عوف ثم خالد بن الوليد و عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة و غيرهم..

وبسبب الشك فى الانتماء للإسلام تم رفض العديد من الطلقاء الذين دخلوا فى الإسلام وعلى رأسهم أبو سفيان وولده معاوية ومروان ووحشى قاتل حمزة عم النبى وهند بنت عتبة زوجة أبو سفيان وآكلة الأكباد..

وبسبب رفض إمامة على بعد أحداث سقيفة بنى ساعدة و تسليم زمام الأمور لأبى بكر رفض جميع الذين تحالفوا مع الخط القبلى الذى تزعمه المهاجرون ضد أهل البيت والذى ساد واقع المسلمين بعد وفاة الرسولﷺ..

ويسبب التصدى لأمور الدين و التحدث بلسان رسول الله ممن ليس بأهل لذلك تم رفض أبو هريرة وابن عمر وابن عمرو بن العاص وغيرهم من الذين أكثروا الرواية باسم الرسولﷺ..

وبالطبع مثل هذه المواقف شكلت استفزازاً كبيراً لأهل السنة الذين يعتمدون فى عقائدهم وأحكامهم على الأحاديث و الروايات التى جاءت عن طريق هؤلاء الصحابة..

والشيعة يرفضون مواقف بعض الصحابة ولا ينفون وجودهم فهناك العديد من رموز الصحابة البارزين محل تقدير و احترام الشيعة،

و هم مقدمون عندهم على الآخرين..

ومن هؤلاء: أبو ذر الغفارى، سلمان الفارسى، عمار بن ياسر، جابر بن عبد الله،

عبد الله بن مسعود، ابن عباس، المقداد، أم سلمة، حذيفة بن اليمان، خالد بن سعيد بن العاص، خزيمة بن ثابت، أبى بن كعب، أبو أيوب الأنصارى، أبو سعيد الخدرى،

سهل و عثمان ابنى حنيف، أبى الهيثم بن التيهان بريدة الأسلمى، عامر بن وائلة أبو الطفيل، هند بن أبى هالة، حجر بن عدى، عبد الله بن خباب بن الأرت.. و غير هؤلاء كثير..

غير أن الموقف المتشدد من قبل الشيعة تجاه الصحابة الذين ناصروا الخط القبلى و حكم الخلفاء وتخلوا عن أهل البيت، وهم على الأغلب من المهاجرين والأعراب هذا الموقف له ما يبرره عندهم من نصوص القرآن و السنة..

قال سبحانه: ﴿و من أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾ التوبة/١٠١

و قال: ﴿و منهم من يلمزك فى الصدقات..﴾ التوبة/٥٨..

و قال: ﴿ومنهم الذين يؤذون النبى﴾.. التوبة/٦١..

و قال: ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن و لنكونن من الصالحين، فلما آتاهم من فضله بخلوا به و تولوا و هم معرضون﴾ التوبة/٧٥-٧٦..

وقال: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما، و إن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل﴾ وصالح المؤمنين و الملائكة بعد ذلك ظهيراً. عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات و أبكاراً﴾ التحريم/٤- ٥..[1]

وروى عن الرسول قوله فى حجة الوداع: لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض..[2]

و روى: أنه يجاء برجال من أمتى، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصيحابى..

فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك..

فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿و كنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم﴾ المائدة/١١٧

فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم..[3]

وروى: ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى حتى إذا رأيتهم رفعوا إليّى اختلجوا دونى، فأقولن: أى رب أصيحابى فيقالن لى: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك..[4]

---

(١) نزلت هذه الآيات فى عائشة و حفصة، و التظاهر فى اللغة يعنى التآمر و مطالبتهما بالتوبة وضرب المثل بامرأتين كافرتين فى نهاية السورة: امرأة نوح و امرأة لوط، يدل على خطورة الأمر.
انظر كتب التفسير..

(٢) البخارى كتاب العلم و كتاب الفتن و كتاب الأضاحى. و مسلم كتاب الإيمان و القسامة وأبو داود كتاب السنة. و الترمذى كتاب الفتن..

(٣) البخارى كتاب التفسير. سورة المائدة. و كتاب الأنبياء.

(٤) مسلم. كتاب الفضائل. باب إثبات حوض نبينا..

وحتى تكتمل الصورة سوف نعرض لنماذج من هؤلاء الصحابة الذين هم عدول فى نظر أهل السنة..

- أبو الغادية الجهنى قتل الصحابى عمار بن ياسر فى صفين..[1]

- معاوية بن أبى سفيان قاد المعارك ضد الإمام الشرعى على وأراق دماء المسلمين من أجل الملك وقتل الصحابى الجليل حجر بن عدى ومن معه لامتناعهم عن لعن الإمام على والتبرى منه..

وأظهر سب الإمام على على المنابر..

وسير الجيوش لقتل المسلمين الرافضين لحكمه فى الحجاز و العراق و مصر..

وولى ولده يزيد الفاجر لأمر المسلمين من بعده..

- عمرو بن العاص حليف معاوية و صاحب بدعة التحكيم وتمزيق المصاحف ورفعها فوق أسنة الرماح وهى تعد صورة من صور الاستهزاء بكتاب الله تعالى..

- نعمان بن بشير الأنصارى قاد جيوش معاوية للفتك بالمسلمين من أنصار الإمام على وقتل الرجال وسبى النساء وغنم أموال المسلمين..

- بسر بن أبى أرطأة من قادة معاوية كان لا يرحم أحداً فقتل الشيوخ و النساء والصبيان واستولى على الأموال وهتك حرمة المدينة وارتكب من الجرائم الوحشية ما تقشعر منه الأبدان و ترفضه الأديان..

- خالد بن الوليد قتل مالك بن نويرة وهو مسلم و نكح زوجته وهى فى العدة وقتل الكثير من المسلمين من باب الانتقام..

- أبو هريرة الدوسى اختلف فى اسمه أكثر من عشرين خلافاً و شكك البعض من الصحابة فى أحاديثه، كان من أهل الصفة الفقراء الوافدين على المدينة، تحالف مع معاوية وأصبح من الأثرياء و تزوج من مخدومته.

---

(١) وقد قال الرسول فى عمار: تقتلك الفئة الباغية.
انظر ترجمته فى الإصابة و أسد الغابة و الاستيعاب و كتب التراجم..

ـ مروان بن الحكم كان فى جيش عائشة بوقعة الجمل و ضرب طلحة بن عبيد الله بسهم فقتله غدراً..

ـ عبد الرحمن بن عوف من الذين تحالفوا مع أبى بكر و عمر و عثمان ضد الإمام على وأهل البيت..

ـ طلحة بن عبيد الله من الذين بايعوا الإمام على ثم نقض البيعة و اشترك فى قتاله مع جيش عائشة..

ـ المغيرة بن شعبة من خصوم أهل البيت و من الزناة و شهدوا عليه بفعل الزنا أمام عمر إلا أن عمر لم يقم عليه الحد..

ـ قدامة بن مضغون شرب الخمر فى أيام عمر فأقام عليه الحد..

ـ أسد بن حضير من الذين اقتحموا بيت السيدة فاطمة بعد وفاة الرسول و معه زيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة و خالد بن الوليد و عمر بن الخطاب و عبد الرحمن بن عوف و ثابت بن قيس و زياد بن لبيد وسلمة بن سلامة بن وقش و سلمة بن اسلم و ذلك لإجبار من تحصن فى البيت من الصحابة على بيعة أبى بكر..

ـ الزبير بن العوام و ولده عبد الله، انقلب الزبير على الإمام على و قاتله مع عائشة وأعلن ولده الحرب على بنى هاشم و أهل البيت..

ـ الحارث بن قيس بن عدى قال ابن الاثير : لم ار احداً ذكره فى الصحابة الا ابا عمرو والصحيح انه كان من المستهزئين..

ـ الحارث بن كلده مختلف فى صحبته..

ـ الحارث بن قيس ذكرناه هنا لئلا يراه احد فيظنه صحابيا قاله ابن الاثير.

حبيب بن سلمه ويقال حبيب الروم لكثرة دخوله اليهم ونيله منهم انكر الواقدى ان يكون حبيب سمع من النبىﷺ ولاه عمر اعمال الجزيرة كان مع معاوية فى حروبه بصفين وغيرها..

روى ابن وهب عن مكحول قال : سألت الفقهاء : هل كان لحبيب صحبه ؟

فلم يعرفوا ذلك، فسألت قوله، فاخبروني انه كان له صحبة..

- حجاج بن عبد الله النصر ذكره عبد الرحمن بن ابى حاتم قال : سئل عنه ابو زرعه هل له صحبه ؟ قال : لا اعرفه..

- الحسين بن خارجه لم يذكر ان له صحبة الا ان حديثه حسن فيه عبره لمن سمعه قال له احمد بن سيار..

- الحكم بن ابى الحكم مجهول..

- الحكم بن ابى العاص الاموى روى فى لعنه ونفيه احاديث كثيرة ولم يزل منفيا طوال عهد الرسولﷺ وعهد ابو بكر وعمر فلما ولى عثمان رده..

- حرقوص بن زهير السعدى شهد مع على صفين ثم كان مع الخوارج ومن أشدهم على على وقتل يومئذ لما قاتلهم على عام ٣٧ هـ.

- حابس بن سعد شهد صفين مع معاوية وقتل يومئذ ومعه رايه طيىء.

- الحارث بن الطفيل بن صخر بن خزيمة اخو عوف بن الطفيل، ذكره محمد بن اسماعيل البخارى فى الصحابة، لا تعرف له رؤية..

- الحارث بن عبد الله عبد وهب ذكره البخارى فى الصحابة كان مع معاوية بصفين.

- الحارث بن كلال ليست له صحبة. قال : فلا أدرى لأى معنى يذكرون هذا وأمثاله مثل الأحنف ومروان وغيرهما وليست لهما صحبة ولا رؤية..

- جابر بن حابس مجهول، وفى اسناد حديثه نظر..

- جبير بن نفير ابو عبد الرحمن الحضرمى أسلم فى حياة النبىﷺ وهو فى اليمن ولم يره وهو من كبار تابعى الشام ولأبيه صحبه..

- جبير بن نوفل غير منسوب، ذكره مطين فى الصحابة وفيه نظر..

ـ جد بن قيس روى عنه جابر وابو هريره وكان ممن يظن فيه النفاق وفيه نزل قوله تعالى ﴿ومنهم من يقول أئذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنه سقطوا﴾ وحضر يوم الحديبية فبايع الناس رسول اللهﷺ الا الجد بن قيس، فانه استتر بطن ناقته..

ـ جرهد بن خويلد اختلف فى اسمه وذكر بترجمتين وهو واحد لا يكاد تثبت له صحبه..

ـ جون بن قتاده بن الأعور بن ساعده، قيل له صحبه، وقيل لا صحبه له ولا رؤيه، وهم فيه هشيم، شهد وقعه الجمل مع عائشة.

ـ وائل بن أبى القعيس اختلف فيه، قال ابو نعيم : ذكره بعض المتأخرين ولا أعلم له صحبه ولا اسلاما..

ـ الوليد بن عقبه وهو اخو عثمان لأمه رأى الرسولﷺ وهو طفل بعد الفتح صغيرا نزل فيه قوله تعالى ﴿أن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا..﴾.

ـ ولاه عثمان على الكوفه وصلى الصبح بالناس أربع ركعات وقال : أزيدكم، قال ابن مسعود رداً على قوله : مازلنا فى زيادة منذ اليوم..

ـ شهد عليه حمران ورجل اخر أنه شرب الخمر..

قال ابو عمر : الصحيح عند أهل الحديث أنه شرب الخمر وتقيأها وصلى الصبح أربعاً..

وحشى قاتل حمزه كان يداوم على الخمر ومات بها..

ـ يحيى بن صيفى أخرجه يحيى بن يونس فى الصحابة وقال : لا أدرى له صحبه أم لا؟

روى عن الرسولﷺ قوله : من سعادة المرء أن يشبهه ولده.

قال جعفر : هذا حديث مرسل، لا اعرف ليحيى بن صيفى صحبه..

يحيى بن عمير، قال جعفر : قال محمد بن حبان : أبوه بدرى له صحبه..

- يزيد بن عبد الله مجهول..

- يزيد العقيلى، قال جعفر لا أعرف له صحبه وأورده يحيى فى الصحابة..

- يزيد بن قتاده، قال أبو عمر : فى صحبته نظر..

- يوسف الفهرى غير منسوب..

- يونس بن شداد مجهول قاله ابن منده وأبو نعيم.

- منجابى بن راشد الناجى ذكره سيف والمداينى فيمن استعمل على كور فارس فى خلافه عثمان، ممن لقى النبىﷺ فآمن به هو وأخوه الحريث بن راشد وكانا عثمانيين وهربا من على حين حكم الحكمين..

- عبد الله الصناجى روى عنه عطاء بن يسار غير معروف فى الصحابة، وقد اختلف ابن معين فيه وقال : يشبه أن يكون له صحبة..

- عبد الله بن عمر بن الخطاب أشكلت عليه حروب على وقعد عنه وندم على ذلك حين حضرته الوفاه وقال : ما أجدنى آسى على شىء فاتنى فى الدنيا الا أنى لم اقاتل الفئة الباغية مع على، بايع معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان والحجاج..

- عبيد الله بن عمر بن الخطاب ولد على عهد رسول اللهﷺ هرب من المدينة بعد تولى الامام على الخلافة وانضم لمعاوية وقاتل معه فى صفين وقتل فيها..

- عقبة بن عمرو بن ثعلبه ابو مسعود الأنصارى، قيل نزل الكوفة وسكنها واستخلفه على فى خروجه الى صفين عليها فلم يف له..

- علقمة بن سفيان الثقفى ويقال علقمه بن سهيل ولا يعرف هذا الرجل فى الصحابة..

- عبيد بن عمير بن قتاده بن جندع يكن ابا عاصم، ذكر البخارى أنه رأى النبىﷺ وذكره مسلم فيمن ولد على عهد رسول اللهﷺ وهو معدود من كبار التابعين ولأبيه عمير بن قتاده صحبه..

عبد الرحمن بن عتبه بن عويم بن ساعده لا تصح له صحبة ولا رواية..

عبد الرحمن بن أبى عميره وقيل عبد الرحمن بن أبى عميرة المزنى، وقيل عبد الرحمن بن عمير القرشى، حديثه مضطرب لا يثبت فى الصحابة، وهو شامى روى عن ربيعه بن زيد أنه سمع النبىﷺ يقول : وذكر معاوية : اللهم اجعله هادياً مهدياً واهده واهد به..

ومنهم من يوقف حديثه هذا ولا يرفعه ولا يصح مرفوعا عندهم..

وروى عنه على بن زيد مرسلا عن النبىﷺ فى فضل قريش.. لا تثبت احاديثه ولا تصح صحبته..

الضحاك بن قيس بن خالد يكنى أبا أنيس وهو اخو فاطمة بنت قيس كان على شرطه معاوية، ثم صار عاملا له على الكوفة بعد زيادة ولاه عليها معاوية وكان معه حتى مات فصلى عليه، وكان مع يزيد حتى عصر مروان فبايع ابن الزبير وقتل بمرج راهط.[١]

●●●

شهادة الصحابة على أنفسهم

شهادة عمر :

روى : استأذن أبو موسى على عمر فكأنه وجده مشغولا فرجع..

فدعى له، فقال : ما حملك على ما صنعت ؟

فقال : انا كنا نؤمر بهذا..

قال : فأتنى على هذا ببينه أو لأفعلن بك..

فانطلق الى مجلس من الأنصار فقالوا لا يشهد الا أصاغرنا..

فقام أبو سعيد الخدرى فقال : قد كنا نؤمر بهذا..

فقال عمر : خفى على هذا من أمر النبىﷺ ألهانى الصفق بالأسواق[٢]

---

(١) انظرهذه النماذج وغيرها فى الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر والاستيعاب فى معرفة الاصحاب لابن عبد البر وأسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الاثير وكتب التراجم والتاريخ..

(٢) انظر البخارى ومسلم وكتب السنن

وشهادة عمر على نفسه هنا تتركز فى أمرين :

الأول : انه كان يجهل حكم الاستئذان..

الثانى : انه كان مشغولا عن النبىﷺ بأمور معيشته..

شهادته على صلاة التراويح وجمع الناس عليها بأنها بدعة بقوله : نعم البدعه هذه..[1] والبدعه فى الأصل احداث أمر لم يكن فى زمن الرسولﷺ [2]

وشهد عمر : أصابت امرأة واخطأ عمر وهى قصة مشهورة..

شهادته يوم أحد..

قال : تفرقنا عن رسول اللهﷺ يوم أحد فصعدت الجبل..

فنظرت فاذا رسول الله والناس يتراجعون اليه، فنزلت ﴿وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل..﴾ [3] وفى رواية : لما كان يوم أحد هزمناهم، ففررت حتى صعدت الجبل، فلقد رأيتنى انزو كأننى أرويه.. [4]

وروى مسلم : ان رسول اللهﷺ قد أفرد فى أحد فى سبعة من الأنصار ورجلين من قريش.. [5] والثابت من روايات القوم أن عليا ممن ثبت بجوار الرسول، فبقى تعيين الرجل الثانى من قريش الذى ثبت الى جواره، فاذا قلنا ابو بكر نفينا عمر، واذا قلنا عمر نفينا ابوبكر..

شهادته لعلى

قال عمر : لولا على لهلك عمر.. [6]

وقال : ما من معضله الا وأبا الحسن لها.. [7]

---

(١) البخارى باب فضل من قام رمضان..

(٢) قالها العينى شارح البخارى..

(٣) انظر كنز العمال ج٢/٢٤٢ وحياة الصحابة ج٣/٢٩٧

(٤) الدر المنثور ج٢/٨٨ وكنز العمال ج٢/٤٢٤ وحياة الصحابة..

(٥) باب غزوة أحد، وقد فر ايضا فى غزوة حنين مع غيرة من الصحابة..

(٦) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطى ترجمة عمر..

(٧) المرجع السابق..

شهادته فى الرسولﷺ حين وفاته..

قال عمر : ان محمدا لم يمت وانه ذهب ليكلم ربه وسيعود كما فعل موسى، ليقطعن أيدى رجالا ونساءا..[1]

شهادته فى التيمم..

قال عمر فى قصة مشهورة انه لا تجوز الصلاه فى حالة عدم وجود الماء.. [2]

شهادته بالشك..

قال عمر يوم الحديبية : ما شككت منذ أسلمت الا يومئذ.[3]

ويروى عن أبى عبيدة قوله : انى لأحفظ عن عمر فى الجد مائه قضية كلها يناقض بعضها بعضا.. [4]

شهادته فى الخمر..

قال عمر : أيها الناس انه نزل تحريم الخمر وهى من خمسة : من العنب والتمر والعسل والحنطه والشعير، والخمر ما خامر العقل.. [5]

وكان عمر يعالج بالنبيذ حين طعن..

تقول الرواية : فاحتمل الى بيته.. فأتى بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه، ثم أتى بلبن فشر به فخرج من جرحه فعلموا أنه ميت.. [6]

وهذه الشهادات تضعف تلك الرؤية التى نسجت من حوله وصورته كلصيق بالرسولﷺ ومن خاصته وأن القران كان يتنزل على رأيه..

---

(١) انظر سيرة ابن هشام وكتب التاريخ فترة وفاة الرسولﷺ وقد شهد على النبى فى مرض الموت انه يهجر اى يهذى ويخرف، انظر البخارى ومسلم كتاب الوصية..

(٢) انظر قصة عمار مع عمر فى البخارى ج١/٩٦ وانظر مسلم ج١ وابو داود ج١ وابن ماجة ج١ ومسند احمد ج ٢ وكأن عمر لا يعلم ان فى القران نص عن التيمم فى سورة النساء رقم ٤٣ وسورة المائدة رقم ٦

(٣) انظرالدر المنثورج٦/٧٦

(٤) انظر سنن البيهقى ج٣/٢٤٥

(٥) البخارى ج٦/٦٧

(٦) المرجع السابق ج٥/١٩ الى ٢٢ وهى رواية طويلة..

شهادة ابن عمر..

قال ابن عمر بشأن عثمان حين سئل عن أمره :

هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد ؟

قال : نعم..

فقال : هل تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد ؟

قال : نعم..

قال : هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان. فلم يشهدها ؟

قال : نعم..

قال : الله اكبر..

قال ابن عمر : تعال أبين لك..

أما فراره يوم أحد فأشهد ان الله عفا عنه وغفر له..

وأما تغيبه عن بدر فانه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة..

وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكه من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله عثمان وكانت بيعه الرضوان بعد ما ذهب.. (١)

وما يعنينا هنا هو اعتراف ابن عمر وشهادته أما تبريره ودفاعه عن عثمان فهذا أمر يعود اليه ولا يسلم به الخصم، فضلا عن أن الروايات التى تؤكد صحه هذا الدفاع والتبرير هى محل شك خاصة لديه.. (٢)

●●●

---

(١) المرجع السابق ج١٨/٥

(٢) انظر سيرة ابو هريرة فى كتب التراجم والتاريخ وهدى السارى مقدمة فتح البارى لابن حجر..

شهادة أبوهريرة..

قال عن نفسه : يقولون أن أبا هريرة يكثر الحديث، والله الموعد ويقولون ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه ؟

وان اخوتى من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وان اخوتى من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم، وكنت امرءا مسكينا ألزم رسول الله ﷺ على ملىء بطنى فاحضر حين يغيبون وأعى حين ينسون.. (1)

وهذه الشهادة تمثل اتهاما لجميع الصحابة بالاهمال والتقصير فى حق الرسالة والنبى ﷺ والانشغال عنه طوال الوقت..

وهو ما يتناقض مع قوله تعالى : ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله..﴾.

ويبدو ان الصدام كان شديدا بين أبى هريرة والصحابة الآخرين الذين كانوا ينكرون عليه كثرة الرواية عن الرسول ﷺ..

روى مسلم : خرج الينا أبو هريرة فضرب بيده على جبهته

فقال : ألا انكم تحدثون أنى أكذب على رسول الله لتهتدوا وأضل الحديث.. (2)

وقد زجره عمر بقوله : لتتركن الحديث عن رسول الله ﷺ أولألحقنك بأرض دوس أو بأرض القرده.. (3)

وقال لعائشة لما استوقفته فى أمر الأحاديث : يا أماه انه كان يشغلك عن رسول الله المرآة والمكحلة.. (4)

●●●

---

(1) انظرترجمة الثلاثة فى كتب التراجم وسوف تاتى الاشارة لذلك..

(2) كتاب اللباس باب اذا انتعل أحدكم فليبدا باليمين..

(3) رواه ابن عساكر ج٥/٢٣٩ وكنز العمال حديث رقم ٤٨٨٥

(4) رواه الحاكم فى المستدرك ج٣/٥٠٩ وهذه الرواية ضد عائشة وما نسب اليها من روايات..

نماذج من صحابة الإمام على

- بلال بن ابى رياح ترك المدينة ورفض الآذان بعد وفاة الرسولﷺ ثم رأى النبى فى المنام فعاد للمدينة وتمرغ بتراب قبرهﷺ وجعل يقبل الحسن والحسين.

- تميم بن زيد أخو عبد الله بن زيد الأنصارى المازنى روى : رأيت رسول اللهﷺ يتوضأ ومسح الماء على رجليه.

- بشير بن عقبة الأنصارى الخزرجى الحارثى شهد صفين مع الامام على..

- بشير بن عمرو بن محصن قتل بصفين مع الامام على..

- البراء بن عازب شهد الجمل وصفين والنهروان مع على..

- ثابت بن عبيد الأنصارى شهد بدرا وشهد صفين مع على..

- ثابت بن قيس شهد مع على الجمل وصفين والنهروان وقتل أبناؤه الثلاثة فى وقعة الحرة..

- جابر بن عبد الله بن حرام شهد صفين مع على..

- جارية بن زيد شهد صفين مع على..

- جارية بن قدامه كان من أصحاب على وشهد معه حروبه..

- جبله بن ثعلبه الأنصارى شهد بدرا وشهد صفين مع على..

- جبير بن الحباب شهد صفين مع على..

- جندب بن زهير قتل مع على بصفين..

- جندع الانصارى الأوسى روى حديث من كذب على متعمداً، وحديث الغدير..

- الحارث بن حاطب بن عمرو شهد بدراً وشهد صفين مع على..

- جارية بن قدامه كان من أصحاب على وشهد معه حروبه..

جارية بن زيد شهد صفين مع على..

- جبر بن أنس شهد مع على..

- جبله بن عمر الأنصارى شهد مع على صفين..

- جبير بن الحباب شهد مع على صفين..

- جرول بن مالك من أصحاب على هدم بسر بن أرطأه داره بالمدينة..

- حازم بن أبى حازم الأحمس قتل مع على بصفين..

- حجاج بن عمرو شهد مع على صفين وكان يقول أثناء القتال : يا معشر الأنصار أتريدون أن نقول لربنا اذا لقيناه ﴿انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾ أخرجه الثلاثة..

- حجر بن عدى المعروف بحجر الخير شهد مع على صفين والجمل والنهروان، من أعيان الصحابة وتابعه جماعة من شيعة على، قتله معاوية عام ٥١ هـ بمرج عذراء وقبره مشهور وكان مجاب الدعوة..

- حصين بن الحارث شهد مع على مشاهده..

- عبد الله بن ياسر أخو عمار شهد الحديبية وهو ابن سبع عشرة سنة وكان أميرا على الكوفة وشهد مع على صفين والجمل والنهروان..

- عبيد بن خالد السلمى البهزى روى عنه جماعة من الكوفيين شهد مع على صفين..

- عدى بن حاتم الطائى شهد مع على الجمل وصفين والنهروان..

- عبد الله بن بديل قتل هو وأخوه عبد الرحمن بصفين مع على وكان من وجوه الصحابة..

وله خطبه يوم صفين قال فيها : ألا ان معاوية ادعى ما ليس له ونازع الأمر أهله ومن ليس مثله، وجادل بالباطل ليدحض به الحق، وصال عليكم بالأحزاب والأعراب، وزين بهم الضلاله، وزرع فى قلوبهم حب الفتنه، ولبس عليهم الأمر، وأنتم والله على الحق على نور من ربكم وبرهان مبين، فقاتلوا الصغاه الجفاه ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم..﴾ وتلا الآية

وهذه نماذج قليلة ذكرناها من أجل تفهم موقف الشيعة من هؤلاء وغيرهم، و من أراد المزيد فأمامه كتب السير و التراجم..

أما ما يتعلق باللعن فإن الشيعة يعتقدون بلعن أشخاص بعينهم خلافاً لأهل السنة الذين لا يجيزون لعن المعين..

وقد ورد اللعن فى القران فى اكثر من ثلاثين موضعا شمل الكافرين والمنافقين والظالمين والفاسقين من المسلمين..

وعلى هذا الأساس فإن اللعن فى مفهوم الشيعة من الممكن أن يطول الصحابى و التابعى والحاكم والفقيه وغيرهم، و تحقق الصحبة لا يعنى العدالة للصحابى فهو كغيره من الناس يجرى عليه ما يجرى عليهم..

وأهل السنة ربطوا مفهوم عدالة الصحابى بصحبته للرسول و ليس بعمله، و هذا هو جوهر الخلاف فى هذه المسألة..

أهل السنة يركزون على مجرد الصحبة..

والشيعة يركزون على العمل و السلوك..

وتعديل الصحابة جملة عند الشيعة منافٍ لصريح القرآن الدال على وجود منافقين وفاسقين ومؤذين لله وللرسول ومفهوم اللعن الوارد فيه و منافٍ لقوانين الطبيعة البشرية فى الميدان الاجتماعى، و العدالة أمر ممكن و لكن بالنسبة الى أفراد دلت الشواهد العملية منهم على تحقيق العدالة فيهم فعلاً، و ليس بالنسبة الى المجتمع ككل، إذ أن الإمكان شىء و التحقق شىء آخر، فنظرية عدالة الصحابى لا تتحدث عن الإمكان، وإنما تتحدث عن تحقق العدالة فى كل الصحابة دون أن تنظر فى سلوكهم، بل دون أن تقبل النظر فى ذلك.[1]

والنصوص القرآنية الواردة فى الصحابة والتى تعتمد عليها السنة فى مدحهم على العموم ترى فيها الشيعة هذا المدح لا يعنى العدالة المطلقة لأنه أرتبط بفترة من حياة

---

(١) انظر مفهوم اللعن و السب فى القرآن وهو من اصدار المجمع العالمى لأهل البيت.

هؤلاء الصحابة الذين قصدتهم الآيات و العمل الذى استحقوا عليه المدح و الثناء، و لا يعنى إضفاء العدالة عليهم حتى مماتهم إذ أن من الممكن أن يرتكبوا بعد هذا الخطاب أو بعد وفاة النبى ما يخالف العدالة..

أما السب فيتنافى مع نصوص القرآن و السنة و الخلق القويم، فمن ثم هو مرفوض فى نهج أهل البيت و لا يعبر عن أخلاقهم.[1]

ولقد برزت صوراً عديدة من السب على ألسنة الشيعة فى الماضى و الحاضر إلا أن هذا السلوك لا يخرج عن كونه رد فعل لحالة الاضطهاد من قبل أنصار التيار السنى السائد والقوى الحاكمة التى تدعمه، و هو سلوك ارتبط بعوام الشيعة أكثر من ارتباطه بالخواص منهم..

ولقد استثمر أهل السنة فكرة سب الصحابة لصالحهم فضخموها ودعموها بالفتاوى المتطرفة التى استغلها الحكام فى ضرب الشيعة وتصفيتهم..[2]

إلا أن أمر السب واللعن وقع بين الصحابة وبعضهم وبين التابعين والحكام وتفشى بين القوم بعد وفاة رسول الله ﷺ..

وذكر بعض المفسرين أن الشجرة الملعونة فى القرآن هى شجرة الحكم بن أبى العاص و الرؤيا هى رؤيا النبى ﷺ فى المنام، أن ولد مروان بن الحكم يتداولون منبره و لهذا لعن الرسول الحكم، و لعن ما فى صلبه.. [3]

ولعن عبد الله بن عمر ولده بلال حين منع أهله من الذهاب الى المساجد..

وقال لولده: لعنك الله. لعنك الله. لعنك الله. تسمعنى أقول أن رسول الله ﷺ أمر أن لا يمنعن.. [4]

---

(١) المرجع السابق..

(٢) روى ابن الأثير فى حوادث عام ٧٠٤ هـ: و فى هذه السنة قتلت الشيعة فى جميع بلاد أفريقيا سبب اتهامهم بسب الشيخين. الكامل جـ٩/١١. انظر فتوى السبكى بجواز قتل لاعن الشيخين فى الصواعق المحرقة وأنظر رسائل أبن عابدين واعتبر فقهاء السنة أن من يسب الشيخين و يلعنهما فهو كافر ومن يفضل علياً عليهما هو مبتدع..

(٣) انظر تفسير الرازى و القرطبى و الألوسى تفسير آية رقم ٦٠ سورة الإسراء..

(٤) جامع بيان العلم و فضله جـ١٦/٤١٤ حديث رقم ٤٥١٧١٨

ولعن معاوية الإمام على و سبه على المنابر.[1]

ولعن وكيع بشر المريسى و قال: عليه وعلى أصحابه لعنة الله..[2]

ولعن يحيى بن معين الحسين بن على الكرابيسى الشافعى..[3]

هذا بالإضافة الى لعن يزيد بن معاوية..[4]

إن الأزمة بين السنة و الشيعة فيما يتعلق بالصحابة تنحصر فى موقف أهل السنة المغالى فى أمرهم، حيث يرون أن المخالف لهذا التصور من الشيعة وغيرهم يعد من المبتدعين الضالين، و يبدو هذا الموقف المغالى فى أبى بكر و عمر خاصة حيث قالوا بأن إيمان أبو بكر يوزن بإيمان الأمة، و أن القرآن يتنزل على رأى عمر كما ذكرنا..[5]

والشيعة يرون أن هذه الهالة المقدسة من حولهما لا مبرر لها شرعاً بل هى من صنع السياسة..

والخلاصة أن الروايات التى يستند إليها أهل السنة لرفع مكانة أبو بكر وعمر لا قبول لها عندهم، كما أن السنة لا تقبل بروايات الشيعة المتعلقة بأهل البيت عندهم..

إلا أن الخطأ الذى يقع فيه فقهاء أهل السنة هو أنهم يحتجون على الشيعة دائماً بروايات البخارى و مسلم و كتب السنن المتعلقة بأبى بكر وعمر وغيرهم..

قال الآمدى: اتفق الجمهور على عدالة الصحابة..

وقال قوم: إن حكمهم فى العدالة حكم من بعدهم فى لزوم البحث عن عدالتهم فى الرواية..

---

(١) انظر سيرة معاوية فى كتب التاريخ و هو امر مشهور. و سيرة عمر بن عبد العزيز الذى رفع السب..

(٢) خلق أفعال العباد للبخارى..

(٣) تهذيب التهذيب جـ٢/٢٦. رقم ٦.٨

(٤) نظر سيرة يزيد بن معاوية فى كتب لتاريخ و قد اختلف أهل السنة فى تكفيرة وولى عهدة من بعده , و قالت طائفة أنة كافر أنظر الصواعق المحرقة , و لأبن الجوزى كتاب يسمى الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد أجاز فية لعنه و نقل القول باللعن عن العلماء الورعين..

(٥) انظر كتب السنن أبواب فضائل أبو بكر و عمر و هل معنى أن إيمان أبو بكر يوزن بإيمان الأم، أنه يشمل إيمان رسول الله أيضا؟

ومنهم من قال: إنهم لم يزالوا عدولاً الى حين ما و قع الاختلاف والفتن فيما بينهم وبعد ذلك فلا بد من البحث فى العدالة عن الراوى أو الشاهد منهم إذا لم يكن ظاهر العدالة..

و منهم من قال: إن كل من قاتل علياً عالماً منهم فهو فاسق مردود الرواية و الشهادة على الإمام الحق..

ومنهم من قال: يرد رواية الكل و شهادتهم لأن أحد الفريقين فاسق و هو غير معلوم ولا معين.. [1]

وهذه الآراء فى الصحابة وعدالتهم نقلها الآمدى عن بعض فقهاء أهل السنة..

وفى مواجهة رؤية الشيعة تجاه الصحابة وحساسية أهل السنة تجاه هذه المسألة صدرت العديد من المؤلفات على مستوى الماضى والحاضر تهدف الى تثبيت رؤية أهل السنة تجاههم واضفاء الشرعية على هذه الرؤية..

وقد أصدر حنابلة العصر منشورا حول هذا الموضوع بعنوان ﴿فضائل الصحابة﴾ رداً على الشيعة قدم له وراجعه العديد من رموزهم أحببنا أن نجرى له قراءة سريعة من باب اتمام الفائدة..

وأول النقاط التى تستوقفنا هنا هى أن الكاتب سيراً مع معتقد أهل السنة قرر فى بداية كتابه ان التشكيك فى الصحابة والتجرأ عليهم يعد تشكيكاً فى القرآن الكريم والسنة النبوية..

وهذه صورة من صور الغلو التى وقع فيها أهل السنة قديماً وحديثاً بربطهم النصوص بالرجال..

وقد فات هؤلاء أن الذين يتخذون هذه المواقف ويتبنون هذه الرؤى انما يركزونها تجاه نماذج بعينها من الصحابة، فهو لا ينكرون وجودهم وانما ينكرون بعضهم ولا يسلمون بصحبتهم للرسولﷺ..

---

(١) الاحكام ج٢/١٢٨

والرؤية السنية هذه انما تقوم على التعويم والتعتيم فلا يعقل ولا يقبل ان هذه النصوص القرآنية والنبوية التى ذكرت الصحابة قد قصدت اضفاء المشروعية والقداسة على جميعهم دون استثناء، ومثل هذه التفسير تفوح منه رائحة السياسة ولا صله بالدين..

وقد حاول هذه الحنبلى المتطرف أن يؤكد أن القبول بفكرة عدالة الصحابة ورؤية أهل السنة فيهم هى من ثوابت الدين عند المسلمين من خلال التأكيد على أن المسلمين ملزمون باتباع سنة النبىﷺ وما ثبت من الحديث الصحيح، بل لا يجوز لمسلم انكار حرف واحد من القرآن الكريم أو حديث صحيح ثبت نسبته للنبىﷺ كما لا يجوز الرد على الله تعالى وعلى نبيه وغير ذلك من الأصول التى تلقاها المسلمون بالقبول والاجماع..

ومن المعلوم أن الناقل للقرآن الكريم والحديث الشريف هم الصحابة، ومن ثم كان الطعن فيهم طعناً فى القرآن الكريم والحديث الشريف وتشكيكاً فى صحتهما..

وهذا الكلام القديم فيه تدليس وتضليل من أوجه كثيرة :

الأول : ان خصوم اهل السنة والذين يتبنون رؤية مخالفة فى الصحابة هم يؤمنون بالكتاب والسنة ويتمسكون بهما..

الثانى : ان ربط السنة بالكتاب صورة من صور التضليل لأن الكتاب فوق السنة وحكم عليها..

الثالث : ان الحديث الثابت عند أهل السنة ليس ثابتا عند غيرهم..

الرابع : ان المخالف ليس راداً على الله ورسوله بل هو راد لأقوال أهل السنة..

الخامس : ان الخصم غير مسلم بأن الناقل للقرآن والحديث هم الصحابة..

السادس : ان الخلاف حول الصحابة يدور فى محيط تفسير النصوص القرآنية والنبوية المتعلقة بهم..

ومن هنا يتبين لنا ان هناك خطأ فاحش فى المقدمات وهذا بالطبع يؤدى الى بطلان النتائج المترتبه عليها..

وينقل لنا الكاتب البرهان على غلوه وتطرفه بقوله : من ظن بالصحابة التواطؤ على مخالفة أمر الله وأمر رسوله ومضادته فى حكمه، ومن وصل الى هذا المقام فقد خلع ربقة الاسلام وكفر باجماع الأئمة الأعلام، وكان اراقة دمه أحل من اراقة المدام..

وهذا الكلام هو لابن كثير تلميذ ابن تيمية نقله صاحبنا نقل المسلمات من باب ارهاب القارىء..

ثم أورد بعض الآيات التى وردت حول الصحابة وغرق فى تفسيرها حسب منهج أهل السنة..

وقد فصلت هذه الآيات قطاعات الصحابة وأدوار من كانوا حول الرسولﷺ..

فمنهم : الذين آمنوا و هاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله..

ومنهم : الذين أووا ونصروا..

ومنهم : الذين آمنوا ولم يهاجروا..

ومنهم : الذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا..

وهذه الاصناف قد حوتها اية سورة الانفال (٧٢ : ٧٥)

وهى واضحة فى تصنيف من كان حول الرسولﷺ وقد حددت أن الأصناف الثلاث الأول هم المؤمنون حقاً..

قال سبحانه : ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم..﴾.

ثم ذكرت الآيات الصنف الرابع..

قال سبحانه : ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شىء عليم..﴾.

ومـن هذا يتـبـين لنـا أن الصنـف الرابع ليس كـالأصناف الثـلاث الأول ولا هـو من درجتهم.. وهذا التصنيف ينطبق على جميع ايات القران الخاصة بالذين امنوا وهاجروا وجاهدوا..

ثم ذكر قوله تعالى : ﴿والسابقون الأولون من المهاجـرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم..﴾ «التوبه ١»

وهذا النص القرآنى يدعم ما سبقه ويؤكد التصنيف، فهو قد ذكر السابقون الأولون ولم يذكر السابقون فقط..

اذن هم صنف من السابقين وفى مقدمتهم..

وهذا يعنى أن هناك سابقين بعد هؤلاء وبالطبع هم ليسوا بدرجتهم كذلك قوله سبحانه : ﴿لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم لرؤوف رحيم..﴾

«التوبة/١١٧»..

والتوبه هنا قد شملت قطاع من المهاجرين والأنصار وهم الذين اتبعوه فى ساعة العسرة.. وحتى هذا القطاع أصاب قلوب البعض منهم زيغ..

والسؤال هنا : هل هذه التوبة تشملهم حتى مماتهم. أم هى مرتبطة بالحادث الذى نزلت فيه الآية ؟

والتوبة هنا تشبه تلك التوبه على الثلاثة الذين خلفوا والذين ذكروا فى الآية التالية للآية السابقة، فهى توبة خاصة مرهونة بما فعلوه وهو التخلف عن رسول الله ﷺ ؟

وفى الآية الثالثة بعد ذكر التوبه على هذا القطاع جاء قوله تعالى : ﴿يأايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ وهذه الآية قد تجنب الاشارة اليها هذا الحنبلى ودخل فى آيات أخرى..

إلا أن هذه الآية تشير الى مدلول هام وقطاع اخر ممن كانوا حول الرسول ﷺ وهو قطاع الصادقين..

ومعنى الآيات الثلاث يكون اذن أن على قطاع المذنبين الذين تاب الله عليهم أن يبرهن على توبته واستقامته بالانضمام الى قطاع الصادقين..

والسؤال هنا هو : من هم الصادقون ؟

وهل هم قطاع خاص من الصحابة. أم جميعهم ؟

ويستمر القرآن فى التأكيد على فكرة التصنيف بقوله تعالى : ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾
«الاحزاب/٢٣»

ومن هنا تفيد التبعيض..

كذلك الآية الخاصة بأصحاب بيعة الرضوان هى خاصة بذلك القطاع من المؤمنين الذين بايعوا تحت الشجرة..

والسؤال هنا : من هم هؤلاء ؟

وهل كانوا جميع الصحابة ؟

ولماذا لا يكونوا هم الصادقون ؟

وقوله سبحانه : ﴿لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير﴾.
«الحديد/١»

وهذه اشارة أخرى الى التصنيف فالذين انفقوا من قبل وقاتلوا أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا، درجتهم تقتضى أن الحسنى التى وعدهم الله سبحانه بها غير درجة الحسنى التى وعد بها من هم أقل درجة..

وجاء هذا الناقل بنص من آخر سورة المجادلة يقول سبحانه : ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم روح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون﴾.

وقال معلقاً : نزول هذه الآية فى بعض الصحابة لا ينفى عمومها وشمولها لكل من اتصف بهذه الصفات من المؤمنين الى يوم القيامة وهو بهذا القول يريد التمويه على مدلول النص وكونه خاص بقطاع محدد..

الا أن هذا الغافل فاته أن سورة المجادلة بكاملها تتحدث عن قطاعات ممن كانوا حول الرسولﷺ ووقعوا فى دائرة الذم..

وهذه القطاعات هى :

- أصحاب الظهار ﴿الذين يظاهرون منكم من نسائهم ماهن امهاتهم ان امهاتهم الا اللاتى ولدنهم وانهم ليقولون منكراً من القول وزوراً وان الله لغفور رحيم﴾.

- الذين يحادون الله والرسول ﴿ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا ايات بينات وللكافرين عذاب مهين﴾.

- أهل النجوى ﴿الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾.

- المغضوب عليهم ﴿ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون.أعد الله لهم عذاباً شديداً انهم ساء ما كانوا يعملون﴾.

- أولياء المغضوب عليهم كما هو واضح من النص السابق..

وكان يجب على هذا الغافل أن يربط الآيات ببعضها وهو يخوض فى القرآن وكيف له ذلك والنتيجة ليست فى صالحة ؟

ثم ان الآية الأخيرة من سورة المجادلة التى ذكرناها تشير الى نقطة هامة تتعلق بهذا القطاع الذى قصدته وهى التأييد بروح الله تعالى، وهذا يعنى ان هذا القطاع يمثل فئة خاصة تسير على نهج الله وصراطه المستقيم والا ما استحقت هذا التأييد الالهى، وهذه الفئة هى نفس الفئة الصادقة المشار اليها سابقاً..

وهى فئة كتب الله فى قلوبهم الايمان وهذا يعنى تميزهم وعلوهم على غيرهم..

وما دام الله سبحانه قد أيدهم بروح منه وكتب فى قلوبهم الايمان فلا بد أن ينالوا الرضا الالهى ولابد أن يكونوا حزب الله..

أما أصحاب الصفات الأخرى الذين ذكرتهم السورة فقد قال الله فيهم : ﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون﴾.

وهذا يقودنا الى حقيقة هامة بارزه فى واقع الرسولﷺ وهى أن هناك حزبان من بين من حوله :

حزب الله..

وحزب الشيطان..

وقد حدد القرآن فى آيات أخرى أن الفقراء المهاجرين الذين تركوا أموالهم وديارهم ابتغاء فضل الله ورضوانه ونصرته ونصرة رسوله أولئك هم الصادقون..

كذلك الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم الذين يحبون من هاجر اليهم.... إلخ

وهذا التحديد يخص هذه الاصناف من المهاجرين والأنصار..

وقوله تعالى : ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤوف رحيم﴾ «الحشر/١٠».

وهذه الآية يستند عليها فقهاء أهل السنة على الدوام لاثبات فكرة التعويم والتعتيم التى يتبنونها تجاه الصحابة..

والآية فى الحقيقة إنما تشير الى التخصيص وليس التعميم فالذين جاءوا من بعد هؤلاء هم فئة خاصة سارت على نفس النهج فهى تدعوا لمن سبقها على درب الايمان، وتدعوا الله ان يطهر قلوبهم نحوهم، فان الغل من نوازع النفس الثابته التى لن تتطهر منها الا فى الجنة..

وهو ما يتضح من قوله تعالى عن الجنة ﴿ونزعنا ما فى قلوبهم من غل اخوانا على سرر متقابلين﴾.

والاشارة الى الغل هنا تعنى ان هناك ما يدعوا اليه، ومن هنا كان الدعاء من قبل الذين جاءوا بعد الفقراء المهاجرين الذين حصلوا على المأوى والرزق فى المدينة قبلهم..

وقضية الايمان تلازم قضية الاحسان فيما يتعلق بالصحابة فى القرآن، فان الفئة المؤمنة المشار اليها بالتأييد والصدق فى الالتزام تتبعها فئة أخرى وهى ﴿الذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه﴾..

ولفظ : يا أيها الذين امنوا فى القرآن انما هو خطاب لا يعنى اضفاء صفة الايمان على كل من حول الرسولﷺ انما يعنى التحريض على وجوب الالتزام بمقومات الايمان واتمامه..

وهو ما يتضح لنا من قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيداً. ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا﴾ «النساء/١٣٦ : ١٣٧».

من المقصود بهذا الكلام إذن ؟

أليس هم من حول الرسولﷺ ؟

الا يكشف لنا النص أن هناك من يتلاعب بقضية الإيمان ويشكك فى أركانه ومقوماته..؟

ويحاول القدامى والمعاصرون دائما التمويه على هذه الحقائق القرانية بالاستناد الى قوله تعالى : ﴿محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراه ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ الفتح/٢٩..

وهذا النص انما يؤكد ما سبق..

وهل كل من حول الرسول ﷺ هذه صفاتهم ؟

كلا ان النص يحدد ذلك بقوله تعالى : والذين معه، وهى تعنى المؤمنين به وبدعوته..

وتعنى التصنيف أن هناك فئة خاصة تتصف بهذه الصفات واذا كانت هذه هى صفات الصحابة كما يدعون، فهلا أجابونا على السؤال التالى : هل تشمل هذه الآيات من استحق الصحبة بعد نزولها ؟

أم هى خاصة بمن كان مع الرسول ﷺ وقت نزولها ؟

فاذا قالوا بشمولها لكل الصحابة قبل نزول الاية وبعدها فقد ضلوا..

واذا قالوا أنها خاصة بفئة محددة هم من كانوا مع الرسول ﷺ وقت نزولها فقد أقروا بأن ﴿منهم﴾ المذكورة فى الآية تفيد التبعيض وبهذا تسقط دعواهم..

ثم أين نذهب بتلك الآيات التى تركز على النفاق والمنافقين فى حياة الرسول ﷺ ؟

أن هؤلاء المغيبين يقولون ان الصحابة غير المنافقين. وهم يسعون بذلك الى نفى صفة النفاق عن الصحابة ثم يلقونها على خصومهم الذين يقولون فيهم بغير قولهم..

واذا كانت كل هذه القطاعات التى نزلت فيها هذه الآيات بالذم والانكار خاصة ما ورد فى سورة براءة وهى قطاعات كثيرة _ اذا كانت كلها من المنافقين، فمن بقى اذن حول الرسول ﷺ ؟

وهذا التصور يضعنا بين أمرين :

الأول : إذا أقررنا بنزول هذا الكم الكبير من الآيات فى المنافقين وأنهم غير الصحابة، فهذا يدعونا الى الإقرار بأن هناك فئة خاصة من الصفوة المنتجبه الخلص استخلصها الرسول ﷺ وهو ما يظهر لنا من خلال نصوص القرآن التى تركز على القلة..

الثانى :التوقف فى أمر الصحابة بمجموعهم لافتقادنا القدرة على الفصل بينهم وبين المنافقين..

والشيعة قد قبلت الأمر الأول..

أما أهل السنة فتجاوزا الأمرين وابتدعوا أمراً ثالثاً وهو اعتبار جميع من كانوا حول الرسول ﷺ القديم منهم والجديد المجاهد وغير المجاهد والمنفق وغير المنفق والمهاجر وغير المهاجر، اعتبروا جميعهم عدولاً وعلى درجة واحدة..

وعلى ضوء هذا التصور أفسح الطريق وفتحت الأبواب على مصارعها للمنافقين..

والبرهان الساطع والدليل القاطع على بطلان هذا التصور هو ادخالهم مثل ابو هريرة وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد ثم معاوية وغيرهم فى دائرة من تشملهم ايات القران التى تتحدث عن السابقين والمهاجرين والمجاهدين والمنفقين فى سبيل وهم لا صله لهم بالسبق أو الهجرة أو الجهاد أو الانفاق..

وهذا الخلط المتعمد هو من صنع السياسة ولا صلة له بالدين والقصد منه هو التعتيم على الفئة المنتجبه التى اصطفاها النبى ﷺ وهم أهل البيت (ع) ومن تبعهم باحسان..

وفى القسم الثانى من المنشور انشغل كاتبه بالروايات التى تتعرض للصحابة واعترف بصحتها أهل السنة تلك الروايات التى تمثل جرحا كبيرا لمعتقدهم فى الصحابة..

وقدم العديد من التأويلات والتبريرات التى تحصن بها أئمة من قديم فى وجه خصومهم.. إلا أن تبريراتهم وتأويلاتهم هذه لا تعنينا فى شىء لكون هذه الروايات تفهم عند خصومهم بغير الصورة التى يحاولون فرضها على المسلمين، وفهم أهل السنة للنصوص حجة لهم لا على المخالفين فليس من حقهم أن يلزموا الآخر بفهمهم..

من هنا ما أردنا الانشغال وشغل القارىء بهذه التأويلات والتبريرات المستهلكه عبر الزمان والتى اصطدم بها العديد من الفقهاء على مستوى الماضى والحاضر..

بقيت بعد ذلك مسألة أمهات المؤمنين وعائشة خاصة وتساؤلاتهم لماذا تزوجها النبى وارتبط بها وجعلها من أمهات المؤمنين، فزواج النبى بها وبحفصة يضعهما فى دائرة بعيدة عن الشبهات.. ؟

وبخصوص هذه المسألة نطرح السؤال التالى : لماذا سلطت الأضواء على عائشة من دون بقية أمهات المؤمنين ؟

والجواب يكمن فى مسألة التصنيف، فمثلما كان الصحابة أصناف، كذلك كانت أمهات المؤمنين هن أصناف، منهن من التزم بصفة الأمومة واستقام على أمرها، ومنهن من أتى بما يناقضها..

وعائشة وحفصة نزل فيهما قرآن وسورة كاملة هى سورة التحريم..

وعائشة خالفت قوله تعالى: ﴿وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ «الأحزاب/٣٣»

وخرجت لتقاتل إمام المسلمين وتسببت فى إراقة الدماء ووقوع الفتنه..

بينما نساء النبىﷺ الأخريات لا يقول فيهن أحد شيئا، أما القول فى عائشة وحفصة لما ارتبط بهما من قرآن وحوادث..

وثورة القوم على الخائضين فى هذا الأمر تعود لكونهما ابنتا الخليفة الأول والثانى، والمساس بهما يعنى المساس بوالديهما..

وأتصور لو لم تكن عائشة وحفصة ابنتى ابو بكر وعمر لكان الأمر يختلف كثيراً..

واذا كان زواج النبى ﷺ من عائشة وحفصة يعنى أنهما كانا على الصراط المستقيم ويعد دليلا لدحض كل الشبهات المتعلقة بهما، فما القول فى نوح ولوط وقد تزوجا بامرأتين غير صالحتين خانتاهما وضرب الله سبحانه بهم المثل فى سورة التحريم ؟

أما ما استدل به حنابلة العصر فى كتبهم من أن عمر تزوج بكلثوم ابنة الإمام على وكذلك مسألة زواج عثمان من ابنتى النبى ﷺ رقية وكلثوم واتصافه بذى النورين لهذا، فهذه مسائل تقوم على روايات هى محل خلاف بين الطرفين، وهى فى النهاية لا تشكل خلافاً جوهرياً..

وكل هذه احتمالات وهذا هو شأن الروايات التى لايمكن القطع بثبوتها ومادام الأمر دخل دائرة الاحتمال فقد سقط به الاستدلال..

ومما سبق عرضه فى أمر الصحابة يوجب على أهل السنة أن يتناولوا المسألة بشىء من الاعتدال ويتقبلوا الرأى الآخر فيهم لا أن يعتبروا أمرهم أمر دين، فالدين شىء والرجال شىء آخر ولا ينبغى الخلط بين الدين والرجال..

وكما عرضنا أحوال الصحابة وسيرتهم والخلافات الدائرة حولهم بين الفقهاء والمؤرخين فان هذا العرض يستوجب التسامح مع ناقديهم خاصة أن الاتجاه الناقد يهدف فى الأصل الى حماية الدين وكشف المنافقين وهو مركز على قطاع منهم لا على جميعهم..

وعلى أهل السنة أن يتقبلوا الذين انتخبوا علياً..

وعلى الشيعة أن يتقبلوا الذين انتخبوا أبا بكر..

وعلى الشيعة أيضاً أن يتحرروا من العقدة التاريخية تجاه الخليفة الأول والثانى والتأسى بموقف الإمام على الذى تعايش معهما..

إلا أن مايجب إيضاحه هنا هو أن هناك حالة من الخلل فى الوقائع التاريخية المتعلقة بالخليفة الأول والثانى وعلاقة الإمام على بهما وعلاقتهما به. فقد تعايش معهما ولم تظهر من جهته أى مواقف عدائية تجاههما بل كان بمثابة مستشار لهما، وهذا ما تؤكده الشواهد والنصوص التاريخية..

وتعايشه معهما يعنى أن الأمر لم يكن يفرض التصادم والعداء والمحاربة، ولا يعنى بحال أنه كان يجاريهما من باب التقية كما يزعم البعض..

وعندى أن افتعال هذه الخصومة والوقيعة بين الصحابة وأهل البيت كان من صناعة الأمويين فيما بعد، وعندما أقول الصحابة إنما اقصد بهم من يستحق الصحبة لا كل من حشر فى دائرتهم وفق التعريف العائم الذى حدده الفقهاء فيما بعد، وقد لعبت الحكومات العباسية من بعدهم دوراً فاعلاً فى تعميق هذه الرؤية العدائية المنسوبة لبعض الصحابة تجاه أهل البيت عن طريق خلق العديد من الروايات التى تبرر هذه الرؤية وتدعمها واشاعتها بين المسلمين..

وهذا يفرض علينا ونحن نعيش هذا العصر المفتوح الذى لا مكان فيه للخرافة والجمود والتعصب أن نعيد قراءة تاريخ الصحابة وأهل البيت وتنقيته وتهذيبه مما علق به بفعل السياسة والمذهبية..

وقد مارس الإمام علىٌ شتى صور الاعتدال وفتح باب الحوار مع خصومه حتى الخوارج حاورهم وتسامح معهم واعتبرهم إخوة بغوا عليه..

وكان هذا هو نهج أئمة أهل البيت من بعده فى مواجهة خصومهم وأعدائهم، وهو النهج الذى يجب على الشيعة أن يتبنوه ويتخلقوا به..

■ ■ ■

7

العقائد

عقائد الشيعة
وعقائد السنة

يعد الحكم على عقائد الغير بالزيغ والضلال وتناولها بالنقد والتجريح فيه تجاوز كبير وخروج عن حدود العدل والإنصاف بالإضافة الى قواعد البحث العلمى وأدب الاختلاف..

وهذه اللغة ـ لغة المصادرة ـ ونفى الآخر التى تسود واقع المسلمين تجاه الشيعة وغيرهم منذ قرون طويلة، إنما هى نابعة من عدة عوامل :

الأول : الانتشار وحرية الدعوة والأمن الذى توافر للاتجاه السائد على حساب الاتجاهات الأخرى المخالفة..

الثانى : دعم الحكام..

الثالث : الاستعلاء والقيمومة..

الرابع : اختفاء مصادر المخالفين ورموزهم..

الخامس: العصبية المذهبية..

ومن هذه العوامل نبعت اللغة الأحادية المتشددة التى تنفى الآخر وترفض الاعتراف به..

وتصور أصحاب هذه اللغة مع حالة الأمن والسلام وحرية الدعوة التى يعيشونها واختفاء الآخر أوعدم قدرته على الظهور والدفاع عن معتقده أنهم أصحاب الحق المطلق الذى لا يخالفه أحد..

وتولدت من هذا التصور حالة من الاستعلاء والقيمومة دفعت بهم الى الاعتقاد بكونهم الفرقة الوحيدة الناجية من النار من بين فرق المسلمين..

وتولدت أيضاً حالة من التعصب نتيجة للحالة السابقة دفعت بهم الى إرهاب المخالفين وتحريض الحكام عليهم..

وتوارثت الأجيال هذا التصور الذى نراه يبرز بقوة من خلال كتب الفرق التى كتبت بلغة أحادية مستعلية ومتطرفة، ومن خلال كتب العقائد التى تحولت الى كتب مقررة نتيجة التركيز عليها من قبل الفقهاء، وكذلك التخويف من الانحراف عنها أو نبذها..

وهكذا تربى المسلمون على أساس هذا التصور وحرموا من حرية التلقى..

وحرية البحث..

وحرية التفكر..

وأدى هذا كله الى سيادة عقل الماضى والعصبية والتطرف الذى لم يتح الفرصة للاطلاع على عقائد الآخرين أو حتى الاطلاع على العقيدة السائدة التى جعلت هى الدين وأساس الحكم على الآخرين..

من هنا تولدت هذه النظرة المتعصبة للشيعة، وتولد البغض والعداء لهم، وذلك كله لا يقوم على أساس صحيح، فمادام قد وصل إلى البغض والعداء فقد خرج عن حدود الإسلام وآدابه..

وعلى ضوء ما سبق فسوف نعرض فى هذا الباب نماذج من عقائد الاتجاه السائد (أهل السنة) قبل أن نعرض عقائد الشيعة من مصادرها المعتمدة وذلك حتى تتاح للقارئ فرصة المقارنة..

عقائد أهل السنة:

حصل ابن حنبل وعقيدته على دعم خلفاء بنى العباس خاصة المتوكل وعندما سقطت الدولة العباسية سقط معها الحنابله وعقيدتهم..

ولما قامت الدولة السلجوقية التركية تبنت الاشعرى وعقيدته، ولما سقطت سقطت معها العقيدة الاشعرية، حتى جاءت الدولة الأيوبية والمملوكية من بعدها فدعمت الاشاعرة وأشاعت عقيدتهم..

كذلك دعمت الدول التى قامت فى بلاد ما وراء النهر عقيدة الماتريدى، ولما سقطت هذه الدول سقطت العقيدة الماتريديه..

وعندما برز ابن تيميه فى القرن الثامن تحصن ببعض أمراء المماليك ثم بالسلطان محمد بن قلاوون ونشر عقيدته إلا أنه لم يصمد طويلاً أمام هجمة الفقهاء عليه فتخلى الحكام عنه ومات فى الحبس واندثرت عقيدته وأفكاره..

ثم جاء محمد بن عبد الوهاب فبعث هذه العقيدة وأضاف عليها عقيدته ودعا لها بدعم من آل سعود وتمكن من نشرها فى جزيرة العرب بقوة السيف ثم تجاوزت حدود جزيرة العرب بعد ظهور النفط لتغزو بقاع العالم الإسلامى بمؤسساته ورموزه وتياراته..

ثم نبذت عقيدة النسفى الصوفى والعقائد الأخرى واعتبرت عقيدة ابن تيميه وابن عبد الوهاب هى العقيدة التى تعبر عن أهل السنة اليوم..

ولا يزال هناك اتجاه يتبناه الأزهر وبعض المؤسسات يعتبر أن جناحى عقيدة أهل السنة هم الأشاعرة والماتريديه..

من هنا اكتظ التراث بكثير من الكتابات التى تعكس عقيدة أهل السنة وتحدد موقفهم من المخالفين لهم الذين يطلق عليهم عادة أهل البدع والضلالة..

وهذه الكتابات نتجت فى فترات زمنية متباعدة كما أنها كتبت فى ظل ظروف وملابسات مختلفة..

فقد كتب أبو حنيفة الفقه الأكبر وأوضح فيه عقيدته من خلال منظوره واجتهاداته وظروف وملابسات واقعه..

وجاء من بعده ابن حنبل فكتب عقيدة أهل السنة، و الرد على الجهمية وأوضح فيه العقيدة من خلال منظور الروايات وملابسات واقعه..

وجاء من بعد ابن حنبل الأشعرى فكتب كتاب عقيدة أهل السنة، والإبانة فى أصول الديانة، ومقالات الإسلاميين، وطرح منظور للعقيدة يختلف فى بعض جوانبه مع طرح أبى حنيفة وابن حنبل..

ثم جاء الماتريدى الحنفى فطرح منظوراً للاعتقاد يختلف عن طرح الأشعرى فى بعض جوانبه..

وجاء البيهقى فكتب كتاب الاعتقاد على مذهب أهل السنة والجماعة ووضع أسس الاعتقاد على أساس الروايات التى جمعها فى سننه..

وجاء البغدادى فكتب كتاب أصول الدين حدد فيه ملامح العقيدة..

وجاء النسفى الصوفى فكتب عقيدته المعروفة بالعقائد النسفية..

وجاء ابن تيميه فكتب العقيدة الواسطية، والعقيد الاصفهانية، والعقيدة الحموية..

وجاء الطحاوى الحنفى فكتب عقيدته الشهيرة المسماة بالعقيدة الطحاوية..

وجاء محمد بن عبد الوهاب فكتب كتابه التوحيد الذى هو حق الله على العبيد..

وهذه هى أشهر وأهم كتب العقيدة عند أهل السنة إلا أن الظروف والمتغيرات التى طرأت على واقع المسلمين من زمن ظهور هذه الكتابات وحتى اليوم جعلت هذه الكتابات ورموزها فى حالة من المد والجزر..

فتارة تعلو عقيدة أبوحنيفة وتارة تختفى..

وتارة تعلو عقيدة ابن حنبل وتارة تختفى..

وتارة تعلو عقيدة الأشعرى وتارة تختفى..

وذلك كله بفعل السياسة حيث كانت الدول التى تقوم تتبنى عقيدة من هذه العقائد ورموزها وعندما تسقط تسقط العقيدة ورموزها معها..

عقيدة ابن حنبل :

أما عقيدة ابن حنبل فتنص على ما يلى :

قال ابن حنبل : هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروقها المعروفين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبىﷺ الى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها : فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق..

والسؤال الذى يطرح هنا ألا يمكن إعادة النظر فى هذا القول المتطرف الذى مضت عليه قرون طويلة.. ؟

وهل يجوز لابن حنبل أن يعلن احتكار الحق فى دائرة مذهبه بهذه الصورة الفاصلة وقد كانت الساحة الإسلامية تكتظ فى زمانه بعشرات الاتجاهات الإسلامية من شيعة ومعتزلة وأصحاب الرأى وغيرهم..؟

ألم يكن من الأجدر على ابن حنبل أن يحدد لنا من هم أهل العلم من علماء الحجاز والشام وغيرهم الذين أدركهم هل هم من مذهبه أم من المذاهب والاتجاهات الأخرى.. ؟

والظاهر من كلام ابن حنبل أن الذين أدركهم هم من فرقته أصحاب الأثر والروايات فإذا كان الأمر كذلك فكيف له أن يحكم على المخالف بالابتداع والخروج عن الجماعة والانحراف عن سبيل الحق ؟

والإجابة ببساطة أن ابن حنبل يتكلم من منطق السيادة والأمر الواقع والشيوع فهو يعبر عن اتجاه محضتن من قبل الحكام والعامة..

لنعرض إذن لبنود عقيدة ابن حنبل حتى تتضح لنا الصورة :

- الإيمان قول وعمل ونية وتمسك بالسنة والإيمان يزيد وينقص ويستثنى فيه غير أن لا يكون الاستثناء شكاً..

- من زعم أن الإيمان قول بلا عمل فهو مرجئ..

- من زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص فهو مرجئ..

- من زعم أن الإيمان هو القول والأعمال شرائع فهو مرجئ..

- ومن لم يستثن فى الإيمان فهو مرجئ..

- من زعم أن المعرفة تنفع فى القلب ولا يتكلم بها فهو مرجئ..

- القدر خيره وشره من الله..

- والزنا والخمر والسرقة وقتل النفس وأكل المال الحرام والشرك بالله والمعاصى كلها بقضاء وقدر..

- لا نشـــهـــد على أحـــد أنه فى النار أو فى الجنه إلا أن يكون فى ذلك حديث..

- الخلافة فى قريش ليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها ولا يخرج عليهم ولا نقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة..

- الجهاد ماض مع الأئمة - الحكام - بروا أو فجروا..

- الجمعة والعيدان والحج مع السلطان وان لم يكونوا برره عدولاً أتقياء..

- دفع الصدقات - الزكاة - والخراج والأعشار والفيء والغنائم الى الأمراء عدلوا فيها أو جاروا..

- الانقياد الى ولاة الأمور وعدم الخروج على السلطان تسمع وتطيع ولا تنكث بيعه فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة..

- الإمساك عن الفتنة سنة ماضية واجب لزومها..

- الكف عن أهل القبلة لا نكفر أحداً منهم بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل إلا أن يكون فى ذلك حديث..

- الأعور الدجال خارج لا شك فى ذلك..

- عذاب القبر حق..

- حوض محمدﷺ حق..

- والجنة والنار والميزان والصور والقلم واللوح المحفوظ والصراط حق..

- الشفاعة حق..

- الجنة والنار لا تفنيان..

- الله عز وجل على العرش والكرسى موضع قدميه وللعرش حمله يحملونه..

- القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمى كافر، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف ولم يقل ليس بمخلوق فهو أخبث من الأول، ومن زعم أن ألفاظنا به وتلاوتنا له مخلوقة والقرآن كلام الله فهو جهمى، ومن لهم يكفر هؤلاء القوم كلهم فهو كافر..

- ذكر محاسن أصحاب رسول اللهﷺ والكف عن مساويهم والخلاف الذى شجر بينهم..

- ومن سب أصحاب رسول اللهﷺ أو طعن عليهم أو عابهم فهو رافضى خبيث مخالف لا يقبل الله منه حرفاً ولا عدلاً..

- خير الأمة بعد النبىﷺ أبو بكر وعمر بعد أبى بكر وعثمان بعد عمر وعلى بعد عثمان، ووقف قوم على عثمان..

- لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوىء الصحابة أو يطعن فى أحد منهم فهم خير الناس بعد هؤلاء الأربعة، ومن فعل ذلك وجب على السلطان تأديبه وعقوبته وليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتيبه وأن لم يتب عاد عليه بالعقوبة وخلده فى الحبس حتى يموت أو يرجع..

- الدين هو كتاب الله عز وجل وآثار وسنن..

- التابعين وتابعى التابعين ومن بعدهم من الأئمة المعروفين المتمسكين بالسنة المتعلقين بالآثار لا يعرفون بدعه ولا يطعن فيهم بكذب ولا يرمون

بخلاف وليسوا بأصحاب قياس ولا رأى لأن القياس فى الدين باطل والرأى كذلك أبطل منه..

- أصحاب الرأى والقياس فى الدين مبتدعه ضلال..

- من زعم أنه لا يرى التقليد ولا يقلد دينه أحد فهو قول فاسق عند الله ورسوله إنما يريد بذلك إبطال الأثر وتعطيل العلم والسنة والتفرد بالرأى والكلام والبدعة والخلاف..

هذا ما حوته عقيدة ابن حنبل الذى أنزل لعناته على المخالفين من الفرق والاتجاهات الأخرى بعد عرض بنوده واعتبرهم أعداء الله طلاب دنيا وختم كتابه بالدعاء عليهم والتعجيل بالانتقام منهم محرضا الحكام عليهم..

ولم تكن جناية هؤلاء سوى أنهم خالفوا مذهبه وتوقفوا فى الروايات التى أقام عليها عقيدته معتمدين على القرآن والعقل على ما سوف نبين..

عقيدة الأشعرى

أما نصوص عقيدة الأشعرى فهى كما يلى :

- حدوث العالم..
- مخالفة الله للحوادث..
- صفات الله قديمة..
- صفات الله حقيقة اليد والقبضة والمجىء والرضا والغضب والاستواء..
- أمره وقوله سبحانه قديم..
- رؤية الله عز وجل ممكنة وواقعة..
- الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء..
- الحسن والقبح شرعيين..
- الله قدر جميع أفعال الخلق وآجالهم وأرزاقهم قبل خلقه لهم..

- الله قسم الخلق فرقتين : فرقة خلقهم للجنة وفرقة خلقهم للسعير..

- الله خالق جميع الحوادث وحده..

- جنس استطاعة الإيمان غير جنس استطاعة الكفر..

- الإنسان لا يستطيع أن يفعل ما علم الله أنه لا يفعله..

- الكافر مكلف بالإيمان والتصديق..

- الإنسان لا يقدر بقدرة واحدة على مقدورين..

- التكليف مرتبط بسلامة الأدوات..

- أن ما عليه الخلق من تصرفات قدرها الله قبل خلقهم..

- الله يتفضل على بعض خلقه بالتوفيق والهدى وحب الإيمان وشرح الصدور..

- الله لا يتفضل على بعض خلقه بالإيمان والهداية بل يضلهم..

- الله قادر على أن يخلق الناس كلهم فى النار ويكون بذلك عادلاً عليهم..

- الإيمان يزيد وينقص..

- أهل القبلة غير خارجين عن الإيمان بمعاصيهم..

- لا يقطع على أحد من العصاة أو الطائعين بالنار أو بالجنة..

- عذاب القبر حق..

- الصراط والشفاعة حق..

- وجوب التصديق بما ثبت به النقل من سائر السنن..

- وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر..

- السمع والطاعة لأئمة - حكام - المسلمين جاروا أو عدلوا أبراراً كانوا أو فجاراً، وعدم الخروج عليهم بالسيف، ودفع الصدقات لهم، وصلاة الجمع والأعياد خلفهم، وأن لا يصلى خلف أحد من أهل البدع منهم إلا أن يخاف منهم فيصليها معهم وتعاد الصلاة بعدهم..

ـ خير القرون قرن الصحابة ثم الذين يلونهم..

ـ كل من صحب النبىﷺ ولو ساعة أو رآه ولو مرة مع إيمانه به وبما دعا إليه أفضل من التابعين بذلك..

ـ الكف عن ذكر الصحابة بسوء وأن ما كان بينهم من الأمور لا يسقط حقوقهم..

ـ لا يجوز لأحد أن يخرج عن أقاويل السلف فيما اجتمعوا عليه وعما اختلفوا فيه أو فى تأويله لأن الحق لا يجوز أن يخرج عن أقاويلهم..

ـ ذم سائر أهل البدع والتبرى منهم وهم الروافض والخوارج والمرجئة والقدرية وترك الاختلاط بهم..

ـ الدعاء لأئمة المسلمين والتبرى ممن ذم الصحابة وأهل بيت النبىﷺ وأزواجه..

عقيدة الطحاوى

وتنص عقيدة الطحاوى على ما يلى :

ـ كل ما يجرى هو بمشيئة الله لا مشيئة العباد يهدى من يشاء وكلهم يتقلبون بين فضله وعدله..

ـ كلام الله ليس بمخلوق..

ـ من وصف الله بوصف من معانى البشر فقد كفر..

ـ رؤية الله حق لأهل الجنة..

ـ رفض التأويل..

ـ الأعمال بالخواتيم..

ـ عدم مخالفة جماعة المسلمين..

ـ عدم تكفير أهل القبلة بذنب ما لم يستحله..

ـ جميع ما صح عن رسول الله من البيان والشرع كله حق..

ـ أهل الكبائر لا يخلدون فى النار..

ـ الصلاة وراء كل بر وفاجر..

ـ عدم الشهادة على أحد من المسلمين بكفر أو شرك أو نفاق..

ـ عدم الخروج على ولاة الأمور وان جاروا ولا ندعو عليهم ولا ننزع يداً من طاعة.. والحج والجهاد ماضيين معهم برهم وفاجرهم الى قيام الساعة..

ـ نحب أصحاب رسول الله ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم ولا نذكرهم إلا بخير وبغضهم كفر ونفاق وطغيان..

ـ الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولا لأبى بكر تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة ثم لعمر بن الخطاب ثم لعثمان ثم لعلى وهم الخلفاء الراشدون المهتدون..

ـ من أحسن القول فى أصحاب رسول الله وأزواجه المطهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس فقد برىء من النفاق..

ـ علماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل..

ـ لا نصدق كاهنا ولا عرافاً ولا من يدعى شيئاً يخالف الكتاب والسنة..

ـ وإجماع الأمة حق، ونرى الجماعة حقاً وصواباً والفرقة زيغاً وعذاباً..

عقيدة ابن تيمية

وجاء فى العقيدة الواسطية ما يلى :

ـ أما بعد فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة. أهل السنة والجماعة..

ـ وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره وشره..

ـ ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه فى كتابه وبما وصفه رسول الله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل..

وقد دخل فيما ذكرناه من الايمان بالله الايمان بأنه سبحانه فوق سماواته، والايمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة، وأن القران كلام الله غير مخلوق..

ومن الايمان باليوم الآخر الايمان بكل ما أخبر به النبى مما سيكون بعد الموت بعذاب القبر ونعيمه والشفاعة..

ومن أصول أهل السنة أن الدين والايمان قول وعمل، وأن الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصى والكبائر..

ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ..

وخيرهذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ويثلثون عثمان ويربعون بعلى، ومن طعن فى خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله..

ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدير خم : اذكركم الله فى أهل بيتى، اذكركم الله فى أهل بيتى..

ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، ويتبرئون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويقولون أن هذه الآثار المروية فى مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون، اما مجتهدون مصيبون، واما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم من كبائر الاثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب فى الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم ان صدر، حتى أنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم..

ومن أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء وما يجرى على أيديهم من خوارق العادات فى العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتاثيرات، ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول اللهﷺ باطنا وظاهرا، واتباع سبيل السابقين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول اللهﷺ حيث قال عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، واياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، والاجماع هو الأصل الثالث الذى يعتمد عليه فى العلم والدين، ثم هم مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة، ويرون اقامة الحج والجهاد والأعياد مع الأمراء أبرارا أو فجارا، ويحافظون على الجماعات ويدينون بالنصيحة للأمة..

ويلاحظ أن هذه العقائد المذكورة لا تحوى شيئاً يتعلق بمسألة الأضرحة والزيارات وشد الرحال والتوسل بالأولياء والصالحين تلك الأمور التى جعلها التيار السلفى الوهابى من أساسيات العقيدة ومن نواقض التوحيد، كما يلاحظ فى عقيدة ابن تيمية أنه نص على وصية رسول اللهﷺ فى أهل البيت والاعتراف بحديث غديرخم والكرامات بالإضافة الى غلوه فى الصحابة..

●●●

عقائد الشيعة :

أما عقائد الشيعة فتتركز فيما يلى :

- التوحيد..

- النبوة..

- المعاد..

- العدل..

- الإمامة..

أولا : التوحيد ويعنى لا إله إلا الله

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازى : إن ذات الله منزهة عن كل عيب ونقص وتتصف بجميع الكمالات، بل هو الكمال المطلق ومطلق الكمال..

أو بعبارة ثانية : ان كل كمال وجمال فى هذا العالم نابع من ذاته المنزهة :

﴿هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارى المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ الحشر/٢٣ : ٢٤..

والصفات المذكورة فى هاتين الآيتين الكريمتين تمثل بعض الصفات الجمالية والجلالية الإلهية..

إن وجود الله غير متناه من حيث العلم والقدرة والحياة الأبدية، ولهذا لا يكن حصره فى الزمان والمكان، لأنهما محدودان، وإنما هو حاضر فى كل زمان ومكان لأنه فوقهما..

﴿وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله وهو الحكيم العليم﴾ الزخرف/٨٤

ولا تعنى بعض الآيات الكريمة من قبيل :

﴿ذو العرش المجيد﴾ البروج/١٥..

﴿الرحمن على العرش استوى﴾ طه/٥

إن له مكاناً خاصاً به تعالى، وإنما تثبت هذه الآيات حاكميته وسلطته على كل العالم المادى وعالم ما وراء الطبيعة، لأننا إذا حددنا له مكاناً خاصاً فقد حددناه ووصفناه بصفات المخلوقين، واعتبرناه مثل سائر الأشياء..

والحال أنه ليس مثلها، كما قال تعالى عن نفسه :

﴿ليس كمثله شىء﴾ الشورى/١١..

﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ الإخلاص/٤..

إن الله تعالى لا يمكن رؤيته، لأن الشيء الذى يرى بالعين هو جسم ولابد له من مكان ولون وشكل وجهة، وهذه كلها من صفات المخلوقات، والله تعالى أعظم من أن يتصف بصفات مخلوقاته، وعليه فإن الاعتقاد بإمكان رؤية الله هو نوع من الشرك..

﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ الأنعام/٣٠١..

﴿لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾. الأعراف ١٤٣».

وقد دلت الآية الكريمة عن أنه لا يمكن رؤية الله تعالى مطلقاً..

إن المراد من بعض الآيات والروايات التى تتحدث عن رؤية الله تعالى، هى الرؤية القلبية والشهود الباطن، ذلك أن القرآن يفسر بعضه بعضاً..[1]

وقد سئل الإمام على : يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك ؟

قال : أأعبد ما لا أرى ؟

ثم قال : لا تدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان..[2]

إن وصف الله بصفات الله بصفات المخلوقات من قبيل المكان والجهة والجسمية والمشاهدة والرؤية، يؤدي الى الابتعاد عن معرفة الله تبارك وتعالى والى الشرك به، فهو تعالى أعظم من كل صفات المخلوقات، وليس كمثله شيء..[3]

وقال الشيخ الصدوق : اعلم أن اعتقادنا فى التوحيد : إن الله تعالى واحداً أحد، ليس كمثله شيء، قديم لم يزل، ولا يزال، سميعاً بصيراً، عليماً حكيماً، حياً قيوماً، عزيزاً قدوساً، عالماً قادراً، غنياً، لا يوصف بجوهر ولا جسم ولا صورة ولا عرض.. وانه تعالى

---

(١) عقيدتنا..

(٢) نهج البلاغة. هطبه رقم ١٧٩..

(٣) عقيدتنا..

متعال عن جميع صفات خلقه، خارج عن الحدين : حد الإبطال، وحد التشبيه، وانه تعالى شيء لا كالأشياء، أحد حمد، لم يلد فيورث، ولم يولد فيشارك، ولم يكن له كفواً أحد، ولا ند ولا ضد ولا شبه ولا صاحبة، ولا مثل ولا نظير، ولا شريك له، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، ولا الأوهام وهو يدركها، لا تأخذه سنة ولا نوم وهو اللطيف الخبير، خالق كل شيء لا إله إلا هو، له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين..

ومن قال بالتشبيه فهو مشرك، ومن نسب الى الإمامية غير ما وصف في التوحيد فهو كاذب، وكل خبر يخالف ما ذكرت في التوحيد فهو موضوع مخترع، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو باطل، وان وجد في كتب علمائنا فهو مدلس..[1]

وقال الشيخ محمد تقي اليزدي : أن الصفات التي تنسب إلى الله تعالى، إما أنها مفاهيم منتزعة من الذات الإلهية بالنظر إلى أنها واجدة لنوع من أنواع الكمالات، أمثال الحياة والعلم والقدرة، وإما أنها مفاهيم تنتزع من نوع علاقة وارتباط بين الله تعالى ومخلوقاته، أمثال الخالقية والرازقية..

ويطلق على القسم الأول : الصفات الذاتية..

وعلى القسم الثاني : الصفات الفعلية..

والفرق الرئيسي بين هذين القسمين من الصفات هو : أنه في القسم الأول تكون الذات الإلهية المقدسة مصداقاً عينياً لها..

أما في القسم الثاني فتعبر عن نوع نسبة وإضافة بين الله تعالى ومخلوقاته..

ومن الروابط بين الله والخلق ننتزع مفهوم الربوبية الذي من لوازمه تدبير الأمور، وله مصاديق عديدة، كالحافظ، والمحيي، والمميت والرازق والهادي والآمر والناهي وأمثالها..

ويمكن تقسيم الأمور المرتبطة بالربوبية الى مجموعتين : الربوبية التكوينية التي تشمل الأمور لكل الموجودات (تدبير العالم).

---

(١) رسالة الصدوق في عقائد الإمامية، وانظر شرح عقائد الصدوق للشيخ المفيد (٣٣٦ ـ ٤١٣ هـ) وانظر جمل العلم والعمل للشريف المرتضى... وانظر ملاحق الكتاب.

والربوبية التشريعية التى تشمل بعث الأنبياء، وإرسال الكتب السماوية، ووضع الأحكام والقوانين، وتعيين الوظائف والتكاليف..[1]

يقول الشيخ المظفر : نعتقد أن الله تعالى واحد أحد ليس كمثله شيء، قديم لم يزل ولا يزال، هو الأول والآخر، عليم، حكيم، عادل، حى، قادر، غنى، سميع، بصير..

ولا يوصف بما توصف به المخلوقات، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار..

ومن قال بالتشبيه فى خلقه - بأن صور له وجهاً ويداً وعيناً، أو أنه ينزل إلى السماء الدنيا، أو أنه يظهر الى أهل الجنة كالقمر، أو نحو ذلك - فأنه بمنزلة الكافر - جاهل بحقيقة الخالق المنزه عن النقص..[2]

روى عن الإمام الباقر قوله : كل ما ميزتموه بأوهامكم فى أدق معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود عليكم..[3]

يقول المظفر : ونعتقد بأنه يجب توحيد الله تعالى من جميع الجهات، فكما يجب توحيده فى الذات ونعتقد بأنه واحد فى ذاته ووجوب وجوده، كذلك يجب ثانياً توحيده فى الصفات، وذلك بالاعتقاد بأن صفاته عين ذاته، وبالاعتقاد بأنه لا شبه له فى صفاته الذاتية، فهو فى العلم والقدرة لا نظير له، وفى الخلق والرزق لا شريك له، وفى كل كمال لا ند له، وكذلك يجب ثالثا توحيده فى العبادة، فلا تجوز عبادة غيره بوجه من الوجوه، وكذا إشراكه فى العبادة فى أى نوع من أنواع العبادة، واجبه أو غير واجبة، فى الصلاة وغيرها من العبادات[4]

روى عن الإمام على قوله : وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله..[5]

---

(١) دروس فى العقيدة الإسلامية ج١ ط١ بيروت.
(٢) عقائد الإمامية..
(٣) بحار الأنوار ج ٦٦/ ٢٩٣..
(٤) عقائد الإمامية..
(٥) انظر نهج البلاغة ج١/ الخطبة الأولى.

يقول الشيرازى : إن للتوحيد شعباً كثيرة من أهمها :

توحيد الذات، بمعنى ان ذاته عز وجل واحدة لا نظير لها ولا مثيل ولا شبيه، وتوحيد الصفات، بمعنى ان صفات العلم والقدرة الأزلية ونحوها مجموعة فى ذاته وعين ذاته الواحدة، وهى ليست كصفات المخلوقات المستقلة عن بعضها، والمنفصلة عن ذواتهم، وبطبيعة الحال فان عينيه ذاته تعالى مع صفاته تتطلب نوعاً من الدقة الفكرية، وتوحيد الأفعال بمعنى أن أى فعل وحركة وأثر فى عالم الوجود ناجم عن إرادة الله ومشيئته..

﴿الله خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل﴾ الزمر/٦٢..

﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ الشورى/١٢..

ان المؤثر فى الوجود لله، ولكن هذا لا يعنى أننا مجبرون على أفعالنا التى نقوم بها، بل إننا أحرار فى الإرادة واتخاذ الموقف..

﴿أنا هديناه السبيل إما شاكراً وأما كفوراً﴾ الإنسان/٨..

﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ النجم/٣٩..

ثم توحيد العبادة، ويعنى أن العبادة خاصة لله، وليس هناك من معبود سوى ذاته المقدسة، وتعتبر هذه الشعبة من أهم شعب التوحيد وأكثر ما شغلت اهتمام الأنبياء..

﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء وذلك دين القيمة﴾ البينة/٥

وهذا الشعار الإسلامى الهام يتردد على ألسنتنا يومياً عدة مرات فى الصلاة :

﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.

إن شعب التوحيد غير محدودة وإنما هناك فروع أخرى منها :

توحيد الملكية :

﴿لله ما فى السموات وما فى الأرض﴾ البقرة/٢٨٤.

وتوحيد الحاكمية :

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ المائدة/٤٤[١]

ويقول الشيخ كاشف الغطاء :

يجب على العاقل بحكم عقله عند الامامية تحصيل العلم والمعرفة بصانعه والاعتقاد بوحدانيته فى الألوهية وعدم شريك له فى الربوبية واليقين بأنه هو المستقل بالخلق والرزق والموت والحياة والإيجاد والإعدام بل لا مؤثر فى الوجود عندهم إلا الله، فمن اعتقد أن شيئاً من الرزق أو الخلق أو الموت أو الحياة لغير الله فهو كافر مشرك خارج عن ربقة الإسلام، وكذا يجب عندهم إخلاص الطاعة والعبادة لله، فمن عبد شيئاً معه أو شيئاً دونه أو ليقر به زلفى إلى الله فهو كافر عندهم ولا تجوز العبادة إلا لله وحده لا شريك له، وطاعة الأنبياء والأئمة عليهم السلام فيما يبلغون عن طاعة الله، ولكن لا تجوز عبادتهم بدعوى أنها عبادة الله، فإنها خدعة شيطانية وتلبيسات إبليسية..[٢]

ثانيا: النبوة وتعنى محمد رسول الله ﷺ..

يقول المظفر : نعتقد أن النبوة وظيفة إلهية وسفارة ربانية، يجعلها الله تعالى لمن ينتخبه ويختاره من عباده الصالحين وأوليائه الكاملين فى إنسانيتهم، فيرسلهم إلى سائر الناس لغاية إرشادهم الى ما فيه منافعهم ومصالحهم فى الدنيا والآخرة، لغرض تنزيههم وتزكيتهم من دون مساوئ الأخلاق ومفاسد العادات، وتعليمهم الحكمة والمعرفة، وبيان طريق السعادة والخير، لتبلغ الإنسانية كمالها اللائق بها، فترتفع إلى درجاتها الرفيعة فى الدارين : دار الدنيا ودار الآخرة..

ونعتقد أن النبوة لطف من الله يرشد العباد إليها بالحجة والدليل الذى فوق مستوى البشر (أى المعجزات وخوارق العادات)..

---

(١) عقيدتنا..

(٢) أصل الشيعة وأصولها..

ونعتقد أن الأنبياء معصومون قاطبة، عن الذنوب والمعاصى، وعن الخطأ والنسيان، وأن صفاتهم أكمل الصفات الخلقية والعقلية وأفضلها، كذلك يجب الإيمان بكتبهم وما نزل عليهم..[1]

أن عصمة الأنبياء هى الدرجة القصوى من التقوى، وهى نتيجة العلم القطعى بعواقب المعاصى والاستشعار بعظمة الرب وكماله وجماله، وهى لا تقاص إلا بعد وجود الأرضية الصالحة ولا تعنى سلب الاختيار..[2]

ويقول الشيرازى : نعتقد أن جميع الأنبياء معصومون على مدى أعمارهم (قبل النبوة وبعدها) ومصونين من الخطأ والاشتباه بالذنب بالتأييد الإلهى، لأن النبى إذا ارتكب الخطأ أو الذنب سلبت منه الثقة اللازمة لمنصب النبوة، وعندئذ لا يمكن للناس أن يثقوا بوساطته بينهم وبين الله، ويعتبروه أسوة لهم وإماماً فى كل أعمالهم وسلوكياتهم، ولهذا فإننا نعتقد أن ما يبدو من ظواهر بعض الآيات القرآنية من أن بعض الأنبياء ارتكبوا المعاصى، هو من قبيل ترك الأولى (بمعنى اختيار العمل الأقل صلاحاً من بين عملين صالحين، فى حين كان من الأولى اختيارالأصلح) أو بتعبير آخر هو من قبيل (حسنات الأبرار سيئات المقربين) لأنه ينتظر من كل شخص أن يقوم بالعمل الذى يناسب مقامه..[3]

يقول الشيخ اليزدى : هناك خلاف بين الفرق الإسلامية حول مدى تنزيه الأنبياء عن ارتكاب المعاصى والذنوب، فالشيعة الإمامية يعتقدون بأن الأنبياء معصومون من جميع المعاصى، صغيرها وكبيرها، من حين الولادة حتى الوفاة، فلا تصدر منهم المعصية حتى سهواً أو نسياناً..[4]

ويقول الشيخ جعفر السبحانى : إن افضل الأنبياء أولوا العزم، وهم خمسة : نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمدﷺ..

---

(١) عقائد الإمامية..

(٢) عصمة الأنبياء فى القرآن الكريم للشيخ جعفر السبحانى.. سلسلة المسائل العقائدية.

(٣) عقيدتنا..

(٤) دروس فى العقيدة الإسلامية ج٢.

وان محمد ابن عبد الله افضل الأنبياء أجمعين، وخير الأولين والآخرين، وانه خاتم النبيين، وان آباءه من آدم (عليه السلام) الى عبد الله بن عبد المطلب كانوا جميعا مؤمنين وموحدين لله تعالى عارفين، وكذلك أبو طالب ﴿رضوان الله عليهم﴾..[1]

ويقول السيد مرتضى العسكرى : أن الأعمال الناس أثاراً خالدة فى الدنيا وفى الآخرة تتجسد لتخلد ناراً وقودها الناس والحجارة، أو نعيماً فى جنات عدن، وكل ذلكم الانتشار وتلكم الآثار يراها عباد الله المخلصون ـ الرسل والأنبياء ـ ويدركونها، فتدفعهم الى الاجتهاد فى أداء الأعمال الصالحة واجتناب الأعمال السيئة من الفحشاء والسوء والمنكر..

وتلكم الرؤيا هى برهان الله الذى يؤتى الله من عباده من تزكى وآثر رضى الله على هوى النفس الأمارة بالسوء، ومن ثم لا تصدر من عباده المخلصين معصية موبقة، فهم مع تلك الرؤية لقبح فعل المعصية وشناعتها فى الدنيا وتجسده ناراً محرقة خالدة فى الآخرة، لا يمكن أن يقدموا على العمل بها مختارين وغير مجبورين على تركها، أو ممنوعين من قبل الله من إتيانها..

وما يوردون من شبهات حول عصمة الأنبياء مستشهدين بآيات متشابهة، أخطأوا فى تأويل بعضها، وفسروا بعضها الآخر بروايات زائفة..[2]

ويقول الشيخ القزوينى :

اعتقاد الشيعة بالنبوة كاعتقاد غيرهم بأن الله تعالى أرسل الأنبياء (ع) مبشرين ومنذرين ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ وختمهم بنبينا محمدﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الى آخر نسبه الشريف، وأن عددهم مع خاتمهم على ما أخبر به النبىﷺ الأمين أربعة وعشرون ألف ومائه ألف نبى ويعتقدون بأن القرآن الكريم معجزته الخالدة ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ وأنه هو الموجود

---

(١) مع الشيعة الإمامية فى عقائدهم..

(٢) عصمة الأنبياء والرسل.. كذلك ما يرد من روايات حول شخص الرسول ﷺ ومواقفه وممارساته حيث ترفض الشيعة فكرة اجتهاد الرسول ﷺ.. انظر لنا كتاب: دفاع عن الرسول: ضد الفقهاء والمحدثين..

اليوم بأيدى المسلمين أجمعين لم ينقص منه شيء ولم يزد فيه شيء ولا ينكرون شيئا من معجزاته الباهرة التى سجلها حفاظ المسلمين جميعاً فى صحاح كتبهم وأخرجوها فى مسانيدهم على نحو التواتر المفيد للقطع واليقين، ويعتقدون بعصمة الأنبياء (ع) من الخطأ والنسيان والزلل والعصيان فى حال صغرهم وكبرهم قبل بعثتهم وبعدها ودلائل عصمتهم فى ذلك كله مسجلة فى كتبهم الكلامية، وعقيدتهم أن رسول اللهﷺ افضل الأنبياء وخاتمهم لا نبى بعده منزه عن جميع العيوب والنقائص، وان زوجاته منزهات عن كل ما يمس العفاف، وأنه متصف بالصفات الكاملة، وأنه أكمل أهل زمانه وأفضلهم على الإطلاق.[1]

ويقول الشيخ كاشف الغطاء :

يعتقد الشيعة الإمامية أن جميع الأنبياء الذين نص عليهم القرآن الكريم رسل من الله وعباد مكرمون بعثوا لدعوة الخلق الى الحق، وأن محمداً خاتم الأنبياء وسيد الرسل، وأنه معصوم من الخطأ والخطيئة، وأنه ما ارتكب المعصية مدة عمره، وما فعل إلا ما يوافق رضا الله سبحانه حتى قبضه الله إليه..[2]

وعلى أساس ما سبق يرفض الشيعة فكرة العصمة الجزئية للرسولﷺ التى يقول بها أهل السنة والتى تعتبره معصوماً فى دائرة التبليغ فقط، تلك الرؤية التى انعكست على موقفهم من عصمة أهل البيت، إذ كيف لهم وهم لا يعترفون بالعصمة الكاملة للنبى أن يعترفوا بعصمة غيره.. ؟

كما يرفضون تكفير أبو طالب وأبوى الرسولﷺ وأجداده ويعد هؤلاء جميعاً من المؤمنين الموحدين فى منظورهم..

وهذه المسألة ليست محل إجماع عن السنة..[3]

---

(١) الشيعة فى عقائدهم وأحكامهم..

(٢) أصل الشيعة وأصولها..

(٣) انظر أسنى المطالب فى إيمان ابن طالب للزينى دحلان الشافعى. وانظر تفسير الرازى سورة آل عمران آية رقم ٣٣، ٣٤، وكتب الفسير الأخرى.. وحنابلة العصر يتبنون فكرة التكفير..

ثالثا: العدل وهو من ملحقات التوحيد..

وهو مبدأ عقائدى برز فى مواجهة الذين يجوزون على الله سبحانه فعل القبيح ومعاقبة المطيع ومكافأة العاصى وتكليف العباد فوق طاقتهم وصدور الفعل منه تعالى بلا حكمة أو مصلحة مستندين على قوله تعالى :

﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ الأنبياء/٢٣..

يقول المظفر : ونعتقد أن من صفاته سبحانه وتعالى الثبوتيه الكمالية أنه عادل غير ظالم، فلا يجور فى قضائه، ولا يحيف فى حكمه، يثيب المطيعين، وله أن يجازى العاصين، ولا يكلف عباده ما لا يطيقون، ولا يعاقبهم زيادة على ما يستحقون، وهو تعالى لا يكلف عباده إلا بعد إقامة الحجة عليهم..[1]

ويقول الشيرازى : أن من المستحيل أن يظلم الله عبادة أو يعاقب أحداً أو يعفو عن آخر دون دليل، ومن المستحيل ألا يفى الله بوعده أو أن يصطفى للنبوة والرسالة شخصاً طالحاً كذاباً، ومن المستحيل أيضاً أن يترك عباده الذين خلقهم لإيصالهم إلى السعادة وشأنهم دون مرشد وقائد، لأن كل هذه الأفعال قبيحة، ولا يمكن لله تعالى أن يأتى بالقبيح..

إن الإيمان بالحسن والقبح العقليين والاستقلال الفكرى للإنسان فى تحديد الكثير من الحقائق يعتبر ركناً أساسياً فى الدين والشريعة والأيمان بنبوه الأنبياء والكتب السماوية، إلا أن إدراك الإنسان محدود، ولا يمكن بواسطته التوصل الى جميع الحقائق التى تبلغ به السعادة والكمال، ولهذا فهو بحاجة الى الأنبياء والكتب السماوية..[2]

ويقول الشيخ اليزدى : أن مقتضى الحكمة والعدل الإلهى، لا يعنى خلق المخلوقات بصورة متساوية، بل ان مقتضى حكمة الخالق أن يخلق العالم بصورة تترتب عليها أكثر

---

(١) عقائد الإمامية..

(٢) عقيدتنا..

ما يمكن تحققه من الخير والكمال، وأن يخلق المخلوقات التى تشكل أجزاءه المترابطة بصورة تتناسب وذلك الهدف النهائى، وكذلك مقتضى الحكمة والعدل الإلهى، أن يكلف كل إنسان بمقدار استعداده وقابليته، وأن يقضى ويحكم فيه على حسب قدرته وجهده الاختيارى، وان يجازيه ثواباً أو عقاباً بما يتلاءم وأفعاله..[1]

ويقول الشيخ جعفر السبحانى : ومن أبرز مصاديق حكمته ـ تعالى ـ هو عدله، بمعنى قيامه بالقسط، وأنه لا يجوز ولا يظلم، ويترتب عليه بعض النتائج منها : قبح العقاب بلا بيان : إذا كان الله تعالى عادلاً، فإنه لا يعاقب عبادة دون أن يبين لهم تكاليفهم، لحكم العقل بقبح العقاب بلا صدور بيان، أو مع صدوره دون أن يقع فى متناول العباد، ولزوم تنزه الواجب عنه..

وقبح التكليف بما لا يطاق : من نتائج حكم العقل بعدله تعالى، حكمه بلزوم تكليفه بما يطيقه العبد، وان تكليفه وإلزامه بما هو فوق طاقته ظلم وقبيح لا يصدر عن الحكيم..[2] "

ويقول الشيخ كاشف الغطاء :

ويراد به الاعتقاد بأن الله سبحانه لا يظلم أحداً ولا يفعل ما يستقبحه العقل السليم، وليس هذا فى الحقيقة أصلاً مستقلاً بل هو مندرج فى نعوت الحق ووجوب وجوده المستلزم لجامعيته لصفات الجمال والكمال فهو شأن من شؤون التوحيد، ولكن الأشاعرة لما خالفوا العدلية وهم المعتزلة والأمامية فأنكروا الحسن والقبح العقليين وقالوا ليس الحسن إلا ما حسنه الشرع وليس القبح إلا ما قبحه الشرع، وأنه تعالى لو خلد المطيع فى جهنم، والعاصى فى الجنة، لم يكن قبيحاً لأنه يتصرف فى ملكه و " لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " حتى أنهم أثبتوا وجوب معرفة الصانع ووجوب النظر فى المعجزة لمعرفة النبى من طريق السمع والشرع لا من طريق العقل لأنه ساقط عن متعة الحكم

(1) دروس فى العقيدة الإسلامية ج ١..

(2) التحسين والتقبيح العقليان ومكانتهما فى العقيدة الإسلامية والشريعة. سلسلة المسائل العقائدية..

فوقعوا فى الاستحالة والدور الواضح (أما العدلية) فقالوا إن الحاكم فى تلك النظريات هو العقل مستقلا ولا سبيل لحكم الشرع فيها إلا تأكيداً وإرشاداً والعقل يستقل بحسن بعض الأفعال وقبح البعض الآخر ويحكم بأن القبيح مناف للحكمة، وتعذيب المطيع ظلم والظلم قبيح وهو لا يقع منه تعالى، وبهذا أثبتوا لله صفة العدل وأفردوها بالذكر دون سائر الصفات إشارة الى خلاف الأشاعرة فان الأشاعرة فى الحقيقة لا ينكرون كونه تعالى عادلا غايته أن العدل عندهم هو ما يفعله وكل ما يفعله فهو حسن، نعم أنكروا ما أثبته المعتزلة والامامية من حكومة العقل وإدراكه للحسن والقبح على الحق جل شأنه زاعمين أنه ليس للعقل وظيفة الحكم بأن هذا حسن من الله وهذا قبيح منه، والعدلية بقاعدة الحسن والقبح العقليين المبرهن عليها عندهم، أثبتوا جملة من القواعد الكلامية كقاعدة اللطف، ووجوب شكر المنعم، ووجوب النظر فى المعجزة، وعليها بنوا أيضا مسألة الجبر والاختيار وهى من معضلات المسائل التى أخذت دوراً مهماً فى الخلاف حيث قال الأشاعرة بالجبر أو بما يؤدى إليه، وقال المعتزلة بأن الإنسان حر مختار له حرية الإرادة والمشيئة فى أفعاله غايته أن ملكه الاختيار وصفته كنفس وجوده من الله سبحانه فهو خلق العبد وأوجده مختاراً، فكلى صفة الاختيار من الله والاختيار الجزئى فى الواقع الشخصية للعبد ومن العبد، والله جل شأنه لم يجبر على فعل ولا ترك بل العبد اختار ما شاء منهما مستقلا، ولذا يصح عند العقل والعقلاء ملامته وعقوبته على فعل الشر ومدحه ومثوبته على فعل الخير وإلا لبطل الثواب والعقاب ولم تكن فائدة فى بعثه الأنبياء وإنزال الكتب والوعد والوعيد ولا مجال هنا لأكثر من هذا وإنما الغرض هنا أن من عقائد الامامية وأصولهم أن الله عادل، وأن الإنسان حر مختار.(١)

ويقول الشيخ القزوينى :

الشيعة لا يفترقون عن جميع العقلاء فى الاعتقاد بعدل الله وأنه منزه عن الظلم وفعل القبيح كالكذب والتكليف بغير المقدور ومنزه عن الإخلال بالواجب كالانتصاف

---

(١) أصل الشيعة وأصولها..

المظلوم من الظالم وأنه لا يفعل ألا عن حكمه ومصلحة تعود لعباده لأنه مستغن عن فعل القبيح وعالم بقبحه وقد نهى عن القبائح وذم الظلم وأهله ونزه نفسه عنه فى كثير من آيات الذكر الحكيم كقوله تعالى فى سورة النحل آية ٩٠ " وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى " وقوله تعالى فى سورة الكهف آية ٥٠ " بئس للظالمين بدلا "

وقوله تعالى فى سورة يونس آيه ٤٤ " إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون " وأنه تعالى ما أضل أحدا من عباده بل هداهم جميعا ويقولون لو جاز عليه فعل القبيح لجاز أن يظهر المعجزة على يد مدعى النبوة وهو كاذب وحينئذ فلا يمكن إثبات نبوة الأنبياء ﴿ع﴾ إطلاقا ولجاز أن يعذب المطيع ويثيب العاصى فيرتفع معه رجاء الثواب وخوف العقاب، ويعتقدون بأن أفعاله تعالى كلها معللة بالأغراض والغايات لتقدسه عن اللعب وفعل العبث كما جاء التنصيص عليه فى القرآن بقوله تعالى فى سورة الدخان آية ٣٨ " وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين "

وقوله تعالى فى سورة المؤمنين آية ١١٥ " أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وإنكم إلينا لا ترجعون " وأنه تعالى لم يخلق الكفر والمعاصى والشرور ولا يريدها ولا يأمر بها كما نص عليه القرآن فى سورة النحل آيه ٩٠ بقوله تعالى " أن الله يأمر بالعدل والإحسان "

وقوله تعالى فى سورة الزمر آيه ٧ " ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم " وأنه تعالى أناط فعل الإنسان باختياره ولم يجبره عليه مع قدرته تعالى على منعه لئلا يستلزم التفويض الباطل وبين له سبيل الخير فأمره به وسبيل الشر فنهاه عنه فان عصاه فبسوء اختياره وان أطاعه فبهدايته له كما نص عليه القرآن فى سورة الإنسان آيه ٣ بقوله تعالى " إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا "

وقوله تعالى فى سورة البلد آية ١٠ " وهديناه النجدين " أى أرشدناه إلى طريق الخير والشر..

وقوله تعالى فى سورة الشمس آية ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ " ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من أساها " أى دلها وبين لها ما فيه

فلاحها وما فيه خسرانها فأمره بالأول ونهاه عن الثانى فزكاتها بفعله وخيبتها بدسه فكل ذلك باختياره كما جاء التصريح به فى كتاب الله فى سورة الكهف آية ٢٩ " وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا اعتدنا للظالمين نارا " ويعتقدون أن خلق الله حسن وصنعه متقن كما نص عليه القرآن فى سورة السجدة آية ٧ " بقوله تعالى : الذى احسن كل شىء خلقه "

وقوله تعالى فى سورة النمل آية ٨٨ " صنع الله الذى أتقن كل شىء " ولما كان الكفر والشرك وضروب الموبقات ليست حسنة ولا متقنة علمنا أنها ليست من خلقة ولا من صنعه ولو كان شىء من ذلك من خلقه وصنعه لكان من القبيح الذى لا يجوز نسبته الى الله تعالى فى حال أن يأمر بقطع يد السارق وجلد شارب الخمر ورجم الزانى وجلده وتغريبه ونحوها من العقوبات التى حددها لأهل المعاصى فى التشريع الإسلامى ومن ذلك كله علموا أن المعاصى والشرور من فعل الإنسان وعمله وليست من خلق الله وصنعه.

رابعا: المعاد وهو يعنى الإيمان بالبعث والنشور والحساب والصراط والميزان والجنة والنار.. بالإضافة إلى الشفاعة..

يقول الشيرازى : والأنبياء وأئمة أهل البيت وأولياء الله يشفعون بإذن الله لبعض المذنبين ليشملهم العفو الإلهى، وهذا الإذن يخصص فقط لمن لم يقطع أواصر علاقته بالله وأوليائه.. وعليه فان الشفاعة ليست مطلقة وإنما مقيدة بشروط ترتبط نوعاً ما بأعمالنا ونياتنا..

﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ الأنبياء/٢٨..

ولا شك فى أن مقام الشفاعة العظمى هو لرسول الله ﷺ ويأتى بعده سائر الأنبياء وأئمة أهل البيت، وحتى العلماء والشهداء والمؤمنون، بل حتى القرآن والعمل الصالح يشفع للبعض..[1]

---

(١) عقيدتنا..

ويقول المظفر : نعتقد أن الله تعالى يبعث الناس بعد الموت فى خلق جديد فى اليوم الموعود به عباده، فيثيب المطيعين، ويعذب العاصين..

ولا يجب الاعتقاد فى تفصيلات المعاد الجسمانى اكثر من هذه العقيدة على بساطتها التى نادى بها القرآن، وأكثر مما يتبعها من الحساب والصراط، والميزان والجنة والنار، والثواب والعقاب، بمقدار ما جاءت به التفصيلات القرآنية..[1]

ولكون الشيعة تعتقد أن القرآن هو المصدر المعصوم وأساس الاعتقاد فهى تبنى فكرة المعاد بكل تفاصيلها كما وردت نصوصها فى القرآن، وان الاعتقاد بالمعاد له أهميته وتأثيره فى توجيه السلوك والأفعال الفردية والاجتماعية..[2]

ويقول الشيخ كاشف الغطاء :

يعتقد الإمامية كما يعتقد سائر المسلمين أن الله سبحانه يعيد الخلائق ويحييهم بعد موتهم يوم القيامة للحساب والجزاء، والمعاد هو الشخص بعينه وبجسده وروحه بحيث لو رآه الرائى لقال هذا فلان ولا يجب أن تعرف كيف تكون الإعادة وهل هى من قبيل إعادة المعدوم أو ظهور الموجود أو غير ذلك ويؤمنون بجميع ما فى القرآن والسنة القطعية من الجنة والنار ونعيم البرزخ وعذابه والميزان والصراط والأعراف والكتاب الذى لا يغادر صغيره ولا كبيره إلا أحصاها، وأن الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرا فخير وان شراً فشر " ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره " الى غير ذلك من التفاصيل المذكورة فى محلها من كل ما صدع به الوحى المبين، وأخبر به الصادق الأمين.[3]

خامسا الإمامة وهى المحور الرئيسى فى الخلاف بين الشيعة والسنة، فعلى ضوء هذه القضية تولدت العديد من المواقف التى انعكست على الصحابة والروايات وصورة الحكم والجهاد وتلقى الدين بشكل عام كما ذكرنا..

---

(١) عقيدة الإمامية..

(٢) انظر دروس فى العقيدة الإسلامية ج٢..

(٣) أصل الشيعة وأصولها..

إن الخلاف بين الشيعة والسنة فى محيط الأصول السابقة أشبه بالخلاف السائد بين المذاهب الأربعة، فمن ثم هو خلاف لا يشكل فجوة كبيرة كتلك الفجوة التى تشكلها قضية الإمامة، حيث تعتقد الشيعة أن الإمامة محصورة فى دائرة أهل البيت بداية من الإمام على ثم الحسن ثم الحسين ثم على بن الحسين (زين العابدين) ثم محمد بن على (الباقر) ثم جعفر بن محمد (الصادق) ثم موسى بن جعفر (الكاظم) ثم على بن موسى (الرضا) ثم محمد بن على (الجواد) ثم على بن محمد (الهادى) ثم الحسن بن على (العسكرى) ثم محمد بن الحسن وهو المهدى المنتظر..

وهؤلاء هم الأئمة الإثنى عشر الذين تعتقد فى إمامتهم الشيعة من بعد الرسول ﷺ ولأجل ذلك أطلقت عليهم تسمية : الشيعة الإمامية..

أما السنة ففكرة الإمامة عندهم مفتوحة بلا حدود لتشمل جميع الحكام والخلفاء الذين تولوا أمور الحكم فى تاريخ المسلمين، بداية من أبى بكر وحتى عصرنا الحاضر، فجميع هؤلاء أئمة تجب طاعتهم والحج والجهاد معهم والصلاة من خلفهم وتسليم زكاة الأموال لهم وإن لم يكونوا على الدرجة الكافية من الكفاءة والتقوى والعدل..[1]

وقد نتج عن هذه الرؤية أن رفض الشيعة الاعتراف بهؤلاء الحكام، ومن هنا أطلق عليهم فى كتب الفرق ومن قبل فقهاء السنة اسم : الرافضة..

واعتبر فقهاء السنة أن هناك مجالا للتسامح فى رفض حكام الفترة اللاحقة لفترة الخلفاء الأربعة، أما رفض خلافة : أبو بكر وعمر وعثمان، فهو يعد صورة من صور الغلو فى نظرهم بررت لهم تبنى العديد من الأحكام القاسية فى مواجهة الشيعة..[2]

وبالطبع فان رفض خلافة الثلاثة يعنى المساس بهم كصحابة واعتبارهم منحرفين عن نهج الرسول ﷺ الذى أوصى بإمامه على والالتزام بخط أهل البيت من بعده حسب معتقد الشيعة..

---

(١) انظر عقائد أهل السنة..

(٢) سلط السيف على رقاب الشيعة بسبب تلك القضية وتم قتل العديد منهم. انظر قصة أحد هؤلاء القتلى البداية والنهاية لابن كثير ج ١٤/ وادث عام ٧٥٥ هـ. وانظر لنا كتاب الكلمة والسيف..

ويعنى أيضا عدم الاعتراف بالجهاد من ورائهم وحركة الفتوحات التى قادوها، وكذلك الروايات التى نسبت إليهم والى غيرهم من الصحابة الذين انحرفوا عن أهل البيت..

إن الاعتقاد فى الإمامة عند الشيعة يعنى حصر مصدر تلقى الدين من بعد الرسولﷺ فى دائرة أهل البيت وحدهم.. وعلى هذا الأساس فإن الروايات التى تأتى من خارج حدود هذا المصدر غير معترف بها من قبل الشيعة..

وفكرة الإمامة التى يتميز بها الشيعة عن غيرهم هى التى جرت البلاء وصور البطش والتنكيل والإرهاب التى حاصرتهم طوال التاريخ، فهذه الفكرة لم تكن مقبولة من الحكام ولا من الفقهاء..

يقول الشيخ اليزدى : يعتقد الشيعة بأنه حتى النبىﷺ لم يكن له أى دور مستقل فى تعيين خليفته، بل قام بهذا التعيين بأمر الهى..

وفى الواقع إن الحكمة فى ختم النبوة مرتبطة - تماما - بتعيين الإمام المعصوم، ومع وجود الإمام فإنه سيكفل توفير المصالح الضرورية فى الأمة الإسلامية بعد النبىﷺ..

ومن هنا يتبين لنا لماذا طرحت الإمامة فى الفكر الشيعى كأصل عقائدى، لا كحكم فقهى فرعى..؟

ولماذا اعتبرت الشروط الثلاثة فى الإمام «العلم الموهوب من الله، والعصمة، والتعيين الإلهى».. ؟ ولماذا امتزجت هذه المفاهيم فى عرف الكلام الشيعى مع مفهوم المرجعية فى معرفة الأحكام الإلهية والحكومة والولاية على الأمة الإسلامية، وكأنما لفظة الإمامة تدل على جميع هذه المفاهيم..[1]

وينقل عن الإمام الرضا قوله : إن الإمامة منزلة خص الله بها إبراهيم الخليل (ع) بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره، فقال عز وجل : ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتهمن قال أنى جاعلك للناس إماماً﴾.

---

(١) دروس في العقيدة الإسلامية ج٢..

قال الخليل مسروراً بها : ﴿ومن ذريتي. قال لا ينال عهدي الظالمين﴾.

فأبطلت هذه الأمة إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة، وأبقتها فى الصفوة..[1]

ويقول الشيخ السبحانى : إن حجج الله تعالى بعد رسوله هم خلفاؤه، وحفظة شرعه وأئمة أمته، اثنا عشر أهل بيته، أولهم أخوه وابن عمه وصهره بعل فاطمة الزهراء ابنته، ووصيه على أمته على بن أبى طالب أمير المؤمنين..

لا إمامه بعد رسول الله ﷺ إلا لهم (ع) ولا يجوز الاقتداء فى الدين إلا بهم، ولا أخذ معالم الدين إلا عنهم..

وأنهم فى كمال العلم والعصمة من الآثام نظير الأنبياء..

وأنهم افضل الخلق بعد رسول الله ﷺ..

وأن إمامتهم منصوص عليها من قبل اله على اليقين والبيان..[2]

ويقول الشيرازى : إن الحكمة الإلهية كما تتطلب إرسال الأنبياء لهداية البشر، تتطلب أيضاً وجود الإمام بعد النبى ﷺ فى كل عصر لحفظ الشرائع والأديان من التحريف والتغيير وتلبية حاجات الناس فى كل زمن ودعوتهم إلى الله والالتزام بالدين، وفى غير ذلك يبقى الهدف من الخلقة وهو التكامل والسعادة عقيماً، إذ يضل الناس عن سبيل الهدف وتضيع شرائع الأنبياء، ويصبح الناس حيارى، ولهذا فإننا نعتقد بوجود الإمام بعد النبى ﷺ فى كل عصر..

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ التوبة/١١٩

وهذه الآية لا تختص بزمن دون آخر، والدعوة الى مواكبة الصادقين دليل على وجود الإمام المعصوم الذى يجب إن يتبع فى كل عصر..

والإمامة ليست مجرد منصب ظاهرى للسلطة والحكومة، وإنما هى منصب معنوى وروحى رفيع، والإمام يتبنى هداية الناس فى أمور دينهم ودنياهم فضلا عن قيامة بأمور

---

(١) أوصول الكافى ج١/١٩٩..

(٢) مع الشيعة الإمامية فى عقائدهم.س

الحكم والإدارة، وحفظ الشريعة من أي تلاعب وانحراف، ليحقق الأهداف التى بعث من أجلها النبىﷺ..[1]

ويقول الشيخ المظفر : نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين، ولا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين مهما عظموا وكبروا، بل يجب النظر فيها كما يجب النظر فى التوحيد والنبوة... كما نعتقد أنها كالنبوة لطف من الله تعالى، فلا بد أن يكون فى كل عصر إمام هادٍ يخلف النبىﷺ فى وظائفه من هداية البشر وإرشادهم الى ما فيه الصلاح والسعادة فى النشأتين (الدنيا والآخرة) وله ما للنبى من الولاية العامة على الناس، لتدبير شؤونهم ومصالحهم، وإقامة العدل بينهم، ورفع الظلم والعدوان من بينهم.. وعلى هذا، فالإمامة استمرار النبوة، والدليل الذى يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الإمام بعد الرسول، فلذلك نقول ان الإمامة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبى أو لسان الإمام الذى قبله، وليست هى بالاختيار والانتخاب من الناس..

ونعتقد أن الإمام كالنبى يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش، ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة الى الموت، عمداً أو سهواً، كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان، لأن الأئمة حفظة للشرع والقوامون عليه، حالهم فى ذلك حال النبى، والدليل الذى اقتضانا أن نعتقد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة بلا فرق..[2]

ويقول الشيخ الأمينى : تعتقد الإمامية بأن الإمام يجب أن يكون عالماً بالأحكام محيطاً بالشريعة عارفاً بأسباب السعادة وعلل الشقاء، خبيراً بطرائق الأخلاق، هادياً الى سبيل الرشاد.. ولأن وجود النبىﷺ محدود زمنياً فقد اقتضت حكمة الله ولطفه أن يبقى طريقه قائماً وصراطه دائماً وبابه مفتوحاً لداعية، فكان وجود فرد معصوم يخلف النبى فى تبليغ الرسالة وإقامة الدين وإرشاد الناس من لطف الله عز وجل، وحتى لا يبقى البشر هداة والدين بلا دعاة وهو ما اصطلح عليه بالإمام..[3]

---

(1) عقيدتنا..

(2) عقائد الإمامية..

(3) دراسة عامة فى الإمامة.. ط بيروت..

ولقد فتحت فكرة الإمامة الباب واسعاً لإثارة الشبهات من حول الشيعة، تلك الشبهات التى تدور حول حقيقة معتقدهم فى أئمة أهل البيت، حيث يزعم خصوصهم أنهم يعتقدون أن الأئمة يعلمون الغيب، وأن منزلتهم فوق منزلة الرسل والأنبياء بالإضافة الى ما يتبنونه حول عصمتهم..

والحق أن مثل هذه الشبهات إنما تقوم على أساس منهج الخصومة والتربص ولا تقوم على أساس موضوعى يلم بأدلة الشيعة وتصورها حول أئمة أهل البيت..

يقول الشيخ المظفر : لا نعتقد فى أئمتنا (ع) ما يعتقده الغلاة والحلوليون :

﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم..﴾ الكهف/٥..

بل عقيدتنا الخاصة أنهم بشر مثلنا، لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، وإنما هم عباد مكرمون، اختصهم الله تعالى بكرامته، وحباهم بولايته، إذ كانوا فى أعلى درجات الكمال اللائقة فى البشر : من العلم والتقوى والشجاعة والكرم والعفة، وجميع الأخلاق الفاضلة، والصفات الحميدة، لا يدانيهم أحد من البشر فيما اختصوا به..

وبهذا استحقوا أن يكونوا أئمة وهداة، ومرجعاً بعد النبى فى كل ما يعود للناس من أحكام وحكم، وما يرجع للدين من بيان وتشريع، وما يختص بالقرآن من تفسير وتأويل..(١)

وقال الإمام جعفر الصادق : ما جاءكم عنا مما يجوز أن يكون فى المخلوقين ولم تعلموه ولم تفهموه فلا تجحدوه وردوه إلينا، وما جاءكم عنا ما لا يجوز أن يكون فى المخلوقين فأجحدوه ولا تردوه إلينا..(٢)

وقال : إنما الوقوف علينا فى الحلال والحرام فأما النبوة فلا..(٣)

---

(١) عقائد الإمامية..

(٢) مختصر بصائر الدرجات..

(٣) أصول الكافى: ج١ / ٢٦٨.

وقال فى قوله تعالى : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم..﴾النساء/٥٩ هى فى على والأئمة جعلهم الله مواضع الأنبياء غير انهم لا يحلون شيئا ولا يحرمونه..[١]

يقول الشيخ الأمينى : أن الروايات والأخبار تؤكد على أن الإمام ليس مشرعاً، ومعنى هذا أنه أخذ الشريعة عن رسول اللهﷺ فلقد أولى سيدنا محمدﷺ علياً اهتماماً خاصاً وراح يعده خلفاً من بعده، فعلمه التنزيل والتأويل وفتح له آفاق المعرفة وفجر له ينابيع العلم والحكمة، وإذن فقد اخذ على علومه عن رسول الله ثم أورثها الأئمة من بعده، فالأئمة تابعون لرسول اللهﷺ فى كل ما جاء به من الحلال والحرام..

وبالرغم من أن الأحاديث تؤكد حالة الوحى والإلهام للائمة (ع) ولكن هذه الحالة تختلف تماماً مع وحى الأنبياء، فالنبى مرتبط بالغيب بشكل مباشر وهو يشاهد الملك ويسمع صوته، أما الإمام فلا يرى الملك ولكن ما يحدث هو قذف فى القلب وإلقاء فى النفس، وبهذه الوسيلة كانوا يطلعون على عالم الحقائق..

ومن هنا فوحى الأئمة يشبه الوحى لأم موسى وذى القرنين وجليس سليمان (ع)..[٢]

وقال الإمام على : أن رسول اللهﷺ علمنى ألف باب، وكل باب يفتح ألف باب، فذلك ألف ألف باب، حتى علمت ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وعلمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب..[٣]

ويقول الشيخ اليزدى : علوم أئمة أهل البيت (ع) لا تنحصر بما سمعوه من النبىﷺ بواسطة أو بدون واسطة، بل انهم كانوا يتمتعون أيضا بنوع من العلوم غير العادية التى تفاض عليهم من طريق الإلهام كالإلهام الذى حصل للخضر وذى القرنين ومريم وأم موسى (ع) وقد عبر فى القرآن الكريم عن بعضها بالوحى، وليس المقصود منه وحى النبوة..[٤]

---

(١) إثبات الهداة: ج٣/ ٤٨..

(٢) دراسة عامة فى الإمامة وهذا يفسر لنا علاقة الزهراء بالملائكة التى يستهجنها حنابلة العصر والتى تشبه علاقة مريم رغم أن كلاهما خارج دائرة النبوة..

(٣) ينابيع المودة للقندوزى الحنفى. وانظر أصول الكافى ج١/ ٢٩٦..

(٤) دروس فى العقيدة الإسلامية ج٢..

ويقول الشيخ السبحانى : وليست العصمة فكرة ابتدعتها الشيعة، وانما دلهم عليها فى حق الفترة الطاهرة كتاب الله وسنة رسولهﷺ..

قال سبحانه: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ «الأحزاب/٣٣»

وليس المراد من الرجس إلا الرجس المعنوى وأظهره هو الفسق..

وقال رسول اللهﷺ : على مع الحق والحق مع على يدور معه كيفما دار..[1]

ومن دار معه الحق كيفما دار محال أن يعصى أو أن يخطأ..

وقولهﷺ : أنى تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتى..[2]

فإذا كانت العترة عدل القرآن، والقرآن هو كلام الله تعالى، فمن المنطقى ان تكون معصومة كالكتاب، ولا يخالف أحدهما الآخر..

ويقول الشيخ القزوينى :

الإمامة عند الشيعة هى الزعامة فى أمور الدين والدنيا وهى نيابة عن الرسولﷺ فى حفظ شريعته من الزيادة والنقيصة وإقامة الحدود ودرأ الفساد ونحوها من فوائدها اللازمة على الوجه الشرعى والقانون الإلهى وهى واجبة بعد النبىﷺ لئلا يضيع أمر دينهﷺ إذ ليس من الممكن المعقول أن يترك الله تعالى عباده المنتشرين فى البقاع مع علمه بما هم عليه من حب المال والجاه واختلاف الطباع والأهواء والميول والاتجاهات تأخذ فى شعاب الجهل والضلال وتسلك أودية الحيرة بلا زعيم يقيم أودهم ويحسم مادة الفتن بينهم وينتصف لمظلومهم من ظالمه ويهديهم إلى سبيل الرشاد بينما نرى أنه تعالى لم يخلق جوارح الإنسان إلا وجعل لها أميراً يديرها ويصرفها إلى

---

(١) انظر مجمع الزوائد للهيثمى ج٧/ ٢٣٦.

(٢) انظر مسلم كتاب الفضائل. باب من فضائل على. وسنن الدارمى باب فى فضائل القرآن ومسند أحمد ج٢/ ١١٤ وكتب السنن الأخرى..

أفعالها ورئيساً يحكم فى مشتبهاتها أعنى بذلك القلب فكيف يا ترى يجوز أن يترك الناس فى حيرة الضلالة يحكم فيهم سلطان الهوى ويسوسهم قائد الجهل والعمى وكتاب الله تعالى يقول فى سورة الليل آية ١٢ ﴿إن علينا للهدى﴾ ونصب الإمام من الهدى فيجب وقال تعالى فى سورة الأنعام آية ٥٤ ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ والإمام من الرحمة فيلزم، وقال فى سورة النساء آية ٥٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ فأمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم والإطلاق بصيغة الجمع ولم يقيده بزمان فهو يفيد عصمة أولى الأمر ووجود من تلزم طاعته كطاعة الله وطاعة رسولهﷺ ولا يكون ذلك إلا الإمام المعصوم (ع) ويقول الأستاذ المصرى المعاصر محمد الخضر حسين فى كتابه ﴿نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم﴾ ص ٢٥ قال رسول اللهﷺ ﴿من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية﴾ أخرجه الإمام الحميدى فى جمعه بين الصحيحين البخارى ومسلم وهو يفيد وجود الإمام فى كل زمان ووجوب التعرف عليه والرجوع إليه وأنه من أصول الإسلام لا من فروعه المتعلقة بأفعال المكلفين لأنه رتب على التخلف عنه اكبر محذور وهو الميتة الجاهلية ﴿أى ميتة كفر﴾ وهى لا تكون إلا لترك أصل من أصوله ولا يصح أن يراد من إمام الزمان فى الحديث القرآن لأمرين :

١ ـ ان لفظ الإمام لا يفيد معنى القرآن عند إطلاقه لا عرفاً ولا لغة..

٢ ـ انه لو أراد منه القرآن لزم لغوية قول النبىﷺ باختصاص كل زمان بإمام تجب معرفته فان تقييده بالزمان أى زمان المكلاف بمنع من إمكان إرادته لو صح إطلاقه عليه وذلك لوجود القرآن فى سائر الأزمان ولا يختص بزمان دون زمان ويقرر هذا قول الله تعالى فى سورة الإسراء آية ٧١ ﴿يوم ندعوا كل أناس بإمامهم﴾ وهو يفيد أن لكل أناس فى كل عصر إماما يدعون به والقرآن موجود فى كل العصور لجميع الناس لا لكل أناس كما هو صريح الآية.

اعتقاد الشيعة أن الخلفاء بعد النبىﷺ اثنا عشر خليفة لا يزيدون واحداً ولا ينقصون كما جاء التنصيص عليه فى أحاديث النبىﷺ

فمن ذلك ما أخرجه شيخ الحديث عند أهل السنة البخاري ص ١٦٤ في باب الاستخلاف من كتاب الأحكام من جزئه الرابع (عن جابر بن سمرة قال سمعت النبيﷺ يقول يكون اثنا عشر أميراً فقال كلمة لم اسمعها فقال أبي انه قال كلهم من قريش).

وأخرج مسلم ١١٩ من جزئه الثاني في باب الناس تبع لقريش من كتاب الإمارة عن النبيﷺ انه قال (لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش).

وأخرج الشيخ القندوزي الحنفي في ينابيع المودة في الباب السابع والسبعين ص ٤٤٥ من جزئه الثاني (عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة انه سمع النبيﷺ يقول بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من بني هاشم) ثم قال (ذكر يحيى بن الحسن في كتاب العمدة من عشرين طريقاً في أن الخلفاء بعد النبيﷺ اثنا عشر خليفة كلهم من قريش في البخاري من ثلاث طرق، وفي مسلم من تسع طرق، وفي أبي داود ثلاث طرق وفي الترمذي من طريق وفي الحميدي من ثلاث طرق) وليس بهذا العدد المخصوص أئمة من قريش إلا الأئمة الاثنا عشر من أهل بيت النبيﷺ كما تقول الشيعة لأنه ليس من الممكن حمل هذه الأحاديث على المستخلفين بعد رسول اللهﷺ لقلتهم عن هذا العدد، ولا حملها على ملوك بني أمية وأمراء بني العباس لكثرتهم والتخصيص ببعضهم دون بعض تخصيص بلا مخصص وترجيح بلا مرجح وبطلانه واضح ولان تعديهم في سلوكهم لحدود الله التي حددها لعباده يمنع من حملها عليهم ولا يمكن حملها على ملوك الفاطميين وغيرهم في مصر لأنهم يزيدون على اثنى عشر ولا على ملوك العثمانيين لأنهم من الترك وليسوا من قريش ولأنهم اكثر من ذلك العدد فيتعين حملها على الأئمة الإثنى عشر من عترة النبيﷺ لأنهم كانوا افضل أهل زمانهم وأجلهم وأورعهم واتقاهم وأعلاهم نسبا وأفضلهم حسباً وأكرمهم عند الله وكانت علومهم عن آبائهم متصلة بجدهم رسول اللهﷺ لا سيما إذا لاحظنا أحاديث الثقلين والسفينة والنجوم وباب حطة المتواترة بين المسلمين وليس بهذا العدد من الأئمة مستمر الى قيام الساعة غير الأئمة من أهل البيت النبويﷺ فتتعين الإمامة فيهم لا في غيرهم مطلقاً[1]

---

(١) الشيعة في عقائدهم واحكامهم..

وإذا توضحت الصورة الحقيقة لتبلور عقيدة العصمة عند الشيعة، وان منشأها هو الكتاب والسنة، فان هذا الوضوح لم يتحسسه البعض بل ولم يكلف نفسه عناء التثبت من حقيقة مدعياته وتصوراته حيث يقول : ان عقيدة العصمة تسربت الى الشيعة من الفرس الذين نشأوا على تقديس الحاكم..[1]

والعجيب انه فى الوقت الذى تثار فيه الشبهات حول علم أئمة أهل البيت وعصمتهم يتبنى أهل السنة الكثير من الأقوال فى حق عمر بن الخطاب تجعله يقف فى مصاف الأنبياء بل انه يوحى إليه فى حضرة الرسول ﷺ[2]

■ ■ ■

---

(١) مع الشيعة الامامية فى عقائدهم..

(٢) مثل الروايات التى تقول لو كان نبيا من بعدى لكان عمر. وان فى القران لرايا من راى عمر. بالاضافة الى الموافقات. انظر البخارى ومسلم وكتب السنن فضائل عمر ومناقبه. وانظرتاريخ الخلفاء للسيوطى وتاريخ عمربن الخطاب لابن الجوزى..


8
واقع السنة
وواقع الشيعة
الحق والحقيقة
بين السنة
والشيعة

كثيراً ما يعتمد الذين يهاجمون الشيعة على التناقضات والسلبيات السائدة فى الواقع الشيعى وكذلك المواقف والممارسات التى ترتبط بالعديد من رموز الشيعة على مستوى الفقه والسياسة..

والحق ان مثل هذا المنهج لا صلة له بالبحث العلمى الصحيح ويخرج بصاحبه عن حدود الخلق والادب الذى يجب ان يتسلح بهما وذلك لكونه يقوم على التصيد والتربص بالخصم..

وواقع اهل السنة لا يختلف فى شىء عن واقع الشيعة بل ربما يكون أسوا حالا منه..

واذا كان الواقع الشيعى ملىء بالبدع وتسوده الصراعات كما يقول الذين يهاجمون الشيعة فان الواقع السنى يعيش نفس الحالة..

فالغلو موجود عند الشيعة والسنة..

والخرافة موجودة عند الشيعة والسنة..

والفرقة موجودة عند الشيعة والسنة..

والسلوكيات والمواقف المعوجة موجودة عند الشيعة والسنة..

والتعصب موجود عند الشيعة والسنة..

الا أن النظرة الموضوعية تقتضى منا عدم اعتماد هذا كلة كمصدر للحكم على الطرفين وانما المصدر الذى يجب الاعتماد عليه فى هذا الأمر هو النص المعتمد والمسلم به عندهما..

وحتى تتضح الصورة لابد لنا من اجراء قراءة سريعة للواقع السنى والشيعى على مستوى الماضى والحاضر من خلال عدة نقاط هى :

الحكومات..

المذاهب..

الفقهاء..

الفرق..

العامة..

وفيما يتعلق بالحكومات فقد برزت فى تاريخ المسلمين العديد من الحكومات الشيعية والسنية وإن كانت الحكومات السنية اكثر بالطبع..

ونتجت عن هذه الحكومات الكثير من المواقف المنحرفة والممارسات الاجرامية التى تصطدم بأحكام الاسلام وثوابته..

حكومة ابى بكر أسرفت فى قمع المخالفين لها تحت مسمى الردة بسيف خالد بن الوليد..

وحكومة عمر أسرفت فى الغزوات الخارجية التى اطلق عليها الفتوحات..

وحكومة عثمان لم تحسن استخدام السلطة وفتحت الأبواب للأقارب والولاة ليستثمروا السلطة فى خدمة مصالحهم..

وحكومة معاوية أسست للملكية وتوريث الحكم وفصل الدين عن الدولة والتفريق بين الصحابة والعنصرية وقمع الآخر وتصفية المعارضة..

وحكومات الأمويين من بعده سارت على نفس النهج..

و كذلك حكومات العباسيين سارت على نفس النهج أيضا وأضافت استثمار الرواة وطبقة الفقهاء الذين برزوا فى دائرتها فى تقنين صورة جديدة للاسلام..

ولم تختلف الحكومات السلجوقية والأيوبية والمملوكية والعثمانية التركية عن الحكومات السابقة فى شىء سوى تبنيها للمذاهب وقمعها لأصحاب المذاهب المخالفة..

وهذا على مستوى الحكومات السنية على فرض التزامها بنهج أهل السنة..

أما الحكومات الشيعية التى قامت فى تاريخ المسلمين فلم تكن تختلف عنها فى شىء سوى فى استثمارها للمذهب الشيعى والترويج له..

ومن أشهر الحكومات الشيعية حكومه البويهيين فى بغداد..

والحمدانيين فى حلب وما حولها..

والفاطميين فى مصروالشام..

والأدارسة فى المغرب..

والصفويين فى ايران..

وقد برزت العديد من الصراعات بين الدول السنية والدول الشيعية التى عاصرتها مثل الصراع الذى دار بين العباسيين والفاطميين، وبين الصفويين والعثمانيين، الا أن هذه الصراعات كانت صراعات سياسية لا صلة لها بالدين..

والصفويون فرضوا المذهب الشيعى على ايران وحولوها من السنة الى الشيعة واستخدموا لتحقيق ذلك العديد من الوسائل والأساليب التى تتنافى مع الاسلام..

وصدامهم مع الدولة العثمانية التركية المجاورة كان الخاسر فيها الشيعة والسنة على السواء..

كذلك الحرب التى نشبت بين العراق وايران كانت حربا سياسية..

ولم يكن العراق البعثى يمثل السنة..

ولم تكن ايران الشيعية تمثل الشيعة..

وذلك على الرغم من أن جهات عديدة على مستوى الداخل والخارج حاولت ان تضفى الطابع المذهبى على هذه الحرب..

والحكومات بشكل عام لاتمثل الدين بالضرورة وانما تمثل السياسة والمصالح ومن الخطا الاستدلال بمواقفها وممارساتها على صحة واستقامة الدين والمعتقد..

وهذا أمر ينطبق على الحكومة الشيعية المعاصرة فى ايران كما ينطبق على الحكومة السنية المعاصرة فى جزيرة العرب والحكومات التى قامت فى افغانستان..

والذين تصيدوا المواقف والممارسات المنحرفة والعدائية لحكام الشيعة واعتبروها مخالفة للاسلام وموجهة لأهل السنة جانبهم الصواب حيث أن مواقف وممارسات الحكام بصفة عامة لا تخضع للحسابات الدينية و المذهبية..

ووفق هذا المنطق يمكن محاسبة العديد من الحكومات السنية السابقة واللا حقة والتى ارتكبت العديد من الجرائم والمنكرات فى حق الاسلام والشيعة والمذاهب الأخرى وحتى الفقهاء من السنة..

وحول الخيانة والتعامل مع أعداء الاسلام على مستوى الماضى والحاضر فهذا أمر وقع فيها العديد من الحكام سنة وشيعة..

ولا يمكن بأى حال اعتبار ان هذه الخيانات كانت بدافع الدين فالدين مهما كانت صورته لا يبرر الخيانة وسفك الدماء وانما كانت بدوافع السياسة وحماية المصالح وتوسيع النفوذ..

وليس من الحكمة ربط مواقف الحكومات وسياساتها بالسنة او الشيعة فان مثل هذا الأمر يشكل ادانة للاسلام بمجمله ويضفى القداسة والصفة الدينية على هذه الحكومات ويؤصل لفكرة الحكومة الدينية التى تصطدم مع الاسلام..

ولم تكن الحكومات يوما حجة على الدين..

الا أن العصبية وانعدام الوعى قد دفع بالبعض ممن يبغضون الشيعة ويتسلحون بالعقل المذهبى الى القول بأن الشيعة تامروا على العراق وتعاونوا مع الأمريكيين على اسقاط بغداد كما تامروا فى السابق عليها وتعاونوا على اسقاطها فى قبضة التتار..

ومثل هذا الكلام لا يستقيم مع الواقع والحقائق التاريخية فالعراق كان يحكمه منذ أكثر من ثلاثين عاما حزب البعث العربي الاشتراكي الذى أسسه ميشيل عفلق وهو حزب مجرم من قبل المسلمين جميعا وجرائمه ومنكراته فى حق العراق والعراقيين مشهورة والدفاع عنه وعن صدام الذى كان يمثله ويحكم باسمه قبل سقوطه والصاقه بالسنة على اعتبار ان الذين تامروا على اسقاطه من الشيعة يمثل حرجا لأهل السنة ومعتقداتهم..

والشيعة فى العراق يمثلون الأغلبية واذا ما استثنينا الأكراد- السنة- كعرق غير عربى يعيش منفصلا عن العراق ويسعى لتأكيد هويته القومية ولهم كيانهم الذاتى قبل سقوط صدام فان السنة فى العراق يمثلون أقلية قليلة..

فلماذا لا يمكن القول ان الشيعة بصفتهم أغلبية تامروا على حكومة الأقلية وأسقطوها..

وهذه الافتراضات انما تدور فى محيط السياسة ولا صلة لها بالدين..

واذا ما أردنا أن نتحدث باسم الدين فيجب القول أن الذين تآمروا على اسقاط بغداد هم أولئك الذين فتحوا بلادهم للمشركين وأفتوا بجواز الاستعانة بهم وأقاموا لهم قواعد على أراضيهم تلك القواعد التى انطلقت منها قوات المشركين التى غزت بغداد..

أما ما أشيع عن تامر الشيعة فى الماضى مع التتار والصليبيين فهى قضية تتعلق بكيفية قراءة التاريخ وهو ما سوف نفصله فيما بعد وما نود التركيز عليه هنا هو دعوة المسلمين الى قراءة واقعهم قراءة جيدة ومتجردة..

وفيما يتعلق بالمذاهب فقد نشأت فى دائرة أهل السنة العديد من المذاهب الفقهيةعلى رأسها المالكية والأحناف والشافعية والحنابلة، وذلك غير مذاهب أخرى لم تتح لها الفرصة للشهرة والبروز مثل مذهب الليث والأوزاعى وداود الظاهرى الذى تبنى مذهبه ابن حزم..

كذلك نشأت العديد من المذاهب الروائية التى اختلفت فى الرجال وأدى هذا الخلاف الى تبنى روايات دون روايات مثل مذهب البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابوداود

وابن ماجه والطبراني والبيهقي والدارمي وابن حبان والدارقطني والحاكم وغيرهم كثير..

وقد استثمرت الحكومات المذاهب والرواة كما أشرنا سابقا..

ثم برز التعصب فى دائرة هذه المذاهب ووقعت العديد من الصدامات..

فى أيام الخليفة الراضى وقعت فتنة البربهارى الحنبلى مع المذاهب الأخرى عام ٣٢٣هـ..

واختلف فقهاء الأحناف فى حكم تزويج الحنفية بالشافعى..

فقال بعضهم : لا يصح لأنها تشك فى ايمانها..

وقال آخرون : يصح قياسا على الذمية..

ويروى السيوطى فى تاريخ الخلفاء أحداث عام ٣١٧ هـ : وفى هذه السنة هاجت فتنة كبرى فى بغداد بسبب قوله تعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾.

قالت الحنابلة : معناها يقعده الله على عرشه..

وقال غيرهم : بل هى الشفاعة..

ودام الخصام واقتتلوا حتى قتل جماعة كثيرة..

واصطدم الحنابلة بالطبرى لقوله عن ابن حنبل أنه لم يكن فقيهاً إنما كان محدثاً، على ما سوف نبين..

وقال ابن الجوزى فى كتابه دفع شبه التشبيه عن الحنابلة : فقد كسيتم هذا المذهب شيئا قبيحاً حتى صار لا يقال عن حنبلى إلا مجسم، ثم زينتم مذهبكم أيضاً بالعصبية ليزيد بن معاوية وقد علمتم أن صاحب المذهب أجاز لعنه..

واصطدم ابن حزم بفقهاء عصره من المالكية والمذاهب الأخرى وانتهى الأمر بإحراق كتبه.. وفى عهد السلطان المغولى محمد خدا بنده الذى كان قد اعتنق الاسلام على المذهب الحنفى اظهر الأحناف التعصب وبطشوا بأصحاب المذاهب الأخرى من الشافعية

والمالكية والحنابلة ثم تولى القضاء قاضى شافعى فاضطهد المذاهب الأخرى وكثر السب والشتم بين الأحناف والشافعية..

وشاع الأمر بين العامة فارتد العديد من المغول عن الاسلام وأخذ السلطان يراجع موقفه منه الا انه تم تدارك الأمر بواسطة أحد فقهاء الشيعة وهو ابن المطهر الحلى..

وفى العصر المملوكى برز ابن تيمية واصطدم بالمذاهب الأخرى وحدثت فتنة وانتهى الأمر بحبسة ليموت فى الحبس..

وذكر ابن حجر فى الدرر : أنه نودى بدمشق من اعتقد عقيدة ابن تيمية حل دمه وماله خصوصا الحنابلة، ثم جمع الحنابلة من الصالحية وغيرها وأشهدوا على أنفسهم أنهم على معتقد الشافعى..

وفى العصر الحديث برز المذهب الوهابى فى جزيرة العرب وأوقع العديد من الفتن بين المذاهب والمسلمين لا تزال آثارها باقية حتى الآن..

وفى دائرة الشيعة برز المذهب الإخبارى ونتج عن ظهوره وقوع العديد من الفتن والصدامات مع المذهب الأصولى السائد فى وسط الشيعة كما ذكرنا سابقاً..

ولا تزال آثار هذا المذهب باقية وسط الشيعة الى اليوم..

وفى فترة السبعينيات وقعت مواجهات بين المراجع ومحمد باقر الصدر فى العراق بسبب طرحة بعض الرؤى التصحيحية للمذهب الشيعى السائد..

واتخذ بعض المراجع والفقهاء من الشيعة مواقف عدائية من الدكتور على شريعتى..

كذلك اتخذ المراجع والفقهاء مواقف عدائية من الامام الخمينى وطرحه التجديدى..

وفى الفترة الأخيرة وقعت نفس المواجهة بين المراجع و حسين فضل الله فى لبنان بسبب رفضه بعض الروايات المتعلقة بالإمامة والخليفة الثانى..

وتدور فى وسط الشيعة صراعات بين أتباع المراجع تشبه تلك الصراعات التى وقعت بين أتباع المذاهب السنية..

وفيما يتعلق بالفقهاء فان هناك تشابها كبيرا بين فقهاء السنة والشيعة فى تناول العبادات والخلافات بينهما فى هذا الشان تكاد تشبه الخلافات السائدة بين فقهاء المذاهب الأربعة..

الا أن تبنى الشيعة لفكرة الامامة وحصرها فى دائرة أهل البيت ورفض السنة لهذه الفكرة وحصرها فى دائرة الحكام أوجد خلافا واسعا فى قضايا الاعتقاد انبنى على العديد من الروايات المتصادمة مع روايات السنة رغم وجود العديد من الروايات المشتركة بين الطرفين..

وطريقة تناول الأحكام والاستدلال عند الشيعة تختلف عن مثيلتها عند السنة وذلك بسبب اختلاف مصادر التشريع..

ومصادر التشريع عند السنة هى الكتاب والسنة والاجماع والقياس والمصالح المرسلة والعرف والاستحسان وعمل الصحابى وعمل أهل المدينة..

اما عند الشيعة فتحصر المصادر فى الكتاب والسنة والاجماع والعقل..

والشيعة لا يعترفون بالقياس وسائر المصادر الأخرى..

ويمكن حصر الخلاف بين فقهاء السنة والشيعة فى تناول الكتاب والسنة..

اهل السنة يتناولون القران والروايات بمنظور..

والشيعة يتناولونه بمنظور اخر..

وهذا الخلاف منبعه رؤية كل منهما للقران والروايات..

والفقه السنى يعود فى معظمه الى الماضى والاجتهادات العصرية فى دائرته قليلة..

والفقه الشيعى يعود فى معظمه الى الماضى أيضا لكن الاجتهادات العصرية فيه أكثر..

وارتباط المقلد بالفقيه عند السنه يشبه ارتباط المقلد بالفقيه عند الشيعة والفارق بينهما يكمن فى كون المقلد الشيعى يعتبر المرجع الذى يقلده ينوب عن الامام الغائب..

أما من جهة تقديس المرجع والفقيه والتعصب له فهو أمر واقع عند الطرفين..

والحديث عن الفرق وكتب الفرق فى دائرة السنة أشرنا اليه فيما سبق فلا يجوز اتخاذ الأقلية دليلا على الباطل والأكثرية دليلا على الحق..

والقران لا يعد الكثرة دليلا على شيوع الحق أو وجوده بل أكد على الأقلية..

يقول سبحانه : ﴿وقليل ما هم..﴾. «ص: ٢٤».

ويقول : ﴿وقليل من عبادى الشكور..﴾. «سبا : ١٣».

ويقول : ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين..﴾. «يوسف ١٠٣».

والرسل والأنبياء لم ينجحوا فى استقطاب الكثرة من أقوامهم وهو ما يؤكده القران أيضا..

يقول سبحانه عن نوح (ع) وقد دعا قومه ألف سنة الا خمسين عاما : ﴿وما آمن معه الا قليل..﴾. «هود: ٤٠».

وأساس الخلاف بين هذه الاتجاهات وأهل السنة يعود الى الروايات التى تبنوها ورفضتها هذه الاتجاهات خاصة الروايات التى تتعلق بصفات الله تعالى..

وحظ الشيعة فى كتب الفرق كان وفيرا حيث ركز عليهم من دون الاتجاهات الأخرى لما يمثلونه من تحدى دائم لأهل السنة على مرالزمان ووصفوا بشتى الصفات المنفرة..

ووقع مؤلفو هذه الكتب فى العديد من الأخطاء وهم يرصدون الشيعة تحت وطاة العصبية المذهبية ونسبوا اليهم العديد من المعتقدات التى لا صلة لهم بها..

وفى مقدمة هذه المعتقدات القول بأن جبريل أخطأ فى الرسالة وبدلا من أن يهبط على على هبط على محمدﷺ وهى شبهة ساذجة لا يقول بها الا ضعاف العقول أوردها ابن حزم فى كتابه الفصل بين الملل والأهواء والنحل ونسبها الى فرقة تدعى الغرابية التى ألصقت بالشيعة..

وعلى الرغم من ذلك تبنى المسلمون هذه الفكرة وروجوا لها بينهم..

والأمر الواجب ذكره هنا هو أن تلك الفرق المزعومة التى نسبت الى الشيعة عن طريق كتاب الفرق ومقالاتها لا وجود لها اليوم..

والموجود من فرق الشيعة اليوم هى الاسماعيلية بشقيها البهرة والأغاخانية وهما فرقتان برزتا فى العصر الفاطمى بمصر بالاضافة الى العلويين ببلاد الشام..

وهذه الفرق تمثل أقلية فى محيط الشيعة الذين ينتمى اغلبهم الى الامامية الاثنى عشرية المقصودون بالمواجهة والحرب المنتشرون فى ايران والعراق ولبنان وباكستان والهند والجزيرة العربية والخليج وافغانستان وغيرها من البلدان..

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هل الفرقة لم تطل أهل السنة..؟

والجواب أن الفرقة قد طالتهم كما طالت الشيعة وتطول كل مذهب وذلك على مستوى الماضى والحاضر ومحاولة انكار وقوع هذه الفرقة فى دائرتهم يعد طمسا لسنن الحياة الثابتة..

يقول سبحانه : ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم..

وما دامت الفرقة قد طالت السنة وطالت الشيعة على مستوى الماضى والحاضر فلا ينبغى اذن على ضوء هذه الحقيقة أن يستثمر البعض حالة الفرقة والخلاف السائدة فى الوسط الشيعى للبرهنة على انحراف الشيعة والطعن فى معتقداتهم..

وعوام الشيعة لا يختلفون فى قليل أو كثير عن عوام السنة والمجتمع البشرى على مر التاريخ يحوى العديد من الشرائح والأنماط البشرية المختلفة والمتناقضة، الصالحة والفاسدة، الضعيفة والقوية، المؤمنة والمنافقة، الخائنة والأمينة، الفقيهة والجاهلة، حتى أن مجتمعات الرسل ﷺ لم تكن تخلوا من هذه الأنماط..

وليس من وظيفة الأديان أن تحول الناس الى ملائكة وانما وظيفتها أن تبلغ وتبين وترشد وتنذر فمن استجاب فقد هدى واستقام ونجا، ومن رفض فقد خاب وضل وهلك..

يقول سبحانه : ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾..

وسورة براءة التى يسميها بعض الفقهاء الفاضحة ويسميها آخرون سورة العذاب تعرض لنا شتى الشرائح والأنماط البشرية التى كان يكتظ بها مجتمع الرسولﷺ فى المدينة..

وعلى ضوء هذه الحقائق لا يجوز لنا ان نتصيد اخطاء الآخرين وسلوكياتهم المعوجة ونبرهن بها على اعوجاج المعتقد وعدم استقامته فلم يكن الرجال يوما حجة على الأديان..

والحق لا يعرف بالرجال انما يعرف الرجال بالحق..

وقد نقل صاحب منشور جذور الشيعة بعض الأمور المخزية التى نسبها لهم منها : جواز التمتع بالمراة المتزوجة والسبية والطفلة، ساردا حكايات نقلها من الكتاب المزعوم المسمى لله ثم للتاريخ تتعلق بالنساء واعارة الفروج واباحة اللواط بالنساء والرجال والصبيان مؤكدا أن الخمينى تمتع بطفلة..

ومثل هذه الكلام لا صلة له بالخلق والعلم ولا صلة له أيضا بالظاهر والباطن الذى ادعى صاحب المنشور المذكور معرفته بهما، وهو إن دل على شىء فإنما يدل على جهل صاحبه وضعف عقله..

والعقل السليم لا يهضم مثل هذه الكلام ولا يروجه لكونه يمثل ادانة لناقله تدل على افتقاده الخلق وتبنيه لغة التحريض التى هى لغة العوام لا لغة أهل العلم..

وتبنى مثل هذا الأسلوب يعنى نشوب حرب عورات بين السنة والشيعة يقودها العوام اذ أن تتبع عورات الآخر سوف يدفع به الى تتبع عورات الخصم..

والشيعة لا تخلو من العورات والسنة كذلك اذ أن نفس هذه المظاهرالمنحرفة التى الصقت بالشيعة لها نظيرها فى محيط السنة وحتى فى أرض الحرمين..

لكن المفروض تأكيده هنا هو أن هذه العورات لا صلة لها بالدين وانما بالرجال الذين هم ليسو حجة على الدين..

وقد عاصرت الكثير من السلوكيات المعوجة والمنحرفة واللأخلاقية بين عناصر الجماعات الاسلامية فى دائرة المعتقلات وما كان لى أن أذكرها أوأشر اليها فى مذكراتى المنشورة حول هذه الفترة..

وكما لا يجوز لنا الصاق تهمة الارهاب بالاسلام نتيجة لمواقف وممارسات الفرق الجهادية التى تبرأ منها فقهاء السنة، لا يجوز لنا الصاق مثل هذه التهم بالشيعة وقد تبرا منها فقهائهم حفاظا على صورة الاسلام..

وما يجب الاشارة اليه هنا هو أن كتب الفقه السنية قد حوت الكثير من الطامات والأعاجيب التى يجب أن يتبراوا منها..

ومن أمثلة ذلك :

جواز نكاح الطفلة وبنت العشر سنين..

جواز نكاح إبنة الزنا..

جواز ثبوت النسب بشهادة الزور..

جواز النكاح بشاهدى زوردون علم الزوجة..

جواز النكاح بنية الطلاق..

جواز نسبة الولد لمجموعة وطئوا امراة واحدة..[1]

هذا بالإضافة الى فتاوى ابن باز وفقهاء الوهابية أئمة حنابلة العصر ومنها :

فتوى فى تحريم قيادة المرأة للسيارة..

فتوى فى حرمة إحياء الآثار..

فتوى فى حرمة تطبيق المبادىء الإشتراكية والدعوة القومية..

---

(١) انظرالفتاوى الكبرى لابن تيمية ج٣/فتوى رقم ٤٨٤ و٤٨٨. وانظر الأم للشافعى وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد والهداية والتقييد والايضاح للعراقى وفتح المغيث للسخاوى. وانظر كتاب الحيل فى البخارى..

فتوى فى تحريم لبس الكعب العالى للمرأة ودخول المجلات المصورة البيوت..

فتوى فى حرمة نزول المرأة الى الأسواق بدون إذن زوجها..

فتوى فى عدم جواز أكل ذبائح المسلمين..

فتوى فى عدم جواز بيع الدم واستعماله وتناوله للعلاج..

فتوى فى إنكار صعود القمرودوران الأرض.. (٢)

■ ■ ■

---

(٢) انظر فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء..

9

الشبهات

شبهات عقدية وتاريخية

الشبهات العقدية

هناك العديد من المسائل الخلافية بين الشيعة والسنة خارج دائرة الأصول إلا أن هذه المسائل منها ما ترفضه السنة رفضاً كلياً، ومنها ما تتفق فيها مع الشيعة بعض مذاهب السنة..

والقول الفصل فى هذه المسائل هو أنها لا تصطدم بالأصول المسلم بها لدى الطرفين مثل التوحيد والنبوة والقرآن، وإن كانت هناك محاولات من قبل بعض مذاهب السنة لإثبات مصادمتها بأصول الدين..

أما المسائل الخلافية العقدية فتتركز فيما يلى :

تعظيم الأضرحة والقبور والتوسل بأهل البيت..

إباحة نكاح المتعة..

الرجعة..

البداء..

التقية..

الغيبة..

الوصية

السجود على التربة..

التطبير..

وسوف نتناول كل مسألة من هذه المسائل بالتفصيل..

الأضرحة والتوسل :

يرى الشيعة جواز إقامة القبور وتعليتها وزيارتها وإحياء المناسبات الخاصة بأصحابها كما يرون جواز التوسل بأصحاب القبور بداية من الرسولﷺ ونهاية بأهل البيت والأولياء والصالحين.. وهذه المسألة لا تعد من الخلافات الجوهرية مع السنة، إذ أن العديد من المذاهب السنية - إن لم يكن أغلبها - يرى جواز ذلك..

إلا أن طائفة من الحنابلة القدامى وتلاهم ابن تيميه فى القرن الثامن وتلاميذه من بعده ابن القيم وابن كثير ثم محمد بن عبد الوهاب من بعدهم _ قاموا بتضخيم هذه المسألة ومحاولة ربطها بأصول الدين لتتحول على أيديهم إلى قضية توحيد أو شرك..

ومن بعد الوهابيين جاء حنابلة العصر من الجماعات السلفية وغيرها ليرفعوا راية التوحيد فى مواجهة المخالفين لهم من السنة والشيعة، وتحصنوا بالعديد من الروايات المنسوبة للرسولﷺ وبعض أقوال الحنابلة القدامى الذين عدت كتبهم بمثابة مراجع لهذه الجماعات فى مواجهة خصوصهم من المسلمين..

والشيعة فى هذه المسألة إنما يستندون على العديد من النصوص القرآنية والنبوية وهى نفس النصوص التى يستند عليها السنة من الصوفية والأحناف والشافعية وغيرهم..

ومن هذه النصوص

قوله تعالى : ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ البقرة/١٢٥.

وقوله : ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً﴾ الكهف/٢١.

وقول الرسولﷺ : نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها..[١]

وجاء فى العديد من المصادر إن إسماعيل (ع) دفن مع أمه هاجر فى الحجر حول الكعبة..[٢]

---

(١) انظر كتاب الجنائز فى البخارى ومسلم وكتب السنن..

(٢) انظر سيرة ابن هشام ج١ وتاريخ الطبرى ج١/٣٥٢. والكامل فى التاريخ لابن الأثير ج١/٨٩ والبداية والنهاية لابن كثير ج١ ١٩٣. وانظر معجم البلدان مادة (حجر).

وهناك روايات تشير الى أن بين الركن الى المقام الى زمزم الى الحجر قبور العديد من الأنبياء..[1]

وروى عن النبيﷺ قوله : من حج فزار قبري بعد موتي، كان كمن زارني في حياتي..[2]

يقول الشيخ المظفر : أما زيارة القبور وإقامة المآتم، فليست هي من نوع التقرب الى غير الله تعالى في العبادة ـ كما توهمه بعض من يريد الطعن في طريقة الأمامية غفلة عن حقيقة الحال فيها ـ بل هي نوع من التقرب الى الله تعالى بالأعمال الصالحة، كالتقرب إليه بعيادة المريض، وتشييع الجنائز، وزيارة الإخوان في الدين، ومواساة الفقير، فان عيادة المريض ـ مثلا ـ في نفسها عمل صالح يتقرب به العبد الى الله تعالى، وليس هو تقرباً الى المريض يوجب أن يجعل عمله عبادة لغير الله تعالى أو الشرك في عبادته، وكذلك باقي أمثال هذه الأعمال الصالحة التي منها : زيارة القبور، وإقامة المآتم، وتشييع الجنائز، وزيارة الإخوان..

والغرض، أن إقامة هذه الأعمال ليست من نوع الشرك في العبادة ـ كما يتوهمه البعض ـ وليس المقصود منها عبادة الأئمة، وإنما المقصود منها إحياء أمرهم، وتجديد ذكرهم، وتعظيم شعائر الله فيهم ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ الحج/٣٢..

فكل هذه أعمال صالحة ثبت من الشرع استحبابها، فإذا جاء الإنسان متقرباً بها الى الله تعالى طالباً مرضاته، استحق الثواب منه ونال جزاءه..[3]

ويقول الشيخ الشيرازي : ومسألة التوسل هي كقضية " الشفاعة " تتيح لأصحاب المشاكل المادية والمعنوية التوسل الى أولياء الله ليسألوا الله حل مشكلاتهم بإذنه تعالى،

---

(١) من هؤلاء الأنبياء هود وصالح وشعيب. انظر أخبار مكة للزورقي، وانظر الكافي كتاب الحجج باب حج إبراهيم وإسماعيل.

(٢) رواه البيهقي ج٥/ ٢٤٦ والدارقطني ج٢/٢٧٨، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٤/ ٢. والطبراني في الكبير ج١٢/ ٤٠٧. والدر المنثور للسيوطي ج١/ ٢٣٧.

(٣) عقائد الإمامية..

أي أنهم يتجهون الى الله تبارك وتعالى جاعلين أولياءه وسيلة إليه تعالى : ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ النساء/٦٤ ولكن يجب عدم تجاوز الحد المنطقي والاستغراق في هذه العقيدة، وإضفاء الاستقلالية على أولياء الله في التأثير وتصور إمكانية الاستغناء عن إذن الله، فذلك يؤدي إلى الشرك والكفر، كما أن التوسل يجب ألا يتخذ شكل العبادة للأولياء، لأن ذلك من الكفر والشرك أيضا، لأنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً دون إذن الله : ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله..﴾ الأعراف/١٨٨..(١)

ويقول الشيخ كاشف الغطاء :

التبرك بهم - أي أئمة أهل البيت - والتوسل الى الله بكرامتهم ومنزلتهم عند الله والصلاة عند مراقدهم لله كله جائز وليس من العبادة لهم بل العبادة لله، وفرق واضح بين الصلاة لهم والصلاة لله عند قبورهم ﴿في بيوت إذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه﴾(٢)

الا ان هذا كله لا ينفي ان الشيعة يبالغون في مسألة الأضرحة والمقامات الى الحد الذي يصطدم بغايات الإسلام وأهدافه. فليس من المعقول - والشيعة يعتمدون العقل - ان تنفق الملايين على تزيين المراقد وتجديدها بينما المسلمون يتضورون جوعا ويعيشون في العراء..

نكاح المتعة :

وهذه المسألة لا مجال فيها للتسامح عند حنابلة العصر حيث يعتبرون هذا النكاح صورة من صور الزنا بينما هو في نظر الشيعة نكاح مشروع له أدلته الواضحة في الكتاب والسنة..

---

(١) عقيدتنا..

(٢) أصل الشيعة وأصولها..

ولقد كان نكاح المتعة مشروعاً فى أيام الرسولﷺ والخلاف بين السنة والشيعة فى أمر نسخه أو بقاء مشروعيته..

السنة تقول بنسخه..

والشيعة تقول باستمراره..

ونكاح المتعة عبارة عن تزويج المرأة الحرة الكاملة نفسها إذا لم يكن بينها وبين الزوج مانع - من نسب أو سبب أو إرضاع أو إحصان أو عدة أو غير ذلك من الموانع الشرعية - بمهر مسمى الى أجل مسمى بالرضا والاتفاق، فإذا انتهى الأجل تبين منه من غير طلاق، ويجب عليها بعد الدخول أن تعتد، وولد المتعة ذكراً كان أو أنثى يلحق بالأب ويرث الأب والأم..[1]

من هنا فنحن نعتقد إن الزواج المؤقت - نكاح المتعة - يلبى - لو لم يساء استخدامه - جانباً من الضرورات الاجتماعية، لاسيما بالنسبة للشباب الذين لا تتيح لهم الظروف إمكانية الزواج الدائم، أو المسافرين الذين تدفعهم ظروف التجارة أو الدراسة أو غيرها للابتعاد عن أسرهم مدة من الزمن، أو الحالات المماثلة الأخرى، وتحريم هذا الزواج يفتح الطريق واسعاً أمام ارتكاب الزنى والفحشاء، وخاصة فى عصرنا حيث ارتفع سن الزواج الدائم لأسباب مختلفة، وكثرت العوامل المثيرة للشهوات، فان اغلق طريق الزواج المؤقت فسيفتح دون شك سبيل الفحشاء.. إننا نعارض وبشدة أى استغلال سيئ لهذا الحكم الإسلامى، وجعله ذريعة بيد عباد الأهواء والشهوات وجر النساء الى مستنقع الفساد والرذيلة، لكن استغلال البعض لهذا القانون يجب ألا يصبح ذريعة لمنعه تماماً، بل ينبغى الوقوف أمام الاستغلال السيئ له..[2]

ان نكاح المتعة قضية فقهية لا صلة لها بالاعتقاد وأصول الدين وهى تحكمها قاعدة أن ما ينطبق على الزواج الدائم ينطبق على الزواج المؤقت، فجميع الشروط الواجب

(١) مع الشيعة الإمامية فى عقائدهم..

(٢) هقيدنمت..

توافرها فى الزواج الدائم يجب توافرها فى نكاح المتعة، والفارق الوحيد بين النوعين من الزواج هو مسألة التأقيت أى ارتهان نكاح المتعة بمدة من الوقت..

والحق أن أدلة إباحة هذا النوع من الزواج متوفرة لدى أهل السنة فى أمهات مصادرهم، وقد اختلف الفقهاء فى أمره اختلافا كبيرا، وعدها البعض من غرائب الشريعة..[1]

يروى عن عمران بن الحصين قال : نزلت المتعة فى كتاب الله ففعلناها مع رسول الله ﷺ ولم ينزل قرآن يحرمها، ولم ينه عنها حتى مات - أى رسول الله..

قال رجل - أى عمر - برأيه ما شاء..[2]

وكان عمر قد نهى عن نكاح المتعة بعد سنوات من خلافته، وهذا دليل على أن هذا النوع من النكاح كان موجوداً ومستمراً بعد وفاة الرسول ﷺ..[3]

ومن أشهر الصاحبة الذين استمروا على القول بإباحة نكاح المتعة رغم نهى عمر عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله ومعاوية بن أبى سفيان وعمرو بن حريث وغيرهم، ومن التابعين طاووس وسعيد بن الجبير وعطاء وسائر فقهاء مكة..[4]

ويعتبر الشيعة قوله تعالى : ﴿فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن﴾ النساء/٢٤ هو نص خاص بنكاح المتعة..

ويروى عن الإمام على قوله : لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقى..[5]

ويروى : سئل جعفر الصادق عن المتعة فقال : نزلت فى القرآن

---

١) انظر كتب التفسير. سورة النساء. اية رقم ٢٤. وانظر فتح البارى شرح البخارى كتاب النكاح ومسلم شرح النووى. وانظر كتب الفقه..

(٢) انظر البخارى ومسلم كتاب النكاح. وكتب السنن الأخرى..

(٣) انظر المراجع السابقة. وانظر سنن الترمذى ومسند أحمد عن ابن عمر مخالفته لأبيه فى أمر المتعة.

(٤) انظر فتح البارى ج٩/ باب ٣١..

(٥) انظر وسائل الشيعة. الفروع. وقد ورد هذا النص فى كتب السنة أيضاً. انظر كتب التفسير وكتب الفقه. وانظر تفسير القرطبى..

﴿فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فما استمتعتم به منهن..﴾ (١)

وروى عن الإمام الرضا : المتعة لا تحل إلا لمن عرفها وهى حرام على من جهلها..(٢)

وروى عنه أيضاً : لا ينبغى ان تتزوج إلا بمأمونة. إن الله عز وجل يقول :

﴿الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾ النور/ (٣)

وتحدد كتب الفقه عند الشيعة الشروط الواجب توافرها لتتحقق مشروعية هذا الزواج وهى تتلخص فيما يلى :

الإيجاب والقبول بين طرفى الزواج..

صيغة العقد وفيه تحدد الزوجة مدة الزواج بقولها أنكحتك نفسى مدة كذا الى مدة كذا..

ذكر المهر وذكر الأجل..

يستحب الإشهاد ولا يعتبر إذن الولى..

لا يجوز نكاح غير المسلمة أو الزانية..

نهاية الأجل هو الطلاق ويجوز الاستمرار وإطالة المدة والتحول الى الدوام..

يجب أن تكون الزوجة خالية من الموانع الشرعية..

يقول الشيخ شرف الدين : قال أهل المذاهب الأربعة وغيرهم من فقهاء الجمهور بنسخ هذا النكاح وتحريمه محتجين بأحاديث أخرجها الشيخان، وقد أمعنا فيها متجردين متحررين فوجدنا فيها من التعارض فى وقت صدور النسخ ما لا يمكن الوثوق

---

(١) وسائل الشيعة..

(٢) المرجع السابق..

(٣) انظر المتعة ومشروعيتها فى الإسلام للصدر. وأصل الشيعة وأصولها لكاشف الغطاء. وانظر مستدرك الوسائل ج٢/٢٣٦ . ونفس روايات الإباحة التى توجد فى كتب الشيعة هى موجودة فى كتب السنة.

به، فإن بعضها صريح بأن النسخ كان يوم خيبر، وفى بعضها انه كان يوم الفتح، وفى بعضها أنه كان فى غزوة تبوك، وفى بعضها أنه كان فى حجة الوداع، وفى بعضها أنه كان عام أوطاس، على أنها تناقض ما فى البخارى ومسلم الدالة على عدم النسخ..[1]

والقول الفصل فى هذه المسألة أنها مسألة فقهية لا صلة لها بثوابت الدين وأصوله، وقد تتجدد الحاجة لها على مر الزمان، فمن ثم لا يحق للرافضين أن يضخموها الى هذا الحد ويفتعلوا المعارك على أساسها، مع الاشارة الى أن التحريم قضية من القضايا الشرعية بالغة الحساسية التى لايمكن حسمها الا بنص صريح من القرآن..

الرجعة :

ولا تعد هذه القضية من أصول الاعتقاد عند الشيعة فهى لا تخرج عن كونها قضية اجتهادية لها ما يبررها من نصوص القرآن والروايات الواردة حولها عن أهل البيت، كما أنها فكرة لا تصطدم بأصول الاسلام..

ولأن فكرة الرجعة تعد غريبة ومستهجنة على العقل المسلم الذى اعتاد على التعامل مع قضايا وأفكار تقليدية، ولم تتح له الفرصة للخوض فى أمهات القضايا، والتعرف على عقائد واجتهادات الآخر، وتدبر نصوص القرآن فى حرية بعيداً عن القيود التى ابتدعها الفقهاء، فمن ثم فإن القول برجعة أقوام من السابقين الى الحياة الدنيا قبل يوم البعث ووجه بالشجب والاستنكار من قبل أهل السنة، واستغل فى التشنيع بالشيعة، وعد رجال الحديث منهم الراوى الذى يعتقد بالرجعة ينبذ وترفض روايته..[2]

يقول الشيخ المظفر : إن الذى تذهب إليه الإمامية أخذاً بما جاء عن أهل البيت (ع) ان الله تعالى يعيد قوماً من الأموات الى الدنيا فى صورهم التى كانوا عليها، فيعز فريقاً ويذل فريقاً آخر، ويميز المحقين من المبطلين، والمظلومين منهم من الظالمين، وذلك عند قيام مهدى آل محمدﷺ ولا يرجع إلا من علت درجته فى الإيمان، أو من بلغ الغاية من

---

(١) انظر مسائل فقهية: وانظر لنا زواج المتعة حلال فى الكتاب والسنة.

(٢) انظر نماذج من هؤلاء الرواة فى كتب الرجال مثل ميزان الاعتدال للذهبى.. وتهذيب التهذيب لابن حجر. وانظر العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل للعلوى..

الفساد، ثم يصيرون بعد ذلك الى الموت، ومن بعده الى النشور، وما يستحقونه من الثواب أو العقاب، كما حكى الله تعالى فى قرآنه الكريم تمنى هؤلاء المرتجعين ـ الذين لم يصلحوا بالارتجاع فنالوا مقت الله ـ أن يخرجوا ثالثاً لعلهم يصلحون ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل﴾ المؤمن/١١..

ولا نرى فى الواقع ما يبرر هذا التهويل ـ من الاعتقاد بالرجعة ـ لأن الاعتقاد بها لا يخدش فى عقيدة التوحيد، ولا فى عقيدة النبوة، بل يؤكد صحة العقيدتين، إذ الرجعة دليل القدرة البالغة لله تعالى كالبعث والنشور، وهى من الأمور الخارقة للعادة التى تصلح أن تكون معجزة لنبينا محمد وأهل البيتﷺ..[1]

ويقول الشيخ السبحانى : إن فكرة الرجعة التى تحدثت عنها بعض الآيات القرآنية والأحاديث المروية عن أهل بيت الرسالة مما يشنع بها على الشيعة، فكأن من قال بها رأى رأياً يوجب الخروج عن الدين، غير أن هؤلاء نسوا أو تناسوا أن أول من أبدى نظرية الرجعة هو عمر بن الخطاب، فقد أعلن عندما شاعت رحلة النبى الأكرمﷺ بأنه مات وليعد فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله مات..[2]

إن الرجعة بمعنى عود جماعة قليلة الى الحياة الدنيا قبل يوم القيامة ثم موتهم وحشرهم مجدداً يوم القيامة ليس شيئاً يضاد أصول الإسلام، وليس فيه إنكار لأى حكم ضرورى، وليس القول برجعتهم الى الدنيا يلغى بعثهم يوم القيامة، وكيف لا يكون كذلك وقد اخبر سبحانه عن رجوع جماعة الى الحياة الدنيوية مثل :

إحياء جماعة من بنى إسرائيل..

﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهره فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾ البقرة/٥٥/٥٦..

---

(١) عقائد الإمامية

(٢) انظر سيرة ابن هشام وكتب التاريخ فترة وفاة الرسول ﷺ.. وقد رد أبو بكر هذا الاعتقاد مستنداً إلى قوله تعالى ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا..﴾ آل عمران/ ١٤٤. وهذا النص نزل فى غزوة أحد وما جرى فيها من فرار وإشاعات بموت الرسول ﷺ. انظر كتب التفسير..

وإحياء قتيل بنى إسرائيل..

﴿وإذ قتلتم نفساً فادرأتم فيها والله مخرج ما تكتمون. فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾ البقرة/٧٢/ ٧٣..

وموت ألوف من الناس وبعثهم من جديد..

﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ البقرة/٢٤٣..

وبعث عزيز بعد مائة عام من موته..

﴿أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه..﴾ البقرة/٢٥٩..

وإحياء الموتى على يد عيسى (ع)..

﴿.. وأحيى الموتى بإذن الله..﴾ آل عمران/٤٩..

فلو كان الاعتقاد برجوع بعض الناس الى الدنيا قبل القيامة أمراً محالاً، فما معنى هذه الآيات الصريحة فى رجوع جماعة إليها.. ؟

ولو كان الرجوع الى الدنيا على وجه الإطلاق تناسخاً، فكيف نفسر هذه الآيات..؟

إن الاعتقاد بالذكر الحكيم يجرنا الى القول بأنه ليس كل رجوع الى الدنيا تناسخا، وإنما التناسخ الباطل عبارة عن رجوع الإنسان الى الدنيا عن طريق النطفة والمرور بمراحل التكون البشرى من جديد ليصير إنساناً مرة أخرى، وأين هذا من الرجعة وعودة الروح الى البدن الكامل من جميع الجهات من دون أن يكون فيها رجوع من القوة إلى الفعلية، أو دخول روح فى بدن آخر، إنساناً كان أو حيوان..[1]

والخلاصة أن مسألة الرجعة من المسائل التى لا تمثل أصلا فى المعتقد الشيعى وهى لا تخرج عن كونها رؤية اجتهادية لا تتطلب ذلك الموقف المتطرف تجاهها..

---

(١) مع الشيعة الامامية فى عقائدهم..

البـــداء :

وهذه قضية أخرى من القضايا الشائكة بين الشيعة والسنة اتخذت ذريعة للهجوم والتشكيك فى معتقد الشيعة من قديم وحتى اليوم..

يقول الشيخ السبحانى : إن من العقائد الثابته عند الشيعة الإمامية هو القول بالبداء، ومن الكلمات الدارجة بين علمائهم ان النسخ والبداء صنوان، غير أن الأول فى التشريع والثانى فى التكوين، وقد اشتهرت بالقول به كاشتهارها بالقول بالتقية وجواز متعة النساء، وصار القول بهذه الأمور الثلاثة من خصائصهم..

وقد أنكرت عليهم السنة أشد الإنكار خصوصاً فى مسألة البداء، ولكنهم لو كانوا واقفين على مراد الشيعة من تجويز البداء على الله لتوقفوا عن الاستنكار، ولأعلنوا الوفاق..(١)

روى عن الإمام جعفر الصادق : من زعم أن الله تعالى بدا له فى شىء ولم يعلمه أمس فأبرأ منه..(٢)

وروى عنه أيضاً : من زعم أن الله تعالى بدا له فى شىء بداء ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم..(٣)

ويقول الشيخ المظفر : البداء فى الإنسان : أن يبدو له رأى فى الشىء لم يكن له ذلك الرأى سابقاً، بأن يتبدل عزمه فى العمل الذى كان يريد أن يصنعه، إذ يحدث عنده ما يغير رأيه وعلمه به، فيبدوا له تركه بعد أن كان يريد فعله، وذلك عن جهل بالمصالح وندامة على ما سبق منه..

والبداء بهذا المعنى يستحيل على الله تعالى، لأنه من الجهل والنقص، وذلك محال عليه تعالى، ولا تقول به الإمامية..

---

(١) مع الشيعة الامامية فى عقائدهم..

(٢) انظر كمال الدين..

(٣) المرجع السابق..

غير انه وردت عن أئمتنا الأطهار روايات توهم القول بصحة البداء بالمعنى المتقدم ولذلك نسب بعض المؤلفين فى الفرق الإسلامية الى الطائفة الإمامية القول بالبداء طعناً فى المذهب وطريق آل البيت، وجعلوا ذلك من جملة التشنيعات على الشيعة..

والصحيح فى ذلك أن نقول كما قال الله تعالى فى محكم كتابه المجيد : ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ الرعد/٣٩..

ومعنى ذلك : أنه تعالى قد يظهر شيئاً على لسان نبيه أو وليه، أو فى ظاهر الحال لمصلحة تقتضى ذلك الإظهار، ثم يمحوه فيكون غير ما قد ظهر أولاً مع سبق علمه تعالى بذلك، كما فى قصة إسماعيل لما رأى أبوه إبراهيم أنه يذبحه..[١]

قال الصدوق : إن اليهود قالوا : أن الله تبارك وتعالى قد فرغ من الأمر..

قلنا : بل هو تعالى ﴿كل يوم هو فى شأن﴾.

لا يشغله شأن عن شأن، يحيى ويميت، ويخلق ويرزق ويفعل ما يشاء..

﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾..[٢]

وقال الشيخ المفيد : معنى البداء ما يقوله المسلمون بأجمعهم فى النسخ وأمثاله من : الإفقار بعد الإغناء، والامراض بعد الإعفاء، والإماتة بعد الإحياء، وما يذهب إليه أهل العدل خاصة من الزيادة فى الآجال والأرزاق والنقصان منها بالأعمال..[٣]

وقال الشيخ الطوسى : البداء حقيقة فى الظهور، ولذلك يقال : بدا لنا سور المدينة، وبدا لنا وجه الرأى، وقال الله تعالى ﴿وبدا لهم سيئات ما عملوا﴾ الجاثية/٣٣..

﴿وبدا لهم سيئات ما كسبوا﴾ الزمر/٤٧

فأما إذا أضيفت هذه اللفظة الى الله تعالى، فمنه ما يجوز إطلاقه عليه، ومنه ما لا يجوز، فأما ما يجوز من ذلك فهو ما إذا أفاد النسخ بعينه، ويكون إطلاق ذلك عليه ضرباً

---

(١) عقائد الإمامية.

(٢) عقائد الصدوق.. باب الاعتقاد بالبداء..

(٣) أوائل المقالات: باب القول فى البداء والمشيئة..

من التوسع، وعلى هذا الوجه يحمل جميع ما ورد من الأخبار المتضمنة لإضافة البداء الى الله، دون ما لا يجوز عليه من حصول العلم بعد أن لم يكن..

ووجه إطلاق ذلك فيه تعالى، هو أنه إذا كان منه ما يدل على النسخ، يظهر به للمكلفين ما لم يكن ظاهراً، ويحصل لهم العلم به بعد أن لم يكن حاصلاً لهم، أطلق على ذلك لفظ البداء..[1]

يقول الشيخ السبحانى : لم يزل النزاع بين الشيعة والسنة فى وصف الله سبحانه بالبداء قائماً على قدم وساق، فالشيعة الإمامية تعتبر البداء من صميم الدين بحجة أنه بمعنى تغير المعيد بصالح الأعمال وطالحها، وتتكره بمعنى الظهور بعد الخفاء، والسنة ترفض البداء بالمعنى المحال وهو ظهور الشيء بعد الخفاء، وتكفر القائل به لإستلزامه نسبة الجهل الى الله سبحانه وتنسبه الى الشيعة..

ومن الواضح أن المقبول لدى الشيعة يغاير موضوعاً ومحمولاً مع ما هو المرفوض لدى السنة، فلا يرد مثل ذلك الإيجاب والسلب على مورد واحد، حيث لا نجد بين الأمة الإسلامية من ينكر علم الله سبحانه وأحاطته بما فى الأرض والسماء، كما لا نجد فيهم من ينكر تغير المصير بصالح الأعمال فالفريقان يتنازعان ولكنهما يتفقان فى المعنى الإيجابى، كما انهما يتفقان فى المعنى السلبى..[2]

ويقول الشيخ شرف الدين : ان الله قد ينقص من الرزق وقد يزيد فيه، وكذا الأجل والصحة والمرض والسعادة والشقاء، والمحن والمصائب والإيمان والكفر وسائر الأشياء كما يقتضيه قوله تعالى :

(يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب).

وهذا مذهب عمر بن الخطاب وابن مسعود وأبى وائل وقتاده، وقد رواه جابر عن رسول اللهﷺ، وكان كثير من السلف الصالح يدعون ويتضرعون الى الله تعالى أن

---

(١) عدة الأصول ج٢/ ٢٩. وانظر له كتاب الغيبة..

(٢) البداء فى الكتاب والسنة. سلسلة المسائل العقائدية..

يجعلهم سعداء لا أشقياء، وقد توافر ذلك عن أئمتنا فى أدعيتهم المأثورة وورد فى السنن الكثير أن الصدقة على وجهها، وبرالوالدين، واصطناع المعروف يحول الشقاء سعادة ويزيد فى العمر، وصح عن ابن عباس انه قال : لا ينفع الحذر من القدر ولكن الله يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر..(١)

ويقول الشيخ كاشف الغطاء :

مما يشنع به الناس على الشيعة قولهم بـ (البداء) تخيلاً من المشنعين ان البداء الذى تقول به الشيعة هو عبارة عن أن يظهر ويبدو الله عز شأنه أمراً لم يكن عالماً به، وهل هذا إلا الجهل الشنيع والكفر الفظيع، لإستلزامه الجهل على الله تعالى وأنه محل للحوادث والتغيرات فيخرج من حظيرة الوجوب الى مكانة الإمكان، وحاشا (الإمامية) بل وسائر فرق الإسلام من هذه المقالة التى هى عين الجهالة بل الضلالة، اللهم إلا ما ينسب الى بعض المجسمة من المقالات التى هى أشبه بالخرافات منها بالديانات، حتى قال بعضهم فيما ينسب إليه : (إعفونى عن الفرج واللحية وإسألونى عما شئتم)، أما البداء الذى تقول به الشيعة والذى هو من أسرار آل محمدﷺ وغامض علومهم حتى ورد فى أخبارهم الشريفة أنه (ما عبد الله بشىء مثل القول بالبداء).

وأنه : (ما عرف الله حق معرفته ولم يعرف بالبداء).

الى كثير من أمثال ذلك، فهو عبارة عن إظهار الله جل شأنه أمراً يرسم فى ألواح المحو والإثبات وربما يطلع عليه بعض الملائكة المقربين أو أحد الأنبياء والمرسلين فيخبر الملك به النبى والنبى يخبر به أمته ثم يقع بعد ذلك خلافه لأنه محاه وأوجد فى الخارج غيره..

---

(١) أجوبة مسائل جار الله..

وقال معلقاً: هذا هو الذى تقول به الشيعة وتسميه بداءً، وغير الشيعة يقولون به، ولكنهم لا يسمونه بداء، فالنزاع فى الحقيق إنما هو فى تسميته بهذا الاسم وعدمتسميته به، ولو عرف غير الشيعة أن الشيعة إنما تطلق عليه هذا الاسم مجازاً لا حقيقة، لتبين حينئذ لهم أنه لا نزاع بيننا وبينهم حتى فى اللفظ، لأن باب المجاز واسع عند العرب إلى الغاية.

وكل ذلك كان جلت عظمته يعلمه حق العلم ولكن فى علمه المخزون المصون الذى لم يطلع عليه لا ملك مقرب ولا نبى مرسل ولا ولى ممتحن وهذا المقام من العلم هو المعبر عنه القرآن الكريم (بأم الكتاب) المشار إليه والى المقام الأول بقوله تعالى : ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾، ولا يتوهم الضعيف أن هذا الإخفاء والإبداء يكون من قبيل الإغراء بالجهل وبيان خلاف الواقع فان فى ذلك حكماً ومصالح تقصر عنها العقول وتقف عندها الألباب، و (بالجملة) فالبداء فى عالم التكوين، كالنسخ فى عالم التشريع.

فكما أن النسخ الحكم وتبديله بحكم آخر مصالح وأسراراً بعضها غامض وبعضها ظاهر فكذلك فى الإخفاء والإبداء فى عالم التكوين، على أن قسماً من البداء يكون من اطلاع النفوس المتصلة بالملأ الأعلى على الشىء وعدم اطلاعها على شرطه أو مانعة (مثلاً) اطلع عيسى (عليه السلام) أن العروس يموت ليلة زفافه ولكن لم يطلع على أن ذلك مشروط بعدم صدقة أهله، فاتفق أن أمه تصدقت عنه وكان عيسى أخبر بموته ليلة عرسه فلم يمت وسئل عن ذلك فقال لعلكم تصدقتم عنه والصدقة قد تدفع البلاء المبرم..

وهكذا نظائرها وقد تكون الفائدة لإمتحان وتوطين النفس كما فى قضية أمر إبراهيم بذبح إسماعيل، ولولا البداء لم يكن وجه للصدقة ولا للدعاء ولا للشفاعة، ولا لبكاء الأنبياء والأولياء وشدة خوفهم وحذرهم من الله مع أنهم لم يخالفوه طرفة عين، إنما خوفهم من ذلك العلم المصون المخزون الذى لم يطلع عليه أحد ومنه يكون البداء.. [1]

واذا كانت مسألة البداء تشكل هذه الأزمة وتفتح الباب للطعن فى الشيعة ومعتقداتهم فهم بين أمرين :

إما أن يتم التخلى عنها..

وإما أن يعاد صياغتها بصورة جديدة..

---

(١) اصل الشيعة واصولها.

التقيـــة :

فـرضت فكرة التقيـة نفسـها علـى الشيـعـة فـى فتـرات تاريخيـة متـعـددة مما أدى الى التصاقها بهم وتمسكهم بها كوسيلة لتـأمين أنفسـهم ودعـوتهم فـى مـواجـهـة خصومهم المتربصين بهم من الحكام والمسلمين المتعصبين..

وعلى الجـانب الآخـر لم يكن أهل السنة فى حـاجـة الى تبنـى هذه الفكرة لشـعـورهم بالأمن فى ظل حكومات تدين بمذهبهم وتكفل لهذا المذهب حرية الانتشار والسيادة..

وقد ساعدت فكرة التقية على إضفاء الغموض على الشيعة وعقائدهم مما فتح الباب واسعاً لإثارة الشبهات واختـلاق التصـورات فـى غيبـة منهم وعـدم قـدرة علـى الدفـاع عن أنفسهم..

يقـول الشيخ المظفر : ليس معنـى التقية عند الإمـامية أنهـا تجعل منهم جـمعـية سـرية لغاية الهدم والتخـريف كمـا يريد أن يصـورهـا بعض أعـدائهـم غيـر المتورعـين فـى إدراك الأمور علـى وجهها، ولا يكلفـون أنفسـهم فهم الرأى الصـحيح عندنا، كما أنه ليس معناها أنها تجعل الدين وأحكامه سراً من الأسـرار لا يجـوز أن يذاع لمن لا يدين به، كيـف وكتب الإمـامـية ومؤلفـاتهم فيـمـا يخص الفقـه والأحكام ومبـاحث الكلام والمعتـقـدات قد مـلأت الخافقين، وتجاوزت الحد الذى ينتظر من أية أمة تدين بدينها..

إن عقيدتنا فى التقية قـد استغلها من أراد التشـنيع على الإمامية، فجعلوها من جملة المطاعن فيهم وكأنهم كان لا يشفى غليلهم إلا أن تقدم رقـابهم إلى السيوف لاستئصالهم عن آخرهم فى تلك العصور التى يكفى فيها أن يقال هذا رجل شيعى ليلاقى حتفه على يد أعداء آل البيت من الأمويين والعباسيين والعثمانيين..[1]

لأجل هذا أمـر أئمـة أهل البيت شيـعتهم بالتـزام التقية، والتـزم الشيـعـة بهذا الأمـر باعتباره نصاً شرعياً..

---

(١) عقائد الإمامية..

روى عن الإمام جعفر الصادق : التقية دينى ودين آبائى..[1]

وروى عنه أيضاً : من لا تقية له لا دين له..[2]

وليست التقية عند الشيعة هى رد فعل تجاه الواقع فقط بل إن هناك العديد من النصوص القرآنية التى يحتمون بها فى ضرورة تبنيها، وهذا يعنى أن المسألة لها جذور شرعية تجعلها من الواجبات التى تفرض نفسها على المسلمين أجمعين إذا ما برزت الأوضاع التى توجبها..

يقول الشيخ السبحانى : شرعت التقية بنص القرآن الكريم :

﴿.. إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان..﴾ النحل/١٠٦..

﴿.. إلا أن تتقوا منهم تقاة..﴾ آل عمران/٢٨..

﴿وقال رجل من آل فرعون يكتم إيمانه..﴾ غافر/٢٨...

هذه الجمل الوافية والعبارات المستفيضة لا تدع لقائل مقالاً إلا أن يحكم بشرعية التقية بل قد لا يجد أحد مفسراً أو فقيهاً وقف على مفهومها وغايتها يتردد فى الحكم بجوازها..

وإنما المعارض لجوازها أو المغالط فى مشروعيتها، فإنما يفسرها بالتقية الرائجة

بين أصحاب التنظيمات السرية والمذاهب الهدامة كالنصيرية والدروز والباطنية كلهم، إلا أن المسلمين جميعاً بريئون من هذه التقية الهدامة لكل فضيلة رابية..[3]

ويقول الشيخ الشيرازى : إن المرء مكلف بكتمان عقائده أمام المتعصب العنيد الذى لا يفهم لغة المنطق إذا كان فى إظهارها خطر على حياته أو شىء من هذا القبيل دون ان يحقق من وراء إظهارها أية فائدة ترتجى ونطلق على هذا السلوك اسم التقية التى أخذناها من القرآن والدليل العقلى..

---

(١) الكافى ج٢ م ١٧٤..

(٢) المرجع السابق ج ١٧٢..

(٣) مع الشيعة الإمامية فى عقائدهم.. وانظر تفسير هذه الآيات فى كتب التفسير..

ومن المستغرب جداً أن يعتبر البعض التقية خاصة بالشيعة واتباع آل البيت، ويحاول أن يجعلها مورد طعن فيهم، فى حين أن المسألة ليس فيها لبس ولا غموض، وهى مأخوذة من كتاب الله ومن الأحاديث ومن سير الصحابة، وهى أيضاً مما يمضيها ويعمل بها جميع العقلاء فى العالم..[١]

ورغم ذلك فإن التقية فى مفهوم الشيعة قد تدخل فى دائرة المحرمات إذا ما كان الالتزام بها سوف يؤدى الى مفسدة تضر بأساس الدين..

يقول الشيخ المظفر : وللتقية أحكام من حيث وجوبها وعدم وجوبها بحسب اختلاف مواقع خوف الضرر مذكورة فى أبوابها فى كتب العلماء الفقهية..

وليست هى بواجبة على كل حال، بل قد يجوز أو يجب خلافها فى بعض الأحوال، كما إذا كان فى إظهار الحق والتظاهر به نصرة للدين وخدمة للإسلام وجهاد فى سبيل الله، فإنه عند ذلك يستهان بالأموال ولا تعز الأنفس، وقد تحرم التقية فى الأعمال التى تستوجب قتل النفوس المحترمة، أو رواجاً للباطل، أو فساداً فى الدين، أو ضرراً بالغاً على المسلمين بإضلالهم، أو إفشاء الظلم والجور فيهم..[٢]

ويقول الخمينى : تحرم التقية فى بعض المحرمات والواجبات التى تمثل فى نظر الشرع مكانة بالغة، مثل هدم الكعبة والمشاهد المشرفة والرد على الإسلام والقرآن وغيرها من عظائم المحرمات، ولا تعمها أدلة التقية ولا الاضطرار ولا الإكراه.. كما لو أراد المنحرفون الطغاة تغيير أحكام الإرث والطلاق والصلاة والحج وغيرها من أصول الأحكام..[٣]

ويقول الشيخ السبحانى : إن التقية كما أنها تجب لحفظ النفوس والأعراض والأموال، فإنها تحرم إذا ترتب عليها مفسدة أعظم، كهدم الدين وخفاء الحقيقة على

---

(١) عقيدتنا..

(٢) عقائد الإمامية..

(٣) الرسائل..

الأجيال التالية وتسلط الأعداء على شؤون المسلمين وحرماتهم ومعابدهم، فكما هى واجبة فى حين حرام فى حين آخر، فليست التقية فى جوازها ومنعها تابعة للقوة والضعف وإنما تحددها جوازاً ومنعاً مصالح الإسلام والمسلمين..[1]

ويقول الشيخ كاشف الغطاء :

من الأمور التى يشنع بها بعض الناس على الشيعة ويزدرى عليهم بها قولهم (بالتقية) جهلاً منهم أيضاً بمعناها وبموقعها وحقيقة مغزاها ولو تثبتوا فى الأمر وتريثوا فى الحكم وصبروا وتبصروا لعرفوا أن التقية التى تقول بها الشيعة لا تختص بهم ولا ينفردوا بها بل هو أمر ضرورة العقل وعليه جبلة الطباع وغرائز البشر وشريعة الإسلام فى أسس أحكامها وجوهريات مشروعيتها تماشى العقل والعلم جنباً الى جنب وكتفاً الى كتف رائدها العلم وقائدها العقل ولا تنفك عنهما قيد شعرة، ومن ضرورة العقول وغرائز النفوس أن كل إنسان مجبول على الدفاع عن نفسه والمحافظة على حياته وهى أعز الأشياء عليه وأحبها إليه ـ نعم قد يهون بذلها فى سبيل الشرف وحفظ الكرامة وصيانة الحق ومهانة الباطل، أما فى غير أمثال هذه المقاصد الشريفة والغايات المقدسة فالتعزيز بها وإلقاؤها فى مظان الهلكة ومواطن الخطر سفه وحماقة لا يرتضيه عقل ولا شرع، وقد أجازت شريعة الإسلام المقدسة للمسلم فى موطن الخوف على نفسه أو عرضه إخفاء الحق والعمل به سراً ريما تنتصر دولة الحق وتغلب على الباطل كما أشار إليه جل شأنه : (إلا أن تتقوا منه تقاة).

وقوله : ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾.

وقصة عمار وأبويه وتعذيب المشركين لهم ولجماعة من الصحابة وحملهم لهم على الشرك وإظهارهم الكفر مشهورة والعمل بالتقية له أحكامه الثلاثة، فتارة يجب كما إذا كان تركها يستوجب تلف النفس من غير فائدة، وأخرى يكون رخصة كما لو كان فى تركها والتظاهر بالحق نوع تقوية له فله أن يضحى بنفسه ولو أن يحافظ عليها، وثالثة يحرم

---

(١) مع الشيعة الإمامية فى عقائدهم..

العمل بها كما لو كان ذلك موجبا لرواج الباطل، وإضلال الخلق، وإحياء الظلم والجور ومن هنا تتصاع لك شمس الحقيقة ضاحية وتعرف أن اللوم والتعبير بالتقية (إن كانت تستحق اللوم والتعبير) ليس على الشيعة بل على من سلبهم موهبة الحرية، وألجأهم إلى العمل بالتقية ويقتلهم تحت كل حجر ويأخذ على الظنة والتهمة، وسارت على طريقه العوجاء وسياسته الخرفاء الدولة المروانية، ثم جاءت الدولة العباسية فزادت على ذلك بنغمات اضطرت الشيعة الى كتمان أمرها تارة والتظاهر به أخرى زنة ما تقتضيه مناصرة الحق ومكافحة الضلال وما يحصل به إتمام الحجة وكى لا تعمى سبل الحق بتاتاً عن الخلق، ولذا تجد الكثير من رجالات الشيعة وعظمائهم سحقوا التقية تحت أقدامهم وقدموا هياكلهم المقدسة قرابين للحق على مشانق البغى وأضاحى فى مجازر الجور والغى، هل استحضرت ذاكرتك شهداء (مرج عذراء) ـ قرية من قرى الشام ـ وهم أربعة عشر من رجال الشيعة ورئيسهم ذلك الصحابى الذى أنهكه الورع والعبادة (حجر بن عدى الكندى) الذى كان من القادة فى فتح الشام، قتلهم معاوية صبراً ثم صار يقول : ما قتلت أحدا إلا وأنا أعرف فيما قتلته خلا حجر، فإنى لا أعرف بأى ذنب قتلته، نعم، أنا أعرف من معاوية بذنب حجر، ذنبه ترك العمل بالتقية وغرضه إعلان ضلال بنى أمية ومقدار علاقتهم من الدين..

وهل تذكرت الصحابى الجليل (عمرو بن الحمق الخزاعى).

و(عبد الرحمن بن حسان العنزى) الذى دفنه زياد فى قس الناطف حياً..؟

أتراك تذكرت ميثم التمار، ورشيد الهجرى، وعبد الله بن يقطر الذى شنقهم ابن زياد فى كناسبة الكوفة، هؤلاء والمئات من أمثالهم هانت عليهم نفوسهم العزيزة فى سبيل الحق ونطحوا صخرة الباطل وما تهشمت رؤسهم حتى هشموها وما عرفوا أين زرع التقية وأين واديها، بل لضاعف العمل بها حراماً عليهم، ولو سكتوا وعملوا بالتقية وجدوا البقية من الحق وأصبح دين الإسلام دين معاوية ويزيد وزيادة وابن زياد دين المكر، دين الغدر، دين النفاق، دين الخداع، دين كل رذيلة، وأين هذا من دين الإسلام الذى هو دين كل فضيلة، أولئك ضحايا الإسلام وقرابين الحق، ولا يغيبن عنك ذكر (الحسين) وأصحابه (سلام الله عليهم) الذين هم سادة الشهداء، وقادة أهل الإباء.

نعم... هؤلاء وجدوا العمل بالتقية حراما عليهم، وقد يجد غيرهم العمل بها واجباً ويجد الآخرون العمل بها رخصة وجوازاً، حسب اختلاف المقامات..[1]

والقول الفصل فى هذه المسالة أنه لم تعد هناك حاجة للتقية بالنسبة للشيعة وأن الحاجة اليها اليوم تبدوأكبر بالنسبة الى المتطرفين من السنة..

الغيبـــة:

يتفق أهل السنة مع الشيعة فى مسألة انتظار المهدى الذى سوف يظهر فى آخر الزمان ويملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً، غير أن أهل السنة يعتقدون بأنه لم يولد بعد، بينما الشيعة تعتقد أنه ولد وهو ابن الإمام الحسن العسكرى الحادى عشر وبه تتم سلسلة الأئمة الاثنى عشر واختفى فى غيبة كبرى وسوف يظهر فى الميقات المحدد لظهوره، وقد انعكست فكرة غيبة الإمام المهدى على معتقدات الشيعة وعلى فقهها..[2]

ولما كانت الإمامة عند الشيعة تقوم على النص بداية من الإمام على وحتى الإمام المهدى المنتظر، كان المهدى من الأئمة المنصوص عليهم، وقد تواترت الروايات عن طريق أهل البيت فى تحديد شخصيته ووصفه وولادته وغيبته فظهوره..[3]

إلا أن أهل السنة لم يعترفوا بهذه الروايات ولم يهضموا هذه الفكرة واعتبروها من خرافات الشيعة، واتخذت ذريعة للطعن فى معتقداتهم وإثارة الشبهات من حولهم..

لكن ما يجب توكيده هنا هو أن فكرة الغيبة وولادة المهدى واستمراره على قيد الحياة من منتصف القرن الثالث وحتى ميقات ظهوره - كما يعتقد الشيعة- لا تصطدم بجوهر الدين بل إن هناك العديد من النصوص القرآنية التى تعضدد فكرة طول الأعمار..[4]

---

(١) أصل الشيعة واصولها.

(٢) يظهر فى هذا الانعكاس فى فكرة الانتظار وفكرة الحكم حيث لا يوجب الفقه الشيعى على الفقيه تولى السلطة فى عصر الغيبة، إلا أن الخمينى شذ عن هذه القاعدة وخرج بفكرة ولاية الفقيه لتحدث ثورة فى الفكر الشيعى..

(٣) انظر الكافى والغيبة للنعمانى ومنتخب الأثر.

(٤) انظر قصة أهل الكهف ويأجوج ومأجوج فى سورة الكهف وانظر تفسير قوله تعالى ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم..﴾ النمل/ ٨٢ وتفسر بعض مصادر الشيعة بالمهدى.. كذلك عمر إبليس وقد مد الله عمره إلى قيام الساعة وهو رمز الشر كذلك الدجال..

وقد برهنت الشيعة على معتقد الغيبة بالعديد من هذه النصوص القرآنية التى تشير الى ووجود أناس على قيد الحياة من عصور قديمة..

يقول الشيخ كاشف الغطاء : إن المسلمين متفقون على حياة أربعة من الأنبياء : اثنان منهم فى السماء وهما إدريس وعيسى، واثنان فى الأرض وهما الياس والخضر، وأن ولادة الخضر فى زمن إبراهيم أبى الأنبياء، والمعمرون الذين تجاوزوا العمر الطبيعى الى مئات السنين كثيرون.. وكأنهم ينسون أو يتناسون حديث عمر نوح (ع) الذى لبث فى قومه بنص الكتاب ألف سنة إلا خمسين عاماً وأقل ما قيل فى عمره ألف وستمائة سنة، وقيل أكثر الى ثلاثة آلاف..(1)

وفكرة حياة المهدى وغيبته لا يقول بها الشيعة وحدهم بل يشاركهم هذا الاعتقاد العديد من أهل السنة..(2)

ولابن حجر العسقلانى شارح البخارى رسالة طويلة عن الخضر أسماها : الزهر النضر فى نبأ الخضر، وقد ترجم له فى كتابه : الإصابة فى تمييز الصحابة باعتباره ممن لقى الرسول ﷺ..(3)

وقال الكنجى الشافعى : ولا امتناع فى بقائه بدليل بقاء عيسى والياس والخضر من أولياء الله، وبقاء الدجال وإبليس الملعونين أعداء الله، وقد ثبت بقائهم بالكتاب والسنة، وقد اتفقوا عليه ثم أنكروا جواز بقاء المهدى..

وإنما أنكروا بقائه لوجهين : أحدهما طول الزمان، والثانى أنه فى سرداب من غير أن يقوم أحد بطعامه وشرابه وهذا يمتنع عادة..

وقد تقدم من الأخبار على أنه لابد من وجود ثلاثة فى آخر الزمان عيسى والمهدى والدجال وإنهم ليس فيهم متبوع غير المهدى بدليل أنه أمام الأمة فى آخر الزمان وأن

---

(1) أصل الشيعة وأصولها.. وانظر تفسير سورة العنكبوت آية ١٣ فى الخازن والقرطبى والطبرى وغيرهم..

(2) انظر ينابيع المودة للقندوزى الحنفى ج٢/ ٤٤٥ ..

(3) وذكر ابن حجر روايات فى نسبه فقيل إنه ابن آدم (ع) وقيل إنه ابن قابيل وقيل إنه ابن سام بن نوح وقيل إنه من سبط هارون أخى موسى، وروى روايات أخرى فى كونه نبيًا، وروايات فى سبب تعميره، وأخباره قبل بعثة النبى ﷺ وبعد بعثته إلى الآن، وقد ورد حديث الخضر فى البخارى..

عيسى (ع) يصلى خلفه كما روى فى الصحاح ويصدقه فى دعواه، فصار بقاء المهدى أصلاً وبقاء الإثنين فرعاً على بقائه، فكيف يصح بقاء الفرعين مع عدم بقاء الأصل لهما، ولو صح ذلك لصح وجود المسبب من دون وجود السبب وذلك مستحيل فى العقول، لأنه لا يصح وجود عيسى بالإنفراد غير ناصر لملة الإسلام، وغير مصدق للإمام، لأنه لو صح ذلك لكان منفرداً بدولة ودعوة وذلك يبطل دعوة الإسلام من حيث أراد أن يكون تبعاً فصار متبوعاً، وأراد أن يكون فرعاً فصار أصلاً، والنبى ﷺ قال : لا نبى بعدى فلابد أن يكون عيسى عوناً وناصراً ومصدقاً، وإذا لم يجد من يكون له عوناً ومصدقاً لدعواه لم يكن لوجوده تأثير، فثبت أن وجود المهدى أصل لوجوده..

وكذلك الدجال اللعين لا يصح وجوده فى آخر الزمان، ولا يكون للأمة إمام لا يرجعون إليه ووزير يقولون عليه، لأنه لو كان الأمر كذلك لم يزل الإسلام مقهوراً ودعوته باطلاً، فصار وجود الإمام أصلاً لوجوده على ما قلناه..[1]

وقد نقض الكنجى فكرة وجود المهدى فى السرداب واعتبرها من الأفكار الدخيلة على الشيعة وهى منسوبة إليهم..[2]

وبالإضافة الى هذا قال العديد من أهل السنة بولادة الإمام المهدى وأنه من ولد الإمام الحسن العسكرى كما تقول الشيعة..

وذكر البيهقى : اختلف الناس فى أمر المهدى فتوقف جماعة وأحالوا العلم الى عالمه واعتقدوا أنه واحد من أولاد فاطمة بنت رسول الله ﷺ يخلقه الله متى شاء..

وطائفة يقولون : أن المهدى الموعود ولد يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، وهو الامام الملقب بالحجة القائم المنتظر محمد بن الحسن العسكرى.. ولا امتناع فى طول عمره وامتداد أيامه كعيسى ابن مريم والخضر، وهؤلاء هم الشيعة وخصوصاً الإمامية منهم ووافقهم عليه جماعة من أهل الكشف..[3]

---

(١) انظر البيان فى أخبار صاحب الزمان.. وانظر المهدى المنتظر عند علماء أهل السنة والإمامية لنجم الدين العسكرى..

(٢) المرجع السابق..

(٣) انظر شعب الإيمان. وانظر ينابيع المودة وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزى..

وذكر الذهبى : ان الإمام المهدى من أولاد الإمام الحسن العسكرى وهو باق الى أن يأذن الله له بالخروج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً..[1]

وقال الشيخ الشبراوى عن والد الإمام المهدى الحسن الخالص الملقب بالعسكرى المتوفى عام ٢٦٠ هـ : ويكفيه شرفاً أن الإمام المهدى المنتظر من أولاده فلله در هذا البيت الشريف، والنسب الحضم المنيف..[2]

وتبقى بعد هذا مسألة سن الإمام المهدى حيث تذكر المصادر الشيعية أنه ولد فى الخامس عشر من شعبان عام ٢٦٥ هـ واختفى عام ٣٢٩ هـ..

ويثير خصوم الشيعة فى الماضى والحاضر شبهة صغر سن المهدى وغيبته إلا أن مسألة السن هذه ليست قضية شاذة فى تاريخ الأديان فقد ذكر القرآن مثال عيسى بن مريم الذى تكلم فى المهد ويحيى بن زكريا الذى أوتى الحكمة صبيا..[3]

والقول الفصل فى هذه المسألة هو ان الغيبة مسألة لا صلة لها بأركان الدين وثوابته، وطالما أن المعتقد لا يمس الأركان والثوابت فلا ضير فيه، وعلى هذا الأساس يجب النظر الى الغيبة وغيرها من المعتقدات الشيعية التى تميزوا بها..

الوصيـــة

ومن المسائل الشائكة بين الشيعة وأهل السنة مسألة وصية الرسولﷺ للإمام على حيث تعتقد الشيعة أن الرسول أوصى لعلى بالإمامة من بعده، غير أن السنة ترفض هذا الاعتقاد الذى يعنى التسليم به المساس بالخلفاء الثلاثة : أبو بكر وعمر وعثمان، والمساس بفكرة عدالة الصحابة، والمساس بروايات كثيرة بنيت على أساسها العديد من المفاهيم والمعتقدات، كذلك المساس بالحكام الذين عدوا من الأئمة الواجب طاعتهم عندهم..

---

(١) دول الإسلام ج١/ ١٢٢، ط حيدر آباد عام ١٣٣٧هـ..

(٢) الإنحاف بحب الأشراف ط القاهرة عام ١٣١٦ هـ. وانظر اليواقيت والجواهر للشعرانى..

(٣) انظر سورة مريم..

والطريف فى هذا الأمر أن معظم الروايات التى تستند عليها الشيعة فى تبنى مسألة الوصية هى موجودة عند أهل السنة إلا أنه قد تم تأويلها من قبلهم بحيث تستقيم مع موقفهم الرافض للوصية، كما أن بعض هذه الروايات تم تصنيفها فى دائرة الروايات الضعيفة ومن هذه الروايات :

وصية الرسول ﷺ فى حجة الوداع بالكتاب والعترة اهل البيت.. [1]

وقوله فى نفس الحجة : من كنت مولاه فهذا على مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.. [2]

وقوله : مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق.. [3]

وقوله : أنت منى بمنزله هارون من موسى، غير أنه لا نبى بعدى.. [4]

وقوله : أنا مدينة العلم وعلى بابها.. [5]

وقوله : على منى وأنا من على، ولا يؤدى عنى إلا أنا أو على.. [6]

وقوله : من أطاع علياً فقد أطاعنى، ومن عصى علياً فقد عصانى.. [7]

وقوله : إن هذا - على - أخى ووصى وخليفتى فيكم.. [8]

---

(١) انظر كتب السنن وانظر لنا وصية الرسول للامام على..

(٢) انظر كتب السنن وهو من الاحاديث المتواترة..

(٣) انظر أبو داود ومستدرك للحاكم..

(٤) البخارى ومسلم باب فضائل على وانظر كتب السنن..

(٥) انظر الحاكم والطبرانى والجامع الصغير للسيوطى..

(٦) انظر ابن ماجة ج١ والترمذى والنسائى ومسند احمد..

(٧) الحاكم وانظر خصائص الامام على للنسائى..

(٨) انظر سنن البيهقى وتاريخ الطبرى وابن الاثير والحاكم ومسند احمد وهو الحديث المعروف بحديث الدار..

وغير هذه الروايات كثير مما لا يتسع له المجال هنا مع الإشارة الى أن العديد من النصوص القرآنية التى نزلت فى الإمام على تشير الى الوصية فى منظور الشيعة، وهذا أمر مشهور فى كتب التفسير وأسباب النزول..[١]

قال ابن حنبل : ما جاء لأحد من أصحاب رسول اللهﷺ من الفضائل ما جاء لعلى ابن أبى طالب..[٢]

وقال ابن عباس : ما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا إلا وعلى أميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمدﷺ فى غير مكان من كتابه العزيز، وما ذكر عليا إلا بخير..[٣]

وقال : نزل فى على ثلاثمة آية من كتاب الله عز وجل..[٤]

يقول الشيخ شرف الدين : وصية النبىﷺ الى على لا يمكن جحودها، إذ لا ريب فى أنه عهد إليه بعد أن ورثه العلم والحكمة، وأنه وزيره ووليه، وأن طاعته كطاعته، وأنه سلم لمن سالمه وحرب لمن حاربه وولى لمن والاه وعدو لمن عاداه، وأن من أحبه فقد أحب الله ورسوله، وهو قاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، وأنه سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين، وأنه الصديق الأكبر وفاروق هذه الأمة، وأنه بمنزلة هارون من موسى، الى كثير من هذه الخصائص التى لا يليق لها إلا الوحى، وهل الوصية إلا العهد ببعض هذه الشؤون..[٥]

وعلى ضوء ما سبق يتبين لنا أن فكرة الوصية ليست من ابتداع الشيعة إنما لها من النصوص ما يبررها، وتبقى مسألة الخلاف فى تفسير هذه النصوص قائمة بين الشيعة وأهل السنة..

---

(١) انظر اسباب النزول للواحدى والنسابورى..

(٢) مستدرك الحاكم..

(٣) الطبرانى وابن ابى حاتم وانظر الصواعق المحرقة لابن حجرالهيتمى..

(٤) انظر ابن عساكر فضائل على واحياء الميت فى فضائل اهل البيت للسيوطى وانظرمناقب على والحسنين وامهما فاطمة الزهراء لمحمد فؤاد عبد الباقى و خصائص النسائى..

(٥) نظر المراجعات..

وهناك رواية صحيحة عند أهل السنة تتعلق بكتابة الوصية وتعد من الأسباب التى دفعت بالشيعة الى معاداة عمر بن الخطاب..

تقول الرواية : لما حضر النبىﷺ وفى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب..

قالﷺ : هلم اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده..

قال عمر : ان النبى غلبه الوجع وعندكم كتاب الله، فحسبنا كتاب الله، واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول ما قاله عمر.

فلما أكثروا اللفظ والاختلاف، قالﷺ : قوموا عنى ولا ينبغى عندى التنازع..(1)

وفى رواية أخرى قال عمر : يهجر رسول اللهﷺ..(٢)

قال ابن عباس : الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وكتابة وصيته..(٣)

السجود على التربة

ارتبط السجود عند الشيعة بقطعة من الطين الجاف يطلق عليها عادة التربة الحسينية نظراً لكونها تصنع من تراب كربلاء الذى أريقت فيه دماء الحسين وهذا لا يعنى أن هناك ترب أخرى تصنع من تراب بقاع مختلفة مثل بقعة مشهد التى يقع فيها مرقد الإمام الرضا ـ الامام الثامن ـ فى خراسان، وبقعة السيدة زينب فى الشام وغيرها من البقاع المباركة فى منظور الشيعة..

وفكرة السجود على التربة يعود أصلها الى الحديث النبوى : جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، ومسجد الرسولﷺ كان يسجد فيه على التراب والحصى ولم يثبت سجود الرسول على الفرش..

---

(١) انظر البخارى كتاب العلم وكتاب المرضى وفتح البارى ج١ وانظر مسلم كتاب الوصية وشرح النووى للباب

(٢) المراجع السابقة..

(٣) البخارى كتاب المغازى وفتح البارى ج٨ وانظر المراجع السابقة..

من هنا ومن باب الالتزام بسنة الرسولﷺ اعتبر أهل البيت أن السجود إنما يكون على الأرض أو ما نبت منها..

ولما كان من الصعب تطبيق هذه السنة فى العصر الحاضر والمساجد تكسو أرضها الفرش اتجه الشيعة إلى تجميد التراب فى هيئة حجر طينى يسجد عليه داخل المساجد دون أن يتسبب فى إلحاق الضرر بالفرش..

يقول الشيخ باقر شريف القرشى : اعتادت الشيعة السجود فى صلاتهم على التربة الحسينية، وجعلوا منها أقراصاً وضعوها فى جوامعهم وتكاياهم وبيوتهم وحملوها معهم فى حلهم وترحالهم ليسجدوا عليها، ولم يكن ذلك عن تعصب أو هوى وتقليد، وإنما هو لأهمية هذه التربة وقداستها، فقد اتخذت من أرض كربلاء التى حظيت بجثمان ريحانة رسول اللهﷺ وسيد شباب أهل الجنة..

وعلى أى حال فإن السجود على التربة الحسينية إنما هو سجود لله فإن أرض كربلاء كأرض مكة والمدينة محاطة بهالة من التقديس والتعظيم..(١)

ورغم ذلك لم يقل أحد من فقهاء الشيعة ببطلان الصلاة على المخيط أو السجاد وخلافه ومسألة السجود على التربة هى مسألة امتثال والتزام بالسنة وتبرك لا أكثر..

التطبير:

كانت ولا زالت مأساة كربلاء وما حدث للحسين وأبناء الرسولﷺ فى تلك المذبحة تمثل الدفعة الإيمانية التى تجدد حركة التشيع عبر الزمان..

وتبدو آثار حركة الحسين فى الخطاب الشيعى عموماً..

على مستوى الفقهاء..

وعلى مستوى الكتاب..

وعلى مستوى العامة..

---

(١) انظر هذه هى الشيعة.

إلا أن العامة وجدوا لأنفسهم طريقة للتعبير عن غضبهم تجاه قتلة الحسين وأسفهم على خزلان الأمة له وعدم وقوفها الى جانبه..

وكان أن برزت تلك الطقوس الشعبية التى تعتمد على إراقة الدماء عن طريق ضرب الأجساد العارية بالسلاسل أو جرح الرقاب بالآلات الحادة أو ما شابه وهوما يطلق عليه بلغة الشيعة التطبير..[1]

وقد تصدى العديد من فقهاء الشيعة لهذه الممارسات والبعض أفتى بحرمتها إلا أن ذلك لم يؤثر شيئاً واستمرت الجماهير الشيعية على موقفها العاشق لتلك الطقوس..

وقد برزت هذه الطقوس بقوة على الساحة العراقية بعد سقوط نظام صدام حسين الذى كان يجرم فاعليها ليس من باب مقاومة التطرف فى العادات والتقاليد وإنما من باب قتل الروح الشيعية فى النفوس بما تشكل من أبعاد سياسية وإجتماعية وأمنية..

ولا يخفى ما تشكله هذه الطقوس من أبعاد نفسية ومعنوية تشكل ضرورة هامة للعامة يصعب تفهمها دون فهم حركة التشيع وحالة الولاء لأهل البيت التى تهيمن على الوجدان الشيعى..

إلا أن خصوم الشيعة والمتربصين بهم يتصيدون هذه الطقوس ويستغلونها فى محاولة للتشهير بالشيعة وتخويف الآخر منهم..

وهذا الموقف لا يقوم على أساس صحيح إذ أن سلوك الناس وممارساتهم لم تكن يوماً حجة على الدين والمعتقدات، ولا يصح أن تكون مصدراً للحكم على الشيعة، واستغلال البعض لها هو صورة من صور العجز والضعف العلمى..

●●●

---

(١) انظر هذه هى الشيعة.

شبهات تاريخيــة

إعادة كتابة التاريخ أصبحت ضرورة..

وقراءته بعينين لا بعين واحدة ضرورة أكبر..

العين الأولى عين الباحث..

والعين الثانية عين الناقد..

وقد اهتم الفقهاء بالرواية النبوية وأهملوا الرواية التاريخية على الرغم من أن الرواية التاريخية شاركت الرواية النبوية فى تشكيل العقل المسلم الذى تحول تحت ضغطهما الى عقل روائى لا عقل قرانى..

ويبدو أثر الرواية التاريخية واضحا فيما يتعلق بالجهاد فلا تزال الروايات المتعلقة بالغزوات التى أطلق عليها المؤرخون اسم الفتوحات تمثل حالة تعبئة معنوية دائمة للمسلمين عبرالزمان تدفع بهم الى رفع راية الجهاد فى مواجهة الآخر كلما سنحت الفرصة لذلك..

كذلك الروايات التاريخية المتعلقة بابن سبا أسهمت على مستوى الماضى والحاضر فى دعم الموقف العدائى ضد الشيعة..

وأيضا الروايات المتعلقة ببعض حكام الشيعة ورموزها وعلاقتهم باليهود والتتار والصليبيين تلك الروايات التى تم استثمارها على مستوى الماضى والحاضر فى الوقيعة بين الشيعة والسنة..

واستعراض هذه الشبهات التى حوتها كتب التاريخ حول هذه العلاقة واعادة قراءتها من جديد سوف يكشف لنا ان الذين يثيرونها اليوم أغفلوا الكثير من الحقائق تحت ضغط العصبية المذهبية ومن أجل النيل من الشيعة..

وتعد فكرة الوصية والرجعة أساس دعوى صلة التشيع باليهودية..

قال أحمد أمين فى فجر الاسلام أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية، وهذا الكلام لم يبرهن عليه بشىء، فالشيعة يعلنون تمسكهم بالوصية والرجعة وغيرهما من العقائد التى يدعى أنها من دس اليهود ويبرهنون على صحة التمسك بها بنصوص الكتاب والسنة لا بنصوص التوراة كما أشرنا من قبل..

وفكرة الوصية واكبت جميع الشرائع والأديان، وقد حرمت الأديان السماوية الزنى وشرب الخمر والربا والقتل وغير ذلك والتزم الإسلام بتحريم هذه الأمور..

وأوصى الرسل والأنبياء لأبنائهم، وتعدد ذكر الوصية فى القرآن، فهل هذا يعنى أن القرآن يستمد أحكامه من شرائع اليهود أم أن الأديان امتداد لبعضها.. ؟

وقد فات الذين يثيرون مثل هذه الشبهة أن كتب التراث السنى وفى مقدمتها كتب الأحاديث تكتظ بالإسرائيليات..

وتكفى نظرة بسيطة لكتب التفسير والتاريخ والسنن لتبيين دور الروايات المنقولة عن أهل التوراة مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وغيرهم..

حتى أن أحمد أمين الذى تبنى شبهة إلصاق الشيعة باليهودية قال : اتصل بعض الصحابة بوهب بن منبه وكعب الأحبار وعبد الله بن سلام، واتصل التابعون بابن جريج ـ وهؤلاء كانت لهم معلومات يروونها عن التوراة والإنجيل وشروحها وحواشيها، لم ير المسلمون بأساً من أن يقصوها بجانب آيات القرآن فكانت منبعاً من منابع التضخم..[1]

وكان كعب الأحبار من الملتصقين بعمر بن الخطاب الذى قال فيه : قد بلوت منك صدقاً؟

بينما يروى عن النبىﷺ : لا تصدقوا أهل الكتاب..[2]

وقال له عمر : ما أخوف شىء تخافه على أمة محمدﷺ ؟

قال: أئمة مضلين..

---

(١) ضحى الاسلام

(٢) انظر البخارى ج٥/١٥ . وج٨/٣١٢

قال عمر : صدقت. قد أسرّ ذلك إلى وأعلمنيه رسول الله..[1]

وقد أخذ عن كعب العديد من الصحابة والتابعين وعلى رأسهم أبى هريرة وابن عمر وابن الزبير وعبد الله بن عمرو ومعاوية وعطاء بن يسار وغيرهم..[2]

قال ابن كثير فى مقدمة تفسيره : ولقد نزل القران بموضوعات وردت فى التوراة والانجيل كقصة ادم ونزوله، وكقصة موسى مع قومه اليهود، وقصة عيسى وأمه مريم، كل ذلك ورد فى القران موجزا يقتصر على ذكر العظة والعبرة من قصصهم دون التعرض لتفاصيل قصصهم، وقد وجد المسلمون تفصيل هذا الايجاز عند أهل الديانات السابقة بما لا يتعارض مع شريعتهم، فلجاؤا اليهم واقتبسوا منهم دون تحر منهم لصحة هذه الأخبار..

وحدد ابن كثير أن الاسرائيليات تدور حول أربعة اشخاص هم : عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريح..

وقال : غالب ما يرويه اسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير فى تفسيره عن هذين الرجلين : ابن مسعود وابن عباس، ولكن فى بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب التى أباحها رسول الله ﷺ حيث قال : بلغوا عنى ولو اية، وحدثوا عن بنى اسرائيل ولاحرج.. رواه البخارى عن عبد الله بن عمرو، ولهذا كان عبد الله بن عمرو قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الاذن فى ذلك، ولكن هذه الأحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد فانها على ثلاث اقسام:

الأول : ما علمنا صحته مما بأيدينا بما يشهد له الصدق فذلك صحيح..

والثانى : ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه..

الثالث : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه ويجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود الى أمر دينى.. اهـ

---

(1) انظر مسند احمد ج1/42 ومجمع الزوائد للهيثمى ج5/229

(2) انظر تذكرة الحفاظ للذهبى ترجمة كعب، وقد قال فيه : قدم من اليمن فى دولة عمر فأخذ عنه الصحابة وغيرهم، وروى عنه جماعة من التابعين، وقال ابن حجر عنه : روى عن النبى مرسلا، وروى عنه من الصحابة ابن عمر وابن عباس وابن الزبير ومعاوية وغيرهم، انظر الاصابة ج5 | 523 وفتح البارى ج1/167..

وإذا كان عبد الله بن سبأ يهودياً مغرضاً اندس وسط المسلمين ليفسد عليهم دينهم، فلماذا يأخذ أهل السنة بمقالته في الشيعة ويتناقلوها في مصادرهم ؟

وآية الرجم المزعومة التي تبناها أهل السنة عن عمر هي من الإسرائيليات المنقولة عن مصادر يهودية وهي موجودة في مصادر الشيعة أيضا..

وإذا كانت فكرة الرجعة تمثل ذلك الإستفزاز للسنة إلى الدرجة التي ينسبونها لمصادر يهودية، فإن عمر بن الخطاب هو أول من قال بها كما جاء في الحديث عن الرجعة..

قال رشيد رضا : ان كعب الأحبار كان من زنادقة اليهود الذين أظهروا الإسلام والعبادة لتقبل أقوالهم في الدين، وقد راجت دسائسه وانخدع بها بعض الصحابة ورووا عنه وتناقلوا أقواله بدون إسناد إليه، وان شر رواة هذه الإسرائيليات وأشدهم تلبيساً وخداعاً للمسلمين وهب بن منبه وكعب الأحبار فلا تجد خرافة دخلت كتب التفسير والتاريخ الإسلامي في أمور الخلق والتكوين والأنبياء وأقوالهم والفتن والساعة والآخرة إلا وهي منهما..[1]

وقد أتهم عثمان بن عفان بالسير على نهج اليهود وكان هذا من أسباب الثورة عليه بتحريض من عائشة التي قالت فيه : اقتلوا نعثلاً فقد كفر، كما أشرنا سابقا..

أما القول بفارسية التشيع فهو مغالطة علمية فاضحة إذ أن الانحياز لأهل البيت والإمام علي خاصة أمر يسبق الاتصال بالفرس والاختلاط بهم فهو مرتبط بزمن النبي ﷺ كما سبق ذكره..

ومن جهة أخرى فإن ارتباط الشيعة بأهل البيت وحصر دائرة تلقي الدين في حدودهم يعني عروبة التشيع لا فارسيته، حيث أن أهل البيت يمثلون أرقى بيوت العرب وأعلاها..

ومسألة مصاهرة أهل البيت للفرس لا تعني شيئا فكثير من الصحابة والتابعين والحكام قد صاهروهم واستمرت هذه المصاهرة الى فترات لاحقة..

---

(١) انظر المنار ج٢٧/٥٤١.

وميل الفرس نحو التشيع له أسبابه التى تعرى الجانب الآخر القبلى الذى رفع طبقة العرب على الأجناس الأخرى من البلاد التى تم غزوها والسيطرة عليها وهم ما أطلق عليهم إسم الموالى..

وعلى أساس هذه الفكرة الطبقية تم اضطهاد الفرس الذين لحقت بهم الكثير من المظالم على يد العرب، والذين وجدوا فى نموذج الإسلام المطروح من قبل الإمام على وأهل البيت العدل والمساواة والرحمة التى كانوا ينشدونها فانحازوا إليهم ووالوهم..

ولا شك أن مثل هذا الموقف استفز الخلفاء خصوم أهل البيت ودفع بهم إلى محاولة التشكيك فى أهل البيت وتشويههم مما يقودنا الى القول بأن فكرة فارسية التشيع فكرة سياسية انخدع بها المسلمون..

والأولى أن يقال فارسية التسنن لا فارسية التشيع وذلك لكون معظم مصادر أهل السنة التى يستمدون منها فقههم ومعتقداتهم هى مصادر فارسية..

وفى مقدمة هذه المصادر كتب السنن، فالبخارى وسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه والحاكم وأبو داود وغيرهم هم من أهل فارس..

كذلك أبو حنيفة والحسن البصرى وطاووس وعكرمة وعطاء بن ابى رباح وابن سيرين ونافع مولى ابن عمروالغزالى وغيرهم..

وهذا مصداق الحديث الذى رواه مسلم : لو كان الدين بالثريا لناله رجال من فارس..

والدولة العباسية التى رعت حركة الفقه والتدوين الإسلامى وبرزت فى ظلها المصادر التى أستمد منها أهل السنة دينهم من مصادر الحديث والفقه والتاريخ، هذه الدولة قامت على أكتاف الفرس..

ومن الطريف أن نذكر هنا أن الإمام الخمينى أصوله عربية وليست فارسية فهو ينتمى الى سلالة الرسولﷺ كذلك العديد من قادة الثورة الإسلامية ورموزها والمراجع الايرانيين..

وفيما يتعلق باليهود والنصارى فهناك رواية مشهورة فى كتب السنن تقول :

لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر حذو النعل بالنعل حتى إذا ما دخلوا جحر ضب دخلتموه

قالوا : اليهود والنصارى يا رسول اللهﷺ..

قال : فمن..؟[1]

وفى هذا الحديث إشارة واضحة الى أن الأمة سوف تسير على نهج اليهود والنصارى وتتبع سننهم، وهذا الكلام ينطبق على جميع المسلمين بمختلف مذاهبهم..

أما ما يتعلق بالوزير الشيعى ابن العلقمى الذى أتهم من قبل المؤرخين بمراسلة التتار وتشجيعهم على غزو بغداد ومعه الشيخ نصير الدين الطوسى، فإن المصادر التاريخية التى تشير الى هذا الأمر تشير من جانب آخر الى أن هناك عناصر أخرى من غير الشيعة اتصلت بالتتار وتعاونت معهم..

فلماذا التركيز على ابن العلقمى وحده..؟

لكن ما يجب الإشارة إليه بداية هو أن الدولة العباسية فى عهد المستعصم آخر خلفاء هذه الدولة كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة..

وما يجب التنبيه عليه هو أن سلوك ابن العلقمى ومواقفه ليست حجة على الشيعة..

وعلى فرض التسليم بأن ابن العلقمى راسل التتار فهل يعقل أن يتحمل وحده مسئولية سقوط بغداد ؟

لقد جعل المؤرخون والفقهاء من بعدهم ابن العلقمى الشماعة التى علقت عليها جميع الأسباب التى أدت الى سقوط بغداد..

---

(١) رواه البخارى حديث رقم ٧١٥٦

ونسى المؤرخون والفقهاء أو تناسوا دور الخوارزميين (السنة) فى هذه الكارثة التى حلت على المسلمين..

ذكر المؤرخون : أن أحد ولاة الثغور على نهر سيحون المتاخمة لحدود دولة التتار قبض على عدد كبير من تجار التتر قدموا الى ولايته واستولى على أموالهم وكان عددهم أربعمائة تاجر بحجة أنهم يتجسسون لحساب جنكيز خان وأرسل خبرهم إلى شاه خوارزم الذى أصدر أمره بقتلهم، ولما علم جنكيز خان بالأمر أرسل الى خوارزم شاه يطلب تسليمه هذا الوالى ليقتص منه فأبى وقتل الرسول وجمع جيشه وهاجم حدود التتار، فما كان من جنكيز خان إلا أن قرر غزو دولة خوارزم فعبر بجيشه نهر سيحون واستولى على بخارى وسمرقند ومرو والرى وسائر بلاد فارس بعد أن فر من أمامهم شاه خوارزم الذى توفى بعد ذلك بفترة قصيرة..[١]

وقد توفى جنكيز خان بعد ذلك بثمانى سنوات وقسمت مملكته بين أولاده الأربعة ومنهم تولوى خان الذى توفى عام ٦٥٤ هـ وخلفه ولده هولاكو الذى قام بغزو بغداد فى المحرم من عام ٦٥٦ هـ..

وذكر ابن الأثير : ان الخليفة الناصر هو الذى أطمع التتر فى البلاد وراسلهم فى ذلك فهى الطامة الكبرى التى يصغر عندها كل ذنب..[٢]

وذكرالذهبى أن لؤلوة صاحب الموصل بعث لهولاكو جيشاً يسانده فى الحرب على بغداد..[٣]

لقد غفل المسلمون عن الدوافع التى أدت الى اجتياح التتر بلاد المسلمين، كما غفلوا عن العوامل التى أدت الى سقوط بغداد ونهاية دولة العباسيين وانطلقوا يكيلون اللعنات لابن العلقمى والشيعة، وغرقوا فى دموعهم التى أعمتهم عن رؤية الحقيقة..

---

(١) كانت حادثة التجار عام ٦١٥ هـ وغزو بلاد خوارزم عام ٦١٦ هـ انظر المختصر فى احوال البشر ج٣/١٢٦ والكامل ج١٢/١٥. وانظر تاريخ الامم الاسلامية للخضرى ج٢/٤٧١

(٢) سوف ياتى الحديث عن الناصر..

(٣) العبر فى خبر من غبر حوادث عام ٦٥٦ هـ

إن ما أدى الى سقوط دولة العباسيين فى يد التتار هو نفسه الذى أدى الى سقوط دولة الخوارزميين التى كانت تهددهم..

وهو نفسه الذى أدى الى سقوط دول الفاطميين والأيوبيين والمماليك والترك العثمانيين من بعدهم أصحاب دولة الخلافة الأخيرة التى يبكيها المسلمون اليوم..

وقد كتب خوارزم شاه بسياسته الخرقاء نهاية دولته، كما كتب المستعصم آخر خلفاء بن العباسى نهاية دولته بإطلاق يد العسكر من المماليك فى البلاد ليفسدوا فيها ويسفكوا الدماء وينتهكوا الأعراض ويفرقوا الأمة بينما غرق هو فى البذخ والترف والجوارى آمناً مكر التتار الذين اقتربوا من حدوده مطمئناً الى جوار عسكره الذين أوهموه بقدرتهم على الدفاع عن دولته والبطش بالتتار..[1]

وقد تزعم ابن تيميه حملة العداء ضد ابن العلقمى والشيخ نصير الدين الطوسى وضد الشيعة فى جبال لبنان الذين حرض المماليك عليهم وأفتى بجواز استحلال دمائهم وأموالهم بحجة موالاتهم للصليبيين على ما سوف نبين..

وحمل حنابلة العصر كلام ابن تيمية وتعاملوا معه كنص ثابت غير قابل للنقض ويسر لهم عقل الماضى المهيمن عليهم ونهج الخصومة المتسلط على نفوسهم تبنى هذا الكلام والتشبع به..

---

(١) كان المستعصم ضعيف الراى قد غلب عليه امراء دولته لسوء تدبيره انظر المختصر ج٣/١٩٣ . وقد وجد فى قصر المستعصم القناطير المقنطرة من الذهب الاحمر وكنوز اخرى بينما كان يبخل على الجنود بارزاقهم. انظر جامع التواريخ للهمدانى. وانظر تراثنا الفكرى فى ميزان العقل والشرع للغزالى..

وكانت هناك العديد من المراسلات بين المستعصم وهولاكو سبقت غزو بغداد وارسل هولاكو رسلا الى بغداد فزودهم المستعصم بهدايا عظيمة ورفض طلب هولاكو بمساعدته فى حرب الحشاشين وارسل هولاكو رسلا اخرين فاشار عليه ابن العلقمى بارسال مبلغ كبير من المال مع هدايا فاخرة لهولاكو وطمانته الى ان عسكر المستعصم غلبوه على امره ووعدوه بالنصر انظر تاريخ المغول لرشيد الدين المهدانى ج٢/٣٦٧ وقد انقذ ابن العلقمى المستعصم من مؤامرة للالطاحة به من قبل مماليكه وتنصيب ولده مكانه انظر حوادث عام ٦٥٣ هـ

يقول ابن تيميه عن الطوسى : هذا الرجل اشتهر عند الخاص والعام أنه كان وزيراً للملاحدة الإسماعيلية فى ألموت، ثم لما قدم الترك المشركون (التتر) الى بلاد المسلمين، وجاءوا الى بغداد، كان هذا منجماً مشيراً لملك الترك المشركين هولاكو، أشار عليه بقتل الخليفة (المستعصم) وقتل أهل العلم والدين، واستبقاء أهل الصناعات والتجارات الذين ينفعونه فى الدنيا، وأنه استولى على الوقف الذى للمسلمين، وكان يعطى منه ما يشاء الله لعلماء المشركين وشيوخهم من البخشية السحرة وأمثالهم، وأنه لما بنى الرصد الذى بمراغة على طريقة الصائبة المشركين، كان أبخس الناس نصيباً منه من كان الى أهل الملل أقرب، وأوفرهم نصيباً من كان أبعدهم عن الملل، مثل الصائبة المشركين ومثل المعطلة وسائر المشركين، ومن المشهور عنه وعن أتباعه الاستهتار بواجبات الإسلام ومحرماته، ولم يكن لهم قوة وظهور إلا مع المشركين، وبالجملة فأمر الطوسى وأتباعه عند المسلمين أشهر وأعرف من أن يعرف ويوصف.. لكن هذا حال الرافضة دائماً يعادون أولياء الله المتقين من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، ويوالون الكفار والمنافقين..[1]

أما كلام المؤرخين والفقهاء فى الطوسى فهو لا يشير الى شىء من كلام ابن تيميه، فجميع المصادر التاريخية تركز على ابن العلقمى ولا تذكر الطوسى ولا تربط العلقمى أو الطوسى بمصرع المستعصم على يد هولاكو..[2]

يقول ابن كثير : ومن الناس من يزعم أنه - الشيخ الطوسى - أشار على هولاكو خان بقتل الخليفة، فالله أعلم، وعندى أن هذا لا يصدر من عاقل ولا فاضل، وقد ذكره بعض البغاددة - أهل بغداد - فأثنى عليه وقال : كان عاقلاً فاضلاً كريم الأخلاق، ودفن فى مشهد موسى بن جعفر - الإمام السابع للشيعة - فى سرداب كان قد أعد للخليفة الناصر لدين الله.. وهو الذى كان قد بنى الرصد فى مراغة، ورتب فيه الحكماء من الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء والمحدثين والأطباء وغيرهم من الفضلاء..[3]

---

(١) منهاج السنة النبوية ج٣/٤٤٥ والموت هى القلعة التى كانت مقرا للاسماعليين النزاريه فى ايران الذين يطلق عليهم من قبل المؤرخين اسم الحشاشين والذين يطلق عليهم اليوم الاغخانية ومقرهم الهند..

(٢) انظر المختصر والعبر وفوات الوفيات وكتب التاريخ حوادث ووفيات عام ٦٧٢ هـ

(٣) البداية والنهاية ج١٣/٢٧٦

وابن كثير هو من تلاميذ ابن تيميه إلا أن الواضح من كلامه أنه يناقض كلام أستاذه..

وقال الذهبى : كبير الفلاسفة خواجه نصير الدين الطوسى صاحب الرصد، مات فى ذى الحجة ببغداد، وقد نيف على الثمانين وكان رأساً فى علم الأوائل، ذا منزلة عند هولاكو..[1]

وقال أبو الفدا :الإمام المشهوركان يخدم صاحب الألموت ثم خدم هولاكو وحظى عنده، وعمل لهولاكو رصداً بمراغة وزيجاً وله مصنفات عديدة كلها نفيسة لم يصنف فى فنها مثلها..[2]

وقال الصفدى : نصير الدين الطوسى، الفيلسوف، صاحب علم الرياضة، كان رأساً فى علم الأوائل، لاسيما فى الأرصاد والمجسطى، فإنه فاق الكبار، وكان ذا حرمة وافرة ومنزلة عالية عند هولاكو، وكان يطيع على ما يشير عليه، والأموال فى تصريفه، وابتنى بمراغة قبة ورصداً عظيماً، واتخذ فى ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء وملاها من الكتب التى نهبت من بغداد والشام والجزيرة، حتى تجمع فيها زيادة على أربعمائة ألف مجلد، وأقر بالرصد المنجمين والفلاسفة، وجعل لهم الأوقاف، وكان حسن الصورة، سمحاً كريماً جواداً حليماً حسن العشرة غزير الفضل، وكان للمسلمين به نفع خصوصاً الشيعة والعلويين والحكماء وغيرهم، وكان يبرهم ويقضى أشغالهم ويحمى أوقاتهم، وكان مع هذا كله فيه تواضع وحسن ملتقى..[3]

وكان الفوطى الحنبلى المتوفى عام ٧٢٣ هـ أسر وهو حدث صغير فى وقعة بغداد وأصبح من تلاميذ الطوسى عام ٦٦٠ هـ وأخذ عنه الكثير من العلوم..

وقد ترجم له الذهبى فى رجال الحديث وقال عنه : ابن الفوطى العالم البارع المتفنن المحدث المفيد مؤرخ الآفاق، مفخر أهل العراق..[4]

---

(١) العبر ج٣/٢٢٦ وفوات الوفيات عام ٦٧٢ هـ

(٢) الوافى بالوفيات ج١/١٧٩ وانظر تاريخ الخلفاء للسيوطى ترجمة المستعصم..

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبى ج٤/١٤٩٣

(٤) البداية والنهاية ج١٤/١٠٦ وفوات الوفيات ج٢/٣١٩

وأثنى عليه ابن كثير والكتبى وهو صاحب كتاب الحوادث الجامعة الذى تعرض فيه لسقوط بغداد ولم يشر فيه الى الطوسى..(١)

وللطوسى كتاب شهير يسمى : تجريد الاعتقاد تلقفه فقهاء الأمصار من الشيعة والسنة وغيرهم، وكان فاتحة لدراسة علم الكلام والعقائد فى الأوساط العلمية..

ومن المعروف تاريخياً أن التتار دخلوا فى الإسلام بعد ذلك وهذا من نوادر التاريخ أن يدخل الغالب فى دين المغلوب، إلا أن الغير معروف أن التتار دخلوا فى الإسلام على يد الشيعة بواسطة نصير الدين الطوسى وتلاميذه ليتغير اسمهم من التتر المغول الى (الإيلخانيون)..

والإلخانيون هؤلاء هم الذين أفتى ابن تيميه بجواز قتالهم واستباحة دمائهم وأموالهم وشارك فى قتالهم فهو لم يجاهد التتر الوثنيون وانما جاهد التتر بعد أن اسلموا لعدم اعترافه بمذهبهم..(٢)

وقد ولد ابن تيميه عام ٦٦١ هـ بعد سقوط بغداد وغزو التتار وتوفى فى عام ٧٢٨ هـ فهو لم يعاصر التتار إلا بعد أن دخلوا فى الإسلام..

وكان ابن المطهر الحلى الذى سبه ابن تيميه فى منهاج السنة قد كتب كتاباً آخر أسماه ﴿نهج الحق وكشف الصدق﴾ وقدمه للشاه خدابنده ابن الشاه غازان الذى ارتد التتر فى زمانه عن الإسلام بسبب الصدام الذى تجاوز حدود الأدب والخلق بين الأحناف

---

(١) انفصل التتر بعد وفاة هولاكو عن قومهم فى قاعدتهم الرئيسية قراقورم وجعلوا من مدينة تبريز بايران عاصمة لهم ومنذ ذلك الحين صاروا يعرفون بالالخانيين وبدات الدعوة الاسلامية تتغلل فى صفوفهم على يد ال جوينى من بعد الطوسى الذين تسلموا مناصب كبيرة فى الدولة الجديدة وبدءوا فى التركيز على رؤوس الدولة حيث اسلم الابن الثانى لهولاكو الذى تسمى باحمد والذى قتل ولم يمكث فى الحكم الا قليلا ثم اسلم من بعده الملك غازان الذى تسمى بمحمود غازان واسلمت الدولة باسلامه فى شعبان عام ٦٩٤ هـ وتوفى عا م٧٣٠هـ وخلفه اخوه اولجايتو الذى لقب بخدابنده اى عبد النبى ت ٧١٦ هـ

(٢) حدثت حالات من الارتداد عن الاسلام بين صفوف الاليخانيين بسبب الصراعات بين مذاهب اهل السنة فيما بعد مما فتح الباب لابن تيمية لمحاربتهم وتحريض المسلمين عليهم دون تمييز بين المسلمين والمرتدين منهم واصدر ابن تيمية فتواه بقتال معطلى الشرائع من التتر تلك الفتوى التى اعتمد عليها تيار الجهاد فيما بعد وقتل على اساسها السادات. انظر مجموع الفتاوى ج٢٨ باب البغاة وانظر لنا الحركة الاسلامية فى مصر..

والشافعية وأدى الأمر بعلماء المذهبين الى ذكر قبائح الآخر وسخائفه حتى وصل الأمر الى الطعن فى الإسلام ذاته..

وحدثت مناظرات بين ابن المطهر والقاضى نظام الدين المراغى الشافعى كان من نتيجتها أن دخل السلطان محمد خدابنده فى مذهب التشيع مما أثار فقهاء المذاهب السنية الأخرى الذين حاولوا الضغط على السلطان من أجل إعادته إلى التسنن فلم يفلحوا، بل أقتدى أمراء الدولة بخدابنده واتجهوا نحو التشيع إلا قليل منهم..[1]

وقبل اغلاق هذا الباب نود التعليق على منشور حنبلى صدر تحت عنوان (خيانات الشيعة وأثرها فى هزائم الأمة الاسلامية).

وقد بدأ كتابه بعرض عقائد الشيعة التى اعتبرها بزعمه تقف وراء خيانات الشيعة منها تكفير المسلمين واعتبار أهل السنة أعداء لأهل البيت وحرمة الجهاد قبل ظهور المهدى..

ثم عقب على هذا بفصل يدور حول خيانات الشيعة لأهل البيت..

وذكر خيانة الوزير الشيعى على بن يقطين فى عهد هارون الرشيد..

وتشيع الخليفة العباسى الناصر وثبوت خيانته..

وتحدث بعد ذلك عن الدولة الفاطمية وخياناتها فى محو السنة ونشر التشيع حسب تعبيره. وعن خيانات القرامطة والبويهيين وابن العلقمى ونصير الدين الطوسى ومحاولات اغتيال صلاح الدين..

وخيانة الدولة السلجوقية السنية ومعاونة الصليبيين عليه واعتناق ملك التتار للتشيع..

ثم دخل بعد ذلك فى العصر الحاضر ليقدم براهين ودلائل واهية على خيانات النصيرية والشيعة فى لبنان وخيانة الشيعة الدروز وخيانات الشيعة فى الهند والبلاد العربية خاصة العراق..

---

(١) انظر كتب التاريخ حوادث عام ٣٠٧ هـ و ٧٠٧ هـ و٧١٦ هـ

والغريب انه قد قدم لهذا المنشورأحد رجال الأزهر السابقين وعده اضافة جديدة للمكتبة الاسلامية..

وما ذكره عن الوزير ابن يقطين أيا كان مصدر هذه الرواية لا يمثل حجة على الشيعة وقد تناسى تلك الخيانات التى تملا كتب التاريخ من قبل خلفاء ووزراء فى العصر الأموى والعباسى والأيوبى وغيره..

الا أن ما فات هذا الحنبلى هنا هو أن الوزير على بن يقطين أوابن العلقمى أو غيره من الوزراء الشيعة قد تم تعيينهم من قبل الخلفاء العباسيين السنة الواجب طاعتهم فمن ثم تعد محاولة الطعن والتشكيك فى هؤلاء الوزراء فيها مساس بالخلفاء أئمة المسلمين فى منظورهم..

أما ما يتعلق بالخليفة الناصر فقد ذكر ما يلى :

الناصر لدين الله ابو العباس احمد بن المستضىء بأمر الله أبى المظفر يوسف بن المقتفى لأمر الله العباسى كان قبيح السيرة فى رعيته ظالما لهم فخرب فى أيامه العراق وتفرق أهله فى البلاد وكان يفعل الشىء وضده وكان اعتنق المذهب الشيعى..

ويقال كان بينه وبين التتر مراسلات حتى أطمعهم فى البلاد وهذه طامة كبرى يصغر عندها كل ذنب عظيم..

ونسب ذلك لابن كثير فى البدايةوالنهاية..

وبمراجعة ابن كثير تبين أنه يقول فى الناصر ما يلى :

كان ذكيا شجاعا مهيبا بايعه الأمراء والوزراء والكبراء والخاصة والعامة وكان قد خطب له على المنابر فى حياة ابيه قبل موته بيسير ولم يل الخلافة من بنى العباس قبله أطول مدة منه ـ مدة خلافته ٤٧ عاما..

وذكر ابن كثير أن والده كان مبطلا للبدع والمعائب ت عام ٦٢٢ هـ..

ثم قال حين وفاته غسله وصلى عليه محيى الدين ابن الشيخ ابى الفرج ابن الجوزى ودفن فى دار الخلافة ثم نقل الترب من الرصافة وكان يوما مشهودا..

أماالكلام الذى نقله هذا الحنبلى فهو لابن الأثير وقد نقله منه ابن كثير فى نهاية الحديث عن وفاته عام ٦٢٢ هـ..

وليس فى كلام ابن الأثير ما يفيد تشيعه..

فمن أين أتى بهذا الادعاء..

الا أن هذا النقل العشوائى قد أكسبنا العديد من النقاط :

الاولى: اثبات الكذب وعدم الأمانة فى النقل..

الثانية: التحريف فى القول..

الثالثة: نسبة الاتصال بالتتار لخليفة سنى..

وكيف يكون الناصر شيعيا ويبايعه العامة والخاصة والأمراء والوزراء..

وكيف يكون والده مبطلا للبدع والمعائب ويعده لولاية العهد فى حياته وهو بحسب معتقده مبتدعا..

والمضحك أن صاحبنا قال فى الهامش أنه نقل هذا الكلام بتصرف..

فأى تصرف هذا الذى تصرفه..

هل نسبته كلام ابن الأثير لابن كثير..

أم حذف كلام ابن كثير نفسه..

وفيما يتعلق بالفاطميين وابن العلقمى ونصير الدين الطوسى فقد سبق الحديث عنهم..

أما البويهيون فقد كانوا ساسة كما كان الفاطميون ساسة ولا يمكن حمل مواقفهم وممارساتهم ـ ان صحت ـ على التشيع..

وهؤلاء الحنابلة بلغت بهم خصومتهم للشيعة ان يتصيدوا أى شىء يمكن أن يسهم فى تشويه الشيعة ولو من جهة خصومهم وأعداء الاسلام..

ووفق هذا المنطق يمكن تصيد الكثير من العورات والمنكرات والجرائم البشعة لخلفاء بنى أمية وبنى العباس وبنى أيوب والسلاجقة وغيرهم .الذين ينسبهم حنابلة العصر لأهل السنة..

وهل حالات الخروج على الخلفاء من قبل قادتهم ووزرائهم لا تعد خيانات..

وماهو القول فى الرشيد وقد أمر بسهم ذوى القربى أن يقسم على بنى هاشم على السواء، وهذا يعنى اطلاقه حكم الخمس الذى كان معطلا..

وهل البرامكة الذين قضى عليهم الرشيد كانوا خونة.. ؟

ولماذا قبل أصحاب الحديث ذهب المأمون عدا ابن حنبل..؟

وما هو القول فى المأمون الذى أظهر القول بخلق القران ونادى باباحة نكاح المتعة، وأن على بن ابى طالب أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ.. ؟

وما هو القول فى موسى ابن ميمون اليهودى طبيب صلاح الدين..؟

ولماذا لم يتحالف صلاح الدين مع الخليفة العباسى الناصر بعد وقعة حطين لطرد الصليبيين من المشرق واتجه الى مسالمة الصليبيين لبسط نفوذه على الشام واقامة دولة منافسة لدولة الخلافة العباسية تلك الدولة التى قسمها على أولاده قبل وفاته.. ؟

وما هو القول فى المرسوم الذى أصدره صلاح الدين والذى دعا فيه اليهود الى الاستيطان فى بيت المقدس بعد أن كان الصليبيون قد منعوهم من الاقامة فيها.. ؟[1]

وما هو القول فى الخيانات التى وقعت من القادة والولاة زمن صلاح الدين..؟

اننا ندعوا هؤلاء الحنابلة الى قراءة تاريخهم قبل أن يخوضوا فى الآخرين، وخاصة هذا الحنبلى الجاهل بحركة التاريخ والذى أفرد بابا يتحدث فيه عن خيانات القرامطة الذين لا صلة لهم بالشيعة..

---

(١) للمزيد من المعلومات انظر الموسوعة اليهودية والفتح القسى فى الفتح القدسى لعماد الدين الاصفهانى..

ولماذا هذا التجنى بربط الشيعة بهؤلاء.. ؟

ان المؤرخين حين يتحدثون عن القرامطة لاينسبونهم الى الشيعة فكيف نسبهم هذا الحنبلى الى الشيعة.. ؟

وفيما يتعلق بصلاح الدين فاءن موقف الشيعة منه لا يسر السنة وليس مجال الخوض فيه هنا، ولا نريد الاشارة هنا الى جرائم صلاح الدين ضد الشيعة فى مصر والشام والتى جعلته هدفا لهؤلاء..

الا ان السؤال الذى نوجهه لهذا الحنبلى هو ما قوله فى فرق الاغتيال السنية التى تطارد الحكام السنة اليوم.. ؟

أما الحديث عن البساسيرى القائد التركى الذى غزا بغداد عام ٤٥٠ه وأعلن التشيع وخطب للخليفة الفاطمى على المنابر وفرح الشيعة بهذا الحدث فهو رد فعل طبيعى للضغط والارهاب الذى كان يطوقهم من حكومات بنى العباس..

وحنابلة العصر يكتئبون ويحوقلون عندما يبرز نجم الشيعة ولو لفترة محدودة كفترة البساسيرى التى لم تتجاوز العام ويفرحون كثيرا لأى نكبة تصيب الشيعة..

وما دام الأمر كذلك فمن حق الشيعة أيضا أن يفرحوا لأى حدث ينصفهم ويحقق لهم الأمن والعدل والحرية ويرفع الظلم عنهم..

ومثل هذا الذى حدث على يد البساسيرى حدث مرارا وتكرارا بين الأمويين والعباسيين والأيوبيين والسلاجقة وغيرهم..

وقد اعتبر هذا الحنبلى حادثة البساسيرى من أدلة خيانة الشيعة للدولة السلجوقية السنية فى مفهومه الا أنه قد فاته أن هذه الدولة قد قامت على أنقاض دولة الخلافة العباسية السنية أيضا فهى بمفهوم أهل السنة دولة خارجةعلى الجماعة..

وفى مواجهة مثل هذه الحالات ابتدع أهل السنة حكم فقهى يجيز امامة الغالب وان كان المغلوب اتقى وأحق وذلك درءا للفتنة..

والسؤال هنا هو هل الدولة السلجوقية كانت خلافة راشدة.. ؟

والجواب هى ليست كذلك بالطبع لكنها فى منظور حنابلة العصر دولة مهدية مادام الأمر يتعلق بالشيعة..

تماما كما اعتبر حنابلة الماضى المتوكل العباسى ناصرا للسنة وأغمضوا عيونهم عن جرائمه ومنكراته لكونه نصر مذهبهم الحشوى على المذاهب الأخرى العقلية التى رفع من شأنها الخلفاء السابقين له..

وقد استفز هذا الحنبلى اسلام أحد ملوك التتر وتشيعه على يد ابن المطهر الحلى..

فهو فى منظوره اعتنق مذهب الروافض وقد كان من الوجب ان يعتنق مذهب أهل السنة حتى يصح اسلامه..

ودخول التتر فى الاسلام على يد الشيعة انجاز لا يعجب الحنابلة المتعصبين وأمثالهم من الحاقدين على الشيعة ذلك الحقد الذى أصله ابن تيمية بقوله: والرافضة تحب التتار ودولتهم لأنه يحصل لهم بها من العز مالا يحصل بدولة المسلمين..

وحنابلة العصر يعدون الجمهورية الاسلامية والشيعة فى لبنان وعلى رأسهم حزب الله وشيعة العالم العربى جميعهم خونة وعملاء استنادا على أدلة واهية استنبطوها من كتبهم التى أصدروها أثناء الحرب العراقية الايرانية، وفى مقدمة هذه الكتب كتاب وجاء دور المجوس وبعض الكتب السياسية الأخرى..

والحمد لله أنهم لم يستنبطوها من مصادرتاريخية معتمدة..

والحمد لله أيضا أن الحنابلة بدأوا يهتمون بالسياسة وإن كانوا يفهمونها بالمقلوب..

وفهمهم المقلوب للسياسة قد جعلهم آداة طيعة لأعداء الاسلام يستخدمونهم فى ضرب الاسلام منذ ظهور الحركة الوهابية التى دعمها الانكليزالى الحركة الافغانية التى دعمها الامريكان والتى كان من أبرز نتائجها تشويه صورة الاسلام وانتشار الارهاب فى كل مكان..

من هنا عميت أبصار حنابلة العصر عن صور الخيانة والتآمر التى يقوم بها حكام اليوم السنة فى منظورهم فى دولة الوهابيين ودول الخليج وافغانستان وباكستان واليمن ومصروغيرها من الدول التى انقلبت عليهم وطاردتهم فى كل مكان..

وعميت أبصارهم عن فقهاء أهل السنة الذين تحالفوا مع هؤلاء الحكام وأعانوهم عليهم معتبرينهم من الخوارج..

وعميت أبصارهم أيضاً عن إمامهم الراحل ابن باز الذى أفتى بجواز الاستعانة بالمشركين..

ولماذا يبكون اليوم على بغداد وهم الذين أفتوا بجواز الاستعانة بالقوات الاجنبية التى أسقطتها..؟

أليس نظام بغداد هو الذى أعلنوا عليه الجهاد المقدس حين غزا الكويت..؟

ولماذا أغمضوا أعينهم عن الأكراد السنة أحفاد صلاح الدين فى التآمر المزعوم على العراق ـ السنى ـ وإسقاط بغداد..؟

إن التاريخ يعيد نفسه ولكن الحنابلة لا يفقهون..

■■■

المخـــرج

تبين لنا من خلال ما سبق أن هناك تداخل بين الشيعة والسنة فى أمور كثيرة، وأن التشيع ليس ديناً مبتدعاً وهو يستوى مع التسنن فى كونهما داخل دائرة واحدة وهى دائرة الكتاب والسنة..

وأن الغلو المنسوب للشيعة فى مسألة الأئمة، والغلو المنسوب للسنة فى مسألة الصحابة لا يعبر عن حقيقة التشيع والتسنن..

وأن الرجال مهما علت مكانتهم ليسوا مقياساً للدين، وإنما الدين يقوم على أساس النصوص التى يقاس بها الرجال..

وأن تذويب الخلاف ومحو الفوارق وتحقيق التوائم بين المسلمين لن يتحقق على أساس أقوال الرجال وإنما على أساس النصوص..

والنصوص تفرض على المسلمين الالتزام بأدب الحوار وخلق القرآن وتغلق الباب أمام الأحداث والسفهاء الذين استغلوا أقوال الرجال فى الوقيعة بين المسلمين وتصدوا للحديث باسم الشيعة والسنة..

ولقد برر فقهاء السنة فعل عائشة بخروجها على الإمام على فى وقعة الجمل، وتسببها فى مقتل آلاف المسلمين، ومخالفتها لأمر القرآن فى نساء النبى ﷺ..

وفعل معاوية بشق صف المسلمين وحربة لعلى وسبه على المنابر، وقتله الصحابة وابتداع الملكية وتوريث الحكم للفساق والمفسدين..

وفعل عمرو بن العاص بالاستهانة بالقرآن وتمزيقه ووضعه على أسنة الرماح كخدعة فى حرب صفين..

وفعل عبد الرحمن بن ملجم قاتل الإمام على..

وفعل يزيد بن معاوية قاتل الحسين وجرائمه الأخرى..

ومن الأولى إذا كان التبرير فى حدود الدماء، أن يكون فى حدود الأفكار والمعتقدات، وأن يعذر أهل السنة الشيعة فيما يتبنون من أفكار ومعتقدات هى فى الأصل متحصنة بالكتاب والسنة..

إن الفجوة القائمة بين السنة والشيعة تعود الى السياسة ولا صلة لها بالفكر والاعتقاد، فقد لعب الحكام عبر التاريخ دوراً بارزاً فى تعميق الخلاف وزيادة هذه الفجوة وتحويل التسنن الى القناة الشرعية الوحيدة للتعبير عن الإسلام وتجريم التشيع والمذاهب الأخرى..

وأصبحت لغة الفقهاء مع الآخر هى لغة القيمومة والاستعلاء مما أدى الى الاستهانة به وتصغيره وعدم الاعتراف به..

وفتح هذا الموقف الباب لصور شتى من الطعن والتشويه والأحكام الجائرة أخذت فى التكاثر على مر السنين، وأورثت حالة من العداء الدائمة بين السنة والشيعة كان المستفيد منها هم الحكام، والخاسر فيها هو الإسلام والمسلمين..

ونخرج مما سبق بما يلى :

- ان الحنابلة المعاصرين لا يمثلون اهل السنة..

- ان التطرف فى الراى وقع فيه الشيعة والسنة..

- ان الخرافات فى التراث السنى والشيعى..

- ان القران هو الضابط الوحيد فى هذا الخلاف ويجب تحكيمه فى تراث السنة والشيعة..

ويمكن تحديد المخرج فيما يلى :

- عزل المتطرفين على المستوى السنى والشيعى..
- الإنفتاح الثقافى على المذهبين فى المناهج التعليمية..
- التأسيس الأخلاقى..
- عزل الدعوة عن السياسة..
- إشاعة ثقافة الحوار وقبول الآخر..

■ ■ ■

الملاحــق..

ملحق رقم (1)
صور من تاريخ الحنابلة وخصومهم..

من أشـهر حـوادث الحنابلة حـادثة الاعتداء على الطبرى المفسر وقذفه بالمحابر فى مسـجد بغداد بسـبب رفضه الاعـتراف برواية تقول أن الله سبحانه سوف يجلس محمدا الى جواره على العرش يوم القيامة، وأن هـذا هو المقصود من قوله: ويبعثك ربك مقاما محمودا ..، ثم طاردوه فى الطرقات حتى بيتـه وحاصروا البيت وقذفوه بالحـجارة ولولا تدخل العسس لقضى عليه ت ٣١٠. هـ.

وفى حوادث عـام ٤٠٨ ه استتـاب الخليفة القـادر المعتزلة والـروافض وأخذت خطوطهم بذلك، ومن خالف حل به من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم..

وفى عـام ٤٠٩ هـ قـرىء بدار الخـلافة كتـاب فـى مـذهب أهل السنة وفـيه أن من قـال القران مخلوق فهو كافرحلال الدم..

وفى ترجمـة مرجان الخادم قال ابن كثير: كان يقـراء القراءات وتفقه لمذهب الـشافعى وكـان يتـعـصب على الحنـابلة ويكرهـهم ويعـادي الوزير ابن هـبيـرة وابن الجـوزى مـعـاداة شـديدة، ويقـول لابن الجـوزى مقصـودى قلع مذهبكم وقطـع ذكركم، ولما توفى ابن هبيـرة قـوى على ابن الجـوزى وخـافه ابـن الجوزى، فلما تـوفى فى هذه السنة فـرح ابن الجـوزى فرحـا شديدا ، وابن هبيـرة الوزير كان تفقـه على مذهب احمد وألـف كتاب الافصاح شـرح فيه الحديث وتكلم عن مذاهب العلماء، وكان على مذهب السلف فى الاعتقاد..

وفى حوادث عام ٥٧٤ هـ أمر الخليفة المستضىء بكتابة لوح على قبر الامام احمد بن حنبل فيه اية الكرسى وبعدها : هذا قبر تاج السنة وحبر الأمة العالى الهمة العالم العابد الفقيه الزاهد وذكروا تاريخ وفاته..

وفى ترجمة الشيخ عبد المغيث بن زهير قال ابن كثير : كان من صلحاء الحنابلة وكان يزار وله مصنف فى فضائل يزيد بن معاوية أتى فيه بالغرائب والعجائب، وقد رد عليه ابو الفرج ابن الجوزى فأجاد وأصاب ت عام ٥٨٣ هـ

وفى حوادث عام ٥٩٥ هـ قال ابن كثير : وفيها فتنة الحافظ عبد الغنى فى دمشق وذلك أنه تكلم فى مقصورة الحنابلة بالمسجد الأموى فذكر شيئا من العقائد فاجتمع القاضى ابن الزكى وضياء الدين الخطيب الدولعى بالسلطان المعظم والأمير صارم الدين برغشى فعقد له مجلسا فيما يتعلق بمسألة الاستواء على العرش والنزول والحرف والصوت فوافق النجم الحنبلى بقية الفقهاء واستمر الحافظ على ما يقول ولم يرجع عنه واجتمع بقية الفقهاء عليه وألزموه بالزامات شنيعة لم يلتزمها فغضب الأمير وأمر بنفيه من البلد وكسروا منبر الحنابلة، وتعطلت يومئذ الصلاة فى محراب الحنابلة، وأخرجت الخزائن والصناديق التى كانت بها وجرت خبطة شديدة، وارتحل الحافظ عبد الغنى الى بعلبك ثم سار الى مصر فآواه المحدثون فحثوا عليه وأكرموه..

وترجم ابن كثير لابن طبر زد شيخ الحديث عمر بن محمدبن يحيى المعروف بابى حفص بن طبر زد الدرافرى سمع الكثير وأسمع، كان خليعا ظريفا ماجنا، وكان يودب الصبيان، قدم مع حنبل بن عبد الله المكبر الى دمشق فسمع أهلها عليهما وحصل لهما أموال وعادا الى بغداد، مات وترك مالا جيدا ولم يكن له وارث الا بيت المال ت عام٦٠٧هـ..

وفى حوادث عام ٥٩٥ هـ قال : وفيها توفى العزيز صاحب مصر ويقال أنه قد عزم فى هذ ه السنة على اخراج الحنابلة من بلده ويكتب الى بقية اخوانه باخراجهم من البلاد وشاع ذلك عنه وذاع وسمع ذلك منه وصرح به وكل ذلك من معلميه وخلطائه وعشرائه من الجهمية وقلةعلمه بالحديث، فلما وقع منه ذلك ونوى هذه النية القبيحة الفسدة أهلكه الله ودمره سريعا، وعظم قدر الحنابلة بين الخلق بمصر والشام عند

الخاص والعام، وقيل أن بعض صالحيهم دعا عليه فما هو الا ان خرج الى الصيد فكان هلاكه سريعا والعزيز هو واحد من أبناء صلاح الدين..

وترجم لابى دحية ابو الخطاب الكلبى الحافظ شيخ الديار المصرية فى الحديث وهو أول من باشر مشيخة دار الحديث الكاملية وقد كان كابن عنين فى سب المسلمين والوقيعة فيهم ويتزيد فى كلامه فترك الناس الرواية عنه وكذبوه، وقد كان الكامل مقبلا عليه فلما انكشف له حاله أخذ منه دار الحديث وأهانه ت عام ٦٢٣ هـ..

والشيخ كمال الدين بن الزملكانى شيخ الشافعية بالشام ساد أقرانه من أهل مذهبه وحاز قصب السبق عليهم له تعاليق مفيدة واختيارات حميدة ومنظارات سعيدة ومما علقه قطعة كبيرة من شرح المنهاج للنووى، ومجلد له فى الرد على ابن تيمية فى مسألة الطلاق وغير ذلك - قال ابن تيمية بأن الطلقات الثلاث فى مكان واحد تعد طلقة واحدة وهو ما تقول به الشيعة - وكان من نيته الخبيثة اذا رجع الى الشام أن يوذى ابن تيمية فدعا عليه فلم يبلغ أمله ومراده..

ثم ترجم لابن المطهر الحلى وقال : له التصانيف الكثيرة ويقال تزيد على المائة وعشرين مجلدا وعدتها خمس وخمسون مصنفا فى الفقه والنحو والأصول واللغة والفلسفة والرفض وأشهرها بين الطلبة شرح ابن الحاجب فى أصل اللغة، ورأيت له مجلدين فى أصول الفقه على طريقة المحصول والاحكام لا بأس بها فانها مشتملةعلى نقل كثير وتوجيه جيد..

ثم قال ما يدل على اعوجاج نفسه وبعده عن العدل والانصاف ولد ابن المطهر الذى لم تطهر خلائقه ولم يتطهر من دنس الرفض ليلة الجمعة سابع وعشرين رمضان سنة ثمان واربعين وستمائة وتوفى ليلة الجمعة عشرين محرم سنة ٧٢٦ هـ..

الا أن الشىء الذى أغفله ابن كثير وهو يترجم للحلى أن السلطان محمد خدا بنده الذى اتجه نحو التشيع على يده لم يتجه هذا الاتجاه الا بعد أن ضاق بأهل السنة ومذاهبهم وتناحراتهم التى أدت الى ارتداد العديد من التتر عن الاسلام..

وقد أفرد ابن كثير لشيخه ابن تيمية الصفحات الطوال وتحدث عن كراماته واجتهاداته ووصف جنازته فيما يزيد على العشرين صفحة، وكذلك ابن حنبل، هذا فى الوقت الذى لم يذكر عن الامام جعفر الصادق سوى سطر واحد فى حوادث عام ١٤٨هـ:
وفى هذا العام توفى جعفر بن محمد صاحب كتاب اختلاج الاعضاء وهو مكذوب عليه..

ومن أراد التوسع فى هذه الحوادث فليراجع البداية والنهاية..

●●●

ملحق رقم (2)
نماذج لبعض الرموز أصحاب الميول الشيعية من المشاهير..

- النسائى صاحب السنن قيل انه ينسب اليه شىء من التشيع -البداية والنهاية ج/١١ وفيات عام ٣٠٣ هـ

- الطبرى المفسر راى له ابن كثير كتابا ضخما من مجلدين جمع فيه احاديث غدير خم وكتابا اخر جمع فيه طرق حديث الطير ونسب اليه انه كان يقول بجواز مسح القدمين فى الوضوء حوادث عام ٣١٠ ه ج/١١

- على بن بلبق حاجب القاهر العباسى اشيع فى بغداد انه اراد ان يلعن معاوية على المنابر ج/١١ حوادث عام ٣٢٠ هـ

- ابن حبيب بن جرير بن سالم ابو عمر القرطبى مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الاموى كان من الفضلاء المكثرين والعلماء باخبار الاولين والمتاخرين وكتابه العقد يدل على فضائل جمة وعلم كثيرة مهمة ويدل كثير من كلامه على تشيع وميل الى الحط على بنى امية وهذا عجيب منه لانه احد مواليهم ج/١١ حوادث عام ٣٢٨ هـ

- أبو الحسن الفقير احد ائمة الشافعية له مصنفات فى المذهب وله الشعر الحسن قال ابن الجوزى ويظهر فى شعره التشيع ج/١١

- سيف الدولة الحمدانى احد الامراء الشجعان والملك الكثيرى الاحسان على ما كان فيه من تشيع ج/١١ حوادث عام ٣٥٦ هـ

- ابو طالب الحدثتى قاضى القضاة فى بغداد فى بعض الاحيان كان ينبذ بالرفض ج١٢/حوادث عام ٥٧ . هـ

- الفقيه ابو الحسن على بن سعيد ابو الحسن البغدادى المعروف بابن العريف ويلقب بالبيع الفاسد وكان حنبليا ثم اشتغل شافعيا على ابى القاسم بن فضلان وهو الذى لقبه بذلك لكثرة تكراره هذه المسالة بين الشافعية والحنفية ويقال انه صار بعد ذلك كله الى مذهب الامامية ج/١٣ حوادث عام ٥٩٢ هـ

- جعفر بن محمد بن فطيرا ابو الحسن احد الكتاب بالعراق كان ينسب الى التشيع وهذا كثير فى اهل ذلك البلاد لا اكثر الله منهم ج/١٢ حوادث عام ٥٨٩ هـ.

- الحسن بن الحسن بن نوبخت ابو محمد التنوخى روى عنه المحاملى وغيره وقال كان شيعيا معتزليا الا انه تبين لى انه كان صدوقا وروى عنه الازهرى وقال كان رافضيا ردىء المذهب ج/١١ حوادث عام ٢.٤ هـ

- جعفر بن زياد ابو عبد الله وقيل ابو عبد الرحمن الاحمر الكوفى حدث عن بيان بن بشر ومنصور بن المعتمر وابى اسحاق الشيبانى وروى عنه سفيان بن عبيده ووكيع وغيرهما حبسه المنصور بسبب قوله بالامامة قال ابن معين ثقة وكان من الشيعة المنتظم فى تاريخ الامم حوادث عام ١٦٧ هـ

- على بن هاشم بن البريد ابو الحسن الخراز الكوفى قدم بغداد وحدث بها عن اسماعيل بن ابى خالد الاعمش روى عنه احمد بن حنبل واتفقوا انه كان ثقة ولكنه كان يتشيع ولى القضاء بمصر مرتين وكان من اهل الدين والفقه والورع واجابة الدعوة ت عام ١٨١ ه المنتظم ج/٩

- محمد بن زيد العلوى أمير طبرستان والديلم كان محمد بن زيد هذا فاضلا دينا حسن السيرة فيما وليه من تلك البلاد وكان فيه تشيع ت عام ٢٨٧ ه البداية والنهاية ج/١١

ـ صدقة بن وزير الواعظ دخل بغداد ووعظ فيها واظهر تقشفا وكان يميل الى التشيع وعلم الكلام ومع هذا كله راج عند العوام وبعض الامراء وحصل له فتوح كثيرة ابتنى منه رباطا ودفن فيه سامحه الله تعالى ت عام ٥٥٧ هـ البداية والنهاية ج/١٢

ـ أبو الأسود الدؤلى قاضى الكوفة تابعى جليل اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن بكر الاسود نسب اليه علم النحو ويقال انه اول من تكلم فيه وانما اخذه عن امير المؤمنين على بن ابى طالب شهد وقعة الجمل مع الامام على قال ابن معين والعجلى كان ثقة ت عام ٦٩ هـ البداية والنهاية ج ٧

هذه نماذج لبعض الرموز الشيعية التى فرضت نفسها فى واقع المسلمين مما اضطر خصومهم أن يعترفوا بهم ويقدروهم وتلك هى الروح التى يفتقدها حنابلة العصر..

انظر المزيد من هذه التراجم فى البداية والنهاية وغيره من كتب التراجم..

●●●

ملحق رقم(3)
نماذج من الرواة الشيعة
فى كتب السنن

ـ أبان بن تغلب بن رباح القارىء الكوفى. شيعى جلد. لكنه صدوق. فلنا صدقه وعليه بدعته. (الذهبى. ميزان الاعتدال).

ـ وثقة ابن حنبل وابن معين وأبو حاتم. احتج به مسلم وأصحاب السنن. (ت : ١٤١ هـ).

ـ اسماعيل بن زكريا الاسدى الخلقانى الكوفى. شيعى صدوق. احتج به أصحاب السنن وروى له البخارى ومسلم (الذهبى..) (ت : ١٧٤ هـ).

ـ اسماعيل بن أبان الأزدى الكوفى الوراق. شيخ البخارى. روى له البخارى والترمذى (الذهبى..) ت : ٢٨٦ هـ.

ـ اسماعيل بن عباد المعروف بالصاحب بن عباد. أديب بارع شيعى احتج به الترمذى وأبو داود.. (الذهبى..) ت : ٣٨٥ هـ.

- اسماعيل بن عبد الرحمن الكوفى المفسر المعروف بالسدى. احتج به مسلم واصحاب السنن ووثقه أحمد.. ﴿الذهبى..﴾ ت : ١٢٧ هـ.

- تليد بن سليمان الكوفى الأعرج. قال أحمد : تليد شيعى لم نر به بأساً. روى له الترمذى وأحمد.. (الذهبى..).

- ثابت بن دينار المعروف بأبى حمزة الثمالى. روى له الترمذى وغيره.. (الذهبى..) ت : ١٥٠ هـ..

- جابر بن يزيد بن الحارث الجعفى الكوفى. احتج به النسائى وأبو داود الترمذى وأخرج له مسلم فى أوائل كتابه عن الجراح قال : سمعت جابراً يقول : عندى سبعون ألف حديث عن أبى جعفر (الامام محمد الباقر) عن النبى ﷺ كلها.. وكان يقول : حدثنى وصى الأوصياء وقيل فيه كان يؤمن بالرجعة. (الذهبى..) ت : ١٢٨ هـ..

- جعفر بن زياد الأحمر الكوفى. قال الجوزجانى : مائل عن الطريق..

وقال ابن عدى : صالح شيعى. وقال أبو داود : صدوق شيعى..

- وثقة ابن معين وغيره. روى له الترمذى والنسائى. (الذهبى..) ت : ١٦٧ هـ..

- جعفر بن سليمان الضبعى البصرى ابو سليمان. نص ابن سعد وابن قتيبه وابن عدى وأحمد على تشيعه، احتج به مسلم والنسائى.. (الذهبى..) ت : ١٧٨ هـ..

- الحارث بن حصيرة أبو النعمان الأزدى الكوفى، قال أبو حاتم الرازى : هو من الشيعة العتق. وقيل : كان يؤمن بالرجعة، وثقة ابن معين والنسائى.. (الذهبى..).

- الحارث بن عبد الله الهمدانى، من التابعين الشيعة. قال ابن حبان : كان غالياً فى التشيع، أقر له الجميع بالفقه والعلم، احتج به النسائى وأصحاب السنن.. (الذهبى..) ت : ٦٥ هـ..

- حبيب بن ابى ثابت الأسدى الكاهلى الكوفى التابعى. روى له اصحاب السنن ووثقة يحيى بن معين وغيره.. (الذهبى..) ت : ١١٩ هـ..

الحكم بن عتيبه الكوفى، احتج به البخارى ومسلم، (الذهبى..) ت : ١١٥ هـ..

ـ حمران بن أعين، شقيق زرارة، كانا منقطعين إلى الإمامين الباقر والصادق، (الذهبى..)

ـ خالد بن مخلد القطوانى أبو الهيثم الكوفى، شيخ البخارى. قال أبو داود : صدوق لكنه يتشيع، احتج به مسلم والبخارى واصحاب السنن.. (الذهبى..).

داود بن أبى عوف أبو الحجاف، قال ابن عدى : ليس هو عندى ممن يحتج به، شيعى عامة ما يرويه فى فضائل أهل البيت، احتج به أبو داود والنسائى، ووثقة احمد وابن معين (الذهبى..)

سالم بن ابى حفصة العجلى الكوفى، نقل ابن سعد فى طبقاته ج ٢٣٤/٦ : أنه كان يتشيع تشيعاً شديداً، وثقة ابن معين واحتج به الترمذى، (الذهبى..) ت : ١٣٧ هـ..

سعيد بن أشوع قاضى الكوفة، قال الجوزجانى : غال زائغ، زائد فى التشيع.. احتج به البخارى ومسلم، (الذهبى..).

شريك بن عبد الله بن سنان بن أنس النخعى الكوفى القاضى، قال ابن معين : صدوق ثقة، احتج به مسلم وأرباب السنن الأربعة، (الذهبى..) ت : ١٧٧ هـ..

شعبة بن الحاج أبو الورد العتكى مولاهم، احتج به اصحاب السنن، ت : ١٦٠ هـ.

صعصعه بن صوحان بن حجر الحارث العبدى من التابعين، شهد الجمل مع الامام على هو وأخواه، احتج به النسائى، (الذهبى..).

طاووس بن كيسان الخولانى الهمدانى اليمانى أبو عبد الرحمن، احتج به أصحاب السنن، ت : ١٠٦ هـ.

عبد الله بن عمر بن محمد بن أبان بن صالح بن عمير القرشى الكوفى المعروف بمشكدانه، شيخ مسلم وأبى داود والبغوى وغيرهم، روى عنه مسلم والبغوى وأبى داود، ت : ٢٣٩ هـ.

ـ عبد الله بن لهيعه قاضى مصر، قال ابن عدى : مفرط فى التشيع، روى له أبو داود والبهيقى والنسائى وغيرهم، (الذهبى..) ت : ١٧٤ هـ..

ـ دى بن ثابت الكوفى، قال الدار قطنى : رافض غالٍ وهو ثقة، روى عنه أصحاب السنن، (الذهبى..)

ـ على بن الجعد ابو الحسن الجوهرى البغدادى مولى بنى هاشم، أحد شيوخ البخارى، روى عنه البخارى، (الذهبى..) ت : ٢٣٠ هـ..

ـ عمار بن زريق الكوفى. احتج به مسلم وابو داود والنسائى (الذهبى..).

ـ الفضل بن دكين الذى يعرف بأبى نعيم شيخ البخارى، احتج به أصحاب السنن، وروى له البخارى ومسلم.. ت : ٢١٠ هـ (الذهبى..) (ابن سعد ج ٣٧٩/٦).

ـ مالك بن اسماعيل ابو غسان الكوفى النهدى شيخ البخارى، روى له البخارى ومسلم.. ت : ٢١٩ هـ (الذهبى..) (ابن سعد ج/٢٨٢).

ـ محمد بن عبد الله الضبى الطهانى النيسابورى من أئمة الحفاظ والمحدثين وصاحب التصانيف عام عصره.. ت : ٥٠٤ هـ.. (الذهبى..).

ـ محمد بن مسلم من اصحاب الامام جعفر الصادق وثقة يحيى بن معين وغيره روى له مسلم..ت : ١٧٧ هـ. (الذهبى..) (ابن سعد ج ٣٨١/٥).

ـ هارون بن سعد العجلى الكوفى، روى له مسلم.. (الذهبى..).

ـ هشام بن عمار بن نصير ابو الوليد الظفرى الدمشقى شيخ البخارى.. ت : ٢٤٥ هـ (الذهبى..).

ـ هشام بن بشير بن القاسم بن دينار السلمى الواسطى شيخ احمد بن حنبل، احتج به اصحاب السنن.. ت ١٨٣ هـ. (الذهبى..).

ـ وكيع بن الجراح بن مليح بن عدى، احتج به أصحاب السنن.. ت : ١٩٧ هـ.. (الذهبى..).

يحيى بن الجزار العرفى الكوفى، احتج به مسلم واصحاب السنن (الذهبى) (ابن سعد ٦/٢٠٦).

يحيى بن سعيد القطان، احتج به مسلم والبخارى واصحاب السنن.. ت : ١٩٨ هـ (المعارف لابن قتيبه).

يزيد بن أبى زياد الكوفى، احتج به مسلم وأصحاب السنن.. ت : ١٣٦ هـ.. (الذهبى..).

●●●

ملحق رقم(4)

مؤلفات الشيعة في الرد على الغلاة

- كتاب الرد على الغلاة ليونس بن عبد الرحمن ت ٢٠٨ هـ
- الرد على الغلاة لعلى بن مهزيار كان حيا حتى عام ٢٢٩ هـ
- الرد على الغالية للفضل بن شاذان تعام ٢٦٠ هـ
- الرد على الغلاة لمحمدبن الحسن الصفار ت عام ٢٩٠ هـ
- الرد على الغالية للحسن بن على بن فضال ت عام ٢٢٤ هـ
- الرد على الغلاة لسعد بن عبيد الله الأشعرى القمى ت عام ٣٠١ هـ
- الرد على الغلاة لاسماعيل بن على النوبختى ت عام ٣١١ هـ
- الرد على الغلاة لاسحاق بن الحسن بن بكر ت عام ٤١١ هـ
- الرد على الغلاة لأبى الفتح محمد بن على بن عثمان الكراجكى الطرابلسى ت عام ٤٤٩ هـ
- الرد على الغلاة لمحمد بن الحسن بن حمزة الجعفرى ت عام ٤٦٣ هـ

وقال الشيخ المفيد : الغلاة من المتظاهرين بالاسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته الى الألوهية والنبوة ووصفوهم من الفضل فى الدين والدنيا ما تجاوزا فيه الحد وخرجوا عن القصد وهم ضلال كفار.. تصحيح الاعتقاد ص ٢٣٨ ط ايران.

وقال الطاهر المكى : المسلمون من صلى الى القبلة الا الخوارج والغلاة فلا يدخلون فى مفهوم الاسلام وان صلوا اليها للحكم بكفرهم.. اللمعة الدمشقية ج١٨/٣ ، كتاب الوقف

وقال اليزدي : لا اشكال فى نجاسة الغلاة والخوارج والنواصب.. العروة الوثقى ج٦٨/١ ط طهران

وقال الخوئى : لا فرق بين المرتد والكافر الأصلى والخارجى والغالى والناصب.. منهاج الصالحين ج١/١٠٩

وقال الخمينى : وأما الغالى فان كان غلوه مستلزما لانكار الألوهية أو التوحيد أو النبوة فهو كافر.. تحرير الوسيلة ج١١٨/١

●●●

ملحق(5)
العقائد الجعفرية
تأليف الشيخ الطوسى

الشيخ الطوسى ـ رحمه الله ـ غنى عن التعريف، فهو شيخ الطائفة على الإطلاق وكان قد أخذ على يد المفيد والمرتضى، وقد ورد بغداد عام ٤٠٨ هـ وحضر فى أندية دروس أستاذه المفيد، فلما لبى الأستاذ دعوة ربه حضر لدى المرتضى إلى أن اشتغل بالتدريس والإفتاء فى عصرة وبعده، وله رسائل وكتب كلامية قيمة مفعمة بالتحقيق، ونحن نورد هنا جانباً مختصراً عما دونه فى عقائد الشيعة فى المسائل الآتية :

" المسألة ١ " معرفة الله واجبة على كل مكلف، بدليل أنه منعم فيجب معرفته.

" المسألة ٢ " الله تعالى موجود، بدليل أنه صنع العالم، وأعطاه الوجود، وكل من كان كذلك فهو موجود .

" المسألة ٣ " الله تعالى واجب الوجود لذاته، بمعنى أنه لا يفتقر فى وجوده إلى غيره، ولا يجوز عليه العدم، بدليل أنه لو كان ممكناً لافتقر إلى صانع، كافتقار هذا العالم، وذلك محال على المنعم المعبود .

" المسألة ٤ " الله تعالى قديم أزلى، بمعنى أن وجوده لم يسبقه العدم، باقٍ أبدى، بمعنى أن وجوده لن يلحقه العدم.

" المسألة ٥ " الله تعالى قادر مختار، بمعنى أنه إن شاء أن يفعل فعل، وإن شاء أن يترك ترك، بدليل أنه صنع العالم فى وقت دون آخر.

" المسألة ٦ " الله تعالى قادر على كل مقدور، وعالم بكل معلوم، بدليل أن نسبة جميع المقدورات والمعلومات إلى ذاته المقدسة المنزهة على السوية، فاختصاص قدرته تعالى وعلمه ببعض دون بعض ترجيح بلا مرجح، وهو محال.

" المسألة ٧ " الله تعالى عالم، بمعنى أن الأشياء منكشفة واضحة له، حاضرة عنده غير غائبة عنه، بدليل أنه تعالى فعل الأفعال المحكمة المتقنة، وكل من فعل ذلك فهو عالم بالضرورة.

" المسألة ٨ " الله تعالى يدرك لا بجارحة، بل بمعنى أنه يعلم ما يدرك بالحواس، لأنه منزه عن الجسم ولوازمه، بدليل قوله تعالى :﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾، فمعنى قوله تعالى : ﴿إنه هو السميع البصير﴾، إنه عالم بالمسموعات لا بأذن، وبالمبصرات لا بعين.

" المسألة ٩ " الله تعالى حى، بمعنى أنه يصح منه أن يقدر ويعلم، بدليل انه ثبتت له القدرة والعلم وكل من ثبتت له ذلك فهو حى بالضرورة.

" المسألة ١٠ " الله تعالى متكلم لا بجارحة، بل بمعنى أنه أوجد الكلام فى جرم من الأجرام، أو جسم من الأجسام، لإيصال عظمته إلى الخلق، بدليل قوله تعالى :

﴿وكلم الله موسى تكليما﴾، ولأنه قادر، فالكلام ممكن.

" المسألة ١١ " الله تعالى صادق، بمعنى أنه لا يقول إلا الحق الواقع، بدليل أن كل كذب قبيح، والله تعالى منزه عن القبيح.

" المسألة ١٢ " الله تعالى مريد، بمعنى أنه رجح الفعل إذا علم المصلحة (يعنى أنه غير مضطر وأن إرادته غير واقعة تحت إرادة أخرى، بل هى الإرادة العليا التى إن رأى

صلاحاً فعل، وان رأى فساداً لم يفعل، باختيار منه تعالى) بدليل أنه ترك ايجاد بعض الموجودات فى وقت دون وقت، مع علمه وقدرته - على كل حال - بالسوية. ولأنه نهى وهو يدل على الكراهة.

" المسألة ١٣ " أنه تعالى واحد، بمعنى أنه لا شريك له فى الإلوهية، بدليل قوله :

﴿قل هو الله أحد﴾، ولأنه لو كان له شريك لوقع التمانع، ففسد النظام، كما قال: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾.

" المسألة ١٤ " الله تعالى غير مركب من شىء، بدليل أنه لو كان مركبا لكان مفتقراً إلى الأجزاء، والمفتقر ممكن.

" المسألة ١٥ " الله تعالى ليس بجسم، ولا عرض، ولا جوهر، بدليل أنه لو كان أحد هذه الأشياء لكان ممكناً مفتقراً إلى صانع، وهو محال.

" المسألة ١٦ " الله تعالى ليس بمرئى بحاسة البصر فى الدنيا والآخرة بدليل أنه تعالى مجرد، ولأن كل مرئى لابد أن يكون له جسم والجهة، والله تعالى منزه عنهما ولأنه تعالى قال : ﴿لن ترانى﴾. وقال : ﴿لا تدركه الأبصار﴾.

" المسألة ١٧ " الله تعالى ليس محلاً للحوادث، وإلا لكان حادثاً، وحدوثه محال.

" المسألة ١٨ " الله تعالى لا يتصف بالحلول، بدليل أنه يلزم قيام الواجب بالممكن وذلك محال.

" المسألة ١٩ " الله تعالى لا يتحد بغيره، لأن الاتحاد صيرورة الشىء واحداً من غير زيادة ونقصان، وذلك محال، والله لا يتصف بالمحال.

" المسألة ٢٠ " الله تعالى منفى عنه المعانى والصفات الزائدة، بمعنى أنه ليس عالماً بالعلم، ولا قادراً بالقدرة (بل علم كله، وقدره كلها)، بدليل أنه لو كان كذلك لزم كونه محلاً للحوادث لو كانت حادثة، وتعدد القدماء لو كانت قديمة، وهما محالان، وأيضاً لزم افتقار الواجب الى صفاته المغايرة له، فيصير ممكناً وهو ممتنع.

" المسألة ٢١ " الله تعالى غنى، بمعنى أنه غير محتاج إلى ما عداه، والدليل عليه أنه واجب الوجود لذاته، فلا يكون مفتقراً.

" المسألة ٢٢ " الله تعالى ليس فى جهة، ولا مكان، بدليل أن كل ما فى الجهة والمكان مفتقر إليهما، وأيضاً قد ثبت أنه تعالى ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض، فلا يكون فى المكان والجهة.

" المسألة ٢٣ " الله تعالى ليس له ولد ولا صاحبه، بدليل أنه قد ثبت عدم افتقاره الى غيره، ولأن كل ما سواه تعالى ممكن، فكيف يصير الممكن واجباً بالذات، ولقوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء﴾ و : ﴿مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب﴾.

" المسألة ٢٤ " الله تعالى عدل حكيم، بمعنى أنه لا يفعل قبيحاً ولا يخل بالواجب بدليل أن فعل القبيح، والإخلال بالواجب نقص عليه، فالله تعالى منزه عن كل قبيح وإخلال بالواجب.

" المسألة ٢٥ " الرضا بالقضاء والقدر واجب، وكل ما كان أو يكون فهو بالقضاء والقدر ولا يلزم بهما الجبر والظلم، لأن القدر والقضاء هاهنا بمعنى العلم والبيان، والمعنى أنه تعالى يعلم كل ما هو ﴿كائن أو يكون﴾.

" المسألة ٢٦ " كل ما فعله الله تعالى فهو أصلح، وإلا لزم العبث، وليس تعالى بعابث، لقوله : ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾.

" المسألة ٢٧ " اللطف على الله واجب، لأنه خلق الخلق، وجعل فيهم الشهوة، فلو لم يفعل اللطف لزم الإغراء، وذلك قبيح، (والله لا يفعل القبيح) فاللطف هو نصب الأدلة، وإكمال العقل، وإرسال الرسل فى زمانهم، وبعد انقطاعهم إبقاء الإمام، لئلا ينقطع خيط غرضه.

" المسألة ٢٨ " نبينا " محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف " رسول الله صلى الله عليه وسلم حقاً صدقاً. بدليل أنه ادعى النبوة وأظهر المعجزات على

يده، فثبت أنه رسول حقاً، وأكبر المعجزات " القرآن الحميد " والفرقان المجيد الفارق بن الحق والباطل، باق إلى يوم القيامة، حجة على كافة النسمة.

ووجه كونه معجزاً : فرط فصاحته وبلاغته، بحيث ما تمكن أحد من أهل الفصاحة والبلاغة حيث تحدوا به، أن يأتوا ولو بسورة مصغرة، أو آية تامة مثله.

" المسألة ٢٩ " كان نبياً على نفسه قبل البعثة، وبعده رسولاً الى كافة النسمة لأنه قال : " كنت نبياً وآدم بين الماء والطين " وإلا لزم تفضيل المفضول وهو قبيح.

" المسألة ٣٠ " جميع الأنبياء كانوا معصومين، مطهرين عن العيوب والذنوب كلها، وعن السهو والنسيان فى الأفعال والأقوال، من أول الأعمار الى اللحد، بدليل أنهم لو فعلوا المعصية أو يطرأ عليهم السهو لسقط محلهم من القلوب، فارتفع الوثوق والاعتماد على أقوالهم وأفعالهم، فتبطل فائدة النبوة، فما ورد فى الكتاب (القرآن) فيهم فهو واجب التأويل..

" المسألة ٣١ " يجب أن يكون الأنبياء أعلم وأفضل أهل زمانهم، لأن تفضيل المفضول قبيح.

" المسألة ٣٢ " نبينا خاتم الأنبياء والمرسلين، بمعنى أنه لا نبى بعده إلى يوم القيامة، يقول تعالى : ﴿ما كان محمداً أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾.

" المسألة ٣٣ " نبينا أشرف الأنبياء والمرسلين، لأنه ثبتت نبوته، وأخبر بأفضليته فهو أفضل، لما قال لفاطمة ـ عليها السلام ـ " أبوك خير الأنبياء وبعلك خير الأوصياء، وأنت سيدة نساء العالمين"، وولدك الحسن والحسين ـ عليهم السلام ـ سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما.

" المسألة ٣٤ " معراج الرسول بالجسم العنصرى علانية، غير منام، حق، والأخبار عليه بالتواتر ناطقة، صريحة، فمنكره خارج عن الإسلام، وأنه مر بالأفلاك من أبوابها من دون حاجة إلى الخرق والالتيام، وهذه الشبهة الواهية مدفوعة مسطورة بمحالها.

" المسألة ٣٥ " دين نبينا ناسخ للأديان السابقة، لأن المصالح تتبدل حسب الزمان والأشخاص كما تتبدل المعالجات لمريض بحسب تبدل المزاج والمرض.

" المسألة ٣٦ " الإمام بعد نبينا علي بن أبي طالب - عليه السلام - بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : " يا علي أنت أخي ووارث علمي وأنت الخليفة من بعدي، وأنت قاضي ديني، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وقوله : " سلموا على علي بإمرة المؤمنين، واسمعوا له وأطيعوا له، وتعلموا منه ولا تعلموه "، وقوله : " من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ".

" المسألة ٣٧ " الأئمة بعد علي - عليه السلام - أحد عشر من ذريته الأول منهم ولده الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم الخلف الحجة القائم المهدي الهادي بن الحسن صاحب الزمان، فكلهم أئمة الناس واحد بعد واحد، حقاً، بدليل أن كل إمام منهم نص على من بعده نصاً متواتراً بالخلافة، وقوله : " الحسين إمام، ابن إمام، أخو إمام، أبو الأئمة التسعة، تاسعهم قائمهم، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ".

" المسألة ٣٩ " يجب أن يكون الأئمة أفضل وأعلم، ولو لم يكونوا كذلك للزم تفضيل المفضول، أو الترجيح بلا مرجح، ولا يحصل الإنقياد به، وذلك قبيح عقلاً ونقلاً، وفضل أئمتنا وعلمهم مشهور، بل أفضليتهم أظهر من الشمس وأبين من الأمس.

" المسألة ٤٠ " يجب أن نعتقد أن آباء نبينا وأئمتنا مسلمون أبداً، بل أكثرهم كانوا أوصياء، فالأخبار عند أهل البيت على إسلام أبي طالب مقطوعة وسيرته تدل عليه، ومثله مثل مؤمن آل فرعون.

" المسألة ٤١ " الإمام المهدي المنتظر محمد بن الحسن قد تولد في زمان أبيه، وهو غائب حي باق الى بقاء الدنيا، لأن كل زمان لابد فيه من إمام معصوم لما انعقد عليه إجماع الأمة على أنه لا يخلو زمان من حجة ظاهرة مشهورة أو خافية مستورة، ولأن اللطف في كل زمان واجب، والإمام لطف فوجوده واجب.

" المسـألة ٤٢ " لا استبعاد فى طول عمره، لأن غيره من الأمم السابقة قد عاش ثلاثة آلاف سنة فصاعدا، كشعيب ونوح ولقمان وخضر وعيسى ـ عليه السلام ـ وابليس الدجال، ولأن الأمر ممكن، والله قادر على جميع الممكنات.

" المسألة ٤٣ " غيبة المهدى لا تكون من قبل نفسه، لأنه معصوم فلا يخل بواجب، ولا من قبل الله تعالى، لأنه عدل حكيم، فلا يفعل القبيح، لأن الإخفاء عن الأنظار وحرمان العباد عن الإفادات قبيحان. فغيبته لكثرة العدو والكافر، ولقلة الناصر.

" المسألة ٤٤ " لابد من ظهور المهدى، بدليل قول النبى صلى الله عليه وسلم : " لو لم يبق من الدنيا إلا ساعة واحدة لطول الله تلك الساعة حتى يخرج رجل من ذريتى، اسمه اسمى وكنيته كنيتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملأت ظلماً وجوراً ".

ويجب على كل مخلوق متابعته.

" المسألة ٤٥ " فى غيبة الإمام فائدة، كما تنير الشمس تحت السحاب، والمشكاة من وراء الحجاب.

" المسألة ٤٦ " إن الله يعيد الأجسام الفانية كما هى فى الدنيا، ليوصل كل حق من المستحقين، وذلك أمر ممكن، والأنبياء أخبروا به، لا سيما القرآن المجيد مشحون به ولا مجال للتأويل، فالاعتقاد بالمعاد الجسمانى واجب.

" المسألة ٤٧ " كل ما أخبر به النبى أو الإمام فاعتقاد واجب، كإخبارهم عن نبوة الأنبياء السابقين، والكتب المنزلة، ووجود الملائكة، وأحوال القبر وعذابه وثوابه، وسؤال منكر ونكير، والأحياء فيه، وأحوال القيامة وأهوالها، والنشور، والحساب والميزان، والصراط، وإنطاق الجوارح، ووجود الجنة والنار، والحوض الذى يسقى منه أمير المؤمنين العطاشى يوم القيامة، وشفاعة النبى والأئمة لأهل الكبائر من محبيه، الى غير ذلك، بدليل أنه أخبر بذلك المعصومون.

" المسألة ٤٨ " التوبة ـ وهى الندم على القبيح فى الماضى، والترك فى الحال والعزم على عدم المعاودة إليه فى الاستقبال ـ واجبة، لدلالة السمع على وجوبها، ولأن دفع الضرر واجب عقلاً.

" المسألة ٤٩ " الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر واجبان، بشرط تجويز التأثير والأمن من الضرر.

ملحق (6)

البيـان عن جمـل اعتقـاد

أهل الإيمان للكراجكى

كتب الإمام أبو الفتح الشيخ محمد بن على الكراجكى الطرابلسى رسالة موجزة فى عقائد الإمامية وأسماها " البيان عن جمل اعتقاد أهل الإيمان ".

قال : سألت يا أخى أسعدك الله بألطافه، وأيدك بإحسانه وإسعافه، أن أثبت لك جملاً من اعتقادات الشيعة المؤمنين، وفصولاً فى المذهب يكون عليها بناء المسترشدين، لتذاكر نفسك بها، وتجعلها عدة لطالبها، وأنا اختصر لك القول وأجمله، وأقرب الذكر وأسهله وأورده على سنن الفتيا فى المقالة، من غير حجة ولا دلالة، وما توفيقى إلا بالله :

فى توحيده سبحانه :

إعلم أن الواجب على المكلف : أن يعتقد حدوث العالم بأسره، وأنه لم يكن شيئا قبل وجوده، ويعتقد أن الله تعالى هو محدث جميعه، من أجسامه، وأعراضه، ألا أفعال العباد الواقعة منهم، فإنهم محدثوها دون سبحانه.

ويعتقد أن الله قديم وحده، لا قديم سواه، وأنه موجود لم يزل، وباق لا يزال، وأنه شىء لا كالأشياء. لا شبيه الموجودات، ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات، وأن له صفات يستحقها لنفسه لا لمعان غيره، وهى كونه حياً، عالماً، قديماً باقياً، لا يجوز خروجه عن هذه الصفات الى ضدها، يعلم الكائنات قبل كونها. ولا يخفى عليه شىء منها.

فى عدالة سبحانه :

وأن له صفات أفعال، لا يصح إضافتها إليه فى الحقيقة إلا بعد فعله، وهى ما وصف به نفسه من أنه خالق، ورازق، ومعط، وراحم، ومالك، ومتكلم، ونحو ذلك.

وأن له صفات مجازات وهى ما وصف به نفسه، من أنه يريد ويكره، ويرضى ويغضب.

فإرادته لفعل هى الفعل المراد بعينه، وإرادته لفعل غيره هى الأمر بذلك الفعل، وليس تسميتها بالإرادة حقيقة، وإنما هو على مجاز اللغة، وغضبه هو وجود عقابه، ورضاه هو وجود ثوابه، وأنه لا يفتقر إلى مكان، ولا يدرك بشىء من الحواس.

وأنه منزه من القبائح، لا يظلم الناس وإن كان قادراً على الظلم، لأنه عالم بقبحه، غنى عن فعله، قوله صدق، ووعده حق، لا يكلف خلقه على ما لا يستطاع، ولا يحرمهم صلاحاً لهم فيه الانتفاع، ولا يأمر بما لا يريد، ولا ينهى عما يريد، وأنه خلق الخلق لمصلحتهم وكلفهم لأجل منازل منفعتهم، وأزاح فى التكليف عللهم، وفعل أصلح الأشياء بهم. وأنه أقدرهم قبل التكليف، وأوجد لهم العقل والتمييز.

وأن القدرة تصلح أن يفعل بها وضده بدلاً منه. وأن الحق الذى تجب معرفته، يدرك بشيئين، وهما العقل والسمع، وأن التكليف العقلى لا ينفك عن التكليف السمعى، وأن الله تعالى قد أوجد ﴿للناس﴾ فى كل زمان مسمعاً ﴿لهم﴾ من أنبيائه وحججه بينه وبين الخلق، ينبههم على طريق الاستدلال فى العقليات، ويفقههم على ما لا يعلموته إلا به من السمعيات. وأن جميع حجج الله تعالى محيطون علماً بجميع ما يفتقر إليهم فى العباد. وإنهم معصومون من الخطأ والزلل عصمة اختيار. وأن الله فضلهم على خلقه، وجعلهم خلفاءه القائمين بحقه. وأنه أظهر على أيديهم المعجزات، تصديقاً لهم فيما ادعوه من الأنباء والأخبار. وأنهم ـ مع ذلك ـ بأجمعهم عباد مخلوقون، بشر مكلفون يأكلون ويشربون، ويتناسلون، ويحيون بإحيائه، ويموتون بإماتته، تجوز عليهم الآلام المعترضات، فمنهم من قتل، ومنهم من مات، لا يقدرون على خلق، ولا رزق، ولا يعلمون الغيب إلا ما أعلمهم إله الخلق. وان أقوالهم صدق، وجميع ما أتوا به حق.

فى النبوة العامة والخاصة :

وأن أفضل الأنبياء أولو العزم، وهم خمسة : نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم، وأن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء أجمعين، وخير الأولين والآخرين، وأنه خاتم النبيين، وأن آباءه من آدم ـ

عليه السلام _ الى عبد الله بن عبد المطلب _ رضوان الله عليهم _ كانوا جميعاً مؤمنين، وموحدين لله تعالى عارفين، وكذلك أبو طالب _ رضوان الله عليه -.

ويعتقد أن الله سبحانه شرف نبينا صلى الله عليه وسلم بباهر الآيات، وقاهر المعجزات، فسبح فى كفه الحصاء، ونبع من بين أصابعه الماء، وغير ذلك مما قد تضمنته الأنباء، وأجمع على صحته العلماء، وأتى بالقرآن المبين، الذى بهر به السامعين، وعجز من الإتيان بمثله سائر الملحدين.

وأن القرآن كلام رب العالمين، وأنه محدث ليس بقديم. ويجب أن يعتقد أن جميع ما فيه من الآيات الذى يتضمن ظاهرها تشبيه الله تعالى بخلقه، وأنه يجبرهم على طاعته أو معصيته، أو يضل بعضهم عن طريق هدايته، فإن ذلك كله لا يجوز حمله على ظاهرها، وان له تأويلاً يلائم ما تشهد به العقول مما قدمنا ذكره فى صفات الله تعالى، وصفات أنبيائه.

فإن عرف المكلف تأويل هذه الآيات فحسن، وإلا أجزأ أن يعتقد فى الجملة أنها متشابهات، وأن لها تأويلاً ملائماً، يشهد بما تشهد به العقول والآيات المحكمات، وفى القرآن المحكم، والمتشابه، والحقيقة، والمجاز، والناسخ، والمنسوخ، والخاص، والعام.

ويجب عليه أن يقر بملائكة الله أجمعين، وأن منهم جبرئيل وميكائيل، وأنهما من الملائكة الكرام، كالأنبياء بين الأنام، وأن جبرئيل هو الروح الأمين الذى نزل بالقرآن على قلب محمد خاتم النبيين، وهو الذى كان يأتيه بالوحى من رب العالمين.

ويجب الإقرار بأن شريعة الإسلام التى أتى بها محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة لما خالفها من شرائع الأنبياء المتقدمين.

وإنه يجب التمسك بها والعمل بما تضمنته من فرائضها، وأن ذلك دين الله الثابت الباقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لا حلال إلا ما أحلت ولا حرام إلا ما حرمت، ولا فرض إلا ما فرضت، ولا عبادة إلا ما أوجبت.

وإن من انصرف عن الإسم، وتمسك بغيره، كافر ضال، مخلد فى النار، ولو بذل من الاجتهاد فى العبادة غاية المستطاع.

وإن من أظهر الإقرار بالشهادتين كان مسلماً، ومن صدق بقلبه ولم يشك فى فرض أتى به محمد صلى الله عليه وسلم كان مؤمناً.

ومن الشرائط الواجبة للإيمان، العمل بالفرائض اللازمة، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن.

وقوله تعالى : ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾.

إنما أراد به الإسلام الصحيح التام، الذى يكون المسلم فيه عارفاً، مؤمناً، عالماً بالواجبات طائعاً.

فى الإمامة والخلافة :

ويجب أن يعتقد أن حجج الله تعالى بعد رسوله الذين هم خلفاؤه، وحفظة شرعه، وأئمة أمته، إثنا عشر أهل بيته، أولهم أخوه وابن عمه، وصهره بعل فاطمة الزهراء ابنته، ووصية على أمته على بن أبى طالب أمير المؤمنين، ثم الحسن بن على الزكى، ثم الحسين بن على الشهيد، ثم على بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن على باقر العلوم، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم على بن موسى الرضا، ثم محمد بن على التقى، ثم على بن محمد المنتخب، ثم الحسن بن على الهادى، ثم الخلف الصالح بن الحسن المهدى ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ.

لا إمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا لهم ـ عليهم السلام ـ ولا يجوز الاقتداء فى الدين إلا بهم، ولا أخذ معالم الدين إلا عنهم.

وأنهم فى كمال العلم والعصمة من الآثام نظير الأنبياء «عليهم السلام»

وأنهم افضل الخلق بعد رسول الله ﷺ.

وأن إمامتهم منصوص عليها من قبل الله على اليقين والبيان.

وأنه سبحانه أظهر على أيديهم الآيات، وأعلمهم كثيرا من الغائبات، والأمور المستقبلات، ولم يعطهم من ذلك إلا ما قارن وجهاً يعلمه من اللطف والصلاح.

وليسوا عارفين بجميع الضمائر والغائبات على الدوام، ولا يحيطون بالعلم بكل ما علمه الله تعالى. والآيات التى تظهر على أيديهم هى فعل الله دونهم، أكرمهم بها، ولا صنع لهم فيها.

وأنهم بشر محدثون، وعباد مصنوعون، لا يخلقون، ولا يرزقون، ويأكلون ويشربون، وتكون لهم الأزواج، وتنالهم الآلام والإعلال، ويستضامون، ويخافون فيتقون، وأن منهم من قتل، ومنهم من قبض.

وأن إمام هذا الزمان هو المهدى بن الحسن الهادى، وأنه الحجة على العالمين، وخاتم الأئمة الطاهرين، لا إمامة لأحد بعد إمامته، ولا دولة بعد دولته، وأنه غائب عن رعيته، غيبة اضطرار وخوف من أهل الضلال، وللمعلوم عند الله تعالى فى ذلك الصلاح.

ويجوز أن يعرف نفسه فى زمن الغيبة لبعض الناس، وأن الله عز وجل سيظهره وقت مشيئته، ويجعل له الأعوان والأصحاب، فيمهد الدين به، ﴿و﴾ يطهر الأرض على يديه، ويهلك أهل الضلال، ويقيم عمود الإسلام، ويصير الدين كله لله.

وأن الله عز وجل يظهر على يديه عند ظهوره الإعلام، وتأتيه المعجزات بخرق العادات، ويحيى له بعض الأموات، فإذا قام فى الناس المدة المعلومة عند الله سبحانه قبضه إليه، ثم لا يمتد بعده الزمان، ولا تتصل الأيام حتى تكون شرائط الساعة، وإماتة من بقى من الناس، ثم يكون المعاد بعد ذلك.

ويعتقد أن افضل الأئمة _ عليهم السلام _ أمير المؤمنين على بن أبى طالب، وأنه لا يجوز أن يسمى بأمير المؤمنين أحد سواه.

وأن بقية الأئمة _ صلوات الله عليهم _ يقال لهم الأئمة، والخلفاء، والأوصياء، والحجج، وإن كانوا فى الحقيقة أمراء المؤمنين، فإنهم لم يمنعوا من هذا الإسم لأجل

معناه، لأنه حاصل لهم على الاستحقاق، وإنما منعوا من لفظه حشمة لأمير المؤمنين «عليه السلام».

وأن افضل الأئمة بعد أمير المؤمنين، ولده الحسن، ثم الحسين، وأفضل الباقين بعد الحسين، إمام الزمان المهدى _ صلوات الله عليه _ ثم بقية الأئمة بعده على ما جاء به الأثر وثبت فى النظر.

وأن المهدى _ عليه السلام _ هو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

" لو لم يبق فى الدنيا إلا يوم واحد، لطول الله تعالى ذلك اليوم حتى يظهر فيه رجل من ولدى يواطىء اسمه اسمى، يملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً "﴿٢﴾.

فاسمه يواطىء اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنيته تواطىء كنيته، غير أن النهى قد ورد عن اللفظ، فلا يجوز أن يتجاوز فى القول أنه المهدى، والمنتظر، والقائم بالحق، والخلف الصالح، وإمام الزمان، وحجة الله على الخلق.

ويجب أن يعتقد أن الله فرض معرفة الأئمة _ عليهم السلام _ بأجمعهم، وطاعتهم، وموالاتهم، والاقتداء بهم، والبراءة من أعدائهم وظالميهم... وأنه لا يتم الإيمان إلا بموالاة أولياء الله، ومعاداة أعدائه.

فى التوبة والحشر والنشر :

ويعتقد أن الله يزيد وينقص إذا شاء فى الأرزاق والآجال.

وأنه لم يرزق العبد إلا ما كان حلالاً طيباً.

ويعتقد أن باب التوبة مفتوح لمن طلبها، وهى الندم على ما مضى من المعصية، والعزم على ترك المعاودة إلى مثلها.

وأن التوبة ماحية لما قبلها من المعصية التى تاب العبد منها.

وتجوز التوبة من زلة إذا كان التائب منها مقيماً على زلة غيرها لا تشبهها، ويكون له الأجر على التوبة، وعليه وزر ما هو مقيم عليه من الزلة.

وأن الله يقبل التوبة بفضله وكرمه، وليس ذلك لوجوب قبولها في العقل قبل الوعد، وإنما علم بالسمع دون غيره.

ويجب أن يعتقد أن الله سبحانه، يميت العباد ويحييهم بعد الممات ليوم المعاد.

وأن المحاسبة حق والقصاص، وكذلك الجنة والنار والعقاب.

وأن مرتكبي المعاصي من العارفين بالله ورسوله، والأئمة الطاهرين، المعتقدين لتحريمها مع ارتكابها، المسوفين التوبة منها، عصاة فساق، وأن ذلك لا يسلبهم اسم الإيمان كما لم يسلبهم اسم الإسلام﴿٣﴾.

وأنهم يستحقون العقاب على معاصيهم، والثواب على معرفتهم بالله تعالى، ورسوله، والأئمة من بعده صلى الله عليه وسلم، وما بعد ذلك من طاعتهم، وأمرهم مردود إلى خالقهم، وإن عفا عنهم فبفضله ورحمته، وأن عاقبهم فبعدله وحكمته، قال الله سبحانه :

﴿وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم﴾.

وأن عقوبة هؤلاء العصاة إذا شاءها الله تعالى لا تكون مؤبدة، ولها آخر، يكون بعده دخولهم الجنة، وليس من جملة من توجه إليهم الوعيد بالتخليد، والعفو من الله تعالى يرجى للعصاة المؤمنين.

وقد غلطت المعتزلة فسمت من يرجو العفو مرجئاً، وإنما يجب أن يسمى راجياً، ولا طريق إلى القطع على العفو، وإنما هو الرجاء فقط.

ويعتقد أن لرسول الله صلى عليه وسلم والأئمة من بعده _ عليهم السلام _ شفاعة مقبولة يوم القيامة، ترجى للمؤمنين من مرتكبي الآثام.

ولا يجوز أن يقطع الإنسان على أنه مشفوع فيه على كل حال، ولا سبيل له إلى العلم بحقيقة هذه الحال، وإنما يجب أن يكون المؤمن واقفاً بين الخوف والرجاء.

ويعتقد أن المؤمنين الذين مضوا من الدنيا وهم غير عاصين، يؤمر بهم يوم القيامة إلى الجنة بغير حساب.

وأن جميع الكفار والمشركين، ومن لم تصح له الأصول من المؤمنين يؤمر بهم يوم القيامة الى الجحيم بغير حساب، وإنما يحاسب من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وهم العارفون العصاة.

وأن أنبياء الله تعالى وحججه ـ عليهم السلام ـ هم فى يوم القيامة المسؤولون للحساب بإذن الله تعالى، وأن حجة أهل كل زمان يتولى أمر رعيته الذين كانوا فى وقته.

وأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والأئمة الاثنا عشر من بعده ـ عليهم السلام ـ هم أصحاب الأعراف الذين هم لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه.

وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاسب أهل وقته وعصره، وكذلك كل إمام بعده.

وأن المهدى ـ عليه السلام ـ هو المواقف لأهل زمانه، والمسائل للذين فى وقته.

وأن الموازين ﴿التى﴾ توضع فى يوم القيامة، هى إقامة العدل فى الحساب والانصاف فى الحكم والمجازاة، وليست فى الحقيقة موازين بكفات وخيوط كما يظن العوام.

وأن الصراط المستقيم فى الدنيا دين محمد وآل محمد ـ عليه وعليهم السلام ـ وهو فى الآخرة طريق الجنان.

وأن الأطفال والمجانين والبله من الناس، يتفضل عليهم فى القيامة بأن تكمل عقولهم، ويدخلون الجنان.

وأن نعيم أهل الجنة متصل أبداً بغير نفاد، وأن عذاب المشركين والكفار متصل فى النار بغير نفاد.

ويجب أن تؤخذ معالم الدين فى الغيبة من أدلة العقل، وكتاب الله عز وجل، والأخبار المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن الأئمة ـ عليهم السلام ـ وما أجمعت عليه الطائفة الإمامية، وإجماعها حجة.

فأما عند ظهور الإمام ـ عليه السلام ـ فإنه المفزع عند المشكلات، وهو المنبه على العقليات، والمعرف بالسمعيات، كما كان النبى ﷺ.

ولا يجوز استخراج الأحكام فى السمعيات بقياس ولا اجتهاد.

فأما العقليات فيدخلها القياس والاجتهاد، ويجب على العاقل مع هذا كله ألا يقنع بالتقليد فى الاعتقاد، وأن يسلك طريق التأمل والاعتبار، ولا يكون نظره لنفسه فى دينه أقل من نظره لنفسه فى دنياه، فإنه فى أمور الدنيا يحتاط ويحترز، ويفكر ويتأمل، ويعتبر بذهنه، ويستدل بعقله، فيجب أن يكون فى أمر دينه على أضعاف هذه الحال، فالغرر فى أمر الدين أعظم من الغرر فى أمر الدنيا.

فيجب أن لا يعتقد فى العقليات إلا ما صح عنده حقه، ولا يسلم فى السمعيات إلا لمن ثبت له صدقه.

نسأل الله حسن التوفيق برحمته، وألا يحرمنا ثواب المجتهدين فى طاعته.

●●●

ملحق رقم (7)
نماذج من الروايات المشتركة
بين الشيعة والسنة

- لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم.. المصنف ج١/٣٤١

- من احيا مواتا فهى له.. الكافى ج٥/٢٧٩

- الصوم جنة.. التهذيب ج٤/١٥١

- ما افاد عبد خيرا من زوجة صالحة اذا راها سرته واذا غاب عنها حفظته.. مسند الباقر ج٤/كتاب النكاح.

- من تزوج فقد احرز نصف دينه فليتق الله فى النصف الاخر.. المرجع السابق.

- عليك بذات الدين تربت يداك.. التهذيب ج٧/١٠٤

- قد زوجتكما على ما تحسن من القران.. الكافى ج٥/٣٨.

- شفاعة الرسول فى أمته.. بحار الانوار ج٨/٤٢ ح ٣٣

- من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية.. بحار الانوار ج٢٣/٧٦ ح ١و٢و٣

- من كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار.. بحارالانوار ج٢/١٧٢ ونهج البلاغة ج٢/١٨٨

- الصلاة عمود الدين.. بحارالانوار ج٨٢/٢١٨ ح ٣٦ وفروع الكافى ج٣/٢٦٦ والتهذيب ج٢/٢٣٨ ح٣٦

- اقرب ما يكون العبد من الله اذا كان فى الصلاة.. دعائم الاسلام ج١/١٣٥

- لقنوا موتاكم لااله الا الله.. بحار الانوارج٨١/٢٣٦ ح١٥

- ان بيوتى فى الارض المساجد. ألا طوبى لعبد توضا فى بيته ثم زارنى فى بيتى.. بحار الانوارج٨٤/١٤

مابين المسلم وبين أن يكفر الا ترك الصلاة.. بحار الانوار ج٨٢/٢١٦

- من خلع جماعة المسلمين قدر شبر خلع ربقة الايمان من عنقه.. بحار الانوار ج٨٨/١٣ ح ٢٣

- حفوا الشوارب واعفوا اللحى.. وسائل الشيعة ج٢/١١٦ باب ٦٧ ح١

- لعن الله المتشبهات بالرجال من النساء. ولعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء.. بحار الانوار ج١٠٣/٢٥٨ ووسائل الشيعة ج٢/٢٤٥ ح٥

- النساء نواقص الايمان ونواقص العقول.. نهج البلاغة

- النصيحة لله والرسول ولجماعة المسلمين.. الخصال ج١/٢٩٤

- من أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس بمسلم.. الكافى ج٢/١٣١ح ١

- كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه.. بحار الانوارج٣/٢٨١ باب ١١ ح٢٢

- أكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين.. المستدرك ج١٥/١٩٣ باب ٧٥ ح١٩

- الجنة تحت أقدام الأمهات.. المرجع السابق ج١٥/١٨٠ باب ٧٠ ح٤

- مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقى عليهم الجهاد الأكبر. قيل وما الجهاد الأكبر. قال جهاد النفس.. الكافى ج٥/كتب الجهاد ح٣

- تعرض على أعمالكم.. بصائر الدرجات.. ج٩/ح ١٢ والمستدرك ج١٢/١٦٥ باب ١٠، ح١٢

- كان الرسول يصوم الاثنين والخميس. ويقول أحب أن ترفع أعمالى وأنا صائم.. بحار الانوار ج٥/٣٢٩ ح ٢٩

- أفضل الجهاد كلمة عدل عند امام جائر.. الكافى ج٥/٥٩ ح ١٦

- لما خلق الله العقل قال له أقبل فاقبل ثم قال له أدبر فادبر.. الكافى ج١/كتاب العقل ح١

- طلب العلم فريضة على كل مسلم.. الكافى ج١/٢٣ ح١ باب فرض العلم

- اطلبوا العلم ولو فى الصين.. بحار الانوارج٢/٣١ باب ٩ ح ٢.

- اللهم اجعل صمتى فكرا ونطقى ذكرا ونظرى عبرا.. تحف العقول/٢١

- الحافظ للقران العامل به مع السفرة البررة.. الكافى ج٢/٤٤١ ح٢

- خياركم من تعلم القران وتعلمه.. وسائل الشيعة ج٦/١٦٧ باب ١ ح ٦

- ويروى عن جعفر الصادق فى قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله.. التوبة ٣١

قال والله ما صلوا لهم ولا صاموا ولكنهم أحلوا لهم حراما. وحرموا عليهم حلالا فاتبعوهم.. بحار الانوار ج٢/٩٨ ح ٤٨

- ويروى لعن رسول الله الربا واكله وبائعه ومشتريه وكاتبه وشاهديه.. وسائل الشيعة ج١٨/١٢٧ ح٢

- ويروى كل قرض جر منفعة فهو ربا .. دعائم الاسلام ج٢/٦١

ويروى الفضة بالفضة والذهب بالذهب مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد او استزاد فقد اربى.. دعائم للاسلام ج٢/٣٧

- ويروى لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا.. بحلر الانوار ج٧١/١٥١ باب التوكل ح٥١

- ويروى ان الرفق لم يوضع على شيء الا زانه.. الكافى ج٢/٩٧ ح ٦

- ويروى اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله.. مسند الباقرج٦/باب تفسير القران. وشواهد التنزيل ج١ ٣٢٤

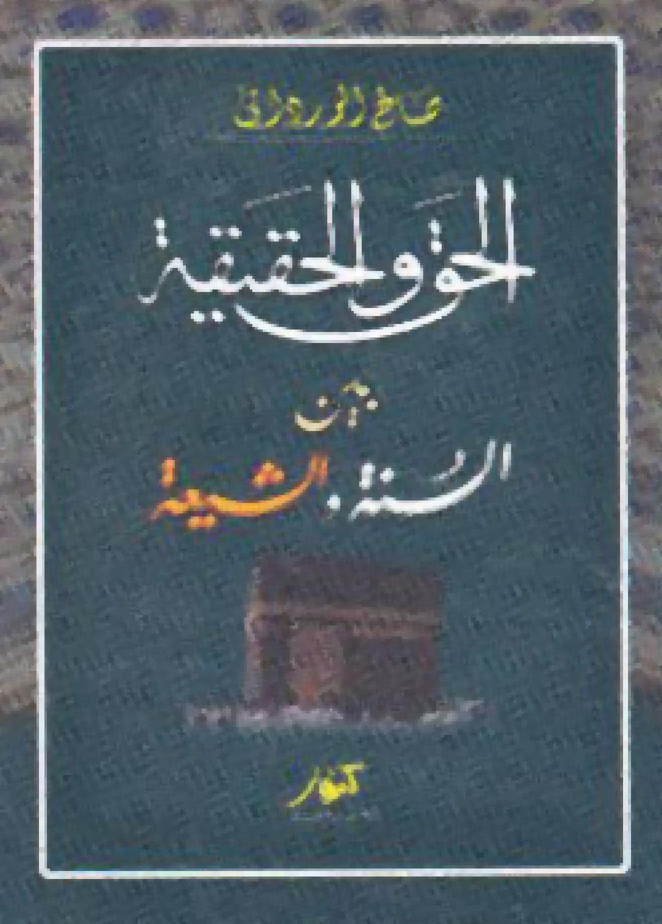
- ويروى انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى فانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض.. بحار الانوار ج٢٣/١٢٣ ح ٩٦

ويروى نحن اثنا عشر إماما من آل محمد.. الكافى ج١/٥٣٢ والخصال ٤٨. وكمال الدين ٣٣١

■ ■ ■

صدر للمؤلف

- الحركة الإسلامية فى مصر: من الخمسينيات الى التسعينيات..
- مذكرات معتقل سياسى..
- الشيعة فى مصر : من الإمام على الى الإمام الخمينى..
- مصر وإيرن : صراع الأمن والسياسة..
- السيف والسياسة : الصراع بين الإسلام النبوى والإسلام القبلى..
- الكلمة والسيف : محنة الرأى فى تاريخ المسلمين..
- أهل السنة شعب الله المختار..
- عقائد السنة وعقائد الشيعة : التقارب والتباعد..
- فقهاء النفط..
- ابن باز فقيه آل سعود..
- زواج المتعة حلال..
- الخدعة..
- المناظرات بين فقهاء السنة والشيعة..
- دفاع عن الرسول : ضد الفقهاء والمحدثين..
- فرق أهل السنة : جماعات الماضى وجماعات الحاضر..
- الإمام على سيف الله المسلول..
- تصحيح العبادات : العبادات بين المذاهب والحكام..
- أزمة الحركة الإسلامية المعاصرة : من الحنابلة الى طالبان..
- وصية الرسول للإمام على..
- تجديد الخطاب الإسلامى : تصحيح التسنن والتشيع..
- أهل البيت : الدور والرسالة..
- التوراة..
- دماء وأغلال: الإرهاب بين الإسلام والمسلمين



الإسلام فى حقيقته دين العدل والحرية والتسامح والسلام. والذين يحاولون إبراز غير هذه الصورة لا يمثلون الإسلام ولا ينطقون بلسانه..

والواجب على المسلم أن يلتزم بالعدل فى القول. والأمانة فى النقل، والإنصاف فى الرأى أمام الخصوم من المسلمين وغير المسلمين. والصدام الواقع بين السنة والشيعة منذ قيام الثورة الإسلامية فى إيران وحتى الآن والحملات العدائية المستمرة بينهما يجب أن تتوقف وأن تضبط بخلق الإسلام.. والخلق يعنى الإلتزام بالصدق فى القول، والأمانة فى النقل، وامتلاك أدوات البحث العلمى وهضم الطرح الشيعى والسنى على السواء.. لكن الملاحظ أن القائمين على هذه الحملات التى تقودها مؤسسات وصحف ورموز قد خرجوا عن حدود هذه الخلق وبالتالى وقعوا تحت سيطرة العقل المذهبى وعقل الماضى. وأصبح سلاح هذه الحملات الدائم هوالتحريض والسب واللعن وقدر كبير من التعصب والخصومة التى جاوزت حدود العقل والعدل والأدب..

وعسى أن نكون قد وفقنا من خلال صفحات هذا الكتاب فى عرض أفكار وعقائد الطرفين من خلال مصادرهما المعتمدة وإلقاء الضوء على طبيعة الخلاف بينهما راجين الله سبحانه أن يكون ذلك سبيلاً لتحقيق التعارف بين المسلمين الذى هو مقدمة ضرورية لتوحيد صفوفهم وكلمتهم..

كنوز للنشر والتوزيع